التحليل النفسي للأحلام

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م
الدار الفنية للنشر والتوزيع

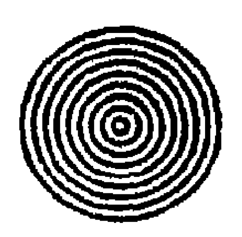
دكتور عبد المنعم الحفني

التحليل النفسي للأحلام

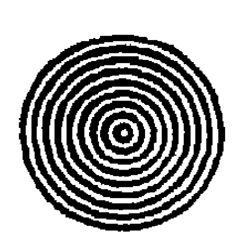


الدار الفنية للنشر والتوزيع

٥ ش الأسبنالية الايطالى متفرع من شارع العباسية ت ٢٤٢٠٨٣٦ / ٣٩١١٨٦٢ القاهرة



رآيت آشياء شتى لا عداد لها ... والعين مغمضة والحس فى عدم
وطرت فى الجو أحياناً وسرت إلى ... أقصى البلاد ولم أخطر على قدم
وكلمت من لم يكلمنى ونحت على ... من لم يمت وبلا خط جرى قلمى
وشد ما خفت من غول بلا سبب ... رام اغتيالى بغيا وهو لم يرم
وكم رأيت بدارى اللص يسرقنى ... وانه حول دارى قط لم يحم
وكم تسورت أسواراً وهمت على ... وجهى فراراً ولو نبهت لم أهم
وكم تضورت من ضغط أناخ على ... صدرى وحاول تعجيلاً لمخترمى
وكل ذاك وهذا فى الحقيقة قد ... لقيته وأنا فى غفلة الحلم



مقدمة

كانت الأحلام دائماً محل اهتمام كبير من الناس وخاصة فى زماننا هذا حيث الظروف المضطربة عائلياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً . ووسائل الإعلام لها ضغوطها . والناس يكبتون أو يتعلمون أن يخفوا ما بأنفسهم ولا يظهروا انفعالاتهم وتطلعاتهم وطموحاتهم فتكثر الأحلام . و يكثر تناول الصحافة والإذاعة لموضوعات الأحلام ولتفسيرها وتأويلها لترضى بذلك القارئ أو المشاهد . وتفسير الأحلام كوسيلة من وسائل مطالعة الغيب أو استكناه المستقبل ينضاف إلى وسائل أخرى كثيرة لعلها أكثر شهرة من تفسير الأحلام . وربما كان الإقبال على قراءة الكف أو الفنجان من الممارسات اليومية للناس . وربما كان ذلك عن حاجة حقيقية أو للتسلية . وليس تفسير الأحلام من ذلك . وبعد أن كان الاهتمام بالأحلام منذ فترة ليست بالبعيدة عظيماً حتى لكان تشبيه هذا المجال الجديد بأنه كاكتشاف أمريكا . لم تعد الأحلام تحظى من العلماء وخاصة علماء النفس والتحليل النفسى والأنثربولوجيا بنفس الاهتمام . و يبدو أنهم تركوا أمرها كالسابق لمرتزقة قراءة الطوالع فصرنا نقرأ إعلانات لكتب فى تفسير الأحلام ليست من العلم فى شىء وليس مؤلفوها من العلماء . ومن ذلك كتب فى الأحلام وكأنها القواميس . كأن يحلم الشخص أنه تلقى رسالة فيفتح الكتاب على حرف الراء ــ مادة رسالة ــ ليجد أن الحالم الذى يحلم انه تلقى رسالة فإن ذلك يبشر بأنه سيتقلد منصباً أو يرزق مالا أو ولداً .

وما تشهده سوق الكتب العربية لا يعدو إعادة صياغة لكتابين مشهورين هما « منتخب الكلام في تفسير الأحلام » لابن سيرين ، و« تعطير الأنام في تعبير المنام » لعبد الغني النابلسي . وتتناول الصحف أو كتّاب هذه الصحف مقتطفات منها يسوقونها سياقة عصرية وبأسلوب العصر ، يشفع لهم أن الكتابين السابقين خلاصة الحكمة القديمة في مجال تفسير الأحلام ، وهو ما سنعرض له من بعد . وهناك ترجمة لكتاب فرويد « تفسير الأحلام » لا يجرؤ صحفي ولا كاتب على الاقتباس منه ، ولا يشار إليه ، ربما لصعوبة في النقل عنه ، وربما لصعوبة في الإحاطة به وفهم مراميه ، وللأسلوب الاستطرادي الذي اتبعه فيه فرويد ، والذي جعله عند الترجمة جافاً شديد الجفاف ، مع أن الكتاب في الأصل الألماني سهل العبارة وكثير التشويق .

وربما يكون انصراف أطباء العلاج النفسي عن تفسير الأحلام بالنظر إلى الاتجاهات المادية التي تسود حياتنا الفكرية المعاصرة ، حتى لقد صار علم الاقتصاد هو العلم الأول ، وصار تفسير كل قيمة في ضوء ما تعود به على الناس من نفع مادي . ولو خير الناس بين أن يناموا أو يقضوا بقية عمرهم في السعي دون نوم لاختاروا عدم النوم ، والنوم عند الغالبية وقت ضائع ، ولئن كان من الضروري أن ننام فلا بأس أن يخلو ذلك من الأحلام . ويختلف اتجاه الناس بشأن الأحلام ، فمن كانت له ميول غيبية فإنه يحب أن يعرف ما تعنيه الأحلام التي يراها في المنام ، وقد يكون لها تأثير على سلوكه في الحياة ومع الناس ، وهو يقبل على تفسيرها إقباله على قراءة تنبؤات الفلكي ومطالعة الفنجان . ومن لم يكن له هذه الميول وله طبيعة جافة عملية انصرف عنها بالكلية ولا يكاد يحلم ، وإذا حلم لا يكاد يذكر ما يحلم ، وما يذكره يحسبه أضغاث أحلام .

والناس هذه الأيام عمليون وماديون ، وحتى توجهات علم النفس المعاصره توجهات مادية تعتمد على دراسة حاجات الناس وتصنيفها وتبويبها والتنبيه إليها . وما يعنيهم من أمر النفس اليوم هو الأنا وليس اللا شعور ، والأنا هو الجزء الواعي والحاضر من النفس بحاجاته الملحة وتطلعاته المادية ، واللا شعور هو ذلك الجزء المستور من النفس والذي يتعلق غالباً بالماضي ، والناس يعنيهم الظاهر دون الباطن ، ويهمهم أن يعرفوا من أمر الذات والأنا ما يساعدهم في لقاءاتهم مع غيرهم ، بحيث يخرجون منها بفائدة ، أو بحيث يستطيعون أن يتنبأوا بسلوكياتهم فيكيفوا أنفسهم على ذلك ويغيروا من معاملاتهم ليجنوا أكبر الفائدة أو لضمان النجاح . وسيكولوجية الأنا تجد إذن رواجاً دون سيكولوجية اللا شعور سواء من الجمهور أو علماء النفس .

وتعتمد الأحلام في تفسيرها على الإحاطة بمحركات اللاشعور. ولعل لهذا السبب يمكن أن نعزو الانصراف عن تحليل الأحلام كوسيلة من وسائل الكشف عن ديناميات الشخصية في مجال العلاج النفسي. وهو موقف بالتأكيد خاطئ من أساسه لأنه حتى مع هذه التوجهات المادية والاهتمام بالحاضر دون الماضي فإن الحلم يبقى من أهم الوسائل الكاشفة عن مكونات الأنا وأعماق النفس وأبعاد الشخصية. وإذا كانت مذكرات الشخص أو يومياته أو كتاباته التي بينه وبين نفسه هي من وسائل الإحاطة بما يفكر فيه وما يشغله وما يخبئه ولا نفصح عنه إلا لماماً ويمكن أن نفيد في العلاج. فإن الأحلام أكثر فائدة في هذا المجال. وذلك لأن الكتب تعمل عملها في استبعاد أمور وستر أخرى والتمويه على الكاتب والقارئ. وأما في الحلم فالكتب أقل عملاً. والحلم أظهر على التعبير عن الأماني والرغبات والحاجات والآمال والمخاوف. ويصف عالم كبير مثل مورفي (Murphy : Personality) عمل الحلم فيقول إنه ليس كالحلم وسيلة غنية بالتعبيرات عن الشخصية، وهو سجل للشخصية. فضلاً عن أنه شكل تعبيرى من السلوك كالطريقة التي نتميز بها في الكتابة أو في المشي أو في الكلام. مع الفارق أننا يمكن أن نصطنع كل ما سبق لنؤثر على الآخرين. أما في الأحلام فنحن على سجيتنا ونعبر عن أنفسنا بتلقائية. والحلم لا يراعي الأصول الاجتماعية، وهو وسيلة إسقاطية بمعنى أننا نسقط في الحلم كل ما نتمنى ونرغب متحررين من أية قيود، ونخرج كل ما عندنا من المعاني، وكل المشاعر بعفوية لا يمكن أن نجدها في أي موقف آخر، ونمارس الخيال في الحلم خيالاً ليس فيه إعمال كما في ممارسة الخيال في الكتابة مثلاً. والحالم في حلم النوم ليس كالحالم في حلم اليقظة، فإن كان حلم اليقظة يتجه إلى الحاضر ويقدم مشاهد خيالية لأجواء مستقبلية فإن حلم النوم فيه التوجهات للماضي والمستقبل معاً. والحلم منه ما هو هروب من الحاضر إلى الماضي، وما هو هروب من الحاضر إلى المستقبل، ففي الحلم تتصارع الرغبات. بعضها من الماضي يلهبه الندم، وبعضها يمت إلى المستقبل ويستشرفه، والحلم ينظمها جميعاً بعد شتات وينفخ فيها حياة جديدة لها وحدة درامية فريدة تجعل كل حلم نسيج وحده، وتضمه لبقية أحلام الشخص كفصول المسرحية الواحدة أو تابلوهاتها المتتابعة، فيفسر كل حلم أحلاماً أخرى ويضفي عليها معان جديدة. وحتى لو لم تكن الأحلام تهم الحالم، فإن عملية الحلم نفسها ضرورية كنشاط حيوى. والكثير من الناس يحلمون أحلاماً مبهرة تعطى لحياتهم بريقاً أو لمعة ليست لها، وكأن الأحلام تعويض أو استكمال لحياة تخلو من كل بهرج أو جمال. والحالم قد يحلم لأنه يريد أن يحلم، وقد كان المصريون القدماء يستجلبون الأحلام ليستلهموا منها حلول مشاكلهم وعلاج أمراضهم، ومن

ذلك حلم فرعون يوسف . وكان الملوك القدماء والغزاة والفاتحون يطلبون الأحلام و يعينون فى بلاطهم المفسرين لعلهم يستفتحونها تواريخ الأحداث الكبرى والنتائج المسبقة لها . وفى عصرنا من يفعل ذلك ، وقد قيل أن الروائى دى كو ينسى مثلاً كان يفتعل الأحلام موضوعات لقصصه ، وأن الشاعر كوليردج كان ينسج قصائده من أحداث أحلامه .

وللحلم لغته ومنطقه العالميان ، ولعل ذلك هو السبب فى تشابه قواميس الأحلام فى اللغات المختلفة ، مع فارق أن معانى بعض النباتات أو الحيوانات قد تختلف باختلاف الثقافات ، فمن يحلم بالخنزير مثلاً فى بلاد الإسلام يؤول الحلم تأويلاً مختلفاً عما يكن أن يؤوله إليه الحالم من دائرة الثقافة الأوروبية . و يبدو أن الساميين كانوا أكثر الأجناس اهتماماً بالأحلام . وقد قيل إن أقدم كتاب فى الأحلام سجلته ورقة بردى مصرية من الأسرة العشرين (من ٢٠٠٠ إلى ١٧٩٠ ق . م) . وقيل إن البابليين مهروا فى تفسير الأحلام ، وكانوا يعتبرون الأحلام رسالات سماوية منبئة أو منذرة أو مبشرة ، ومفسرو الحلم هم « **البارو** » وهم طبقة متميزة من الكهنة ، وكان المرضى وأصحاب المسائل يتوجهون إليهم فيؤدون الصلاة و يبيتون ليلتهم بالمعبد ليحلموا ، وإله الأحلام عندهم هو **الماخير** ، يخاطبونه قائلين « **فلنتجلى علينا أيها الرب ماخير ولتباركنا بالأحلام نرى فيها مصائرنا وأقدارنا** » :Hastings)

Encyclopedia of Religion and Ethics. Vol. 5)

وكانت الأحلام المنذرة كثيرة ومطاعة بحرفيتها ، ومن ذلك أن أشور بانيبال حلم أنه يعبر النهر وكان ذلك مستحيلاً ولكنه رضخ للحلم ، وحلم **نابينودوس** أنه يبنى معبداً فى حران ففعل ، وعندما حلم **سيدنا ابراهيم** أنه يقتل ابنه **اسماعيل** صدق الرؤيا وهمّ أن يقتله . وفى مصر القديمة حلم **تحتمس الرابع** أن مُلك مصر سيؤول إليه فلما تحقق له الحلم أعاد بناء المعبد أسفل أبى الهول ، حيث كان قد غفا وحلم حلمه المنبىء .

وكانت **نظرية الحلم المصرية** أن الأحلام تأتى الناس أصحاب الشفافية ، وأن الأحلام وقائع تستشرفها الأنفس مقدماً . وفى اليونان القديمة ساد الاعتقاد أن الأحلام يلهمها **زيوس** ، ولكن إلهامها يكون فى مواضع معينة أصدق أو أفصح منها فى مواضع أخرى ، ومن تلك الأماكن **معبد دلفى المشهور وإلهه هو أبوللو** . وكان الإله بشخصه يظهر للحالم الذى ينام فى معبد **إسكولابيوس بأبيدروس** . وورثت **الفلسفة الفيثاغورية** معتقدات الأورفية ، وورثت اليهودية والمسيحية كل الميراث السابق ، ومن ذلك أن الأبطال والأنبياء كانت تأتى البشارة بهم من خلال

الأحلام . ففي الديانة المصرية أن ساتوى الكاهن «توجه لينام فحلم كما لو أن البشير قد جاءه وقال له إن زوجتك قد حملت ، وأنها ستلد ولداً ذكراً اسمه سينو سيريس ، وأنه مبارك وتتم عليه الكثير من البركات» (Encyclopedia of Religion and Ethics) . وشبيه بذلك الحلم الذى رأى فيه ملك اليونان فيليب أن الصقر المصرى قد أتاه وبشره بميلاد الإسكندر (Seafield: Literature and Curiosities of Dreams) ، والحلم الذى عاينته داجهدو آم زرادشت حيث جاءها الإله بنفسه يقول لها إن الطفل الذى ستحمل فيه سيكون خيراً للعالم ومصدر بركة للأجيال القادمة . وفى العهد الجديد يقول القديس ماتيو «أن الإله ظهر فى الحلم ليوسف النجار وقال له تقدم يا يوسف يا ابن داود وخذ إليك مريم زوجة ولاتخشى شيئاً ، لأن الذى تحمل فيه هو من روح الله وستسميه يسوع ، وهو الذى سيخلص شعبه من خطاياهم» . «وجاءها الملاك وبشرها بابن اسمه يسوع ، سيكون عظيماً ، وسيقال له ابن العلى ، وسيجلسه الله على عرش أبيه داود ، وسيسود بيت يعقوب للأبد ، ولن تكون هناك نهاية لمملكته» .

ولقد حلم خسرو أحد ملوك ساسان أن لساناً من الدخان والنار انطلق فى السماء فأخفى مجد أسرته ، وأعلن ميلاد النبى محمد . وحلم أحد جدود تيمور لنك بأن من نسله سيأتى من يؤسس إمبراطورية جنكيز خان . وكانت هناك أحلام مشابهة عند أكتا أم أوسطس ، وأرلوتا أم وليام النورماندى ، وفى قصة ميلاد سيروس ، وفى التاريخ الحديث سكاندربرج والقديس برنارد .

ونخلص من الدراسة الأنثروبولوجية للأحلام أنه كانت هناك دائماً نظرتان للحلم ، احداهما ترجع الأحلام كرؤى إلهية وتجسدها كتعبير عن القدر وعن الإيديولوجية الدينية السائدة فى الأمة والثقافة التى تميزها ، والأخرى نظرة عقلانية تعامل الأحلام كرؤى خاصة بالأفراد وتصنفها كأنماط ويعمل فيها الرأى والاجتهاد بخلفية فلسفية . والنظرتان موجودتان فى الثقافة العربية . فابن سيرين يقسم الأحلام إلى قسمين ، فقسم من الله ، وقسم من الشيطان . ويطلق على الحلم من القسم الأول اسم الرؤيا الصالحة ، وينسب إلى القسم الثانى أن بعضها أحلام فسيولوجية مصدرها الجسم وما يصيبه من امتلاء بالطعام أو خلوه منه ، فالجائع يحلم بالخبز ، والمحروم جنسياً يحلم بمضاجعة الحسان . وبعضها أحلام نفسية فيها الآمال والمخاوف والأحزان .

وأما عبد الغنى النابلسى فيجعل تفسير الأحلام علماً يقول إنه من أشرف علوم الأوائل . ويذهب إلى نظرية فى مصدر الأحلام فيقول إن النائم

يرى فى منامه ما يغلب عليه من الطبائع الأربعة . فإن غلبت عليه السوداء رأى الأحداث والسواد والأهوال والأفزاع . وإن غلبت عليه الصفراء رأى النار والمصابيح والدم والمعصفرات . وإن غلب عليه البلغم رأى البياض والمياه والأنهار والأمواج . وإن غلب عليه الدم رأى الشراب والرياحين والمعازف والمزامير . ويطلق النابلسى على هذه الأحلام اسم الأحلام النفسية أو الأحلام التى من همة النفس . ويقول إن أصح الرؤيا هى البشرى وهى التى تبشر الرائى بالخير . بعكس الرؤيا الزاجرة التى تحذر الرائى من سىء . والرؤيا البشرى صريحة بعكس الزاجرة . وهى المرموزة التى نكثر فيها الرموز كأن يحلم الشخص بأن زوجته تخونه فيراها تدس له السم . والسم هنا يرمز للزنا . أو كأن يرى الرائى نفسه يغنى فى المسجد بدلاً من أن يصلى فذلك رمز إلى إتيان المعصية وافتضاحه . وما يذهب إليه النابلسى أو ابن سيرين يعكس الأيديولوجية العربية حول الأحلام . وتخضع تعبيرها أو تفسيرها للمكان والزمان ولنوع الثقافة .

ويقول النابلسى « واعلم أن تربة كل بلد تخالف غيرها من البلاد لاختلاف الماء والهواء والمكان . فلذلك يختلف تأويل كل طائفة من المعبرين لاختلاف الطبائع والبلدان . كالذى يرى فى المنام فى بلاد الحر ثلجاً أو جليداً أو برداً فإنه يدل على الغلاء والقحط . وإن رأى الرائى ذلك فى بلد من بلاد البرد فإن ذلك لهم خصباً وسعة . والوحل لأهل الهند مال ولغيرهم محنة وبلية . والسمك فى بعض البلاد عفونة وفى بعضها مصيبة » .

ويذهب الكثيرون من ثقات الأنثروبولوجيا إلى رد الصور الحلمية إلى بداية الإنسانية أو أنها كالفطرة . ويقولون إنها لغة بدائية . وتشبه الديانات الأولى أو البدائية . وكأنما التفكير الأول أو البدائى أو الفطرى يجمع بين الاثنتين . ولعل ذلك سبب القول إن بعض الأحلام مصدره إلهى . وكل الثقافات تعتبر بعض الأحلام إلهياً . وتوصف بأنها رؤيا صادقة . ويطلق العرب على الملاك الموكل بالأحلام اسم صادوق . ومن رأى عالم كإدوارد تايلور أن كل الثقافات تقول إن الروح تخرج من الجسد عند النوم وتتجول . وأن جولاتها هى هذه الأحلام . وأن الأصل فى هذا القول ما يسميه علماء الأنثروبولوجيا الإحيائية Animism وهى أن كل شىء فى الطبيعة حى وله روح . وأنه فى الأحلام تتواصل الأرواح وتبوح الكائنات والموجودات بأسرارها (Tylor : Primitive Culture) . ويذهب إلى ذلك أو ما يشبهه النابلسى فيقول إن المعبرين من المسلمين الرؤيا عندهم أن الإنسان يراها بالروح ويفهمها بالعقل . ومستقر الروح القلب . والقلب متصل بالدماغ . والروح معلق بالنفس . فإذا نام الإنسان امتد روحه مثل السراج

أوالشمس . وذهابه رجوعه إلى النفس فتعود الحواس باستيقاظها إلى أفعالها .
وقال بعضهم إن الحس الروحانى أشرف من الحس الجسمانى ، لأن الروحانى
دال على ما هو كائن ، والجسمانى دال على ما هو موجود » . وبتعبير العالم
سيليجمان: the soul or shadow while the body slept
إن الحلم The dream was the reality experience of
هو التجربة الواقعية للروح أو النفس بينما الجسد نائم » . والكثير من
العبادات مصدره الأحلام . فلم تكن زيارة الموتى فى القبور إلا لأن الموتى
يأتوننا فى الأحلام وبعبير ذلك أن نزورهم . ويبدو أن الاعتقاد فى الروح
جاء اصلاً من شيوع الأحلام بينما الإنسان نائم . فكيف يتسنى للنائم أن يحلم
والمفروض أن كل حواسه متعطلة ؟ ولم يكن هناك تفسير إلا القول بالروح .
فإذا كنا نحلم بالموتى . فإذن الموتى لا يموتون على الحقيقة . بل هم أحياء .
وذلك مصدر القول بالخلود .

ويذهب علماء الأنثروبولوجيا أكثر من ذلك إلى رد فكرة التناسخ إلى
الأحلام طالما أنه فى الحلم يتحول الحالم أو أشخاص الحلم إلى حيوانات أو
أناس آخرين . ومن ثم ذهب تفكير الناس إلى القول بإمكان التناسخ . ولعل
ذلك سبباً للقول أيضاً بالتوتم وهو أن يكون لنا جميعاً كقبيلة أو شعب أصل
إلهى من حيوان أو كائن نرد إليه ويسرى فينا . ويجعل من ثم من الممكن أن
نتحول شكلاً إلى بعضنا البعض .

ولعله من البديهى أن يكون للشخصية ومكوناتها والأحداث التى تمر بها
تأثير على الأحلام . غير أن القليلين جداً هم الذين تحدثوا فى تأثير الأحلام على
سلوكياتنا وعلى الثقافة التى ننشأها . ومن الذين أفاضوا فى هذا التأثير جماعة
العلماء النفسانيين الذين لهم اهتمامات ثقافية أنثروبولوجية . ففضلاً عن أن
الأحلام تجعل الحالم يرتاح معنى بعد أن يصحو من نومه فسوحه لأفعال معينة .
أو يفكر بطريقة خاصة . كأن يحذر أحد الناس . أو يحاذر فيما يسلك . فإن
الكثير من الإنتاج الفكرى القومى هو من وحى الأحلام . وكثير من الأساطير
والملاحم والشعر الملحمى والعقائد والخرافات يمكن رده إلى الأحلام
(Seligman: Hyxley Memorial Lecture) ولنا أن نتساءل :
ألم يكن تعيين يوسف وزيراً لمصر بناء على حلم ؟ وألم يكن تأويله لصواع
الغلال تفسيراً للحلم ؟ بل وألم يكن خروجه من السجن ورد اعتباره من
مترتبات التفسير؟ وأيضاً أليس احتفال المسلمين بعيد الأضحى ، وما يصنعون
من الأضاحى هو من نتائج حلم النبى إبراهيم ؟ أكان من الممكن أن يكون
هناك عيد للضحية لولم يفتدى النبى إسماعيل ؟ لقد صدق إبراهيم الرؤيا
وفسر الحلم تفسيراً حرفياً لولم تكن رحمة الله والتى نعلم بمقتضاها أن الأحلام

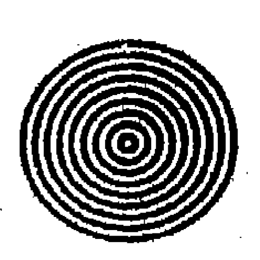
رمزية وأننا لا ينبغى أن نأخذ الحلم بحذافيره، وأن للحلم محتوى وظاهراً، والظاهر هو الحلم كما نراه، وأما الباطن فهو الذى يحتاج إلى تفسير. ولم يكن إبراهيم قد تعلم تأويل الأحلام ففسر الحلم على ظاهره، وأما يوسف فقد تعلم التأويل وبرع فيه حتى أن القرآن يذكر ذلك من مناقبه. وكذلك كان حفر زمزم بناء على حلم، وكانت توجهات موسولينى للسياسة لأنه نشأ يسمع إلى أبيه وتفسيره للحلم الذى رآه له. ونحن نفعل الأشياء الكبيرة وكذلك الصغيرة لأننا حلمنا بها. وفى بلادنا إذا حلمنا مثلاً بميت لنا فإننا نصحو لنتصدق على روحه أو لنقرأ على روحه القرآن. وقيل إن ملحمة جلجامش تصور قصة الفيضان بناء على حلم. ويذهب فريزر إلى تفسير التوتم هذا المذهب، ولو طبقنا نظرية فريزر على ثقافتنا لقلنا إن الكبش هو توتم العرب، والعرب رعاة غنم، وعيد الأضحى هو عيد التوتم عندهم، والمسلمون جميعاً الآن يتشاركون فى هذا التوتم الذى ما كان عند الشعوب التى دخلت الإسلام وليسوا من رعاة الأغنام. وقيل إن إسماعيل هو أبو العرب، وهو الذى تدور حوله قصة الفداء والحلم. وكانت البقرة والعجْل والقطط فى أحلام المصريين توائم لقوى الخير فى الطبيعة فكانوا الآلهة حاتحور وإيزيس وتوت وأبيس وبسطة. وسلوك المصريين يوجهه فى القديم رؤياهم لهذه الحيوانات. ولكل حيوان فى الحلم هيئة يكون عليها التفسير وتوجيه السلوك فى الغد، فالكبش عظيم فى قومه، والبقرة امرأة، والأخذ بقرون الكبش يعنى المنعة، والأخذ بإليته يعنى التسيد، وذبح الكبش انتصار. والبقرة الحلوب إمرأة مخصبة، وذات القرون المرأة المنيعة، والعثور على بقرة يعنى الزواج المبارك. والتوتم الذى يحكى عنه فريزر (Frazer: Golden Bough) يجعل فليتشر له شبيهاً خصوصياً يقول إنه التوتم الخصوصى، وهو الحارس والحامى والبركة للشخص، يراه فى منامه فيتفاءل ويستبشر، وهو الشىء أو الشخص الذى يتردد باستمرار فى أحلامه، وقد يكون الرسول أو الشيخ أو الولى (Totem (Fletcher: The Import of the

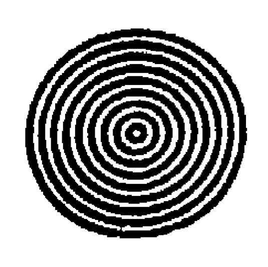
والعرب يفسرون ذلك بأن الرائى ربما يبلغ منزلة على قدر التوتم، وله كيفيات فقد يظهر فى المنام راضياً أو غاضباً، وقد يتوارى منه الحالم، وقد يراه فى هيئة والده أو أخيه أو أحد من ذوى قرباه، وسخط التوتم معناه سخط الوالدين أو ذوى الأمر، وغضبه قد يعنى سقوطه من مكان رفيع. والتوتمية ليست كما يتبادر إلى الذهن شيئاً من الماضى، فمازالت حتى اليوم، وتتخذ الأحزاب السياسية مثلاً أشكالاً من الحيوانات كالحمار رموزاً وتعويذة لها، كما فى أمريكا. ولقد اتخذ سِت أخو إيزيس شكل الحمار فى إحدى تحولاته، ولعل ذلك سبباً أن الحمار فى الحلم يعنى الخير، وقد يعنى الحكمة، وقد يعنى

الصبر، والحمار أيضاً امرأة معينة على المعيشة كثيرة الخير ذات نسل ، وقيل إن لفظ الأتان والأتانة من الإتيان ، وقيل من مات حماره فى الحلم فَقَد ماله . وإنه لأمر ذو بال أن يتم هذا التبادل النفسى بين الحالم وقوى الطبيعة والكائنات بحيث يضفى الناس عليها معان وقيماً فى الأحلام يسقطونها عليها من بعد فى الحياة ، وبالعكس .

والأحلام قد تلهم الدواء وتستحدث الشفاء ، وهكذا كان حلم أيوب ، وقد تستحدث الإيمان والتحول من ديانة إلى ديانة مثلما حدث مع بولس الرسول ، وقد تلهم أعمالاً أدبية كبيرة كما عند دانتى والكوميديا الإلهية ، وقد كتب كوليردج قصيدته Kubla Khan مباشرة من الحلم . وقد استغرق الأمر طويلاً ليتحول الملهم فى الحلم من روح أو إله أو ولى أو أخذ الأسلاف أو الشيطان إلى القول باللا شعور . وينبغى التنويه بأهمية كتابى ابن سيرين والنابلسى بالمقارنة إلى نظرية فرويد فى الأحلام ، فقد ذكر المؤلفان العربيان الكثير من تفاصيل نظرية فرويد فى كتابيهما ، غير أنهما لم يطورا ذلك إلى نظرية لها عملها العلاجى مثلاً كما عند فرويد .

والأحلام فسرها الإنسان كرسالات إلهية موحى بها ، وكإشراقات روحية وتأثيرات شيطانية ، وإنذارات وتحذيرات أو مبشرات ، أو فسرت بأنها انعكاسات للتفاعلات النفسية والاجتماعية للمدركات (توماس هوبز) ، وقد تكون رغبات تنفس عن نفسها أو تحقق نفسها (فرويد) ، أو محاولات من قبل الحالم لاستكناه أحواله النفسية والتبصر بمشاكله وحلولها لتدبير نفسه مستقبلاً (يونج) ، وقد تعبر عن أسلوب كل حالم الذى ارتضاه لنفسه فى حياته وينعكس على أحلامه (أدلر) ، أو قد تكون محاولات من الحالم لحل صراعاته (شتيكل) . وقد تكون بعض ذلك أو كل ذلك ، فالمحاولات لتفسيرها لن تتوقف ، وسيظل اهتمام الناس بتفسيرها طالما كانت هناك أحلام ، وكان بالإنسان قصور عن تحقيق ما يصبو إليه ، وناله الإحباط وأصابته خيبة الأمل ، وطالما كان له أعداء ومعارضون ، وكانت له أشواق وعواطف ، وطالما اعتملت به الآمال أو انتابته المخاوف من الحاضر والمستقبل . وستظل الأحلام بالناس طالما كانوا مشروعات ، أو كما يقول الوجوديون ، طالما لا يتطابق حاضرهم مع ما يرجونه ، وطالما كانت له مخططات للمستقبل .





الباب الأول

تفسير فرويد للأحلام

«تفسير فرويد للأحلام»

نحسب أن كل توتر أو دافع يمكن أن يؤثر فى الأحلام ، وقد يكون التوتر شديداً أو الدافع قوياً حتى ليصبح مركز الحلم ، وتبعاً لذلك فإن الجنس قد تصطبغ به أحلام المراهقة والأحلام التى قد تكون لنا ونحن فى مطالع البلوغ ، غير أنها على الأساس السابق قد تقل فى فترة الطفولة المتأخرة وتندر فى الطفولة وتتهافت فى الشيخوخة . ولذلك فقد يكون تعميم فرويد أن الأحلام جنسية الطابع هو ابتسار لا يجوز ، إلا أن فرويد أصدر عما يوصف فى الدوائر العلمية بأنه حالات نفسية تاريخية ، وظروف تخصصه هو نفسه كباحث ، فقد لاحظ فرويد أن الدافع الجنسى قوى عند المرضى الذين يترددون عليه للعلاج من أنواع العصاب ، وأنه قد يكون واضحاً أشد الوضوح أو مستتراً ، إلا أنه يكاد يكشف نفسه و يعلن عن وجوده ، وقد سارع فرويد يعلن عن كشفه أمام الجمعية الطبية العصبية فى فيينا ، ولم يقتنع الأعضاء ورفضوا ملحوظته واستنكروها ووصفوها بأنها تفكير لا أخلاقى ، الأمر الذى جعل فرويد يحفظ عليهم و يسعى لتأكيد فكرته بأن يداوم البحث عن المرضى الذين تظهر لديهم الدوافع الجنسية فى سلوكياتهم و يكتب عنهم و يتحدث عن الجنسية فيما يقولون و يفعلون ويحلمون ، وهو ما يبرر إصرار فرويد على صبغ نظريته فى العلاج النفسى للعصاب بالجنسية والقول بنظرية فى الجنس . ولقد ألف فرويد كتابه فى **تفسير الأحلام** ، وفيه يقارن بين **الحلم الظاهر والحلم الكامن** ، أو بين ما يبدو عليه الحلم وما هو عليه فى الواقع ، **وتفسير الحلم هو عملية الكشف عن المعنى الحقيقى للحلم من السياق الظاهر لأحداثه** . ولكن ما الذى يجعل الحلم يتخفى ولا يكون صريحاً ؟ ويجيب فرويد بأن السبب هو أن غالبية أحلامنا تدور حول موضوعات جنسية محرمة لا ترضى عنها النفس ، ومن ثم تحاول رغباتنا الجنسية أن تستتر وتخرج من **اللاشعور** إلى **الشعور** عن طريق **الرموز** التى تشير ولا تفصح ، وتنتهز فرصة النوم لتبين فى شكلها الحلمى بالتمويه على **الرقابة النفسية** التى تفرضها

النفس على كل **رغبات محرمة** ، ففى النوم تضعف الرقابة ولكنها لا ترفع نهائياً ، **والترميز** الذى تلجأ إليه الرغبات فى الأحلام هو إحدى الوسائل التى تستعين بها للتخفى والتمويه ، فمثلاً قد نحلم بالمياه تحيط بنا فيكون ذلك رمزاً للميلاد ، حيث أن الطفل وهو جنين يخرج من ماء الرحم المحيط . وتستخدم الأحلام ضمن ما تستخدم بخلاف الترميز — التكثيف والنقل ، والأول أن يبتسر الحلم و يتكثف و يتصاغر حتى لتستطيع أن تحكيه فى كلمات أو سطور مع أنه فى الواقع يتحدث عن حوادث تستغرق أزماناً قد تبلغ السنوات . والحلم من أهم صفاته أنه مقتضب وهز يل ومليء بالشغرات إذا قارناه بسعة أفكار الحالم وغناها . وعندما نحكى الحلم نختصر الحديث ، إلا أنه لو طلب منا أن نوضحه لزدنا الكلام حتى قد نملأ الصفحات ، ونكشف بذلك أن وراء ما ابتسرناه حياة وحكايات وذكريات وأفكاراً خاصة كثيرة لا تنتهى ، وهو ما يجزم أن للحلم معنى آخر خلاف ما يبدو لنا . ثم إن حوادث الحلم قد تنقلنا إلى التفكير فى أمور أخرى نهتم بها ونؤكد عليها ونتريث عندها و يطول شرحنا لها ، الأمر الذى قد يعنى أنها هى المقصودة بالمعنى الحقيقى للحوادث وليس ما يظهر لنا منها ، غير أن النفس تمهر فى **النقل** من المعنى الحقيقى أو عقدة الحلم إلى الأحداث الظاهرة ، وذلك ما يعنيه فرو يد بالنقل . ومما يذكر أن ابن سيرين والنابلسى كلاهما يتحدث عن هذه الوسائل الحلمية للتخفى ، كما يتحدث عنها فرو يد ، إلا أن فرو يد يقصدها لذاتها و يطورها ، والعالمان العربيان يقتصران على ذكرها عابراً دون تطوير لما يقولان . وهذه الوسائل فى الوسع التغلب على ما تستحدثه فى الحلم من تحوير من قبل المفسر المدرب النابه عن طريق ما يطلق عليه فرو يد اسم **التداعى الحر** ، وهو أن يتحدث الحالم نفسه عما يراه من تفسير لحلمه وعما تعنيه رموز الحلم وعما قد يكون معناه الحقيقى بصرف النظر عن المعنى الظاهر له والذى قد يبدو سخيفاً أحياناً . وهذه التداعيات الحلمية للحالم قد تعين المفسر على تفسير الحلم وأن يضع يده على الأصول الحقيقية للحلم ، وهى أصول من **الرغبات والذكريات** ، والغالب أنها **رغبات محرمة وذكريات حول مسائل تستثير الندم أو الشعور بالخجل** ، وذلك ما يقصد إليه فرو يد عندما يقول إن للعصاب أصولاً جنسية ، وهو ما يراه العلماء قصوراً فى نظرية فرو يد ، فمثلاً قد يحلم الحالم بأنه يصعد جبلاً ، و يذهب فرو يد إلى القول بأن الصعود رمز للعملية الجنسية ، ونحن نقول فى الجماع إن الذكر يعتلى الانثى ، أو قد يعنى صعود الجبل أو أى ارتفاع كصدر المرأة أو الفرج ، ونحن نصف الأخير فنقول ارتفاع العانة وجبل الزهرة به . وفرو يد ينكر ذلك دون أن يذهب به التفكير إلى أن حلم الصعود قد يكون رغبة حقيقية فى صعود الجبل عندما تقصر الهمة عن ذلك عند طالب مثلاً يرى زملاءه ينجحون فى الصعود .

ولقد نقل فرو يد وجهة نظره إلى تلاميذه ، فبعد أن نشر « **تفسير الأحلام** » اشتهر وتردد عليه الحوار يون يستز يدونه العلم باللا شعور ، والتحليل النفسى ، وموقف التحو يل ، والدوافع

بالرقابة ، وصارت مصطلحات فرويد أبجدية من أبجديات العلاج النفسي لا يستغنى عنها طالب علم النفس أو الطب النفسي ، و يعززها أنها مصطلحات لظاهر واقعية إكلينيكية ، ولم يعد من السهل التخلص منها أو تحرير علم النفس من آثارها .

ولقد كان من أروع ما ذكر فرويد فى كتابه العبقرى قوله **بالظاهر الحلمى والمعنى الباطن الذى للظاهر**، وتفرقته بين ما يكون عليه الحلم أو ما نذكره منه أو نحكيه ، وبين حقيقة ما تمثله الأحداث أو الشخصيات أو الأشياء ، أو بمعنى آخر قوله **بعالم مادى للحلم وعالم نفسانى له** ، فالمحتوى الباطن يأخذ شكلاً ظاهراً بحسب الشخص نفسه وثقافته وعمره وجنسه .

وعمل الحلم dream work هو إلباس المحتويات الباطنة صورة تنكرية قبل إخراجها إلى المحتوى الظاهر حتى لا تقف الرقابة فى سبيل خروجها .

والرقابة التى نعنيها هى الرقابة الكابتة ، والرقيب يسمى **رقيب الأحلام** censor dream ، **والرقابة الكابتة** تضعف بعض الشيء أثناء النوم ، فتنتهز بعض المحتويات النفسية ــ من ذكريات وأمانى ورغبات مكبوتة ــ الفرصة لتتسلل متنكرة إلى الحلم . ولا يعنى ضعف الرقابة أنها تتعطل تماماً ، ولذلك تضطر هذه المحتويات المكبوتة إلى **التنكر** حتى تستطيع الظهور على **مسرحية الحلم** دون أن يوقفها الرقيب ويمنعها ، ولذلك لا تظهر الذكريات وتتحقق الرغبات المكبوتة سافرة فى الحلم ، وإنما فى صور رمزية أو بديلة . وقد يحدث فى الحالات النادرة أن تخرج بعض محتويات اللا شعور إلى مسرح الحلم سافرة وقد غافلت الرقيب فتسبب للأنا اضطراباً شديداً يوقظ الحالم من نومه مذعوراً أو خائفاً ، كأن يحلم أنه سقط من حالق ، أو أنه قتل أباه ، أو زنا بأمه أو بأخته أو اعتدى عليه صديقه .

والحالم قد يحلم **بأحداث الأمس القريب** ، ولكن هذه الأحداث رغم أهميتها التى تظهرها فى الحلم ، إلا أنها أهمية ثانوية ، وذلك لأن استغلالها لا يكون إلا كخلفية مسرحية للمحتوى الباطن . وأحداث الأمس التى تكون على هامش الشعور أدعى أن يستدعيها الحلم من المادة التى يقبلها الأنا و يدخلها فى تركيبه النسقى الذى يواجه به اليقظة ، فمثلاً قد نستمع إلى واعظ يعجبنا قوله ونسر له و يستدمجه الأنا فيه فتكون أفكاره أفكارنا ، وقد يحدث أن تكون للواعظ لوازم حركية ، أو قد يتصرف بطريقة معينة تلفت نظرنا ونعيها وعياً ليس بالكامل ولكننا نذكرها كالشيء بالشيء يذكر ، وهو ما نعنيه أنها تكون على هامش الشعور ، فإذا حلمنا **فغالباً ما لا نحلم بما قبله الأنا من الواعظ من أفكار ولكننا قد نحلم بلوازمه أو قد نرى بعض تأثير تصرفاته التى استبقيناها على هامش الشعور**. وقد أثبتت التجارب المعملية أن ما يرد فى الأحلام على أشخاص التجارب هو غالباً ما لم يكن مقصوداً أن يذكره الحالم من التجربة وهو يقظان ، فما يمكن أن يمر عابراً هو الذى يسرحه الحلم و يقصد إليه أكثر مما كان الأولى

بالملاحظة . وإذن فالحلم كما يتناول الأحداث بالتحريف ليبررها على الأنا **قد يمسرح كل شيء** ليستفيد مما هو مهم وغير مهم للتعبير عن المحتوى الباطن ، وذلك ما يصفه فرويد بأنه overdetermination بمعنى أن أكثر من عامل يدخل فى مسرحية الحلم ، وأكثر من دافع ، وأكثر من حدث ، **ومن ثم كان طبيعياً أن يكون هناك معنى جنسى للحلم مثلما يمكن أن تكون له أسباب فسيولوجية كسوء الهضم مثلاً** ، أو قد يكون له **معنى جمالى** كأن يدفع إليه إعجاب جمالى محض بموضوع من الطبيعة أو من غيرها . وما يحدث فى الواقع هو أن كلا منا يركز على ناحية دون سواها ، وهذه الناحية هى التى يضعها تحت المجهر و يلاحظها ويهتم بها ، ويحاول أن يستكنه معناها ، والمعنى أو المحتوى الجنسى للحلم شيء وارد طالما أن الجنس محور من المحاور الكبرى التى يدور عليها سلوكنا ، والذى نعرف مدى ما يمكن أن يدفع إليه فى مختلف نشاطاتنا المهنية ، سواء كشعراء أو قصاصين أو قضاة فى المحاكم أو صحفيين .. إلخ .

ولا اعتراض لنا على أن يحاول الفرويديون أن يستخرجوا معنى جنسياً مباشراً أو غير مباشر للحلم . ولقد حاول فرويد باستمرار أن يذكرنا أنه حتى فى مجال الجمال الخالص فإن المعنى الجنسى موجود ، والدافع الجنسى إليه ، وكذلك من الناحية الأخرى فإن المعنى الجمالى قد يستره ويخفيه الرمز الجنسى ، فمثلاً قد يكون الدافع الجنسى خلف تصوير الجيوكنده ، ومهما كان المستوى الجمالى للوجه فإننا قد نصل فى تحليلنا للوضع الجمالى والملامح والتعابير بالوجه واليدين وشكل أعضاء الجسم إلى وجهة نظر جنسية ، ومن ناحية أخرى فقد تخفى النظرات الوديعة فى العينين واسترخاء اليدين والأنامل وامتلاء الصدر والشفتين — وكلها إيحاءات جنسية — المعنى الجمالى للصورة ككل .

ولقد حاول تلاميذ فرويد الخروج عليه ، فبمجرد أن تعلموا منه وأخذوا عنه صاروا يطلبون أن تكون لهم فلسفتهم التى يصدرون عنها ، فخالفوه الرأى ، وأمعنوا فى الخلاف ، وكانوا كأنما ينشدون الخلاف للخلاف أو ليؤكدوا ذواتهم إلى جانب الأستاذ . وتوجه نقضهم لنظرية فرويد إلى شيئين ، الأول دور المفسر ، والثانى طريقة التعامل مع الأحلام وتقويمها وردها إلى مصادرها . والواقع أن فرويد كان قد قصر نفسه على تحرى ميكانيزمات الأحلام يحدوه فى ذلك صلة الحلم بالاضطراب النفسى الذى يشكو منه الشخص ، وهو يقول **إن نظرته إلى الأحلام نظرة عالم فى الطب النفسى** (مقدمة الكتاب) وليس أى عالم ، وهى نظرة فيها إبداع وينقصها التوثيق التاريخى ، وما يعرضه فى الصفحات الأولى تحت باب المصنفات العلمية فى مشكلات الأحلام عرض شديد الإيجاز ومتسرع و يبدو منه أن فرويد لم يقرأ المراجع التى أشار إليها على الحقيقة ، ولكنه قرأ عنها ، على عكس تلاميذه ، فقد كانوا أوسع منه أفقاً وأكثر ثقافة فجاء خلافهم نتيجة قراءاتهم الموسوعية و بأكثر من لغة فى باب الأحلام والأنثروبولوجيا والإنثولوجيا والثقافات البدائية والأديان وغير ذلك ، ونذكر على سبيل المثال ما كان يتمتع به

يونج من أفق واسع يرجع إلى تنوع هائل لمصادره الثقافية . ونذكر أيضاً من أوجه القصور فى علم فرويد أنه يقول إن أرسطو أول من أعاد البحث فى الأحلام من عالم الميتافيزيقا إلى دنيا الواقع ، وجعل الحلم نشاطاً نفسياً يخص النائم ، وأن أرسطو أفرد لذلك صفحات من كتابين له يعرض فيهما للأحلام ، وينتهى كلام فرويد دون ذكر لاسم أى من الكتابين أو شرح لنظرية أرسطو، وتلك مغالطة لأن **أرسطو** قد أسهم فى مجال الأحلام بثلاثة بحوث تضمنها Natura lia Parva ، فإذا أضفنا إليها الملحوظات القليلة التى علق بها أفلاطون مع صلة ذلك بما كان العالم القديم يعرفه من الفسيولوجيا فإن النظرة التى تقدمها يمكن أن نصفها بحق أنها نظرة علمية عصرية . ومن **رأى أرسطو** أن مفتاح الأحلام هو النوم ، وهو الذى يمهد لأن نحلم بأن يجعل وعينا بالواقع أقل ويخفض من درجة إحساسنا به ، فالعينان مغمضتان ، وبقية الحواس شبه معطلة ، وذلك دليل على تغيير يلم بالجسم ويتناول جهاز الوعى المركزى به ، ألا وهو القلب ، لانشغال القلب بعملية تغذية الجسم أثناء النوم ، فيتوجه نشاطه إلى تلك العملية عن تهيئة أعضاء الحس لوظائفها السليمة ، ومن ثم كانت الأحلام التى تأتى أثناء النوم مرتبطة بتدنى مستوى الإحساس لدى وظائف الجسم وتعطل الوعى عن الحس لذهابه إلى وظائف أخرى أهمها تغذية القلب للجسم . والوعى الذى يغيب عن أعضاء الحس لا يغيب كاملاً ، فهو وعى منقوص ومن ثم تكون الصور الحلمية مشوهة وناقصة التكوين ، ومصدرها أن الحواس لبطء عملها تستبقى صور المدركات أو المحسوسات أكثر من اللازم بعد أن تذهب هذه المدركات أو المحسوسات ، ولطول بقائها وقصور الوعى يكون إدراكها أو الوعى بها مشوهاً ، ويعيها الشخص على أنها حقائق أو وقائع فى صورها المشوهة أو المحرفة ، والوعى بها يثير فى الحالم انفعالات ويستحث أحكاماً ، وتغلب الانفعالات على الأسس المشوهة أو المحرفة فتجىء الأحكام مغلوطة . ويقول أرسطو إن ملكات الحالم التى تسيطر على الوعى أهمها **ملكة التصور أو الفانتازيا ،** ولأن الحكم أو القدرة عليه معطلة أثناء النوم فإن التصورات تشطح ، وما كان الوعى به فى اليقظة هو المهم والذى يتصل بالحكم السليم فإنه يغيب فى الحلم وتجئ فقط الصور للأشياء غير المهمة التى كان يلحظها الحالم فى اليقظة ولا يتوجه إليها اهتمامه ، وتتلون بعواطف النائم وتكون بها انفعالاته التى تطبع الحلم . وأرسطو ينبه إلى أن ما نحلم به قد يكون نتيجة ما يعتمل داخلنا من **تغيرات فسيولوجية ،** فلربما يكون الشخص فى طريقه إلى أن يمرض ، وعوامل المرض الداخلية تكون كالمنبهات تستحث الأحلام وتستبق التداعى بالمرض . ولربما إذن قد ينبئنا الحلم بشىء عن المستقبل من هذه الزاوية . ولربما أيضاً تكون الأحداث الماضية والحاضرة فى حياة الشخص أو ما يعرفه منها عن الآخرين بمثابة الإرهاصات بأحداث مستقبلة فيكون الحلم من هذه الناحية بمثابة النبوءة ، ويحكى عن شىء من المستقبل .

وإذن **فأرسطو ربما يكون أول من ألغى القول بالتقسيم القديم** بين الأحلام الإلهية التى

توصف بالصدق ، والأحلام النفسية التى مصدرها أحوال الشخص البدنية والعامة وعواطفه . وقد يكون هو أول من رد تفسير الأحلام إلى المنبهات الفسيولوجية والنفسية للحالم دون سواها . وفرويد لا يدعى أنه قرأ نظرية أرسطو ، بل يذكر صراحة أنه قرأ عنها فى كتاب عن الأحلام .

ولم يقرأ فرويد **أفلاطون** الذى تتلمذ عليه أرسطو ، وأفلاطون كان إلٰهياً على عكس تلميذه المادى ، ويذكر أفلاطون فى محاورته « **تيماوس** Timaus » **أن الأحلام تلهمها الآلهة ، إلا أن ذلك يأتى عابراً ، وأما فى محاورته « الجمهورية »** فهو يقول على لسان سقراط أن الأحلام تكشف ما يدور فى خلد كل إنسان من أفكار شريرة ، وتبين عما فى أعماقه من عواطف وانفعالات معادية ضد الإنسان والمحيطين بالشخص . وإذا كان أرسطو قد نبّه إلى أن العواطف من مصادر الحلم ، فهو يذكر ذلك عرضاً ، ولكنه يركز على أحوال البدن وما يشكو منه من اضطرابات فسيولوجية كمصدر أصلى للأحلام ، بينما نجد أفلاطون يركز على العكس على أعماق النفس وما فيها من رغبات وعواطف محرمة . ولا يذكر فرويد ذلك عن أفلاطون ، الأمر الذى يجعلنا نعتقد أنه لم يقرأه . ونظرية أفلاطون تقرب من نظرية فرويد ، إذ يذهب **أفلاطون** إلى القول بأنه عندما يغيب العقل عن الوعى خلال النوم ، فإن عناصر النفس التى عمادها **الرغبات والغضب تستثار ، وتسود الرغبات وتسيطر على الوعى العاطل بعض الشىء ،** ولولا أن الوعى غير معطل تماماً لخرجت سافرة ، إلا أن الوعى الموجود برغم أنه غير كامل **يشوهها ويحرفها ،** ومن ثم نجد الشخص فى المنام يقوم بما لا يجرؤ على القيام به فى اليقظة ، وقد يغتصب و يزنى و يسرق و يعربد . وحتى أكثر الناس احتراماً لأنفسهم لن يعدموا أن يحلموا أحلاماً شريرة وأن يفضحوا عن هذه الميول فى أنفسهم . ومن رأى أفلاطون أن النفس تحلم أحلاماً أو رؤى فيها سمو كما فيها انحطاط ، والأحلام من النوع الفاضل تكون عندما لا تكون بالشخص رغبات شريرة ، و يكون من النمط الوديع غير الغضوب ، و به إشراقات دائمة للتسامى ، وعندئذ فرغم أن الوعى يتعطل بالنوم إلا أن العقل عند الحالم يكون دائماً مستنفراً وفى وضع أقوى من وضع الرغبات والعواطف الشريرة أو المحرمة .

ورغم هذه النظرية فى الأحلام عند أفلاطون وأرسطو فإن الفيلسوفين لم يشغلا نفسيهما بالأحلام كما فى مسائل النفس الأخرى . ولم يحدث ذلك من أحد ، كما فعل **أرتيميدوروس من دالديس** Artemidorus . وحتى الفيثاغوريون فلم يكن كتاب « **عن الأشياء الطبيعية** De Rerum Natura » **للوكريتيوس** بذى بال فى هذا الشأن ، وكل ما قدمه متهافت لولا قوله أن الأحلام انعكاس لتأثيرات العالم الخارجى على النفس ، وأن كل شخص له أحلامه التى تصنعها شخصيته أو تتوافق معها . وأرتيميدوروس السابق ذكره وضع معجم الأحلام Oneirocritica ، وكان طبيباً يهتم بالاضطرابات النفسية والعقلية .

وفرويد يذكر عنه أنه قسم الأحلام إلى طبقتين ، الأولى تتأثر بالحاضر أو الماضي وتخلو من دلالات المستقبل ، ومنها **المنامات** ، التي تصور الأفكار وعكسها كالجوع والشبع ، تصويراً مباشراً ، **والخيالات** التي تشطح في الخيال وتضخم الفكرة مثل الكابوس ، والثانية أحلام مستقبلية ومنها **النبوءة** المباشرة في الحلم ، **والرؤيا** التي تتحدث عن واقعة مستقبلة ، **والحلم الرمزي** الذي يحتاج إلى تأويل .

و يبدو أن تقسيم النابلسي للأحلام هو تقسيم أرتيميدوروس مع تحريف يناسب الإسلام ، وكذلك فعل الإسلاميون في الكثير من الأفكار القديمة ، والنابلسي يقول بثلاث طبقات من الأحلام ، الأولى **الرؤية البشرى** من الله ، **والرؤية الصادقة** ، **والرؤية المرموزة** . و يفرع النابلسي على هذه الطبقات الثلاث تفريعات أخرى يمكن أن يدرج فيها الحلم الذي يستوجب الغسل (**الحلم الجنسي**) ، **والكابوس** ، **والرؤية النفسية** كأن يشتهي الشخص أن يكون مع حبيبته فيراها في المنام ويحادثها ، **ورؤيا الصبيان** .

ويميز أرتيميدوروس لأول مرة بين **الرؤية** Somnium وقد تكون مبشرة أو محذرة ، وتتحدث عن أشياء في المستقبل ، **والمنام** Insomnium الذي هو حلم بمجريات الحاضر وتأثيراتها « فالمحب يحلم بحبيبته ، والجائع يحلم بالطعام ، والخائف يحلم بعدوه ، والعطشان يحلم بالماء » .

وأحلام عظماء الناس أصحاب الهمة رؤى وليست منامات ، لأن نفوسهم لا يعكرها ما يعكر نفوس العامة من آمال ومخاوف ورغبات وشهوات . وأما **العامة** فأحلامهم من نوع المنامات . **وأحلام مفسري الأحلام** أو الذين يقرأون كتب الأحلام أو الموهوبين الذين يشغلون أنفسهم بأمور الأحلام وتفسيرها تتلون بما يقرأون أو يعرفون ، بمعنى أنها تغرق في الرمزية وتوغل فيها ، فإذا حلم الواحد منهم مثلاً بمعشوقته فإنه لا يراها صريحة ، وإنما قد يراها على هيئة زهرة يقطفها أو يشمها و يسعد برائحتها ومنظرها ، أو قد يراها فرساً جميلة يمتطيها و ينطلق بها ، وربما يراها مرآة أو سفينة ، أو تظهر بأحوالها النفسية فيرى البحر لجياً ، أو قد يحلم بها كأنثى حيوان ، أو قد يراها ملبساً من ملابس النساء يشتر يه أو قد يرمز للمرأة ، وربما يعني أرتيميدوروس من ملحوظته أن **الأحلام الرمزية تحتاج إلى معبر، وأن تعبير الأحلام علم يحتاج إلى موهبة وصقل بالقراءة** ، ومن ذلك أن المعبر إذ يعرض عليه الحلم ينظر فيه و يصنفه بحسب نوعه **وبحسب حوادثه** ، فهي طبيعية أو مشروعة أو اعتيادية بالنسبة للحالم ، وأيضاً ينظر إليها **بحسب ظروف الحلم** وقد أن حلم الحالم ، و يعرف **صنعته واسمه** ، وذلك ما يشير إليه أرتيميدوروس على أنه النقاط الست في الحلم : **الطبيعة** natura ، **والشرعية** lex ، **والعادة** consuetudo ، **والزمن** tempus ، **والصنعة** ars ، **والاسم** nomen

و يسوق ارتيميدوروس نموذج قد يرى النائم أنه يحلق شعر رأسه ، وحلاقة الرأس عادية بالنسبة لحلاق ، و بالنسبة لمهرج صناعته إضحاك الناس بأن يحلق رأسه هكذا ، و بالنسبة لبعض الديانات التى يحلق معتنقوها رءوسهم إيماناً وتبركاً ، ولكن هذه الحلاقة فى الحلم لغيرهم فأل سيىء ، فإذا كان الحالم بحاراً غرقت سفينته ، وإذا كان مر يضاً انتكست حالته .

ومن الغريب أن تفسير أرتيميدوروس لحلم من نوع حلمى صاحبى يوسف فى السجن هو نفس التفسير ، فالطير تأكل الحب من رأس أحدهما يعنى موته ، وعصر الخمر للملك يعنى الترقى فى المنصب . و يدرك أرتيميدوروس تأثير الرغبات والشهوات على تشكيل الأحلام ، ولا يقبل الشروع فى فك رموز الحلم ، إلا إذا ألم بحياة الحالم وظروفه المعيشية والعائلية ، ويحذر دائماً القارئ لكتابه من اللجوء إلى وسيلة التأو يل بالضد كالقول فى البكاء أنه فرح .

والحق أننا لو قارنا النابلسى وابن سير ين بأرتيميدوروس لتفوق كل من الاثنين عليه : ففى باب حيل الأحلام يقول ابن سير ين **الرؤ يا تأتى على ما مضى وخلا وفرط وانقضى ،** بغفلة عن الشكر قد سلفت ، أو بمعصية فيه قد فرطت ، أو بتوبة منه قد تأخرت . و يذكر ابن سير ين **أن الشىء الواحد يختلف التعبير عنه بحسب صنعة ومركز الرائى ،** فالكورة التى يمتلكها الحالم قد تعنى مدينة يسيطر عليها ويحوزها لو كان ملكاً ، وتجارة يربحها لو كان تاجراً ، وكتاباً يؤلفه لو كان عالماً ، ولذلك **يحتاج المعبر إلى أن يكون أديباً ذكياً فطناً نقياً تقياً عارفاً بحالات الناس وشمائلهم وأقدارهم وهيآتهم ، والأزمنة وعادات البلدان وأهلها وخواصها ،** وما يناسب كل بلدة وما يجيء من ناحيتها ، عارفاً بتفاصيل المنامات الخاصية من العامية . **وتأو يل الرؤ ية مرة من لفظ الاسم ومرة من معناه ، ومرة من ضده ، ومرة من المثل السائر ،** فأما التأو يل بالأسماء فيحمله على ظاهر اللفظ ، وأما التأو يل بالمعنى فأكثر التأو يل عليه ، وأما التأو يل بالمثل السائر واللفظ المبتذل كقولهم إن الصائغ كذوب لما جرى على الألسنة من قولهم فلان يصوغ الأحاديث أى يكذب فيها ، وقولهم فى المرض أنه نفاق ، وقولهم فى الناس أنهم الغوغاء لأن الغوغاء هى الجراد . وأما التأو يل بالضد والمقلوب مثل قولهم فى الضحك أنه حزن ، وفى السيل أنه عدو ، **وأما تعبير الرؤ يا بالز يادة والنقصان فكقولهم فى** الضحك أنه حزن ، فإن كان تبسماً كان صالحاً .

ومن شروط المفسر عند ابن سير ين غير ما سبق **أن يستوثق مما يرد عليه من المسائل ، وأن يقدر على تأليف الأجزاء ليخلص منها الكلام الصحيح .** وللحالم آداب لتكون رؤ ياه أقرب إلى الصحة ، فمنها أن يتعود الصدق فى أقواله .

ولم يكن فرو يد فيما يبدو قد قرأ أرتيميدوروس أو ابن سير ين أوالنابلسى . وإننا لنجد كلام العرب فى الأحلام قر يباً من مصادر مسيحية فى الأحلام ، والنظر ية الإسلامية تناظر النظر ية

المسيحية وخاصة فيما يتعلق بالرؤ ية المباشرة ، ويمكن أن ترد الكثير من أقوال ابن سير ين السابقة إلى **ترتولسيان** (نحو ٢٠٣ م) **وجريجورى النيساوى** (٣٨٠ م) والأخير له كتاب **« عن صنع الإنسان »** On the Making of Man » ، إلا أن جريجورى مادى و يذهب مذهب القائلين بأن الأحلام تعود إلى تجوال الروح أو النفس أثناء النوم ، ولكن **مصدرها الرغبات والتغيرات فى الجسم والبيئة وحياة الناس ، وأما الأحلام المنبئة** فهى ليست من الأحلام العادية ولكنها **إلهامات** . وعن محتوى الأحلام يقول جريجورى أن **الأحلام تقوم على ذكر يات الماضى والحاضر القريب** . وأهم ما يدفع إلى الأحلام **الرغبة الجنسية وعاطفة الغضب أو العدوان** ، وكلاهما من الحيوان إلا أن الإنسان يرقبهما و ينظمهما .

وكل ما يذكره فرو يد عن هؤلاء وعن نظر ية العرب لا يعدو ملحوظات على هوامش كتابه ، و يسمى ذلك كله نظرة قبل علمية . و يعتبر كتاب فرو يد « تفسير الأحلام » أول محاولة علمية حقيقية فى باب التأو يل والتعبير ، و يقدم تعليلاً سيكولوجياً للأحلام ، ما يزال يواصله الفرو يديون ، وهؤلاء هم الوحيدون الذين يأخذون بتفسير الأحلام ككاشف لديناميات الشخصية ومساعد على العلاج بطر يقة التحليل النفسى .

وفى الوسع تلخيص النظر يات التى سبقت نظر ية التحليل النفسى فى الأحلام فنردها جميعاً إلى **ثلاث نظر يات** يذكرها فرو يد فيقول إن **الأولى** نظر يات تزعم أن النفس فى الحلم لا تنام وجهازها يظل سليماً ، ومع ذلك فهى تخضع لشروط حالة النوم بأن يختلف أداؤها لوظائفها خلال النوم عنه فى يقظتها . ولا تقدم هذه النظر يات أية وظيفة للحلم . **والثانية** على العكس من الأولى تنتقص من النشاط النفسى أثناء النوم الذى يسد عليها كل المنافذ إلى العالم الخارجى ، وتجعل الحلم كأنه تفكير خلطى لشخص ضعيف العقل ، أو أنه تفكير كالتفكير اليقظ ، إلا أنه أقل منه بالنظر إلى أن النوم هو فى الحقيقة حالة يقظة جزئية ، ومن ثم فمع التيقظ الكامل وعودة الوعى تماماً تنسى أحداث الحلم جزئياً أو يتناولها التحر يف . **والثالثة** تلك التى تنسب إلى النفس الحالمة قدرة ونزوعاً إلى أنواع معينة من النشاط النفسى تعجز عن إتيانها فى حياة اليقظة أو أنها تأتيها بشكل ناقص .

و يبدو من أقوال فرو يد أن التفسيرات الفسيولوجية للحلم لا يوافق عليها كثيراً ، إلا إذا كانت لها ارتباطات نفسية ، غير أن البحوث فى الأحلام من هذه الوجهة ما تزال مستمرة وحققت نجاحات كبيرة . ولعل عالماً كبيراً فى مجال الأحلام والعلاج بالتحليل النفسى مثل **كالفن هول** قد يرى أن البحوث الموضوعية فى مجال صلة الأحلام بالحرمان البدنى من وظيفة من الوظائف أو بالحرمان إطلاقاً قد لا تؤدى إلى معرفة لماذا نحلم ، مثلما فعلت طر يقة فرو يد فى تحليل الأحلام بواسطة التداعى الحر .

« التفسير الفسيولوجى للأحلام »

يعتمد المنهج الفسيولوجى فى تفسير الأحلام على تحديد ارتباطات الحلم بالمتغيرات البدنية ، فإذا أمكن رصد هذه المتغيرات بالارتباطات الحلمية فإنه يكون من السهل من ثم الإجابة على كثير من الأسئلة المتعلقة بالأحلام و بتفسيرها **وردها إلى أصول من متغيرات البدن وليس من متغيرات النفس** ، أو لأمكن القول أنه حتى المتغيرات النفسية التى تسبب الأحلام مباشرة هى رجع صدى غير مباشر للمتغيرات الفسيولوجية . و يعيب طريقة التحليل النفسى من وجهة نظر الفسيولوجيين أنها تعتمد على تفسيرات يسوقها الحالم ولا يمكن التنبؤ بها أو بأثرها ، ولا يمكن التأكد منها ، ومن ثم **كان التحليل النفسى للأحلام طريقة غير علمية ، وذاتية ، غير موضوعية** . والمنهج العلمى منهج يعتمد على القياس الدقيق ، وما لم تكن الطريقة المستخدمة تقيس الظاهرة الحلمية وتردها إلى أصولها ، فهى طريقة غير علمية . ولقد أمكن رصد تحركات لمقلتى العينين عند أشخاص التجارب أثناء النوم ، فإذا أوقظوا ذكروا أنهم كانوا يحلمون ، وكان تذكرهم لأحلامهم قوياً ، فإذا لم يوقظوا واستمروا فى النوم تلاشت حركات العينين لتعود بعد فترة ، فإذا استمر النائم إلى أن يصحو عادياً فقد لا يذكر أحلامه أو قد ينسى بعضها ، فإذا افترضنا أن النائم ينام ثمانى ساعات فإنه طبقاً لنتائج التجارب المختلفة قد يحلم ٢١٪ من الناس فى الساعتين الأوليين من النوم ، بينما قد يحلم ٢٩٪ فى الساعتين التاليتين ، و٢٨٪ فى الساعتين اللتين تأتيان فى الترتيب الثالث ، ثم ٢٢٪ فى الساعتين الأخيرتين من النوم . والنوم الذى تحدث فيه حركات للبؤبؤ هو النوم الخفيف ، و يوصف بأنه **النوم المرمش** REM Sleep باعتبار أنه النوم الذى فيه **حركات** (movements (M **سريعة**(Rapid (R

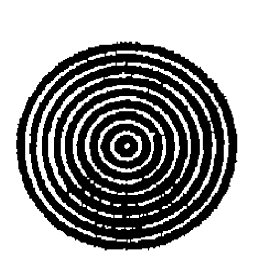
للعينين (REM)- Eye (E) وأما النوم العميق deep sleep فهو نوم خالى من حركات العينين السريعة هذه NREM (No Rapid Eye Movements) و يبدو أن فترة هذا النوم المرمش تتراوح بين ثلاث دقائق وخمسين دقيقة ، وتكون فى المتوسط عشرين دقيقة ، وتطول لأكثر من ذلك فى الهزيع الأخير من الليل . ولا تحرك العين طوال الفترة ولكنها تنشط مرة أو مرتين نشاطاً مفاجئاً ، وقد تتحرك حتى الخمسين حركة ، وقد تتجاوز ذلك إلى المائة . وتختلف الحركات كمية وحجماً ونمطاً من فترة إلى أخرى . وتحدث فترات النوم المرمش منتظمة طوال الليل بالنسبة للفرد الواحد ، وقد رصدت حركات للعينين أثناء النوم كل سبعين دقيقة ، وأحياناً كل خمس وسبعين دقيقة ، وأحياناً كل مائة وأربع دقائق ، بمعنى أن فترات النوم المرمش الذى تكون فيها الأحلام تأتى فى المتوسط كل اثنتين وتسعين دقيقة . وأمكن الربط بين هذه الحركات فى العينين والأحلام ، **فالحالم يحرك بؤبؤ العين وهو نائم مع حركة واتجاهات موضوعات الحلم ، وتستمر الحركة مع استمرار الحلم ، وتتوقف بانتهائه** ، وهكذا تتراوح الأحلام على النائم فى الليلة الواحدة لأكثر من مرة ، و يطول الحلم بطول فترة النوم المرمش ، وقد تكون هناك عدة أحلام فى الفترة الواحدة ، ولا يذكر الحالم عند الاستيقاظ إلا ما يستطيع أن يتذكره منها ، وربما ظن لذلك أنه لم يحلم إلا لثوان ، والتذكر يلعب دوره الكبير فى استعادة الأحلام ، وتكون الحركة كبيرة أو ضئيلة بحسب أهمية الموضوع الذى نحلم به ، ويحدد الموضوع اتجاه حركات البؤبؤ وسرعة الحركة ، ومن ثم **فهناك تماثل وارتباط بين الحركات ومحتوى الأحلام** ، فمثلاً قد يحلم الحالم بأنه يصعد درجاً ، ومن ثم فقد تكون حركة البؤبؤ إلى أعلى ، وقد يتراءى له أثناء ذلك أن ينظر إلى أسفل فيتحرك البؤبؤ باتجاه سفلى ، وقد ينظر الحالم من حوله بحثاً عن مخرج فيتحرك البؤبؤ حركة أفقية . ولا تكون هناك حركة عند النظر إلى الأشياء عن بعد ، بينما تزداد الحركة إذا قربت الأشياء . وثبت أيضاً من هذه التجارب أننا بحاجة إلى أن نحلم ، **فالحلم بالنسبة لنا ضرورة كضرورة النوم ، ويميل الجسم إلى أن يعوض نفسه من النوم المرمش والنوم غير المرمش إذا حرم من أيهما** ، غير أن الحاجة إلى النوم المرمش أى الذى تأتى فيه الأحلام أكبر ، وكأننا إذا لم نحلم نمرض ، والغالب أن الفرد الذى يحرم لمدة طويلة من هذا النوم الحالم قد يصاب بالذهان و يلحقه الإعياء الشديد والنهك ، وقد يموت إذا استمر ذلك .

وما تزال البحوث مستمرة حول الارتباط بين النوم والأحلام والاضطرابات الفسيولوجية أو الحركات غير العادية وأعضائه أثناء النوم . ولا شك أننا قد نحلم أحلاماً لها طابع ما يضايقنا أو يبهجنا خلال النوم ، فاضطرابات المعدة والأمعاء قد ترتبط بأحلام ، وقد ينثنى القدم فنحلم بما له صلة من قريب أو بعيد بألم القدم .

ومن البحوث حول **تذكر الأحلام** يكون التذكر أقوى ما يمكن للأحلام التى تأتينا فى

الهزيع الأخير من الليل ، و يقل تذكرنا لما قد نحلم به في بواكير النوم . وليس هناك ما يدل على أن زمن الحلم لا يعدو الثواني أو الدقائق ، بل العكس هو الصحيح ، فالزمن الذى يستغرقه الحلم هو نفس الزمن الذى قد تستغرقه أحداثه فى الواقع ونحن فى اليقظة ، غير أن استدعاء الحلم dream- recalling لا يكون للوهلة الأولى إلا للعموميات دون التفاصيل ، وتلك لا يستغرق سردها إلا الثوانى ، فإذا جلسنا إلى الحالم نسأله التفاصيل بدأ يتذكر ويحكى ما لم يكن قد ذكره وقد يستغرق منه ذلك الدقائق الطوال وربما الساعات . **وتذكر الحلم** عملية تخضع كذلك للكبت والتحريف والنسيان ، وما لا نستطيع تذكره قد نلفقه تلفيقاً .

ولقد كانت هناك أسئلة كثيرة حول الأحلام ما كانت الطريقة التحليلية تستطيع أن تزودنا بالجواب عنها ، ولكن هذه الطريقة القياسية المعملية زودتنا بما نريد ، فعرفتنا مثلاً متى نحلم ، **ومتى نتذكر ، ومن يحلم ، وعلمنا أن حركة الجسم أثناء النوم تقطع أحداث الحلم ، وأن حركة العينين تتوقف أثناء تحرك الجسم أو تقلبه فى النوم ، ثم يستأنف الحلم من بعد ، وربما لم يكن هو نفسه الحلم قبل الحركة ، بل ربما كان حلماً جديداً ، وأن الوعي أثناء الحلم ربما يكون تشبيه بالوعي عند الطفل الصغير أو الشيخ الطاعن فى السن ، وأن أغلب ما نحلم به لا نستطيع أن نتذكره لهذا السبب** ، وأن الصحيان مباشرة بعد فترة نوم مرمش يمكننا من التذكر ، برغم أنه تذكر فج يجعلنا نشبه الوعي لدى النائم بأنه كهذا الوعي عند الأطفال الصغار والشيوخ الطاعنين ، وقد لا نستطيع أن نتذكر ما سردناه من الحلم حال اليقظة من النوم المرمش اذا طلب منا أن نتذكره فى الصباح . وليس من شك أن الوعي فى النوم يتدنى إلى أقل الحدود ، ولكنه لا يتوقف تماماً ، وهو فى مرحلة النوم المرمش أو الخفيف أعلى منه فى مرحلة النوم غير المرمش أو العميق . والحالم يتأثر بما يجرى داخل جسمه من تغيرات فسيولوجية و يستجيب لها و يستدمجها فى أحلامه ، وكذلك المؤثرات الخارجية من البيئة ، فالأحلام ليست نفسية فقط . ولقد تبين أن **استحداث صوت** بجوار النائم خلال مرحلة النوم المرمش قد تحيد بالحلم الذى يحلمه وتجعله يحلم بأشياء لها اتصال بهذا الصوت فلربما يحلم بمركب عابرة أو قطار يمر أو سيارة تمرق ، وإذا كان الصوت عالياً فقد يحلم بأن طائرة تتحطم ، فإذا جعلنا المثير الخارجى ضوءاً نسلطه عليه فقد يحلم بأن شيئاً يحترق أو أن البرق يومض أو أن نور الحجرة يتوهج فجأة ، وإذا سكبنا نقط ماء بارد على مكان ما من جلده فقد يرى أن المطر ينهمر . وهذه الدراسات وأمثالها قد أكدت ما قاله الأوائل وذكرناه فى المقدمة عن ابن سيرين والنابلسى من تأثير لأحوال الجسم وللبيئة على الأحلام ، فضلاً عن الأحوال النفسية .



«أحــــلام الأطفــــال»

يذكر القرآن ، ومن قبله التوراة ، أن سيدنا يوسف عليه السلام حلم حلمه المشهور وهو بعد لم يبلغ الرابعة ، وأن أباه يعقوب عليه السلام صادقه على حلمه وطلب إليه أن لا يخبر إخوته « إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين . قال يا بنى لا تقصص رؤ ياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً » (سورة يوسف) .

والطفل يحلم كما يحلم الكبار، و ينفس الأطفال عن أنفسهم ما يعانون و يكابدون ، و يصبون فى الأحلام آمالهم ومخاوفهم ، وتعكس إحباطاتهم وفشلهم وعداواتهم ، غير أنه للفارق بين التركيب النفسى للطفل والتركيب النفسى للبالغ فإن أحلام الأطفال تتسم بالمباشرة والبساطة والوضوح . ولقد قيل إن يوسف قد حلم وهو بعد صغير، وكان نائماً فى حجر أحد اخوته ، وله قضيب خفيف صغير يتوكأ عليه ويهش به على الغنم ، بإن قضيبه قد غرز فى الأرض وغرزت حوله قضبان اخوته العشرة فإذا قضيبه أصغرها وأقصرها فلم يزل يترقى و يطول حتى طال عصيهم وتشبث فى الأرض وتفرشت عروقه من تحتها حتى أنه قلع عصيهم وانتصب قائماً وسكنت عصيهم حوله ، فلما استيقظ ذكر لاخوته حلمه فقالوا يوشك ابن راحيل أن يقول أنتم عبيدى وأنا سيد كم .

والحلم كما نرى رمزى ، إلا أن رمزيته واضحة حتى أن إخوة يوسف فهموه فوراً وقالوا قولتهم الصحيحة ، ولو أنه فى التحليل النفسى نستطيع أن نفسر الحلم تفسيراً آخر بحسب ما يقال فى هذا المجال من التنافس بين الإخوة Sibling rivalry والإخصاء ، فقضيب

يوسف الصغير — وهو هنا بتعبير فرويد قضيبه على الحقيقة ورمز ذكورته — إن أعطى الفرصة والوقت سيكبر حتى ليبز قضبان إخوته جميعهم . ورموز الحلم كلها من البيئة ومن أحوال العلاقات بين يوسف وإخوته من غير أمه ، وبين يوسف وإخوته والأب وهو سيدنا يعقوب . ويوسف يعيش الموقف الأوديبى كأعمق ما يعاش — وهو ما سنتناوله من بعد ، ويتعين بأبيه ويرى نفسه فيه ، بل إنه ليعظم أباه حتى أنه ليرى هذا الأنا يطغى على أنا الوالد يعقوب « إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إنى رأيت احد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين » . والحلمان للصغير يوسف فيهما كل الحيل التى تحتال بها الرغبات فى الأحلام على الظهور برغم الرقابة النفسية ، وكأن ما يستشعره يوسف ولا يستطيع أن يفصح به لسانه مباشرة يجد التعبير عنه تعبيراً غير مباشر فى الحلم الذى تفسيره ما قاله إخوته « يوشك ابن راحيل أن يستبعدنا » . وإننا لنلاحظ أن الحلمين اللذين حلمهما يوسف يكثر الأولاد فى مثل ظروفه من الأحلام القريبة منهما وخاصة فى الريف حيث يعتاد الرجال الزواج بأكثر من واحدة وتكون الغيرة بين الأبناء غير الأشقاء والتنافس على قلب الأب وعجز الابن الأصغر الذى يأتى الأب وهو فى سن طاعنة له أبناء كبار ، ويوغر صدره على إخوته وعلى أبيه الذى له مثل هؤلاء الأولاد الكبار ، وتكون **أحلام القدرة المطلقة** omnipotence dreams هذه ، وهى النقيض الخالص لوضع الطفل الحالى .

وإذن فالأطفال يحلمون ، وأحلامهم تتأثر بظروف معيشتهم وأحوالهم العائلية والاجتماعية والصحية وخبراتهم اليومية وذكائهم وأعمارهم وبناء شخصياتهم . وليس من السهل رصد هذه الأحلام بالنظر إلى حداثة عمر الصغير وقلة خبرته ودرايته وضآلة محصوله اللغوى . ويميل الطفل إلى إسقاط ما لا يفهمه ولا يحبه من الحلم عند روايته ، وقد تختلط عليه أحداث الحلم بالخيال وشطحاته ، ومع ذلك أمكن رصد الكثير من الأحلام للأطفال وخاصة عقب الاستيقاظ من النوم . وكذلك أمكن رصد ظواهر حركية وكلامية للأطفال الذين هم دون السن التى يقدرون فيها على التعبير عن أحلامهم بالنظر إلى ما يبدر منهم من ضحك أثناء النوم أو ابتسام أو تأوه وبكاء وصياح أو صر على الأسنان أو ركل بالأقدام أو جولان أو كلام أو إيماءات . ويؤكد كثيرون أن الأطفال فى **الشهر الثامن يحلمون** (Erickson) وكان فرويد يقول إن ابنته الصغرى فى شهرها التاسع عشر تحلم .

وأحلام الأطفال الذين يعانون من الحرمان العاطفى أو الذين يعيشون فى عوز مادى أكثر من أحلام الأطفال الذين يعيشون فى يسر مادى وحضارى . وكذلك فإن الأطفال الذين ينامون فى سرير وحدهم يحلمون أقل من الأطفال الذين يتشاركون وآخرين فى سرير واحد ، سواء كان هؤلاء الآخرون إخوة أو أحد الوالدين . وتختلف موضوعات الأحلام بحسب **انتماءات الأطفال الطبقية** ، فأطفال الفقراء يحلمون بامتلاك أشياء تعوزهم كالأكل والثياب

والألعاب ، وتغزر أحلامهم فى الأعياد والمناسبات حيث يزداد شعورهم بالعوز والحاجة .

وغالباً ما تكون أحلام الأطفال عن **حوادث اليوم السابق** ، و يقول فرو يد إن أحلامهم تجعلنا لا نشك أن ما يستحثها هو **الرغبات** التى لم تتحقق خلال اليوم الغائب . **و يعوض** الطفل عما فاته فى ذلك اليوم بالحلم ، فإن كان قد فشل فى التغلب على مسألة تغلب عليها فى الحلم ، وإن كان قد أهين فهو يرد الإهانة ، وإن كان قد حرم إحدى الألعاب فهو يلعب بها حتى يشبع . **والطفل الذى يقرأ قبل النوم** يتأثر بما يقرأ وقد يحلم به و يتقمص الشخصية من القصة التى أعجب بها و يرى نفسه فيها .

والطفل الصحيح البنية يحلم أقل من الطفل المعتل الصحة . والصحة والمرض يؤثران فى السلوك سواء فى اليقظة أو فى النوم . وإذا مرض الطفل وارتفعت درجة حرارته زادت أحلامه ، **ومع التغير الكمى فى الأحلام يكون التغير الكيفى** أيضاً فتصبح الأحلام أوضح ولها طبيعة عصابية ، وقد يذهب بتفكيره فى الحلم إلى الموت ، وتتنوع صور الموت ، فإذا شفى الطفل وخفت الحرارة عادت أحلامه إلى القلة بعد الكثرة واختلفت أيضاً فى طبيعتها . والأطفال الذين يصابون بالأنفلونزا والذين يتجاوزون سن الحادية عشرة تكون أحلامهم من نوع الكوابيس مع ارتفاع درجة الحرارة بشدة والامتناع عن الأكل فتكون الهلوسات فى اليقظة مع الكوابيس فى النوم .

و يرتبط **الذكاء** مع كثرة الأحلام وإتيانها ، وكلما زاد الذكاء كثرت الأحلام غير المبهجة ، إلا أنه مع ارتفاع الذكاء عن ١٢٠ فإن نوعية الأحلام تختلف فيحلم الأطفال بكائنات غير إنسانية ، و بالسقوط ، و بالتواجد فى أماكن عالية ، و بالعجز ، وعدم القدرة على الحركة ، و بأماكن غريبة وأناس لا يعرفونهم . وأما الأطفال بحاصل ذكاء أقل من مئة فإن أحلامهم ترتبط بالأفلام والقصص والحكايات عن الجرائم . والأطفال الجانحون أكثر أحلاماً من الأسوياء . والطفل الذكى فى ظروف اجتماعية وعائلية غير مواتية أكثر أحلاماً من مثيله فى ظروف أفضل . وتكثر أحلام الأطفال غير المبهجة والمسببة للكدر **إذا حرم الطفل من أمه** لمدة طويلة ولم يكن هناك من ينوب عنها و يعوضه عن غيابها ، **وأطفال الملاجئ والأطفال اليتامى** ، والذين تطلق أمهاتهم أكثر أحلاماً من غيرهم .

وكلما تقدم الطفل فى السن تغايرت أحلامه ، فإذا زادت خبراته وكبر وعيه زادت أحلامه تعقيداً . وتنضج أحلام الطفل مع نضوجه العاطفى . وتبين من تحليل أحلام الأطفال **فى السن بين الثانية والخامسة** أنهم يتأثرون جداً بالحيوانات ، وحتى ما هو أليف منها فإن الصور الحلمية عنها لا تكون مبهجة ، ورغم أن المحيطين بالأطفال قد يكونون محبوبين منهم إلا أنهم إذا رأوهم فى الحلم ، فقد يرونهم فى هيئة هذه الحيوانات فى البيئة وفى أدوار مخيفة أو مكروهة . والحيوان فى الحلم سادى بالنسبة للطفل ، ومخرب أو مدمر ، وكذلك بعض الناس .

والطفل بعد الخامسة يتحول إلى أناه هو نفسه ، و يرى نفسه فى أحلامه ، وهو بعد الخامسة يتوجه إلى بيئته ويحلم بها ولا يكون هو مركز أحلامه ولكنه يكون أيضاً فى الأحلام.وإنما فى دور المتفرج ، فهو لا يشارك ولكنه يشاهد ، وأحلام الأطفال لذلك بعد الخامسة ليست أحلام حركة بقدر ما هى صور ومشاهد ، ومعظمها أحلام مثيرة للخوف ، فيها العفاريت واللصوص ورجال العصابات والكلاب الضالة والقطط المؤذية . **ومع بلوغ الثامنة** أو نحوها حتى ما بعد البلوغ فإن الكوابيس تكثر ، والأحلام فيها الهروب ومحاولاته والمطاردة والعجز والهلع واليأس . والأطفال يخبرون **فترات النوم المرمش** أقل فى المراحل الأولى من النوم ، و يكثر هذا النوع من النوم بعد الخمس ساعات الأولى ، وعندئذ تكون الأحلام أكثر بعد هذه الساعات الخمس الأولى ، وتأتى **الكوابيس** وهم نيام على الجنب ، والنوم المفضل بالنسبة للطفل على الجنب . ومعظم الخوف الذى تظهره أحلام الأطفال هو **خوف لم يخبروه** فعلاً ولكنهم استلهموه مما قيل لهم من قصص أو قرأوا عنه (Piaget) **والأحلام قبل العاشرة** أحلام من الخارج ، أى ان موضوعاتها خارج ذوات الأطفال ، **وبعد العاشرة** تكون الأحلام من الداخل ، أى أن موضوعاتها أفكار داخل أذهانهم وإن رأوها بعيونهم ، و يفسر بياجيه ذلك فيقول إن الفكرة تنطرح خارج الذهن فى شكل حلم يراه الطفل وقائع بعينيه . ولا تبدأ **أحلام الحركة** إلا بعد العاشرة ، ومع تقدم السن حتى الرابعة عشرة تكثر الحركة فى الأحلام ، وهى نفس الظاهرة التى تلاحظ على الأطفال فى اليقظة من حيث غلبة الحركة على نشاطاتهم .

والبنات يحلمن فى سن البلوغ الجنسى بالحرام والحلال من ناحية الجنس ، وتكون لأحلامهن طبيعة جنسية ، وتكثر مشاهد الغيرة وأحلام سندريللا والرغبة فى الظهور والرومانسية وامتلاك الملابس والمال .

والأطفال عموماً لا يقلقهم **الموت** إلا بعد البلوغ ، وتأتيهم صور المدركات بعد هذه السن . والموت ربما يتمثل على أنه يلحق بالطفل ، أو أنه يحلم بشخص قريب منه أنه يموت أو مات . وهذه الموضوعات جميعها ، وخاصة ما كانت فيه انفعالات شديدة تتحكم فيها طبيعة شخصية الطفل الحالم . ويحلم **الطفل العصابى** بالموت أكثر من الطفل السوى . **والطفل العدوانى** أحلامه عدوانية . وإذا كانت للطفل **تجارب صادمة** فى حياته الباكرة كثرت الأحلام التى يرى فيها نفسه يسقط من حالق أو التى يكون فيها موضوع عدوان من الآخرين . ولا يستحث **القلق** الأحلام عند الأطفال بقدر ما يستحثه الكبت والقمع ، والطفل القلق يكون نومه مضطرباً ولكنه لا يحلم أحلاماً مزعجة بالضرورة . وكذلك **الطفل الذى يبول** أثناء نومه فإن تبوله يشيع الاضطراب فى نومه ، فإذا عانى الطفل أثناء اليوم من خبرات استثارته ولم يعبر عما يجيش بصدره من انفعالات وكبتها أو قمعها فإن هذا الكبت أو القمع هو الذى يجعله يحلم وتكون أحلامه مزعجة . وكلما شعر الطفل بعدم الأمان و بالخوف كلما زادت أحلامه المزعجة .

و يؤثر **العمى والصمم** على أحلام الأطفال ، والطفل الأصم يحلم أحلاماً كلها بصرية وتخلو من الأصوات ، وخاصة إذا كان هذا الصمم قد أصابه من الطفولة الباكرة ، وأحلامه فيها التمنى أن يسمع ، بعكس أحلام الطفل الأعمى ، فإذا كان العمى به قبل سن الخامسة فإنه لا يميل إلى الأحلام كثيراً لأنه لم ير من قبل ولا يستطيع أن يرى فى الحلم ، وإذا كان العمى به بعد السابعة فإنه يرى فى أحلامه كالمبصر تماماً . وأحلام الأعمى هى أحلام فيها التمنى ، وهو يحلم بأنه يرى رأى العين أشخاص بيئته وأنه يتحرك بحرية ، فإذا خاف أو زال عنه الشعور بالأمان فإنه يحلم بالنار ، والنار هى أخوف ما يخافه الطفل الأعمى . وحركة الطفل الأعمى فى الحلم محدودة رغم ذلك وأقل من حركة الطفل المبصر ، والحركة فى أحلام الأصم معدومة تماماً .

والأطفال الجانحون واليتامى يحلمون بكثرة أحلاماً أكثر وضوحاً من أحلام الأسوياء ، وذلك لأنها صادرة عن حاجات محدودة وملموسة . والطفل الجانح أو اليتيم يستشعر هذه الحاجات بقوة فتخرج فى الأحلام أمانى ، والخوف هو السمة الغالبة على أحلامه ، وليست فيها الحركة الكثيرة كالطفل العادى ، و يقدر **جوردون** أحلام الأطفال من هذا النوع والتى مدارها العودة إلى البيت بنحو ٨٠٪ من مجموع ما يحلمون (Gordon, H. L.: A Comparative Study of Dream Analysis and the Thematic Apperception Test as Projective Techniques) وأحلام البنات أقل حركة من الأولاد ، ولا توجد فروقات فى الموضوعات بحسب نوع الجناح الذى للطفل .

والفروق الجنسية بين الأطفال الذكور والإناث تستتبع فروقاً فى نوعية الأحلام وكثرتها عند الجنسين ، والبنات أكثر إتياناً للأحلام ، والسبب أن الضغوط التى تقع على الأطفال البنات أكثر من التى تقع على الأولاد ، وأكثر أحلام البنات أنهن مطاردات ومهددات . والولد فى السن من الخامسة حتى السابعة يحلم بالحيوانات ويخافها أكثر من البنات ، وفى السن من السابعة حتى الثانية عشر معرض لأحلام فيها الحوادث والسقوط والإصابة أكثر من البنات . و يتأثر الأولاد عن البنات . والبنات عموماً فى السن من الثانية حتى الرابعة عشرة أدق فى سرد أحلامهن و يستطعن بمهارة وحذق أن يصفن أشخاص الحلم ، إلا أنه لا فرق بين البنت والولد من حيث كمية الأحلام المفرحة أو المحزنة . وهناك فرق واضح بينهما فى أحلام التمنى فالبنات يحلمن أكثر بالهدايا والأطعمة والسفر والزيارات والضيافة والملاهى . والبنات يمارسن الكلام والثرثرة أكثر من الأولاد فى الأحلام . وأحلام الأولاد عن الشجاعة والبطولة أكثر ، إلا أن أحلام الخوف تأتيهم أكثر . وفى السن من ٨ إلى ١٤ يكون الخوف من الحيوانات متساو عند الجنسين وعلى عكس ذلك فى السن من الخامسة حتى السابعة . والحيوانات التى يخافها الأولاد هى الثور والحصان والحمار والكبش أى الحيوانات كبيرة الحجم ، وأما البنات فخوفهن من الحيوانات صغيرة الحجم كالقطط والكلاب والفئران والثعابين .

« مـــادة الأحـــلام »

كل حلم له **حوادث** ، والحوادث يقوم بها **أشخاص** ، وهى تقع فى **مكان** ، وكل حلم له **طابع انفعالى** خاص به ، والأحلام بوصفها تدور فى مكان فلربما يكون المكان قارباً فى بحر فيغلب **اللون** الأزرق ، أو يكون المكان متنزهاً فتسود الخضرة ، أى أن للحلم لوناً أو ألواناً .

وأغلب الأحلام مكانها **البيوت** لأن الناس فى أغلب أوقاتهم فى البيوت ، ثم قد يكون مكان الحلم **الشارع أو المنتزه أو السوق** ، وهى أكثر ما يؤم الناس من أماكن إذا خرجوا من بيوتهم . وتقل الأحلام التى مكان حدوثها **العمل أو الفصل الدراسى أو المستشفى أو الجامع** .

وأكثر الأحلام فى البيت تكون فى الحجرات التى يتعايش فيها أهل البيت أغلب الوقت ، وهى **غرفة الجلوس ثم غرفة النوم ثم المطبخ** ، وقد يكون مكان الحلم بالقرب من الباب الخارجى للشقة أو بسطة السلم المجاورة أو السلم نفسه .

ولقد كان جل اهتمام علماء النفس تحليل أحلام المرضى بالعصاب ، ولم يهتموا كثيراً بأحلام الأسوياء ، غير أن الاتجاه الحالى أن يكون التحليل لأحلام الأسوياء والمرضى بالعصاب على نفس القدر من الأهمية .

وأحلام العصابيين ستكون مناقشتها لاحقة ، وما يهمنا هو أن نعرف عن أحلام الأسوياء . **والأماكن** التى تدور فيها أحلام الأسوياء عادية وليس فيها شىء غريب وذلك عكس أحلام العصابيين . والوقت الذى نقضيه فى مكان ما ليس شرطاً أن يضفى الأهمية على هذا المكان ، فالمكتب نقضى فيه وقتاً كبيراً إلا أنه نادراً ما يكون المكان الذى تقع فيه أحلامنا ، وذلك لأن **شرط المكان هو أن نشحنه انفعالياً** بعواطفنا وتعلقاتنا النفسية ، وعلى ذلك يجئ البيت فى

المكانة الأولى من بين كل الأماكن التى نرتادها وتتردد عليها أحلامنا . وكذلك فإن المكتب أو الوظيفة مكان منفر وإذا حلمنا به فإننا نحلم به أحلاماً مزعجة أو منفرة .

وأشخاص كل حلم بالنسبة للبالغ تتحدد بحسب عمر هذا البالغ ، والناس إما أطفال أو شبان أو شيوخ . ولقد تناولنا أحلام الأطفال وسنعود إليها لماماً ، وأما أحلام الشبان فعادة ما تكون الشخصية الرئيسية فى الحلم هى **الحالم نفسه** ، وقليلاً ما يكون وحده فى الحلم ، والأغلب أن يكون مع آخرين ، وربما كان هؤلاء الآخرون شخصاً أو شخصين أو أكثر من ذلك ، إلا أنهم فى **المتوسط شخصان بالإضافة إليه** ، وفى ٤٣ ٪ من الحالات يكون الآخر أو الآخرون من **الأصدقاء والمعارف** ، وفى ٤٩ ٪ منها يكونون **أغراباً** غير معروفين له ، وفى ١٩ ٪ منها يكونون من **الأقارب والأصهار** ، وفى ١ ٪ فقط قد يكون الآخر **شخصية معروفة أو مشهورة اجتماعياً** وذلك دليل أن الأحلام غالباً ما تدور حول موضوعات تهم الحالم نفسه وليست مجرد موضوعات اجتماعية ، ولكن قد يحدث فيما ندر أن يكون الآخر هو **الله أو الرسول** إلا أن المقصود رمزياً قد يكون الوالد أو المربى أو صاحب العمل ، وربما كان يعنى الضمير . وحتى مقابلة الشخصية المرموقة لا تعنى مجرد اللقاء الاجتماعى ، بل تشير رمزاً إلى شىء آخر تماماً بحسب سياق الحلم وشخصية الحالم وصناعته . وأغلب ما يكون الآخر من الأقارب هو **الأم** فى ٤٣ ٪ من الأحلام ، ثم **الأب** فى ٢٧٪ ، ثم **الأخ** فى ١٤٪ وأخيراً ، **الأخت** فى ١٢ ٪ .

وكذلك أمكن تصنيف الآخرين فى الأحلام **بحسب الجنس والعمر** ، فالرجال يحلمون برجال مثلهم وبنساء ، ولكن الأحلام التى أشخاصها من الرجال ضعف الأحلام التى أشخاصها من النساء ، بينما أشخاص أحلام النساء من الجنسين بالتساوى .

و يبين تحليل الأحلام أننا **نحلم بأناس من سننا** ، وفى أحلام الشباب فى السن من ١٨ إلى ٢٨ فإن ٤٢ ٪ من أشخاص الأحلام يضاهون الحالم فى العمر ، و٢٠ ٪ أكبر منه ، و٣٪ أصغر منه ، و٣٥٪ لا تتضح حقيقة أعمارهم .

وليست هناك فروق كبيرة بين أشخاص **أحلام الشباب والشيوخ** ، فالشيوخ يحلمون أكثر بأفراد العائلة والأقارب وأقل أحلامهم بالأصدقاء والمعارف ، ولعل ذلك يرجع إلى أن الشبان لا يكونون فى السن قبل الثلاثين قد تزوجوا وصارت لهم عائلات . وكذلك يحلم الكبار فى السن بأشخاص من الشباب ، وأقل أحلامهم بأفراد من الكبار المساوين لهم فى العمر ، وقد يعنى ذلك بعبارة أخرى أنه بينما يحلم الأطفال بالأبوين ، فإن الآباء يحلمون بالأطفال ، و بينما يحلم الأزواج بزوجاتهم فإن الزوجات يحلمن بهم .

ولقد استطعنا موضوعياً أن نجيب على السؤال : **بمن نحلم ؟** والآن نجيب على السؤال : **ماذا يفعل الناس فى الأحلام ؟** هل يمشون أو يركضون أو يتحدثون أو يشتغلون ؟ والغالبية منهم

يتحركون (٣٤٪) أى يمشون و يركضون و يركبون .. إلخ . وكان يقال إن أحلام السقوط وأحلام الطيران كثيرة ، والواقع غير ذلك . و يأتى الكلام بعد الحركة فى الترتيب (١١٪) ، ثم الجلوس (٧٪) والفرجة (٧٪) والزيارات (٦٪) واللعب (٥٪) والشغل اليدوى (٤٪) والتفكير (٤٪) والمجاهدة أو المحاولة (٤٪) والشجار (٣٪) والاكتساب (٣٪) . و يتبين من ذلك أن أغلب الأحلام سلبية أو أن الحالم وأشخاص الحلم لا يفعلون شيئاً ذا بال ، وأقل الأحلام يكون فيه عمل ما كالطبخ أو الحياكة أو التنظيف أو غسيل الصحون ، والكثير من الأحلام فيها الترفيه كالسباحة والغطس ولعب الكرة والرقص .. إلخ .

ونفهم من ذلك أن الحالمين يميلون إلى الترويح عن أنفسهم أكثر من ميلهم إلى العمل ، ونشاطهم سلبى أكثر منه إيجابى .

فماذا عن العلاقات التفاعلية بين الحالم وأشخاص الحلم ؟ وكما نعرف فإن الناس إما ودودون أو معادون ، والأحلام تأتى فى الغالب عن تفاعلات عدوانية بين الحالم وأشخاص الحلم بأكثر من الضعف . والسلوك العدوانى يتراوح بين القتل (٢٪) والتماسك بالأيدى والتضارب (٢٨٪) والتنابذ والتشاتم (٢٧٪) ومجرد الشعور المعادى (٨٪) . وأما السلوك الودود فغالباً ما يتمثل فى تقبل أو اعطاء هدية ، وكثيراً ما يكون مجرد شعور بالامتنان أو المحبة .

وتصنف مشاعر الحالمين إلى مخاوف (و يتضمن ذلك القلق والحيرة) ، والغضب (و يشتمل على الإحباط) ، والحزن ، والسعادة ، والاستثارة (وتتضمن الدهشة أو المفاجأة) . والشعور بالخوف و بالقلق والترقب يشمل ٤٠٪ من الأحلام ثم يأتى الغضب والسعادة والاستثارة (وكل منها ١٨٪) ثم الحزن وهو أقلها (٦٪ فقط) ، بمعنى أن ٦٤٪ من انفعالات الأحلام سلبى أو غير سار (الخوف والحذر والترقب والقلق والغضب والحزن) و١٨٪ فقط (سعادة) يكون إيجابياً ساراً .

ولو سألت الحالم : **هل أحلامك من النوع السار؟** فإنه على عكس الإحصائية السابقة قد يقضى أقل من نصف الحالمين (٤١٪) بأن أحلامهم من النوع السار ، وقد يحكم نحو الربع منهم (٢٥٪) انها غير سارة ، وقد يقول نحو الثمن (١١٪) أنها خليط من السارة وغير السارة ، وقد يزعم نحو الربع (٢٣٪) أنهم لا يدرون ولم يفكروا فى الأحلام من هذه الزاوية .

وأما **بخصوص الألوان** فى الأحلام فالناس عادة لا ينتبهون للألوان إلا إذا كانت فاقعة كاللون الأحمر أو الأخضر أو الأزرق ، وتذكرهم لها أو إتيان الأحلام فى هذه الألوان نتيجة الشحن الانفعالى للحلم . والحالم لا يمكن أن ينسى لون الدم أو النار ، و يسعده أن يرى الخضرة فى الزرع وهو يتنبه إليه ، وكذلك زرقة ماء البحر ، واللون الأبيض فى الغيوم ، وسواد وجه البعض

أو صفرته ، و بشكل عام فإن الربع من الأحلام يأتى ملوناً والغالبية تكون بلا لون ، وأحلام النساء تكثر فيها الألوان عن أحلام الرجال ، وتقل الألوان عند كبار السن عنها عند الشبان .

وهذه الخصائص السابقة عن الأحلام تجعل لمحتواها معان معينة وتصنع لها بما تضفيه عليها سمات يفسرها بها المفسرون . والحلم ضرب من التفكير ، وإن يكن تفكيراً بدائياً ، وهو تفكير يكون فى النوم ، وأدواته الصور البصرية بدلا من الكلمات والخطوط كما فى اليقظة ، والأفكار فيه لا تكون مجردة ولكنها تتجسد فى أشكال مرئية . والحالم يرى فى النوم أفكاره صوراً ، فإذا استيقظ عاد يصوغ الصور أفكاراً فى كلمات ينقلها للآخرين سارداً ما رأى فى الحلم . ولعله لهذا السبب كان تعبير العرب عن الحلم بأنه رؤيا تعبيراً يفوق أى تعبير آخر بأى لغة من اللغات .

والحالم فى الحلم يطرح مشاكله ومسائله ومخاوفه وآماله ، لعله بهذا الطرح الثانى يجد الراحة والطمأنينة . وهو فى الحلم يعيد التفكير فى نفسه وفى شخصيته ويحكم على نفسه ، وقد يكون حلمه مجرد تساؤل من نفسه لنفسه عن مدى قدرته على الاحتمال أو على التصدى لمخاوفه أو على مواجهة أسباب القلق . وهو فى الحلم يفكر فى الناس من حوله و يسلط عليهم مرآة نفسه و يرى صورهم وأبرز ما فيهم مجسداً . ومن ثم كان تفسير الحلم أو تأويله بترجمة الصور الحلمية إلى كلمات وأفكار . وكان المصريون القدماء يرسمون الفكرة فى صورة لطائر أو حيوان على وضع معين ، فإذا رأى الناس الصورة فهموها وفسروها . وهكذا تفسير الأحلام ، هو عملية فك لطلاسم الصور الخاصة بالشخص ، أو العامة التى تصطلح عليها الثقافة و يصور بها الناس أفكارهم فى الأحلام ، فإذا نجح المفسر فى ذلك فإنه يكون قد أدرك أهداف الحالم ونفذ إلى شفرته وعرف أسرار ما يفكر فيه و يشعر به و يدبر له ، وما يكنه للناس وما يحسب أن الناس تكنه له ، وتصوره للدنيا وفكرته عن الاجتماع والأسرة والزواج والطلاق ، وكأنه فى الحلم يتبلور كل شىء ، و ينكشف الشخص برمته ، وهذا هو ما يجعل لتفسير الأحلام أهمية بالغة لعالم النفس . وفى الحلم يلعب الحالم أدواراً ، فقد يظهر فيه بمظهر الضحية ، وقد يبدو كما لو كان هو المعتدى ، وقد يرى فى نفسه أنه المنتصر برغم الظروف غير المواتية ، أو قد يرى أنه يخسر مع أن لديه كل إمكانيات النصر . وقد يرتدى فى الحلم مسوح الولى أو يكون له زى الخاطئ الآثم ، وقد يتصرف على نحو مستقل أو يركن فى الحلم على آخرين ، أو قد ينفق عن سعة أو يكون مقتراً و بخيلاً ، و يبدو أن إيمرسون بلغ أوج الحكمة عندما قال إن الإنسان المحنك هو الذى يقرأ أحلامه ليعرف نفسه .

وقد تتعدد أشخاص الحلم إلا أنهم جميعاً — طالما أنهم ظهروا على مسرح الحالم — مترابطون بسبب ، وهو علاقاتهم بالحالم ، وهم متورطون عاطفياً فى حياته . وقد نسأل ولكن لماذا نرى أغراباً فى الحلم إذا كان كل من يظهر فيه لابد أن تكون له بنا علاقة عاطفية ، والجواب أن من يبدو أنهم أغراب لا يمكن أن يكونوا أغراباً على الحقيقة ، فهم الناس الذين نعرفهم ولكننا نراهم فى

الحلم كما نتصورهم ، وصورهم قد لا تبينَ لنا للوهلة الأولى ولكننا بالتمعن والتمحيص سرعان ما ندرك أن هذه الصور هى للناس الذين نعرفهم ، فمثلاً قد يكون للحالم أب متزمت أو صلف أو قاسر فيراه فى الحلم على صورة ضابط شرطة أو ضابط جيش أو ناظر مدرسة ملتزم بالضبط والربط . وقد يرى من الأب سمات أخرى تبدو فى صور تناسبها بحسب هذه الصور فى ذهن الحالم وقت الحلم . وهذه الصور الحلمية للأب لا يعرفها الحالم لأبيه ، وهو فيها يبدو غريباً عليه مع أن ما تمثله من صفات يعرفها الحالم جيداً له .

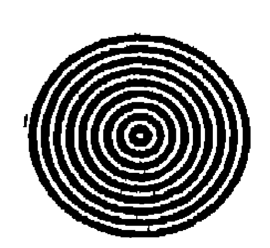
و بالمثل فإن العالم يظهر للحالم فى صورة ليست له فى الواقع ولكنها فى ذهن الحالم عنه ، فلو أن العالم بدا كئيباً فإن صورته التى ستظهر له فى الحلم ستكون صورة كئيبة كأن يرى نفسه يسير فى خرابة أو بين القبور أو فى طريق مقفر ، فإذا كان الحالم يغلى من الداخل ويحتدم به الغضب فإنه لن يرى من العالم كخلفية للحلم إلا بحراً لجياً وعواصف عاتية ، وقد يرى نفسه فى سوق مزدحم ، المناكب فيه متلاصقة ، وهو يشق طريقه بالكاد ، أو قد يرى الدنيا ممطرة .

وفى الأحلام قد نشبع دوافعنا الجنسية ودوافع العدوان فينا أو قد نحاول أن نشبعها ، وتطلعنا الأحلام على حقيقة الاعتبارات الجنسية والعدوانية عند الحالم ، فالحالم الذى قد يتمنى مضاجعة امرأة بعينها ، ولكن هذه الرغبة يكبتها لأن المرأة مثلاً زوجة لأخيه ، ومن ثم فقد يراها فى الحلم صراحة و يضاجعها ، أو قد يرى بديلة لها باسمها ، ولكنه عندما يضاجعها أو يحاول مضاجعتها يتلقى منها صفعة أو تهدده بإفشاء سره ، وقد يهوله ذلك و يفزع له بشدة ، فنتعلم من الحلم أية رغبات تكون له ، وكذلك نعرف اعتبارات هذه الرغبات عنده من حيث الحرام والحلال مما يناله من عقاب فى الحلم .

وتكشف الأحلام عن مفهوم الحالم لصراعاته ، فالحلم له نكهة درامية خاصة ، تتمثل فى عقدة الحلم وفى الشد والجذب الذى يتعاور الشخصيات والحوار ، والجو الدرامى الذى يخيم على صوره من حيث توزيع الأضواء وظهور العتمة أو الظلمة ، والتخللات الضوئية والصوتية ، وكأننا نشهد فيلماً حقيقياً له كل مقومات الأفلام ، ومع انتهاء الحلم تكون نهاية الفيلم أو القصة ، ولكن النهاية لا تكون حاسمة وإنما هى نهاية مفتوحة ، لأن الصراعات التى هى محتوى الحلم والتى يدور عليها والتى تلونه بألوانها وتصبغه بصبغتها ما تزال لم تحل ، لأنها صراعات أساسية كانت معه منذ الطفولة ، وتظل معه دائماً تلاحقه وتتتابع فصولها وكأنها خيط أريادن الأسطورى يسير خلفها و يلاحقها عبر متاهة الحياة ، وقد تبدو هذه الصراعات وكأنها اختفت لبعض الوقت ، ولكنها تكون موجودة دائماً ومعلقة ، تعمل عملها وكأنها العدو الخفى ، أو كأنها حروب داخلية لا يدرى بها فى حياة اليقظة وتستنفر إذا جن الليل وتدور رحاها حامية الوطيس .

وهناك صراعات عامة يتشارك فيها الناس جميعاً وتتقاسمها أحلامهم **كالصراع بين النضج والاستقلالية وبين الطفولة والاعتمادية والسلبية** . و يظهر هذا الصراع محتدماً عند البلوغ وفى المراهقة المتأخرة وأوائل العشرينيات ، وقد يظل يعمل عمله عند بعض الناس إلى سن متأخرة و يعود قو ياً كما كان فى الشيخوخة .

وهناك صراع داخلى آخر نخبره جميعاً بين قوى الخير وقوى الشر فينا ونطلق عليه لهذا السبب اسم **الصراع الأدبى أو الأخلاقى** : Moral Conflict **وصراع ثالث بين الميول البناءة والميول الهدامة** ، ونعنى بالأولى تلك التى من شأنها إعلاء قيم الحياة وتأكيد المحبة وتأصيلها فى النفوس ووصل الأرحام وإشاعة السلام (tendencies of integration) وأما الثانية فهى التى يكون بها قطع الأرحام واستحداث الانقسام والفرقة والتخريب و بذر الكراهية وإعمال الموت (of disintegration tendencies) ، و يتمثل هذا الصراع فى الكوابيس وأحلام القلق . ودراسة الأحلام تطلعنا على هذا الجانب وتزيد فهمنا لدوافع السلوك لأن الإنسان يصدر فى سلوكه عن تصوره للناس من حوله والحياة ، وهذا التصور نتعرف عليه من دراسة الأحلام فهى مجال واسع وهام ومصدر من مصادر المعرفة بالإنسان لا ينضب معينه و يعين بالتأكيد فى العلاج .



« الفروق بين الجنسين فى الأحلام »

يتخالف الناس فيما بينهم فى الكثير و يتفقون فى الكثير أيضاً ، و ينطبق ذلك على الذكور والإناث ، وفى مجال الأحلام قد نعلم وجوه الاتفاق ، فالكل يحلم سواء الطفل أو الشاب أو الشيخ ، الذكر أو الأنثى ، ولكن وجوه التباين مؤكدة بين الجنسين . ولقد كان علماء النفس عندما يدرسون الأحلام عند المرضى لا يفرقون بين الذكر والأنثى ، وما يعنيهم هو الاضطراب الذى له مظاهره فى الحلم ويمكن أن نشير إلى الأسباب ، غير أن دراسة الفروق بين الجنسين فى الأحلام تكشف لنا عن جانب جديد قد لا نعتبر بمقتضاه من كنا نظنهم مرضى بالاضطراب من المرضى حقيقة . ثم إن الدراسة قد استمرت للمرضى دون سواهم ، وقد آن الأوان أن تتوجه الدراسة للأسوياء . والحق أن هناك الكثير من الأسئلة تحتاج إلى الجواب ، فهل الذكور يحلمون أكثر من الإناث أم العكس أم أنهما متساويان ، وهل تلون الحياة العاطفية للإناث أحلامهن وتجعل لها طابعاً أنثوياً خالصاً ، وهل الحياة العامة للذكور، والعمل وأدرانه ، وهموم إعالة الأسرة وغير ذلك يمكن أن يجعل أحلام الذكور مختلفة عن أحلام الإناث ، وما هى حقيقة الأحلام الجنسية عند كل من الجنسين ، وأيهما يحلم أحلاماً جنسية أكثر، وما هى موضوعاتها ، وحقيقة الإشباع المتحصل منها ، وما هو عمل الكبت فيها ، وما يستحدثه من تحريفات ، وما هى الأحلام التى نخجل منها أو لا نخجل منها ، وما هى أحلام المتزوجين وأحلام المطلقين ، إلى غير ذلك من الأسئلة التى يمكن أن تعيننا على فهم ديناميات الشخصية والسلوك الإنسانى ، والأحلام كما قلنا سلوك كالسلوك الذى لنا فى اليقظة ، وكلاهما يحتاج إلى فطنة للفهم .

وفى إحدى الدراسات حول هذا الموضوع (of Abn. and Soc. Psych. 1963
Husband, R. W. J.،) تبين :

١ ــ أن الإناث تكون أحلامهن عاطفية ، وهى أكثر وضوحاً فى صورها ومعناها .

٢ ــ أن موضوعاتها تنحو أكثر إلى أن تكون موضوعات فيها الحزن والشجن .

٣ ــ أن الإناث يكثرن من الأحلام التى يكون فيها لصوص ومجرمون أو اغتصاب ، أو التى يكن فيها ضحايا للسقوط أو للمطاردة أو التى يغلفها الخوف عموماً .

٤ ــ أن الكثير من أحلامهن ليس عن أشياء حدثت ولكنها عن أشياء يتمنين أن تحدث لهن .

٥ ــ أن الأنثى تتعرض أكثر من الذكر لأن ترى مشاكلها اليومية فى أحلامها ، أو أن مشاكلها وهمومها اليومية تلاحقها فى منامها أكثر من الذكر .

٦ ــ أن أحلام الإناث غالباً تأتى ملونة نتيجة العاطفية التى يشحن بها الأحلام ، والخيال الذى يذهب بهن كل مذهب فى الأحلام .

٧ ــ أن الأنثى مثلها فى ذلك مثل الذكر تحلم وحلمها يدور حول نفسها ، إلا أن أحلام الذكور الغالب فيها أن الذكر هو الفاعل بينما أحلام الإناث يطبعها أن الأنثى سلبية واعتمادية ، وهى التى تقع لها الأحداث أو تقع عليها على عكس أحلام الذكور . والأنثى فى كثير من أحلامها لا تصنع حياتها بل تُصنع لها هذه الحياة .

٨ ــ أن الذكور يحلمون أحلاماً جنسية أكثر من الإناث ، أو أن المحتوى الظاهر لأحلام الذكور هو فى الغالب جنسى ، والكثير من هذه الأحلام ينتهى بالإمناء ، والكثير منه يدفع إليه التهيج الجنسى الخالص وكأن الحلم الجنسى يأتى الذكور كحتمية فسيولوجية غالباً ، وذلك شىء لا يحدث للإناث ، فالأنثى تحلم جنسياً لمجرد قبلة تلقتها فى اليقظة ، وتلهبها القبلة عاطفياً فتحلم بالمزيد منها ، ولكن الذكر ينتصب للقبلة ، وانتصابه إن لم ينته بالإمناء فى اليقظة فغالباً ما تدفعه الناحية الفسيولوجية لأن يحلم بمنى . وقد يحدث أن يستيقظ الذكر بعد الحلم الجنسى متهيجاً وذلك نادر ، فى حين أن الأنثى قد يوقظها التهيج غالباً .

٩ ــ كثيراً ما يلتقى الذكر بالصدفة بأنثى يعجبه قوامها وقد يحلم بها و يواقعها فى الحلم ، فى حين أن الأنثى لا تحلم جنسياً إلا بمن تعرف من الذكور معرفة جيدة ترقى إلى الصداقة أو المحبة . و يبدو أن الذكر يمكن أن يكون متعدد العلاقات الجنسية ، فى حين أن الأنثى تميل إلى أن تكون لها علاقة جنسية بواحد فقط تؤثره بحبها وبجسمها . والجنس عند الأنثى لابد أن تكون فيه العاطفة ، فى حين أنه عند الذكر يحتمل الحب ويحتمل أيضاً أن يكون مجرد عملية فسيولوجية .

ـ أن الأنثى لا تحلم جنسياً بالذكر فى مواقعة جنسية إلا إذا كانت فى قمة الحب له ، فى حين أن الذكر يمكن أن يواقع أى أنثى بدون حب .

ـ أن الأنثى إذا غاب عنها ذكرها تحلم به جنسياً وذلك يستوى عند الذكور .

ـ قلما يحلم الذكر المتزوج حلماً جنسياً ولكن المرأة المتزوجة قد تحلم جنسياً إذا افتقدت الإثارة الجنسية فى حياتها الزوجية .

ـ أن الإناث فى الأحلام الجنسية الشاذة أكثر ما يحلمن بالاغتصاب ، وأقل ما يحلمن بمواقعة الحيوانات كالكلاب مثلاً . وهن يمارسن كثيراً الاستعراض أو الاستعراء الجنسى وذلك نادر عند الذكور . وأحلام اللواط عند الذكور أكثر، وأيضاً أحلام مواقعة المحارم . وقد يبدو أن المرأة وطبيعتها الجنسية سلبية قد يرضى ضميرها أن يغتصبها آخر بدلا من أن تكون هى الفاعلة للجنس ، وذلك رأى فرويد على أى حال . وأيضاً فإن الذكر الذى لا يجد الفرصة لتكون له علاقة بأنثى قد ينصرف بتفكيره إلى الممارسات الجنسية الشاذة كمواقعة الحيوانات والمحارم . وأكثر ما تكون أحلام مواقعة المحارم بالأم أو الأخت . و يناسب المرأة أن تكون استعراضية أو استعرائية وذلك يحدث كثيراً فى اليقظة ويحدث كثيراً أيضاً فى الأحلام ، وأما الاستعراء أو الاستعراض بالنسبة للذكر فهو قليل فى اليقظة وأقل منه فى الأحلام ، ولا يأتى النساء والرجال فى الأحلام إلا إذا كانت بهم ميول كامنة له لا تتحقق فى اليقظة فتتحقق فى الأحلام .

١ـ أن المرأة لا تحلم جنسياً وهى فى الحيض وقد يحلم الرجل المتزوج جنسياً وامرأته فى الحيض .



« الأحلام الجنسية والاحتلام »

تحتلم المرأة كاحتلام الرجل ، والاحتلام nocturnal dream هو أن يستثار الرجل أو المرأة استثارة جنسية تؤدى به أو بها إلى الإنعاظ ، وذلك شيء عادى نسمع به من المراهقين والمراهقات ومن نساء متزوجات ورجال متزوجين . والاحتلام يأتى عندما يكون هناك حلم جنسى من نوع ما ، والكثير من كتب الأدب تحكى عن الاحتلام عند المراهقين خصوصاً ، وقلما هناك أدب نسائى فيه الاحتلام ، ولكن الاحتلام واقع وحقيقة بالنسبة للإناث واقعيته وحقيقته بالنسبة للذكور ، والأنثى تشبق فى الاحتلام وترتجف وترتعش وتتشدد عضلاتها وتتأوه وتتأود عندما تقارب الإنعاظ تماماً مثلما تفعل عندما تنعظ وهى مستيقظة ، وكثيراً ما يحدث فى المدارس الداخلية أن تتحاكى البنات فيما بينهن عن زميلاتهن اللاتى يشاركنهن الأسرة وهن ينعظن احتلاماً . وهذا الاحتلام مقياس حقيقى لقدرة الأنثى الجنسية لأنه يأتيها تلقائياً ومن داخلها بتأثير حاجاتها الجنسية ولا تغصب عليه كما فى الجماع وهى مستيقظة ، فقد لا تكون بالأنثى رغبة جنسية ولكنها تنصاع يومياً لممارسات زوجها ، وهذا الجماع لهذا السبب مفروض عليها وليس دليلاً على شهوانيتها ، وإنما نعرف شهوانيتها فقط من خلال الاحتلام من حيث أنه يأتيها عفوياً وبتأثير من الاهتياج الداخلى الذى يكون بجهازها العصبى المستقل عن طريق مناطق جسمها الشهوية والذى يشمل جهازها العصبى بجميعه من بعد وتستجيب له كل عضلات الجسم بحركات إيقاعية هى التى نميز بها حركات الجماع ، فإذا بلغت شهوتها غايتها كان التشدد الذى يشمل الجسم والرجفة ، وذلك شيء معروف عند إنعاظ المرأة إذا جومعت فى اليقظة ، فكأن الاحتلام فيه إشباق وإنعاظ كما فى الجماع فى اليقظة مع فارق واحد هو أن جماع

اليقظة فيه شريك ، أو قد يستحدث إنعاظ اليقظة بالإهاجة الذاتية كما فى الاستمناء باليد ، بينما إنعاظ الاحتلام يأتى والأنثى نائمة تحلم حلما جنسياً .

والاحتلام أسرع فى إنعاظه من الجماع العادى فى اليقظة ، فالأنثى التى قد تستغرق وقتاً طويلاً لكى تنعظ يقظانة قد لا يستغرق إنعاظها فى الاحتلام ثوان . وفى الاحتلام لا تخضع الأنثى ولا يخضع الذكر لضغوط الكبت والقمع والكف فكلاهما على سجيته ، ومن السهل عليه إذن أن ينعظ بسرعة . وثمة سمة أخرى للاحتلام هو أن الإهاجة الجنسية فيه قد تتم بطرق ملتوية شاذة قد لا يرضى بها فى الواقع الذكر أو الأنثى ، وقد تمارس فيه الأنشطة الجنسية المحرمة ، وربما يكون موضوعه من محارم المحتلم كأن تكون أخته أو أمه ، أو قد يكون شريك المحتلمة أباها أو أخاها . والحدث الصغير سواء كان بنتاً أو ولداً قد يخبر الاحتلام قبل أن يخبر الاستمناء باليد أو الجماع الحقيقى .

والاحتلام فى كل من الذكر والأنثى قد يبدو أنه فسيولوجى خالص ، بمعنى أن الإثارة تكون فيه والشخص نائم على وضع معين من الجسم ، بحيث تحتك أعضاؤه التناسلية بالحشيات أو يزيد بها الدفء فيكون الانتصاب أو الاشباق ، بالإضافة إلى الحالة الصحية للمحتلم من حيث إفرازاته الهرمونية وما قد يكون به من تعب أو راحة وحرارة الحجرة ونوع التغذية التى يتغذى عليها ، فذلك كله له تأثيره على المحتلم ، ولكن هذه الظروف كلها متواجدة كل يوم ولا يحدث الاحتلام إلا فى ليال دون أخرى ، الأمر الذى يجعلنا ننحو إلى أن نقول أنه لابد فى الظروف السابقة من توافر **عوامل نفسية** تهيج الشخص فى اليقظة و يستثار بها خياله ورغباته وتلاحقه هذه الرغبات فى منامه وقت أن تكون رقابته على نفسه متدنية مع تدنى الوعى أثناء النوم فيكون تأثيرها على الجهاز العصبى وتنبيهها للمراكز الحسية فيكون الانتصاب والإشباق .

ولعل ما يدفعنا إلى القول بأن الاحتلام فى أساسه نفسى وليس فسيولوجياً هو ندرة أن يحدث بدون أحلام ، وحتى عند الإناث اللاتى قد يمارسن الاستمناء باليد بدون أن يصحب ذلك تخيل جنسى من أى نوع ما ، فإنه لم تعرف إلا حالات قليلة للغاية لا يعتد بها انعظت فيها المحتلمة دون أحلام ، الأمر الذى يكاد يجمع عليه أغلب علماء النفس بأنه لا احتلام بدون أحلام جنسية ، والإدعاء بغير ذلك قول مغلوط . غير أن بعض علماء النفس وقد لاحظوا أن الإناث لا يحتلمن بالكثرة التى يحتلم بها الذكور ذهبوا إلى القول بأن الأنثى التى يكثر احتلامها لابد أن تكون مضطربة نفسياً وتعانى من اعتلال عصابى ما ، أو أنها غير ناضجة انفعالياً وتؤثر فيها المواقف الجنسية البسيطة والاحتكاك اليومى بالذكور و يتابعها هذا التأثير فى منامها . وعلى أى الأحوال فإن أغلب الإناث جربن الاحتلام ولو لمرة فى حياتهن ، و يذكر كينزى أن نحو ٦٥ ٪ من عينات النساء اللاتى أجرى عليهن استقصاءه عرفن الأحلام الجنسية ، وأن نحو ٢٠ ٪ منهن قد خبرن

الاحتلام ، بمعنى أنهن أنعظن بينما ذكرت الباقيات (٤٥٪) أنهن لم يبلغن فى أحلامهن حد الإنعاظ أبداً ، وكان السبب دائماً أنه قد حدث فى الحلم ما تسبب فى قطعه دون النهاية . وتقول احصاءات كينزى أن ٣٧٪ من نساء عيناته دون الخامسة والأربعين جربن الاحتلام ، و يعنى ذلك أن نسبة ٦٣٪ من النساء دون سن الخامسة والأربعين لا يصلن إلى الإنعاظ فى أحلامهن الجنسية . وأيضاً فإنه اجمالاً ولكل الأعمار فإن ٧٠٪ من النساء يخبرن الأحلام الجنسية سواء مع الاحتلام أو بدون الاحتلام (Sexual Behaviour in the Human Female Kinsey:) ، على أنه كانت هناك حالات ضمن العينة قد خبرت النساء فيها الاحتلام لثلاث أو أربع مرات فى السنة كلها ، وأخريات عرفنه بمعدل مرة أسبوعياً . وعندما تدمن المرأة المخدرات ثم تمتنع عنها فإنها غالباً ما تحتلم ، و يبدو أن الاحتلام هنا من أعراض الامتناع عن التعاطى بدليل أنه يزول بزوال الأعراض أو بالعودة إلى التعاطى .

ويحتلم الذكور بأكثر من الإناث حتى لقد يحتلم الشخص من أربع إلى سبع مرات فى المتوسط أسبوعياً ، وهناك حالات قد يحتلم فيها الذكر حتى أربع عشرة مرة فى الأسبوع ولعدد من السنين ، اى بمعدل مرتين فى اليوم الواحد . وإذن فالفروق بين الذكور فى مسألة الاحتلام كبيرة جداً ، وهو شىء لا نجده بين الإناث ، فليست هناك هذه الفروق الكبيرة بينهن ، وهذه خاصة من خواص النساء حيث يتقاربن فى مجال الاحتلام كمنصرف جنسى فى حين أنهن يتباعدن جداً عن بعضهن البعض وتظهر الفروق الكبيرة بين آحادهن فى مسألة الإنعاظ باليد ، فالغالبية من النساء لا يفعلن ذلك سوى مرة أو ربما مرتين فى العمر كله بينما هناك أخريات قد يدمن الإنعاظ باليد لدرجة أنه كانت هناك حالات فى عينة كينزى لنساء يمكن أن يمارسن الإنعاظ باليد لمائة مرة فى الساعة الواحدة ، وهو شىء مذهل حقيقة . و يفسر علماء النفس هذه الفروق الكبيرة فى مجال الإنعاظ باليد بين النساء أن الإستجابة فيه استجابة محسوسة بمعنى أن الاستثارة تتم حسياً بدعك الفرج ، وأن النساء فيما يبدو حسيات و يلجأن من ثم إلى هذه الطريقة للإشباع الجنسى ، و بعضهن متميزات فى هذا المجال حتى ليمكن أن يفعلن الإنعاظ لمثل هذا العدد المهول فى الساعة الواحدة ، بينما أن الذكور فيهم الخيال أكبر ولابد لهم أن يصاحبوا الاستمناء باليد بأن يتخيلوا معه موضوعات جنسية ، ومن ثم فالاستمناء باليد لأنه حسى قد يكون وسيلة غير مطروقة مثل الاحتلام الذى يقوم على التخيل ولابد أن تصاحبه الأحلام الجنسية ومن ثم يكثر بين الذكور بالمقارنة إلى الإناث . و يذكر كينزى أنه كانت هناك امرأتان ضمن العينة النسائية التى يجرى عليها استقصاءه تعتمدان على التخيل فى الإنعاظ باليد مما يدل على ارتفاع مستوى التجاوب النفسى عندهما ، مما يجعلنا نقول أنه فى حالة زيادة التجاوب النفسى عند النساء فإنه من الممكن أن يزيد عدد مرات الإنعاظ باليد .

والفروق فى الاحتلام بين النساء إن وجدت فإنما بسبب السن وأيضاً للعلاقة بين

الاحتلام والزواج . والأنثى فى المراهقة نادراً ما تحتلم ، ولا تزيد نسبة المحتلمات فى المراهقة عن ٢٪ ، فإذا تقدمت المرأة فى السن تزيد هذه النسبة حتى لتتراوح بين ٢٢٪ إلى ٣٨٪ فى السن بين الأربعين إلى الخمسين ، ثم تتدنى النسبة بعد هذه السن ، وكانت هناك امرأة واحدة فى عينة كينزى تجاوزت السبعين وكانت تحتلم . والعكس تماماً عند الذكور فقمة الاحتلام عندهم فى المراهقة ، فإذا قارنا ذلك بقمة الاحتلام عند النساء وهن فى السن بين الأربعين والخمسين فإننا سنجد أن هناك فرقاً زمنياً قد يصل إلى ثلاثين سنة .

والأنثى التى تحتلم تظل **معدلات الاحتلام** عندها ثابتة تقريباً من حيث عدد المرات فى السنة ، فإذا كانت تحتلم نحو أربع مرات فى السنة فقد يظل هذا هو معدلها طوال حياتها ما لم تكن هناك مناسبات او موانع تحول دون ذلك ، كأن تتزوج المرأة فيقل هذا المعدل وربما يتوقف الاحتلام نهائياً ، وربما تعود إليه المرأة المتزوجة فى سن الخمسين ، إذ ربما تقل كفاءة زوجها الجنسية فى هذه السن بالنظر إلى أنه يكون أكبر منها سناً وعندئذ تعود إلى الاحتلام كمنصرف جنسى ، وفى هذه السن أيضاً تكون قمة الاحتلام عند المتزوجة . وأيضاً فإن المرأة العزبة والتى ظلت كذلك قد تزيد عندها مرات الاحتلام بعد سن الأربعين ، وهى سن قمة الاحتلام عند العزبة ؛ فأما المطلقة أو الأرملة فسن قمة الاحتلام عندها هو الخامسة والخمسين .

أما **علاقة الاحتلام بالمستوى التعليمى** لكل من الأنثى والذكر فقد ثبت أنه واحتلام الأنثى قليل فإن مستوى تحصيلها التعليمى لا يؤثر فى كونها تحتلم أو لا تحتلم وذلك لارتباط الاحتلام كما ذكرنا بالتجاوب النفسى وهو ضعيف عند الإناث ، بينما يزكى التعليم مخيلة الذكر فيتجاوب بسرعة مع المؤثرات الجنسية بتأثير من عواطفه ومن ثم تأتيه كثيراً الأحلام الجنسية ويحتلم ، وبينما نجد أن طالب الجامعة يحتلم فى المتوسط أضعاف من لم يحصل على قدر من التعليم ، فإن طالبة الجامعة لا تأتيها الأحلام الجنسية التى تنتهى بالإنعاظ أكثر مما تأتى البنات اللاتى لم ينلن قسطاً من التعليم .

وللتدين علاقة بالاحتلام ، فالبنت المتدينة لا تحتلم بالنظر إلى أن الحياة التى تحياها تخلو من الإثارة الجنسية ، ومن ثم يكون نومها هادئاً .

وهناك اعتقاد بأن الاحتلام يخفف عن الذكور والإناث وطأة الجنس ، وأنه من المفيد لهما أن يحتلما طالما أنه لا يوجد منصرف آخر للجنس ، وكأن الاحتلام له وظيفة تعويضية . ولقد ثبت خطأ هذا الاعتقاد وذلك لأنه بالرغم من أن عدد مرات الاحتلام يزيد مع الامتناع الجنسى أو مع التعفف إلا أن هذه الزيادة لا تتناسب مع عدد مرات الجماع الذى كان يمارسه سجنين

قبل أن يسجن و يفرض عليه الامتناع الجنسي ، أو الذى كان يمارسه صائم قبل أن يصوم عن الطعام والجنس وكل الشهوات ، أو الذى كان لبغى قبل أن تتوب ، وهو ما يثبت بطلان الزعم بأن الاحتلام منصرف جنسى تعويضى وإن كان بالقطع يزيد مع الامتناع .

وما يهمنا فى الأحلام الجنسية عموماً وأحلام الاحتلام خصوصاً هو أن **موضوعها** جنسى ، ولأن الحلم ينتهى عادة بالإنعاظ فلابد أن يكون **الدافع** إليه جنسياً . ولقد ثبت كما رأينا أن الأغلب والأعم أن يكون الدافع إلى الحلم الجنسى **دافعاً نفسياً** . والحلم الجنسى دون بقية المنصرفات الجنسية لا تثريب على الحالم به أدبياً ، وهو غير مسئول عنه . وأكثر ما يكون موضوعه مشاهد غرامية وعلاقات جنسية . و بعض الأحلام الجنسية تأتى مزوقة بمعنى أنها تكون مضاجعة جنسية مباشرة دون رتوش ، حتى أن الحالم قد يقص حلمه فى الصباح فيقول حلمت إنى أضاجع امرأة واستيقظت وأنا أمنى ، أو قد يقول حلمت إنى أقبل فتاتى وأحضنها فأمنيت .

وتعكس الأحلام الجنسية تجارب الحالم الجنسية سواء كان أنثى أم ذكرا ، **ومن النادر أن نحلم أحلاماً لم تكن لها تجارب فى حياتنا** ، ولربما تكون هذه التجارب سماعية فنحب أن نخبرها عملياً ولا يتسنى لنا ذلك فنجدها فى الحلم الجنسى فكأنه يمثل **رغبة** فى تجربة جنسية . و يذهب فرو يد إلى القول بأن الحلم الجنسى يشير إلى وجود **رغبة مكبوتة** ، وربما كان ذلك صحيحاً إلى حد ما ، وخاصة أن معظم هذه الأحلام يكون الشريك فيها فى الفعل الجنسى وكأنه مجهول وغير محدد الهوية ، أو كأنه صورة عامة لشريك غير محدد الشخصية . ومن الممكن بتحليل الحلم وبمساعدة الحلم نفسه **تحديد شخصية الشريك** ، غير أنه أحياناً ما يكون المطلوب هو الفعل الجنسى نفسه بصرف النظر عن أنه مع شريك معين . والحلم بالصورة التى يأتى عليها يدل على حقيقة لا يمكن التنازع حولها وهى أن الحالم يريد بالحلم إشباعاً جنسياً ، و يندفع بتأثير قوى أكبر من أخلاقياته ومثله لتفريغ الشحنة الجنسية عنده تفريغاً فسيولوجياً مباشراً . والحالم فى الأحلام الجنسية المباشرة والتى يكون فيها احتلام لا يعنيه الشريك ولا العواطف بقدر ما يعنيه **التفريغ** ، ولذلك قد يحلم الحالم بأنه يضاجع فرجاً وكأن هذا العضو هو كل ما يعنيه فى الأنثى ، إلا أنه من ناحية أخرى فإن هذه الأحلام بالصورة الفجة التى هى عليها نادرة .

والحلم على أية حال يعكس نفسية وذهنية الحالم . والغالب أن الأحلام تأتى **صورة للثقافة** التى عليها الحالم ، والأحلام الجنسية كثيراً ما تكون مبهجة ، ونستطيع أن نعرف من خلفية الحلم ومن أحداثه المستوى الثقافى والانفعالى للحالم وفكرته عن الجنس وعن الجنس الآخر وتأثير ذلك على شخصيته وتفكيره وسلوكه . ولا شك أن الدافع الجنسى من الناحية البيولوجية دافع محورى تدور عليه الكثير من تصرفاتنا ، وهو لذلك يؤثر علينا نفسياً وفكرياً . وتأتى الأحلام الجنسية متوافقة مع نمط الشخصية .

وكثيراً ما تكون خلفية الحلم الجنسى حديقة أو ملهى ليلى أو شاطىء استحمام ، ولربما تركب الحالمة لعبة من ألعاب الملاهى أو حصاناً خشبياً أو حصاناً حقيقياً ، و يأتى الاحتلام مع نسمات الحديقة أو دفق ماء الشاطىء أو اندفاع الحصان الخشبى فى الملهى أو إسراع الحصان الحقيقى ، وذلك شيء يدل على أن الجنس غالباً هو متعة كهذا الحالم لشاب :

كنت على شاطىء البحر مرتدياً ملابس البحر، وكنت أسبح والماء يتدفق من حولى ، ورصدت البنات إلى جوارى وقصدت واحدة ترمقنى بنظراتها وحادثتها فطلبت منها موعداً وابتسمت ولم أعول على ذلك كثيراً وابتعدت عنها ولهوت بالماء قليلاً ثم عدت إليها وابتسمت من جديد فأخذت يدها فى يدى وسبحنا سوياً .

وإننا لنلاحظ أن الشاب يتردد فى إنشاء علاقة بالفتاة فبعد أن يحادثها وتبتسم يبتعد ولكن رغبته الجنسية تتصاعد بدليل أنه يحاول صرفها باللهو فى الماء ولكنه لا يفلح فيعود و يلامسها وكأن لهما غاية واحدة أو رغبة واحدة بدليل أنهما يسبحان معاً متلامسين إلا أنه مع ذلك ما يزال متردداً لأنه لا يقضى منها وطره .

وهذا الحلم لسيدة متزوجة كبيرة السن نوعاً ما ، وزوجها أكبر منها سناً ، وتحلم بأنها وزوجها ير يدان سيارة جديدة فيذهبان إلى معرض سيارات ولا ينبس الزوج ببنت شفة والزوجة تطلب سيارة والبائع يعرض عليها سيارة ذات طراز قديم ولكنها تشير إلى سيارة صغيرة وحديثة لها شكل غريب ، و يقول لها البائع أنها سيارة شبان ، وتصر عليها و يرضخ البائع و يركبها إلى جواره فتنطلق بضجة عاليه وسرعة فائقة ، وتحلم بأنها « كانت تطير بالسيارة فى شوارع فسيحة على جانبها خضرة ولا يوجد فيها أحد سوى نفسها فى السيارة وهذا البائع المجهول الذى لا تذكر شكله ، وكانت تلهث من شدة الفرح .

و واضح أن المرأة تتحسر على شبابها وتر يد أن تعود إليه ، وأن حياتها الجنسية مع زوجها غير مشبعة ، وهى تركب سيارة اللذة أو سيارة الشباب مع بائع وكأنه بائع الهوى ، مجهول ، وتنطلق رغباتها متحررة مع السيارة ، ولكنها رغبة محرمة فلا يراها أحد ، وهى رغبة لا تقوى عليها لكبر سنها ومن ثم فهى تلهث من شدة الإشباق ، ومع ذلك لا تنعظ وربما كان لهاثها لهذا السبب فهى تسعى للإشباع دون فائدة .

والسينما مكان يلهب الخيال و يرضى النزعات الحسية ، وهى مكان يمكن أن يكون خلفية للممارسات الجنسية ، وكثيراً ما يلتقى فيها العشاق و يكون داخلها ووسط الظلام والموسيقى المصاحبة والأحداث المتفاعلة التشابك بالأيدى والأحضان والقبل ، وكأنه مع هذه الملابسات تنحل الكوابت وتختفى الزواجر ولا تبقى سوى الشهوة الجنسية تطلب الإشباع كهذا الحلم لرجل متوسط العمر :

كنت فى حيرة من أمرى إلى أين أذهب ورأيت السينما وكانت أضواء الإعلان تخطف بصرى « الحرمان » وقطعت تذكرة وكانت البائعة صغيرة السن وتبتسم ابتسامة ونقدتها الثمن فى يدها وتناولت التذكرة وضغطت على يدها لتستبقى الباقى . ثم رأيت نفسى داخل السينما جالساً والفتاة البائعة إلى جوارى وأنا أضع ذراعى حول كتفيها وأقبلها بشدة ويدى الاخرى بين فخذيها واستيقظت وأنا أمنى .

وفى **الحفلات** يكون الجنس إذ الحفلات فيها الصخب ، والجنس صخب ، وصخب الجنس يقولون عنه إنه orgy، والكلمة أصلها سريانى وتوجد فى اليونانية واللاتينية واللغات الأوروبية ، وهى فى العربية الأرج ، تقول أرج الناس اضطربوا وضجوا ، وأرج بين الناس هيجهم ، كهذا الحلم لطالب جامعى :

حلمت كأنى فى حفلة الكلية ، وكان الطلبة والطالبات فى أبهى ثياب ، والزينات معلقة فى القاعة الكبيرة ، والزحام شديد والاحتكاك بيننا قائم والدنيا حر وخرجت إلى الهواء بالخارج وجلست على الخضرة والضوء خافت والموسيقى تأتينى بعيدة بعض الشىء ، ثم رأيت كأن كل طالب أخذ طالبة وافترشا الحشيش يمارسان الحب .

وقد يستحث المناخ نفسه الأحلام الجنسية ، أو تكون الأحلام الجنسية على خلفية من مناخ مثير جنسياً كهذا الحلم :

وجدت نفسى فى سريرى ، وكان الوقت قرب الفجر ، والدنيا برد ، وأنا أشعر بالبرد فأغطى نفسى بالبطانية وتتقارب أعضائى وأحس الدفء ، وفجأة تشرق الشمس وتملأ الحجرة بالنور والدفء فأمنيت .

وهذا الحلم لفتاة يمثل التغير فى الطقس تغيراً فى عواطفها :

حلمت وكأن خطيبى جاءنى وخرجنا للنزهة ، وكان الوقت صيفاً والدنيا حر ، ثم بدأ يغازلنى وكنت أكره منه ذلك ، وشعرت أن الحرارة بجسمى كله حتى ليكاد يلتهب ثم أحسست برجفة تشملنى وكنت أهتز بشدة ، وفجأة وجدت الدنيا تتغير والشمس تختفى والريح تهب والبرد يشملنى .

والفتاة تتهيج ، ورغم أنها تكره ما يعتريها فى التهيج إلا أنها تستسلم له حتى ليكاد يقضى عليها وتنفعل به بشدة ، والهزة هى هزة الإنعاظ ، وبعد أن تنعظ تشعر أن كل شىء قد تغير وربما لأن شعور الكراهية لما فعلت هو الذى يسود الموقف برمته .

وإذا كان المناخ يرمز للشهوة مثلما ترمز لها الريح العاصفة وهبة النسيم وغياب الشمس أو شروقها وسقوط المطر والبرد أو الاحترار بالجو ، فإن الموقع أو المكان هو أيضاً من الرموز الحلمية

الجنسية ، فالشهوة العارمة قد تمثلها الطبيعة على سجيتها دون اعتمال من إنسان كأن يقوم الحلم بين الحقول أو عند شلال ماء ، والحرمان الجنسي قد تناسبه الصحراء ، والحب المتقد قد ترمز إليه وردة حمراء ، كهذا الحلم الذي لشاب مثقف تلعب الثقافة دوراً فى ترقيق مشاعره بحيث يأتى الحلم رومانسياً :

حلمت كأنى وفتاتى نجتاز صحراء جرداء ، ومن بعيد تمثلت لنا نخلات باسقات ، واقتربنا منها واخترت منها نخلة جلسنا تحتها ، ومددت يدى وقطفت بلحة وأعطيتها لحبيبتى فكانت تلوكها وتقول إذن فنحن قد تزوجنا الآن فأقول وستلدين حالاً بنتاً جميلة .

والحلم تختلط فيه الثقافة الدينية (مريم وميلاد النبى عيسى تحت النخلة والرطب والتّقوى به) بالثقافة الجنسية حيث النخلة رمز للقضيب ، فتسأل الفتاة وإذن فقد تزوجنا الآن ، ولولا أنه انتصب فى الحلم لما حلم بالنخلة ، والصحراء التى اجتازها هى المعاناة من الحرمان فى اليقظة ، والشباب . وعند ابن سيرين السلم بخلاف ذلك ، فصعوده الترقى فى المنصب وهبوطه فقدان للمنصب أو خسارة فى تجارة . ونحن هنا نتحدث عن الأحلام الجنسية التى تنتهى بالإنعاظ ، وهذا الإنعاظ المترافق مع الصعود والهبوط هو الذى نفسره هذا التفسير الجنسى ، وأما فى الأحلام الأخرى غير المترافقة بالاحتلام ، فالحلم يفسر على حسب تفاصيله ، و بالإحالة إلى أحلام أخرى للحالم ، و بالنظر إلى الحالم نفسه وما يراه فى حلمه أو ما يثيره فيه ، وقد يكون من ذلك ما ذهب إليه ابن سيرين . وهذا الحلم الجنسى الذى نسوقه لا يمكن أن يفسر بطريقة ابن سيرين :

حلمت أنى أطارد فتاة وأقتفى أثرها صاعداً سلماً حلزونياً ، ولحقت بها على بسطة عريضة فضاجعتها .

وفى أحلام أخرى من هذا القبيل قد يمنى الحالم وهو يصعد الدرج ، والمرأة قد تحلم بالسلالم يطول صعودها وترتفع بها وتنخفض وتنمّط ، ومع أن السلالم وصعودها ترمز للجماع إلا أنها فى هذا الحلم ترمز أيضاً لقضيب الذكر الذى يبدو لها وكأنه « تنمّط » .

وهذا حلم لشاب اكتشف أنه مريض بالقلب ولم يعد يمارس مضاجعة زوجته خوفاً على صحته فكان حلمه كالتالى :

حلمت أنى أصعد سلماً ، وطال صعودى حتى تعبت وانتابنى الخوف ، وأخيراً وصلت فوجدت حجرة بدت كأنها حجرة نوم ، وعثرت على السرير برجل وامرأة يتضاجعان فانصرفت وأنا أشعر شعوراً غريباً .

والرجل الذى يضاجع المرأة هو نفسه المريض وزوجته ، ولكن لأنه يخشى الجنس فقد حلم بنفسه وكأنه شخص آخر ، وكأنه يتأمل هذا الشخص و يشعر لذلك بالغرابة . ثم إنه يعلم أنه

سيتعب ولذلك يقول إن الصعود « أتعبني » وهو يريد بذلك أنه « يتعبه » ولذلك يكون المشهد التالى الذى يرى فيه الآخر يضاجع ، وكأنه بذلك يرضى نوازعه بطريقة غير مباشرة نشبعها وتطامن من خوفه على نفسه .

و يتأثر الناس فى البيئات المتدنية بما يقال عن الغرائز الجنسية أنها حيوانية ، و يسلك الكثيرون بحيث يطامنون من هذه الغرائز الحيوانية ، ومن ثم فقد تدافعهم شهوتهم وتجعلهم الصراعات الجنسية يحلمون بحيوانات مسعورة جنسياً ، وهذا التصوير للشهوة الجنسية بالحيوانات يقال له **التحويل الحيوانى** theriomorphy ، كما يقال للأحلام التى تشتمل على حيوانات من هذا النوع الشهوانى **أحلام الشهوة الحيوانية** theriomorphic dreams ، ومنها نوعان ، الحيوانات المدجنة كالكلاب والقطط والخيل والحمير والخراف والماعز والبقر والجاموس ، والحيوانات المفترسة . و يغلب فى الأحلام أن تجئ الحيوانات مدجنة ، وتكثر فى الريف الأحلام التى فيها الحيوانات من نوع البقر والجاموس والحلم هذا بمثابة الفرج للحالم أو الواحة لمن يجتاز الصحراء ، وهو يحلم بأن تكون له فتاة جميلة ترفع عنه هذا الحرمان .

والحلم كالكاتب ، فقد يريد أحياناً أن يضفى على الجو العام صفات تزيد من حدة المشاعر ، **فمثلاً** فى قضية الملك لير عمد شكسبير إلى أن يجعل العاصفة تهب فكأنه ينذر بما سيحدث من بعد ، وكذلك الحلم فقد تصور العواطف الملتهبة أو الانفعالات المتأججة بمصاحبة العواصف المزمجرة والشمس الحارقة والفيضانات الجارفة والزلازل المدمرة ، وقد يرى الحالم نفسه فى حلم وكأنه ينظر من حالق صخور مرتفعة إلى البحر المضطرب أسفله ، و ينتهى حلمه بالإنعاظ .

والسيارة وسيلة احتلام ، وهى قد تصور فكرة الحالم عن القوة والقدرة لأن من يقودها و يسرع بها وكأنه صاحب سلطان يتحكم مطلقاً فى هذه الآلة العجيبة ، وقد ترمز السيارة إلى الطاقة الجنسية كما فى هذا الحلم :

كنت أقود سيارة أمريكية جديدة ذات سقف متحرك ، وأحاول أن أنزل السقف ولكنى لم أستطع بسبب عطل فى آلة الإنزال . وقدت السيارة فى طريق عمومى ووجدت نفسى فى زحام المدينة وتوقفت وهنا شعرت أنى أمنيت .

وقد يصور الحلم الدافع الجنسى باعتباره سيارة تشتعل فيها النار أو تصطدم بإشارة مرور أو تتعطل بها الفرامل أو تنحرف عن الطريق وتصطدم بشيء . وقد يحلم المحتلم بأن غطاء الموتور قد ارتفع من تلقاء نفسه وتعرت الماكينة وكأنها ستطير منخلعة كهذا الحلم :

عندما حدث ذلك قفزت إلى الغطاء وحاولت إنزاله وأفلحت فى أول الأمر ثم خارت قوتى وغلبنى الغطاء . وكنت أجاهد فى معركة خاسرة وقبل أن تنخلع الماكينة استيقظت .

ومن الواضح أن الحالم كان «يجاهد معركة خاسرة» لئلا ينتصب ويمنى . وكان يخشى الشهوة الجنسية وكان لا يريد أن يستحم فقد كان الوقت شتاء .

وأيضاً قد تكون **الطائرة** رمزاً للجنس ، فهى بالإضافة إلى أنها وسيلة قوة وترمز للقوة والميل إلى السيطرة فإنها تثير خيال الراكب وتستثيره جنسياً ، والسرعة فى الطائرة تماثل العملية الجنسية ، وهى تبدأ وتتقد ثم تخبو وتنطفئ . وبالمثل فإن أية آلة قد ترمز إلى الجنس . ونحن نسمى عضو الذكورة فى الرجل آلة الرجل .

والسلالم ، والصعود عليها والهبوط ، فيه تماثل مع الجنس ، وفعل ذلك متعة ، بدليل أننا نلاحظ أن الأطفال يحبون ذلك كثيراً و يستمتعون بالصعود والهبوط و يتنافسون فيه وكأنهم يتنافسون وهم يجربون أنفسهم فى الاستمناء باليد . وهناك الكثير من أحلام السلالم عند الكبار والخراف والماعز والحمير ، كما تكثر فى المدن أن يحلم المراهقون .. إلخ بالكلاب والخيل . وقد تكون هناك أحلام فيها طيور . والحصان من أبرز الحيوانات التى يمكن أن تحلم بها النساء خصوصاً بالنظر إلى شهرته من حيث القوة الجسدية والجنسية وضخامة آلته الجنيسة وإشباقه العنيف الذى قد يرضى مخيلة البعض والهوس الجنسى عندهن . ولعل خير تشبيه لجموح الشهوة بالحصان ما ذكره أفلاطون فى فيدروس Phaedrus حيث يقول إن عربة المحبة يجرها حصانان ، أحدهما وديع لطيف والآخر شرير جامع ، والجموح قد يعنى أن ينزو المحب على الحبيبة ، ولو كان ذلك ضد الشرف والفضيلة وكل القيم . وليس أجمل من هذا الجزء من عبارات أفلاطون التى يصور بها الصراع بين الإقدام الشهوانى والإحجام بدافع من الإرادة العاقلة . ونادراً ما يأتى الحصان فى الأحلام ليصور الفضيلة أو العقل ولكنه يأتى حيواناً جامحاً شهوانياً . والحصان يصور الذكورة بحجمه وطاقته وجرأته واندفاعه . ومن رأى البعض أنه يظهر فى أحلام النساء ضعف ظهوره فى أحلام الذكور . ولعل الإثارة للمناطق الجنسية عند الرجل والمرأة أثناء امتطاء الخيل هى إحدى متع ركوبها ، وهناك شبه بين حركة الحصان الهابطة والصاعدة والعملية الجنسية ، وهناك أحلام لمرضى بالفصام كان فيها المريض يصهل كالحصان وهو ينعظ ، وقد تحلم المرأة بأنها تركب الحصان من بطنه بدلا من ظهره بالنظر إلى وضع المرأة السفلى أثناء الجماع . والنساء يحلمن كثيراً بالخيل باعتبار أن الحصان يهاجم المرأة فى الحلم و يوحى ذلك بأنه يغتصبها كهذا الحلم لفتاة :

حلمت أنى كنت أسير فى حديقة ، وكنت سعيدة كل السعادة ولكننى كنت كمن يتوقع حدوث شىء . وفجأة ظهر حصان به بياض وسواد وتقدم نحوى وحطم السور الذى أمامى ثم أركبنى فوقه وانطلق .

والسور فى الحلم قد يعنى فكرة الفتاة عن غشاء البكارة وأنه المعوق عن استمتاعها بالجنس ،

والحصان الذى به بياض وسواد يشير إلى المفهوم الذى عندها عن الجنس من أنه خير وشر ، أو لذة وألم ، ولعل افتضاض البكارة ، وهو الافتضاض المتوقع ، هو من ذلك الألم ، ولعل وضعها العلوى على الحصان هو ميل ذكورى عندها يجعلها تقبل الجماع لو أنها كانت هى فى الوضع العلوى .

والسباحة رياضة مثيرة جنسياً ، ولذلك لن يكون غريباً أن ترتبط السباحة بالجنس فى الأحلام الجنسية ارتباطها فى اليقظة . وقد تأتى أحلام السباحة جنسية صريحة أو قد تأتى رمزية . وقد تحلم المرأة أنها فقدت خاتمها وهى تسبح وذلك يسبب لها حزناً هائلاً . وقد ترمز الخواتم أحياناً لأعضاء المرأة التناسلية بما يوحى أن الحلم يكشف عن أنها فقدت بكارتها . وهذا حلم لشاب يشبه الحلم السابق سوى أن الفتاة تخشى أن تفقد حافظتها بدلا من الخاتم :

كنت على الشاطئ مع فتاتى ، وكنا نسبح ثم جلسنا على الشاطئ ، وكانت فتاتى قلقة على حافظتها وظلت تقول إنها تشعر أنها ستفقد حافظتها على الشاطئ .

والحلم يعكس رغبة الشاب وإنما يقلب ذلك ويجعلها مخاوف للفتاة ، وهو يريد أن يفتض بكارتها على الشاطئ ولكنه يخاف المغبة فيجبن ومن ثم ينسب نكوصه إليها و يقول على لسانها هى أنها تخشى أن تسلب عذريتها على الشاطئ .

وهناك فكرة أن العمال والفلاحين والصعايدة أكثر فحولة جنسياً بالنظر إلى أنهم ما يزالون على الفطرة ، ومن ثم فقد تحلم السيدة من الطبقة الراقية أن سائقها أو الميكانيكى أو البستانى قد اعتدى عليها واغتصبها ، و يشبه هذا الحلم فى رواية « عشيق الليدى شاترلى » للورنس .

والأحلام من هذا النوع هى **أحلام اغتصاب** تعكس رغبة الحالمة أن تعيش قصة حب جنسى عنيفة يكون فيها الرجل هو المسيطر عليها و يكون أخذه لها عنوة ، وهى ميول ماسوشية عند بعض النساء تحب فيها المرأة أن تشعر أنها الضحية . وكثيراً ما نسمع فى الواقع أن نساء من هذه الطبقة مات عنهن أزواجهن فتزوجن وكيل الأعمال أو خولى العزبة . والفكرة السائدة أن الرجل البسيط أو البنت البسيطة من الطبقات الدنيا بها فحولة جنسية ليست فى رجال أو بنات الطبقات الموسرة ، وهناك كثير من الأحلام لأناس من هذه الطبقة الأخيرة هى أحلام جنسية صريحة يكون فيها الخادم مضاجعاً للسيدة أو الفتاة ، وقد يهولها ذلك فى الصباح ولكنها لا تملك إلا أن تعترف بأنه كان يفعل ما يفعله بفن ودراية وقوة . وهذه الفكرة نفسها موجودة عند الرجال عموماً ، وهناك العديد من النكات عن الصعايدة والعمال والفلاحين تصور فحولتهم ، ولربما يصور هذا الحلم ما سبق أن قلناه :

حلمت إنى جالس فى حديقة وزوجتى ، وكانت زوجتى تقرأ كتاباً ، وغير بعيد بستانى صعيدى يعمل بجد فى الأرض ، وكان رافعاً لملابسه و ينحنى على نباتاته فتبين

عورته وكانت ضخمة وخجلت وقلت إن رفعت زوجتي عينيها عن الكتاب ونظرت ناحيته فسأنهض وأعلمه الأدب ولكنها لم تفعل وانتهى الرجل من عمله وانصرف .

وتحليل الحلم بسرد صاحبه يكشف عن أن الزوجين لم ينجبا ، وكان السبب من الزوج ، وكان يقول فى نفسه أنه ناقص الرجولة وإلا لكان قد أثبت رجولته وأنجب .

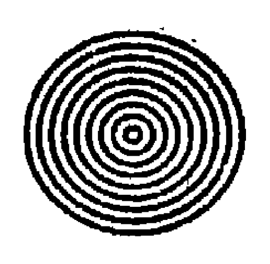
والحلم الجنسى كما ذكرنا قد تدفع إليه حاجات بيولوجية تريد الإشباع ، أو حاجات نفسية لها ارتباطاتها بديناميات شخصية الحالم . والفرق فى المفاهيم الجنسية عند الناس يجعل هناك فروقاً فى الأحلام من حيث الموضوع والأهداف والطريقة كهذين الحلمين :

حلمت بأن صديقة أختى جاءت إلى بيتنا ودقت الجرس ففتحت لها وكنت وحدى وابتسمت لى وسارت أمامى تتلفت خلفها نحوى فتبعتها فتوجهت إلى الحمام ودخلت وأغلقت الباب خلفها ففتحته ودلفت فأمنيت واستيقظت وأنا أمنى .

وذلك حلم مباشر وجاف وكأن الجنس عبارة عن إمناء يحدث فى مكان التصريف الفسيولوجى وهو الحمام ولا شىء غير ذلك ، على عكس الحلم الثانى :

حلمت أنى ورفيقاتى وكنا نلهو ذهبنا إلى الشاطئ ، وكان الجو صحواً فبقينا بأردية لاستحمام وهرعنا إلى الماء ، وكنا ننثر الماء على بعضنا ونضحك ، وفجأة انقلب الجو واختفت الشمس وغامت السماء وارتفع الموج وسعينا إلى الشاطئ ولكنى كنت كأن الموج يقذفنى إلى داخل البحر وكدت أغرق وصحت ولم أتبين إلا وشاب مفتول العضلات يحملنى ويضرب الماء بقوة وأنا شبه مغمى علىّ ورأسى يدور ، والشاب يسبح بقوة ويحتضننى إليه وكأنه قد فعل ذلك لساعات وما عدت أخاف شيئاً وكأنى أريد ذلك أن يطول للأبد ثم استيقظت .

وهذا الحلم السالف يدل على خيال صاحبته وذوقها الفنى ، فالجنس لا يتم عندها فى الحمام ولكنه على خلفية طبيعية كأنها بانوراما عريضة من مشاهد متعاقبة تصور فى تتابع انفعالاتها وعواطفها وتعكس العملية الجنسية ولكنها تعكسها فى تصور جمالى أخاذ ، وليس ذلك الاختلاف فى الصورة الحلمية بين الحلم الأول والحلم الثانى إلا لأن مفهوم الجنس عند الحالمين مختلف . والجنس كأى موضوع آخر يمكن أن يأتى فى الأحلام على أى صورة بخلاف ما ذكرنا ، ولكننا بتحليله نستطيع أن نتبين توجهات الحالم وثقافته وميوله وأفكاره . والحلم الجنسى أو غير الجنسى نعرف منه كل ما سبق من مفاهيم وذلك يعيننا على أن نفهم سلوك الفرد سواء فى الحلم أو فى الحياة ، لأن مفهوم الجنس أو أى مفهوم هو الذى يحدد السلوك وليس العكس .



« كيـــف تفســـر الأحـــلام »

من المستحيل أن نتعرف إلى الكاتب من قصة وحيدة كتبها ، أو مسرحية فريدة لم يكتب غيرها ، ولكنه من خلال قراءة عدة قصص أو مسرحيات لهذا الكاتب نستطيع أن نلم باتجاهاته وأسلوبه والمفاهيم العامة عن الحياة وأفكاره المختلفة وتصوره للإنسان فى مختلف مواقفه . وهكذا الشأن فى الأحلام ، فبالإمكان أن نفسر الحلم بمساعدة صاحبه ، ولكننا لو جمعنا عدداً من الأحلام لنفس الشخص سنتنبه إلى أن هناك أشياء بعينها تتكرر فيها ، وجواً عاماً يسودها ، وشخصيات لها صفاتها ، وأماكن يتردد عليها ، ولو وصلنا بينها جميعاً فالأرجح أن يأتى تفسيرنا لأحلامه فى هذه الحالة أقرب إلى الصحة مما لو اكتفينا بالحلم الواحد .

وعند وجود عدد من الأحلام للشخص يمكن عمل مقارنة بينها ، و بيان المتماثلات فيها والمتغايرات ، وأن نربط بينها ، ونجرب ذلك عدة مرات حتى تتضح لنا مناسبة هذا الجزء من الحلم مع ذاك الجزء من حلم آخر ، وكأننا أمام لوحة من القطع الصغيرة ، تلصق القطعة من هنا مع القطعة من هناك لتصنع جميعها صورة كلية ، ونقارن تفسير كل حلم على حدة فى ضوء الصورة الكلية المتحصلة ، فما لم يكن التفسير متعارضاً معها فهو تفسير صحيح ، وإذا تارض معها نعتبره تفسيراً خاطئاً فنجرب تفسيراً غيره .

و بعض مجموعات هذه الأحلام من فرط تفسيرها لبعضها البعض لا تحتاج لكبير إعمال لتأو يلها وتسمى لهذا السبب **أحلاما مكشوفة** bareface dreams فهى تفسر نفسها ، ونبدأ بها لننفذ إلى عقل الحالم ، وهى **أحلام كاشفة** spotlight dreams لأنها تكشف غيرها من الأحلام العسيرة على الفهم والتفسير ، وعندما نهم بتحليل أحلام أى

شخص نبدأ بالبسيط منها ونسير إلى المركب بخطوات وئيدة إلى أن يكشف أشد الأحلام غموضاً عن لثامه و يفصح عما فيه من رسالة يضمها بين رموزه وأحداثه . فمثلاً هذه السلسلة من الأحلام لفتى فى الثامنة عشرة أحب بدون أمل لصغر سنه وعجزه عن أن يتزوج ، وكانت تجربة الحب هذه هى الأولى له ، وهو يفكر فى فتاته بالليل والنهار ، ففى النهار يتخيلها إلى جواره فيما يسمى **أحلام اليقظة** ، وفى الليل يحلم بها أحلام الليل هذه :

حلمت أنى فى مكان فسيح والأضواء الغامرة من حولى والناس فى زحام وكأننا فى عرس ، وكانت هناك الكثير من البنات وكنت ألاطفهن وألاعبهن ونضحك ، وانحنت واحدة وقبلتنى فسعيت خلفها وتماسكت منا الأيدى وكنا فى غاية النشوة حتى أننا ما درينا بمن حولنا ، وكأننا صرنا فى السحاب ، وكنا نقبل بعضنا البعض ونحتضن بعضنا البعض .

والحلم كما هو واضح من **الأحلام الراغبة** التى تحقق أمنية تجيش بنفس صاحبها وتدغدغ حواسه وترضى نزعته الجنسية ولكنها تتوقف دون كمال الإشباع . وليس ذلك كل شىء فلنلاحظ أن الفتاة هى التى تنحنى وتقبله ، وكأنه يتلقى هو الحب ، وهو سلبى كما نرى ولولا أنها التى فعلت ذلك ما سعى خلفها . وإليك هذا الحلم الثانى :

كنت أقود سيارتى فى طريق مفتوح مسرعاً ، وفجأة رأيت فتاة تقف مشيرة لكى تركب ، وحاولت أن أوقف السيارة ولكن قدمى ما كانت تجد الفرامل ، وبحثت عنها كالمجنون وكأنما اختفت ، وفجأة رأيت فتاتى ، نعم فتاتى هذه المرة ، وحاولت أن أوقف السيارة وفجأة وجدت الفرامل فى مكانها ووقفت .

والسيارة فى الحلم هى الطاقة الشهوية للحب ، وقوتها من قوة هذا الحب ، والفرامل ترمز للقدرة على السيطرة على الدوافع الجنسية . وعندما يرى الفتى الفتاة الأولى تدير رأسه و يندفع فى اشتهائها حتى ليفقد القدرة على أن يتحكم فى اندفاعه ، ولكن فتاته تظهر له ، وظهورها ليس على الطريق ولكنه ظهور من فراغ ، فكأنها ظهرت له فى خواطره ، أى أن خواطره اتجهت إليها وهو فى قمة انفعالاته ، وحينئذ فقط صارت الأمور فى نصابها وعثر على الفرامل ، أى أنه وجد نفسه بعد ضياع . والمعنى الذى يريد الحالم أن يقوله أن فتاته كانت بمثابة المرفأ له من حياة عابثة سابقة ، وأنها ضميره فهى المنجى له من الإنحدار الأخلاقى ، وكلما هم بفعل قبيح كان خاطر فتاته هو المنقذ له والكابح لجماح عواطفه .

وفى هذا الحلم يلعب الحالم دوراً إيجابياً أكبر من دوره فى الحلم السابق ، فهو يقود سيارة ، ومع ذلك فالفتاة فى الحلم هى بمثابة الكابح لدوافعه الجنسية وليس الكبح من داخله هو . وفى هذا الحلم الثالث سنرى أن الجنس يظهر فى رمز السباحة فى حمام عميق .

حلمت أني ذهبت أسبح فى حمام له مغطس عميق لم يحدث أن سبحت فيه من قبل . وخلعت ملابسي ووضعتها على رصيف المغطس وسبحت ما شئت من السباحة ، وخرجت من الماء أبحث عن ملابسي فلا أجدها . ورأيت فجأة إحدى الفتيات تمسك بها وتشير إلىّ لكى أسير إليها وآخذ ملابسي ، وعندما توجهت إليها أخذت تعدو وأنا ألاحقها إلى أن بلغت كهفاً وضعت فيه الملابس واختفت .

والتجرد من الملابس فى الأحلام قد يعنى التجرد من الأخلاق وأن يبدو المرأ مفضوح المقاصد . والفتى يتجرد و يسبح و يعنى ذلك أنه غارق فى الجنس ، فإذا سعى إلى ما يستره لم يجد الملابس ووجدها فى يد فتاة تومئ إليه كالحلم السابق ، أى أنها البادئة وليس هو البادئ . وإننا لنلاحظ أن الكثير من الأحلام لأشخاص بعينهم تكون كأن الأنثى هى البادئة ، وهى الغاو ية كما فى الحلم التالى :

حلمت أني وخطيبتي نجلس متجاورين فى بيتها . وفجأة مالت علىّ ومدت يدها إلى جيبى وأخرجت منه مسدساً ناولتنى إياه طالبة أن أضربها بالرصاص ، وفزعت ، وكانت تلح ، فنهضت متجهاً إلى الباب أهرب من الموقف ولكنها سعت خلفى تستحلفنى أن أقتلها بالمسدس ، وكنت أعلم أن أمنيتها الوحيدة أن أقتلها بالمسدس فعلاً ، فأمسكته مصوباً عليها وأطلقت رصاصة وبدأت أضحك .

وتبين من التحليل أنه لم يحدث أن طلبت منه فتاته أن يقتلها ، ولم تكن تفكر فى الانتحار ، وإنما الحلم من النوع الجنسى ، والمسدس آلة تشبه ذكر الرجل ، والفتاة فى رأيه من النوع اللعوب ، وقولها اضربنى بالرصاص يعنى « اغو ينى » أو « فض بكارتى » . والحالم يفزع لقولها ، ثم إذا أطلق الرصاصة ضحك ، والفزع والضحك المتلازمان نوعان من التقلب بين درجات التلذذ وليسا من القتل فى شيء ، والقاتل هنا يفزع ثم يضحك لأن فزعه غير حقيقى ، والفزع الحقيقى فى مشهد الغواية الحقيقى عند النبى يوسف ، حيث تحاول امرأة العز يز أن تغو يه فيفزع . والضحك يلزم بعد الفزع عندما يكتشف المفزوع من بعد أنه لم يكن ثمة ما يفزع فيضحك من نفسه ومما كان منه . والمهم فى هذا الحلم أيضاً أن الفتاة هى التى بيدها المبادرة وأنها التى تقوم بدور الغواية .

فماذا تقول هذه الأحلام المتتابعة والتى تتكرر فيها فكرة واحدة كما رأينا . والتفسير أن هذا الحالم إنسان يشكو الجوع الجنسى ولكنه لا يستطيع أن يقوم بنفسه بإشباع جوعه الجنسى بأن يسلك السلوك الإيجابى الذى يحقق له ذلك ، فهو ينتظر دوماً الخطوة الأولى من الطرف الآخر ، وكأنه يخشى تأنيب الضمير فيترك المسئولية للطرف الآخر وكأنه هو نفسه المعتدى عليه والضحية .

وفى الحلم التالى سنرى له مفهوماً آخر عن الجنس :

كنت أسير على الشاطئ وأوغلت فى السير، وفجأة اكتشفت أني وحيد ولم أدر أين أنا ، ولم أعرف كيف أعود ، كأنى قد ضللت الطريق ، وصرت متحيراً أضرب أخماساً فى أسداس ، وعندئذ وجدت قدمىّ تغوصان فى الرمال ، وحاولت أن أنتزعهما دون فائدة . كنت أغوص بسرعة فى الرمل ، وفجأة ظهرت فتاتى ومدت إلىّ يديها وانتزعتنى من الحفرة وأنقذتنى .

إن الجنس قد يراه البعض بمثابة السقطة والهوة ، وذلك يعنى أن الجنس ضلال وخطيئة ومن عمل الشيطان . وفى هذا الحلم تلعب الفتاة دور المنقذة وهو عكس أدوارها السابقة كغاوية تغريه وتغويه فينصاع لها ويخضع لأهوائها ، ومع ذلك فدور المنقذة مثله مثل دور الغاوية كلاهما يعنى أن المبادأة فى يد المرأة ، لو شاءت لكانت المنجية ولو شاءت لكانت المضلة ، وهى فى كل الأحوال الفاعلة وذات الشخصية القوية . والحالم هذا رأيه فى المرأة أو فى النساء أنهن صنف أقوى شخصية من الرجال . وهذا الحالم يشكو دائماً من أنه والغ فى الجنس ، وأنه قد ضل الطريق ، فهو لا يعرف الطريق إلى بيته ، فلقد باعد هذا الطريق الذى تنكبه بينه وبين أهله ، أو أنه « ضل » ، وتلك فكرته عن الجنس ، وهى فكرة الكثيرين فى هذا السن فى المراهقة ، وهى الفكرة التى تسبب للكثيرين آلاما نفسية و يترتب عليها وهن نفسى وتهافت فى الشخصية ، وقد ينشأ عنها اضطرابات تلحق أبلغ الضرر بأنا المراهق .

والقلق الذى يعيش فيه هذا الحالم والذى يدفع عنده إلى كل هذا الزخم من الأحلام يجعله فى هذا الحلم المكمل يطلب العون ولكنه فى هذه المرة يطلبه من زميل وليس من امرأة :

كنت كأنى على الشاطئ وكأنما شيء يشدنى إلى الماء فأدخل فيه حتي وجدت الماء يغمرنى وأنا أحاول السباحة دون جدوى والماء يكتنفنى من كل مكان فأصرخ بكل قوتى طالباً النجدة وألمح زميلاً لى منذ الدراسة وكان كثير المعاكسة لى ولم أكن أحبه حقيقة ، ورجوته أن ينقذنى ولكنه كان يضحك منى فى شماته ، وكلما صرخت كلما زاد ضحكه وجلجل ، وخارت قوتى وأحاط بى الماء ، وكنت أسقط بسرعة والظلام يزداد وكان آخر ما أعيه ضحكة هذا الزميل المنفرة الشامتة .

ولنا أن نتساءل : ينقذه من ماذا ؟ لو عرض علينا هذا الحلم وحده دون بقية الأحلام ما خطر فى بالنا الجواب ، ولكن طريقة تفسير الحلم فى ضوء الأحلام الأخرى و بالربط بينها يعطينا الجواب ، فهذا الفتى يشكو من إنغماسه فى الجنس ، ويحاول أن يلقى بمسئولية ضلاله على غيره ، وهو فى هذا الحلم يحاول أن يطلب النجدة من شخص يعرفه منذ زمن ولكن هذا الشخص يخذله ، وهو ذكر ويخذله ، والمرأة فى الحلم السابق لم تخذله وتطوعت لنجدته دون سؤال منه .

وفكرة الحالم عن الذكور سيئة ، وهو قد عانى منهم مند أن وعى الحياة ، فهذا الشخص زميل قديم من أيام الدراسة ، وأيام الدراسة حافلة بالمشاجرات مع الأنداد والتحالفات والمخاصمات ، و يبدو أن ذكر ياته مر يرة ، وهو لا يثق فى الرجال من نوعه ، وعنده أنهم غلاظ القلوب حقراء ، بينما الشهامة والنجدة فى النساء . فماذا يحدث لو ظهر له فى أحلامه أشخاص من النساء والرجال ؟

حلمت أنى أسير وخطيبتى فى شارع خال ، وكنا نتحدث فى غاية الانسجام ، وفجأة ظهر رجل وأخذت خطيبتى تتحدث معه وتركتنى ، وحاولت أن ألفت انتباهها لى ولكنها كانت منهمكة فى الحديث معه فلم تعرنى التفاتاً ، وجزعت وركبنى الهم وفكرت أن الرجل سيسرق منى خطيبتى فبحثت عن حجر أضربه به ولكن هيهات . كان لا يتأثر بالضرب وأنا أحاول ولكنه صامد حتى شعرت بأنى عاجز ولا حول لى ولا قوة ، وعندئذ التفتت لى خطيبتى وأخذت بذراعى وانصرفنا .

وفى هذا الحلم يثبت الحالم أنه عاجز ولا حول له ولا قوة ، وهو يضرب ذكورته فى ذكورة الآخر فيبرهن على أنه ليس رجلاً كالآخر ، وأن ذكورته لا شىء فضربه للآخر لا فائدة منه ، فهل كان ما يشكو منه هذا الفتى العجز الجنسى ؟ أو حتى النقص الجنسى ، بحيث لا يستطيع أن يدخل فى منافسة على فتاة مع ذكر آخر ؟ هذا هو ما سنحاول أن نلم بالإجابة عليه من الأحلام التالية :

حلمت أنى وفتاتى نجلس فى بيتها وقدم أبوها ورمقنى طو يلاً وكانت معه سيجارة أخذ منها نفساً طو يلاً نفخه فى وجهى ونفض السيجارة فوقى فغضبت وصرخت وهو يضحك ثم ركلنى ومشى .

والفتى لأنه صغير السن لا يستطيع أن يتزوج و يعول أسرة ، و يبدو أن الأب لا يحبه ويهزأ به ، ونفخ السيجارة فى الوجه من ذلك وكذلك نفضها عليه ، وهو لا يفعل إلا أن يصرخ كالطفل بدلا من أن يهب مدافعاً عن نفسه و يزود عن كرامته . و يبدو أن هذا الضعف يسيطر عليه ولكننا لا نجده فى كل أحلامه :

حلمت أنى أوصل فتاتى إلى بيتها وكنت أقبلها مودعاً عندما ظهر أبوها وطلب منى بعنف أن أنصرف ، ورفضت فدفعنى بقوة فما تمالكت نفسى ورفعت حجراً ضربته به فسقط على الأرض وهربت مع فتاتى .

وفى هذا الحلم نجده يضرب والد الفتاة التى يريد أن يتزوجها ، ولا يمكن أن تكون كل هذه الأحلام حول والد الفتاة إلا لأن الحالم قد اتخذ موقفاً معادياً منه ، وهو موقف يتصرف فيه

كالطفل وليس تصرف الرجال المسئولين ، وواضح أن « أناه » ضعيف وطفولى ، ورغم ذلك فضربه للرجل يفلح لأنه يشعر برغم ذلك أن موقفه أفضل لأن الفتاة تحبه وتريده زوجها ، وهى نقطة محسوبة له على الرجل ، إلا أنه يهرب بعدها .

وفى الحلم التالى يتعرض للاعتداء من والد الفتاة إلا أنه يحتمى فيها وتموت الفتاة عنه :

كنت مع فتاتي وظهر الأب وكان بيده مسدس وطلب مني الانصراف فثارت ابنته عليه ووقفت بيني وبينه ، وهددني الرجل ، فتعلقت به ابنته تحميني ، وانطلق الرصاص فسقطت الإبنة بين ذراعي .

وفكرة هذا الحلم عن النساء أنهن لسن فقط الأقوى شخصية من حيث أنهن يختزن الرجل المناسب لهن و يبدأن العلاقة ويحافظن عليها أو ينهينها ، بل إن المرأة لتدافع عن اختيارها وتزود عنه حتى الموت ، ولا يملك الرجل الذى لا يستطيع أن يدافع عن نفسه حيال عدوان الرجال الأقوى منه إلا أن يجد الحماية تحت مظلة امرأة كفتاته التى يحبها وكأنها تقوم بدور الأم بالنسبة له . وهذا المفهوم المزدوج لدور المرأة : أنها تستطيع أن تغوى ، وهى التى تعطى الجنس والتى بها تكون المتعة فى الحياة ، وهى أيضاً الأم الرءوم الحانية التى تحمى طفلها ــ هذا المفهوم المزدوج للمرأة ودورها نجده عند غالبية الرجال .

ويحيرنا من هذا الفتى موقفه من والد الفتاة وهذه المدافعة المستمرة له والتى يظهر فيها الأب دائماً فى دور المعتدى ، ويجعلنا ذلك نسأل الحالم حول علاقته بأبيه فلربما تكون هذه العلاقة السيئة له بوالد الفتاة نتيجة لعلاقته السيئة بوالده هو ، ولربما يكون قد أحل والد الفتاة محل والده هو و يعامله على هذا الأساس لا شعورياً . وهو يذكر هذا الحلم عن أبيه :

حلمت أنى تسللت إلى حديقة جارنا وقطفت إحدى ثمار المانجو وكانت كبيرة ومغرية ولكن صاحب الحديقة ضبطني وأخذني إلى أبي الذى غضب بشدة وعاقبني بأن دفعني إلى المطبخ وفتح دولاباً كان مخزناً للمانجو الذى يسقط من شجرة بيتنا وأمرني أن آكل كل المانجو به ، ولم أستطع حتى كدت أن أتقيأ فبكيت ، وهو مصر ، فعلا صوتي فأمسك والدى بثمار المانجو وضربني بها الواحدة بعد الأخرى على وجهي ورأسي وجسمي .

والصورة التى يقدمها هذا الحالم لأبيه مشابهة للصورة الحلمية لوالد الفتاة التى يحبها وللصورة الحلمية لزميل الدراسة الذى تركه فى الحلم يغرق ولم يمد له يد المساعدة وكان يضحك وهو يغرق . وهى صور متكررة لفكرة مسيطرة عنده عن عالم الذكور ، ولم تتحصل له هذه الفكرة إلا نتيجة معاملة والده له معاملة نفرته منه ومن كل الذكور .

وهو فى الحلم السابق يسرق الثمار، ونحن نقول ثمار الحب ، وطالما أن الذى يعاقبه على سرقة الثمار هو أبوه فلابد أن ثمار الحب هذه هى ثمار حب أمه لأنها المقابل للأب ، والأب قاس والأم المقابلة له لابد حانية ، وأبوه لا يريد أن يتركه يهنأ بثمار حبه لأمه أو حب أمه له ، وهو يعاقبه ، و يبدو أن هذا الفتى قد خرج من مرحلة الصراع الأوديبى ، وهو الصراع الذى أطرافه ثلاثة كما سنشرح ذلك من بعد هم الأب والطفل والأم ، قد خرج بنتائج استمرت معه من بعد ولاحقته وهو شاب وطبعت تفكيره عن دور الرجل (الأب) وهو هنا دور المؤدب القاسى السادى ، ودور المرأة (الأم) وهى هنا دور الحامية الحانية المضحية بنفسها (لأولادها) ولكنها من جهة أخرى اللعوب التى تغوى الرجل (علاقة أمه الجنسية بأبيه) وهذا الحلم الذى نسوقه للفتى و يشتمل على نفس الموضوعات السابقة بطريقة أخرى :

حلمت أن رجلاً يتسلق النوافذ إلى دكان بقالة قريب ، فزعقت عليه وطاردته وأمسكت به واقتدته إلى المخفر ولكنه قال للضابط أنه صاحب الدكان وأخرج بطاقته يثبت بها ذلك ، ولا منى الضابط وخجلت من نفسى حتى بكيت وخرج الرجل من المخفر يضحك .

لقد حسب مالك الدكان لصاً ، ولكن أى دكان وأى لص هذا الذى يتسلل ليلاً إلى دكانه و يعتلى النوافذ إليه ؟ وما هى حكاية المخفر أو الضابط ؟ ولماذا يبكى ؟

والجواب هو أن هذا المالك هو الأب ، والأم تمثل الدكان الذى يملكه ، والدكان أو المحل أو الشقة كلها رموز للمرأة ، والأب يملكها ، والحلم من ذكريات الطفولة ، فلقد كان الأب يتسلل ليلاً إلى مخدع زوجته و يعتليها مجامعاً (كان يعتلى النافذة) . ولقد أظهر الطفل فى إحدى المرات أنه يراهما فعاقبه الأب وأفهمه أن هذه العلاقة بينه وأمه مشروعة لأنها زوجته وكان الأب يضحك وهو يفهمه ذلك . والفتى يحلم بهذا الحلم الآن لأنه يرى كما أفهمه أبوه مشروعية دفاع الأب عن ابنته وأنه لاحق له فى هذه اللقاءات بفتاته طالما أن الأب غير راض عنها ، وهو ينقل موقف أبيه منه فى علاقته بأمه إلى موقفه وفتاته وأبيها . وفى الحلم التالى سنرى إلى المعاملة التى عاملها له أبوه والتى يتوقعها من كل أب يحل محل الأب :

رأيت نفسى ألعب الكرة ، ولعبت كثيراً وقذفت الكرة بشدة فجاءت فى نافذة كسرت زجاجها وجاء صاحب البيت وكان شيخاً عجوزاً يعمل ناظر مدرسة فنزع مضرب الكرة منى وضربنى به علقة بكيت منها .

وتحطيم النافذة بالكرة كلاهما رمز جنسى للفعل الجنسى ، والعجوز ينتزع المضرب رمز الذكورة منه و يضربه به عقاباً له على الفعل الجنسى . وكان والد الفتى يعمل ناظر مدرسة فعلاً عندما كبر فى السن .

وكل هذه الأحلام السابقة لا معنى لها بمفردها ، ولكننا عندما نربط بينها جميعاً تنسجم مع بعضها وتعطينا المعنى الباطن الذى تحتو يه وتفصح رموزها عن دلالاتها وتسلمنا صورة عامة لصراعات محتدمة لفتى فى مقتبل العمر وهو فى المرحلة الحرجة من عمره المستشرفة لمرحلة ماضية من الطفولة والمرحلة القادمة من الرجولة . وهو فتى يرى أنه إنسان ضعيف وعاجز من جهة الرجولة . ولقد كان يحب أمه وأحب النساء اللاتى على شاكلتها من بعد ، وهى أم حامية لطفلها وتعيش فى علاقة جنسية قو ية مع زوجها ، ولذلك فهو يطلب فى النساء هذا النوع ، وكره أباه لأنه قاس ، وقسوة أبيه كانت لعلاقة الطفل بأمه ، وهو لا يستطيع أن يكون هذا الأب ولا يستطيع أن يكون هذا الرجل الذى يمثله أبوه ، ومن ثم يجد أنه ليس بوسعه أن يزاحم الرجال الأقوى على فتاته ، وأبوه هو الذى أحاله الإنسان العاجز وكان يكرهه و يكره كل الرجال على منواله . وكان لفتاته أب قاس أو هكذا هو يراه ، وهذا الأب لفتاته هو الذى يحول بينه و بينها ، مثلما كان أبوه الحائل بينه و بين أمه . وعلاقة البنت بأبيها هى التى تزعجه وتقلقه . دائماً يحول الأب بينه و بين ما يتمنى . ودائماً هو يتمنى إنسانة يمتلكها رجل قوى . و بدلاً من أن يصارع أباه على أمه فإنه يسلم نفسه للبكاء فى الطفولة ، وفى شبابه ها هو ذا لا يستطيع شيئاً أمام الأب فيسلم نفسه للصراخ فى أحلامه . وهو يصرخ كلما استشعر الظلم من الرجال . و يتلخص صراعه فى رغبته أن تمتلكه امرأة ولكنه يخشى من انتقام رجل ما منه . وهناك دائماً رجل ما ينتظره فى الظلام ويهبط عليه من حيث لا يدرى ، ير يد أن يضر به . والثالوث الذى يعيشه حالياً هو نفسه والفتاة وأبوها ، وكان ثالوث طفولته هو نفسه وأباه وأمه . وهذا الصراع الأوديبى الثلاثى الذى تحدثنا عنه من شأنه أن ينحل مع الأولاد حلاً مرضياً بأن يتعين الولد بأبيه و يتسامى بحبه لأمه ، ولكن مع هذا الفتى لم ينحل الصراع لمصلحته ولم يتعين بأبيه وامتلأ قلبه من ناحيته بالكراهية ، وهكذا شب عن الطوق ليجد نفسه من جديد فى مواجهة صراعاته الأوديبية بتأثير وجود الأب للفتاة التى يحبها . وليس شرطاً أن يكون هذا الأب الجديد قاس ولكنه هكذا يسقط مشاعره القديمة لأبيه على هذا الأب ، وتلعب البنت دور الأم بينما يحل الأب محل الأب القديم . وهو لسبب ما لم يستطع أن يصوغ نفسه كأبيه وعلى نمط شخصيته ليحوز مثله الثقة فى النفس والقوة اللازمتين لتجعلا منه المحب الناجح المسيطر.

وهذا الشعور بالنقص لا يأتيه مع الرجال كبار السن وحدهم ولكن مع كل الذكور حتى وإن كانوا شباباً فى مثل سنه ، ولقد رأينا ذلك فى علاقته بزميل الدراسة الذى تركه يغرق وأخذ منه فتاته . وهذا الوضع يز يد موقفه سوءاً لأننا لو حاولنا تغيير فكرته عن الرجال كبار السن لكان ما يزال أمامنا أن نساعده على مجاهدة صورته عن نفسه كلما وجد نفسه حيال منافسين له أقو ياء من سنه . وهو جبان أمام كل الذكور من جنسه إذن ، وذكورته من أوهن ضروب الذكورة فى مراتبها من الأضعف إلى الأقوى . وليست له وسيلة دفاع حيال تهجمهم عليه سوى

أن يبكى أو يصرخ كطفل أو يهرب . ولا عجب أن نراه يحلم هذا الحلم الأخير فى هذه السلسلة التى رتبناها بحسب أحداثها ترتيباً منطقياً :

حلمت كأنما كنت مسافراً بالقطار إلى جهة لا أعلمها . وكنت كلما أقترب القطار من إحدى المحطات أخرج إلى الممر وأنظر من النافذة . وفى إحدى المحطات أشار إلىَّ رجل وتأملته فأشار مرة أخرى وهو يبتعد ، ووجدتنى مشدوداً إليه وكأنما قوة داخلية تدفعنى دفعاً لملاحقته ، وتركت القطار ونزلت وتبعت الرجل فوجدتنى أطير فى اتجاه السماء ووجدتنى أمام جدى الذى كان قد مات منذ سنتين . وبكى جدى عندما لاقانى فرحاً بى .

والقطار فى هذا الحلم هو رحلة الحياة ، تهديها خصوصاً عند الشباب غريزة بقاء قوية ، ولكن هذا الفتى يرغب فى الموت ، ورغبته فى الموت قوية شديدة « كأنما قوة داخلية تدفعنى دفعاً لملاحقته » ، والرغبة فى الموت عنده أصبحت غالبة على الرغبة فى الحياة ، وذلك شىء لا يحدث فى الشباب إلا إذا تمكن منه الاكتئاب نتيجة اليأس القاتل ، وهذا الفتى أحلامه يغلفها الاكتئاب و يؤكدها هذا الحلم الأخير ، ولولا أننا لم تتح لنا هذه الفرصة لتتبع هذه الحلقة المترابطة من الأحلام لما استطعنا أن نُلم بحالته ونحللها هذا التحليل الذى يقوم عليه استبصاره من بعد وعلاجه من وهدته هذه . وهذه الطريقة فى الربط بين الأحلام واستقرائها بناء على ما يتكرر فيها ، ينبه هذا التكرار إلى أهمية المادة المكررة و يصل بين أجزائها و يلقى الأضواء على المعانى الخبيئة بحيث لا يتبقى للمحلل إلا أقل جهد من التأويل والتفسير . وهذا التأويل أو التفسير يمكن أن يتم بالطريقة العلمية وحدها ويمكن أن يمد المحلل بعدد هائل من المعلومات الأساسية عن الحالم . وليس تفسير الأحلام أو تأويلها بالشىء العسير لأن الأحلام ليست بلاغات غيبية تهبط على الحالم أثناء نومه ، وإنما هى لغة يفكر بها العقل فى شكل صورها منطقها الخاص وتحتاج فقط لمن يتعلم هذه اللغة و يتدرب على فك شفرتها وتحويلها إلى أفكار منطقية مترابطة . وليس المهم أن نعلم عن الأحلام ولكن المهم أن نستقرئ الحلم نفسه ، ومعنى الحلم ليس فى نظرية نحيط بها عن الأحلام ، ولكن معناه فيه هو نفسه . والمهم فى فهم الحلم أن ندرك هذه **الحقيقة الأولى** عن الأحلام أنها من وضع عقل الحالم ، ومن اختراعه ، والحالم كالمؤلف المسرحى والمنتج والمخرج ومصمم المشاهد ومدير المسرح والملقن والممثل الرئيسى والمتفرجين ، فهو هؤلاء جميعاً ، وهو يؤلف و يعد الحالم للإخراج ويجهز المسرح و يصمم الأزياء ويحضر المؤثرات الصوتية والموسيقى المصاحبة و يدرب الممثلين مفسراً لهم أدوارهم ، ثم هو يلعب الدور الرئيسى و يشاهد نفسه وكل ما حوله و يستمتع بما يجرى على المسرح أو يتأسى لما يتفرج عليه ، أى أن الحلم ، أى حلم ، هو إسقاط لما يفكر فيه الحالم عن نفسه والناس من حوله والعالم الذى يعيش فيه .

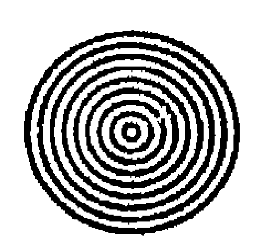
وليس الحلم صورة طبق الأصل للواقع الموضوعي ولا ينبغي النظر إليه من هذا الاعتبار، ولكنه من ناحية أخرى أو بمعنى ما صورة طبق الأصل للواقع كما يبدو للحالم . وهو لذلك واقع نسميه **الواقع الذاتي** . والواقع الذاتي ليس فى الأحلام وحدها ، فلكل منا واقع ذاتي للواقع الموضوعي الذى يعيشه ، وهو رؤيته لهذا الواقع الموضوعي . والواقع الذاتي فى الأحلام قد يقرب من التطابق مع الواقع الموضوعي بدرجة أو بأخرى ، وقد يتباعد الواقعان جداً بحسب الحالم ، ونحن لا نستطيع أن نقضى برأى بخصوص الحد الذى قد يقترب منه الواقعان ، فمثلاً فى مجموعة الأحلام السابقة لا نستطيع أن نجزم ما إذا كان والد الفتى ووالد الفتاة قد عاملاه بقسوة فى اليقظة أم لا إذ ربما قد تخيل هو ذلك ، ثم إن الفتى لا يمكن أن يصحو من النوم بعد الحلم فيكره والد الفتاة لأنه عامله فى الحلم بقسوة ، وإذن فهذا واقع وذاك واقع و بينهما اتصال لا شك فيه ، وعلى المحلل أن يتفهم حدود هذا الاتصال وانعكاسات كل على الآخر.

والحقيقة الثانية عن الأحلام التي يجب أن نفهمها ونضعها فى الاعتبار عند تفسيرها أنه ما من شيء يظهر فى الحلم إلا وللحالم فيه يد وهدف . والحالم هو الذى يؤلف الحلم وهو المسئول عن كل ما فيه ، وطالما أنه قد حلم به فهو قد فكر فيه . ولقد قيل إن عملية الحلم تعنى أننا نفكر فى أنفسنا ، وليس معنى أننا نفكر فى أنفسنا أن أفكارنا تقتصر على ما يخصنا ، فنحن نفكر أيضاً فى الآخرين والأشياء من حولنا . والحلم بلغة الاقتصاد منتج من عمل الحالم ، وهذه حقيقة ، مثلما أفكارنا فى اليقظة تخصنا فلا يوجد أحد يفكر عنا أفكارنا ، فنحن نفكر لأنفسنا إلا إذا كنا واقعين تحت إيحاء أحد أو كنا مرضى نحسب أن غيرنا يؤثر فى أفكارنا ، وما دون ذلك فكل ما نقول ونفعل سواء فى النوم أو فى اليقظة هو من وحى أفكارنا وتفكيرنا . وهذا هو ما نقصد إليه عندما نقول إن كل شخص مسئول عن أحلامه ، وأن تفسيرها أو تأويلها أو تحليلها عملية تقود إلى عقلية الحالم وشخصيته ، والعالم الذى تعكسه الأحلام والأشخاص التى بها هى صور الحالم عن العالم الموضوعي والأشخاص الحقيقيين ، ومن ثم فإنه لا ينبغي أن يغيب عن بالنا أن ما نتعامل معهم من أشخاص الحلم ليسوا الأشخاص فى الواقع الموضوعي ولكنهم تصورات الحالم عنهم ، وإذن فنحن أولاً وأخيراً فى نطاق أفكار الحالم ، وهذا هو ما يجب أن يعيه الحالم حتى لا يتعامل مع أفكاره هو باعتبارها واقعاً موضوعياً .

والحقيقة الثالثة عن الأحلام أن الحالم قد يكشف فى الحلم الواحد عن تصور واحد أو أكثر من تصور لنفس الشخص ، وقد يكشف أيضاً فى أحلامه المتعددة عن نفس الشخص تصوراً واحداً أيضاً أو عدداً من التصورات . والأحلام عادة للحالم الواحد تعرض عدة تصورات أو أفكار لا ينبغى بحال من الأحوال اختزالها إلى تصور واحد أو فكرة واحدة ، فكل تصور أو فكرة قد تكون لجانب من جوانب الشخص موضوع الحلم أو لناحية من نواحي المشكلة ، فمثلاً قد يتصور الحالم أمه كريمة فيحلم بها كذلك ، ثم يحلم أيضاً أنها غيورة ، أو أنها متزمتة ، أو أنها حاسمة .

إلخ . وكل هذه جوانب لا تختلف ولكنها تأتلف وتصنع كلاً هو الشخص موضوع الحلم أو هى بعضه . ونحن نطلق عليها اسم **النسق الحلمي** لأنها تنتظم فى نسق هو الصورة الحلمية للواقع الموضوعى للشخص أو لغيره . والمشكلة فى الأحلام أن الصور الحلمية فيها لا تأتى مترابطة ترابطاً منطقياً . ولا تتتابع تتابعاً منطقياً ، ولكنها تكون كأجزاء انتزعت من صورة كلية ووضعها الحالم بدون ترتيب وفى غير انتظام بحيث قد نرى الشخص هنا يبكى وفى صورة أخرى يضحك فلا ندرى أيها نصدق . والمحلل أو المفسر هو الذى يرصد الأحلام للحالم و ينتظمها فى مجموعة و يرتبها بحيث تتتابع فى منظومة من التصورات تلقى الضوء على بعضها البعض وتفسر بعضها البعض ، وهو عمل شاق يحتاج إلى سعة فهم ودراية ودربة وعلم غزير لا يتوفر لكل إنسان ولا لكل مفسر . وما قد يبدو لنا متناقضات فى الصور الحلمية ليس فى الحقيقة من المتناقضات ، فالتصور فى هذا الحلم نفسره من داخل السياق الحلمى ، وكل تصور له مبرراته فى السياق الحلمى ، فالأم الحانية فى حلم هى كذلك لأن حوادث الحلم كانت تقتضى أن تظهر الأم هكذا ، فإذا حلم بها غيورة أو غضوبة فى نفس الحلم أو فى حلم غيره فإنما لأن السياق كان يتطلب ذلك فى كل مرة ، وكل تصور منطقى مع سياقه و يتفق معه فلا تناقضات هناك .

والحقيقة الرابعة التى ينبغى أن نراعيها فى تفسير الأحلام أن الحلم كل عضوى ، فلا يجوز أن نعزل جزئية من الحلم عن السياق ونفسرها وحدها ، ولا تفسير إلا للحلم ككل لأنه يعكس مجموعة متشابكة متصلة فيا بينها من الأفكار للحالم ، ولا تفسير للحلم بمعزل عن أحلام الشخص الأخرى المتقاربة الموضوع أو الطابع أو الفترة الزمنية ، لأنه كما تفسر جزئيات الحلم الحلم ككل ، كذلك تفسر الأحلام المفردة مجموعة الأحلام المتقاربة بانتسابها إلى نفس الشخص الحالم و بتقارب موضوعاتها أو طابعها أو زمانها . والتصدى بالتفسير للأحلام المتقاربة المترابطة فى مجموعة يكشف لنا النسق التصورى لشخص الحالم . وفى كل حلم نواجه دائماً بصعوبة تأويل الرموز وهو ما سنعالجه حالا (Hall, S. C: The Meaning of Dreams).



« الرمزية فى الأحلام »

تحفل الأحلام بأشياء تركز عليها أو قد نعجب لأمرها كأن نرى مثلاً أننا نطير فى منطاد أو أننا نركب حصاناً يتكلم أو كحلم سيدنا يوسف حيث رأى القمر والشمس ساجدين له ، فكيف نفسر هذه الأشياء ، وماذا نسميها فى الأحلام ؟ ومن قديم الزمان ذكرها الحكماء وقالوا إنها رموز، بمعنى أنها لا ينبغى أن نأخذها على الحقيقة ولكن على المجاز، إذ كيف يمكن أن نصدق أن الشمس والقمر قد يسجدان للإنسان ؟ والتفسير العلمى للأحلام بدأ بفرويد ، وتأويل الرموز ركن من أركان نظرية فرويد فى تفسير الأحلام ، ولكن تأويل الرموز أقدم من ذلك ، فيروى فرويد أن شتيكل قد سبقه إلى مثل تأويلاته للرموز. والرمزية لغة أولى أو أنها لغة فطرية هى أبسط ما يمكن أن يعبر به الإنسان عن نفسه فيربط بين مجموعة من الأفكار بينها شىء مشترك كأن يربط بين الجرأة والجسارة والأسد وأحد الناس وبدلا من أن يقول بالكلام أو الكتابة هذا كله « فلان جرئ وجسور جرأة وجسارة الأسد » فإنه يرى فى الحلم الأسد فقط مثلما فى اللغة المصرية القديمة التى كانت تستغنى بالصور عن الأفكار. وتمثل الرموز الأفكار التى تستمد منها معناها أو التى تضفى عليها هذا المعنى أو المغزى ، ونستخلص هذا المعنى أو المغزى من الصور المترافقة مع الرموز والتى يثيرها فينا ، والصور المستثارة يقوم بها فينا لا العقل البالغ أو الواعى ولكن الذى يتمثلها ويراها فينا هو الذهن اللاواعى أو الفطرى والذى يسوى بين الأشياء التى بينها شىء مشترك . وهذا العقل الطفولى البسيط فينا لا يأخذ إلا بالمحسوس وبالمادى ، ولذلك فاللغة التى يتحدث بها هى لغة رمزية تستخدم الوسائل الأولية البدائية للتعرف الإدراكى التى يأتى الطفل بها إلى الحياة ، وذلك نفسه ما نراه أيضاً عند المرضى

بالذهان بخلاف الأطفال ، وما يستخدمه الفنانون . وقد يستعصى حالياً أن نفهم المقصود بالرمز وليس ذلك إلا لأننا بعدنا كثيراً بالحضارة عن لغة الطفولة ونسينا كيف نفكر كأطفال وإن يكن الترميز حتى الآن من بواقى هذه المرحلة أو من بواقى اللغة الطفولية أو الأولية . ونحن عندما ننام يغفل الوعى أو العقل الواعى ونرتد فى الزمن إلى ما كنا فى الطفولة الباكرة ، عقولا فطرية أولية تربط بين الأشياء بما فيها من عناصر مشتركة وتختزل الحديث عنها بأن تورد الكلام بالصور أو الرموز.

والرموز كانت دائماً وسيلة من وسائل التعبير عبر العصور ، وحيثما كان الإنسان كان الرمز من وسائله فى الإدراك والتواصل والتعبير ، سواء فى الحياة أو فى الأدب أو فى الفن أو فى الدين أو فى الفولكلور والأساطير . وكذلك كان الرمز فى الأحلام ، غير أن التصدى للرموز فى الأحلام كان مثار الخلاف الكثير والجدل . وحضور الرموز لا يسهل مهمة تفسير الأحلام ، بل يزيدها صعوبة كما يقول فرويد . وقبل فرويد كان من الصعب أن نركن إلى مشيئة المفسر لعدم وجود منهج نحتكم إليه ، وذلك جعل فرويد يصطنع منهجه فى التفسير فيستند من ناحية إلى مستدعيات الحالم و يكمل المفسر الثغرات فى هذه المستدعيات associations بما يعرفه عن دلالات هذه الرموز ، و يقتضى ذلك منه أن يكون واسع المعرفة ــ كما يقول ابن سيرين ــ باللغة ودلالاتها والفولكلور ، وأن يكون حذراً فلا ينساق وراء الهوى فى التفسير ، لأن الرموز تملك فى كثير من الأحيان أكثر من معنى واحد بحيث لا يمكن فهمها فى كل مرة فهماً صحيحاً إلا من السياق الحلمى وحده كما هو الشأن فى الكتابة الصينية مثلاً . وقد نسأل : أليس من الممكن أن يكون للرمز دلالات ثابتة مثل علامات الاختزال وعندئذ فقد يسهل مهمة التفسير أن يوضع كتاب فى تفسير الأحلام كأنه المعجم وفق منهج الشفرة بحيث يمكن فوراً أن نترجم رموز الحلم إلى لغة عصرية ؟

والجواب أن الرمزية بسبب أنها ليست خاصة بالأحلام وحدها بل هى من خواص التفكير اللاشعورى والتفكير الشعبى بنوع خاص حتى لنجدها فى الأغانى الشعبية والأساطير والروايات المتوارثة والتعابير الدارجة والحكم المأثورة والنكات أكثر ما نجدها فى الأحلام ، فليس أمامنا أن نشط بعيداً عن مشكلة تفسير الحلم إذا كان علينا أن نستوفى الرموز معانيها .

والمشكلة فى التصوير الحلمى بواسطة الرموز أن هذا المنهج الحلمى لا يمكن مع ذلك أن نرجعه من أنواع التصوير غير المباشر ، فالجامع المشترك بين الرمز والمرموز فى الحلم قد يكون سحاً أحياناً وخفياً فى كثير من الأحيان حتى ليبدو اختيار هذا الرمز فى الحلم شيئاً محيراً ، مصدر الحيرة أن الرمز بدلالته ربما يكون قديماً وموغلاً فى القدم من اللغة العينية القديمة للإنسانية التى يمكن أن نكون قد نسينا ملابساته . و بعض الرموز ترجع إلى تاريخ ما وراء الجماعات البشرية المختلفة ، و بعضها قديم قدم الكلام نفسه ، و بعضها حديث حداثة المخترعات الجديدة .

ومن رأى فرويد أن الرمز يستخدم فى الحلم من أجل تصوير أفكار كامنة تصويراً مقنعاً . ومن رأيه أن عدداً كبيراً من الرموز يستخدم ليعنى دائماً نفس الشيء ، ولكن من الممكن أن يستخدم الحالم هذا الرمز ذى المعنى الثابت استخداماً خاصاً حسب المحتوى الموضوعى لأفكار الحلم . ولدينا الآن مدرستان فى التفسير، **إحداهما تقول بالتفسير المادى** للرمز، فالرمز له معنى ثابت كالثعبان فى الحلم قد يتصل بسبب بالمعنى الجنسى بالنظر إلى التشابه بينه و بين القضيب ، وقد يكون للثعبان معنى وظيفى أى أن وجوده فى الحلم له وظيفة يخدمها وقد يمكن أن نعرفها من استخداماتنا الأخرى للثعبان فى اللغات التصويرية الأولى ، فقد يرمز للغواية ، وقد يرمز للحكمة ، وما نزال فى الصيدلية نستخدم الثعبان رمزاً للحكمة ، وما زلنا فى اللغة الدارجة نختزل صورة الشرير فنقول إنه ثعبان . وهذه المدرسة لذلك تسمى **بالمدرسة الوظيفية** وتفسيرها هو التفسير الوظيفى .

ولنتناول **التفسير المادى للأحلام** ، وهنا فقد يبدو للمفسر المحنك أن يعتمد على ما فى الأحلام من رموز واضحة نمطية معروف تأويلها مقدماً و يقوم بتفسيرها على هذا الأساس دون أن يستهدى بمستدعيات الحالم ولا أن يحيط بظروفه المادية وأحواله النفسية ، وذلك شيء قد يحاوله البعض عندما يبدو لهم أن ظاهر الحلم من الوضوح بحيث لا يستدعى سؤال الحالم ، ثم إن المحلل قد يغريه على ذلك أن أتباع هذه الطريقة محك لقدرته الفكرية ، غير أن هذا المنهج فيه من المخاطرة ما يجعل من الأفضل تنكبه ، وكذلك فإنه منهج غير علمى و يعتمد تماماً على المفسر وربما يذهب فى ذلك شطحات تجعله محل نقد شديد . وهذا المنهج هو فى الواقع منهج الأوائل كابن سيرين ، وما يزال منهج غير المشتغلين بالتحليل النفسى .

ونحن لا ينبغى أن نغامر بتفسير الحلم اعتماداً على الرموز وحدها ، فالرموز جزء من الحلم ولا يجب أن نعزلها عنه . ثم إن الرموز تحيل إلى أشياء محددة العدد إذا حاولنا أن نجعل لكل رمز مرموزه العام والمطلق وسننتهى إلى ما يشبه قاموس الأحلام ككتاب تعطير الأنام فى تفسير الأحلام ، أو كتاب تأويل الأحلام لأرتيميدورس . وغالباً إذا اتبعنا هذا المنهج نجد أن الرموز كلها تدور حول موضوعات أساسية **هى الميلاد والموت والجسم وأعضاؤه ووظائفه والأعضاء الجنسية والناس وخاصة أفراد العائلة** . ورغم أننا قد نجد كماً هائلاً من الرموز يختلف باختلاف ثقافة الحالم إلا أن المرموزات هى تلك الموضوعات القليلة السابقة . ولابد لدارس الأحلام أن يحيط علماً بأكبر قدر من الرموز وما يمكن أن تعنيه حتى وإن تضاربت المعانى الشعبية للرمز مع مستدعيات الأحلام والمنهج العلمى كما فى تأويل العامة لخلع السن فى الحلم بأن الحالم سيموت أو أن له قريباً لصيقاً به سيموت مع أنه لو استمعنا إلى مستدعيات الحالم فلربما يكون الحلم جنسياً أو أن له تفسيراً مختلفاً تماماً .

وكما قلنا إن الأحلام تدور حول أشياء بعينها مثل الميلاد ، فمثلاً **الحلم بالماء** ، وخصوصاً الغمر فى الماء ، قد يشير إلى الحمل والولادة . ومن ناحية أخرى فللماء صلة بالتبول وخبراته وتصورات الحالم له . **والعدوى بالحشرات** ربما تشير إلى المنى والإخصاب . ولربما يكون **النوم والصمت والنزول إلى الأرض والتضاؤل فى الحجم والسفر وخصوصاً إلى ناحية الغرب والتدثر ببطانية** رموزاً مختلفة للموت .

وأما الجسم وأعضاؤه فقد كان دائماً مصدر إلهام رمزى للفنان القديم والحديث ، وأبدع الإغريق أيما إبداع فى تصوير الجسم البشرى رمزياً بالنحت ، فمن الممكن أن نصوره فى شكل **المبانى** وأن نرمز **بالنوافذ والأبواب** إلى فتحات الجسم . وقد نرمز لأعضاء الجسم بأشياء من الطبيعة **كالجبال والوديان والغابات والزهور. والكهوف** قد ترمز لتجاويف الجسم ، **والشرفة** تصلح كرمز للثديين ، **والفم** قد يكون بديلاً للفرج ، ولربما ترمز **الجوهرات** لأعضاء المرأة الجنسية ، وكذلك قد ترمز **الأدراج والمحلات والدواليب** للمهبل . **وخصوصيات المرأة من ملابس داخلية** قد تحل محل أعضائها الجنسية . وأيضاً قد تأتى **السلالم والممرات والدهاليز والأنفاق** معبرة عن المهبل . **والشارع** أيضاً هو رمز جنسى . **واللون الأحمر** قد يوحى بالحيض . **والسقوط** قد يعنى للبنات الدورة الشهرية . **والعينان** ربما تشيران إلى الفرج ، وكذلك **المصاعد والطائرات والطيور والمقذوفات والسهام والأقلام** كلها يمكن أن تكون رموزاً للقضيب . والرجل الذى يحلم بأن **سيارته** قد عطبت وأنه حاول أن يصلح ماكينتها ربما يكون مصاباً بالعجز الجنسى . وتبين أن **العدد ٣** فى كثير من بلاد العالم والثقافات المختلفة يمكن أن يرمز لعورة الرجل. وترمز **الحيوانات** للأعضاء التناسلية عند المرأة أو الرجل ، **فالثعبان** رمز للقضيب ، وبالمثل **الحبل والخرطوم** . والمرأة التى تحكى عن « **صغيرها** » ربما تشير إلى عورتها ، وكذلك الرجل الذى يحكى عن « **صغيره** » ، وأيضاً **أربطة العنق** المدلاة لا يخفى مدلولها . وربما تقول المرأة أنها ولدت طفلاً وأنه نزل يتكلم ويمشى ، كبديل فى تصورها للقضيب الذى ترى أنه رغم صغره فهو يفعل الأعاجيب فى الجماع المشبع . **والشمس** رمز للذكورة ، وأيضاً **النار، والقمر،** رمز للإنوثة . وأحياناً يرمز **الذراع** الممتد أو **الساق** المرفوعة أو **الأنف** أو **الذيل** للقضيب . **وللأسنان** عموماً معنى جنسى كما أسلفنا ، وغالباً ما تشير إلى الاستمناء أو الجماع ، وإذا حلمت بها النساء مهما كان الحلم فإنها تنبه إلى تصورات المرأة عن الحمل والولادة . **وفقدان الأسنان** بالنسبة للرجل قد يعنى قلقه من أن يصاب بالعنة . وإذا كان الحالم قد حلم بأن أسنانه كلها قد انخلعت فربما هو مصاب بقلق الخصاء .

وهذه عينات من أحلام من هذا القبيل :

(١) كنت ألعب الكرة مع أبى ثم تبين لى أنه صديقى ، ورمينا الكرة لبعضنا عدة

مرات، ثم تراءى لى أن أضربها بقوة ففعلت ورأيت وجه صديقى وقد اصفر، ثم رأيته يبصق ويستخرج من فمه ثلاثة أسنان قد انخلعت بسبب الكرة.

(٢) حلمت أنى كنت نائماً ثم تذكرت موعدى مع طبيب الأسنان وقمت قليلاً ولكنى أدركت أنى قد جئت من عنده تواً بعد أن حشا لى ضرسين واحداً إلى اليمين وواحداً إلى اليسار، وعندئذ استيقظت فوجدت أنى قد استحلمت.

(٣) حلمت أنى أشد شعرة من أنفى فإذا بكتلة شعر تخرج بدلا من الشعرة الواحدة.

وأحلام الأنف كثيراً ما تأتى كبديل للاستمناء كالحلم السابق، فعندما يخشى الشخص فى اليقظة أن يمارس الاستمناء مخافة أن يصبح عادة عنده فإنه قد يصرف الطاقة المتوجهة للاستمناء إلى أنفه ويرفع يده إلى الأنف بدلا من أن تتوجه للقضيب ويحكها بها، وقد تصبح لازمة عنده. **وحك الأنف كلازمة هو من بدائل الاستمناء.**

وقد يمثل **الرقص الإيقاعى** أو أى فعل توقيعى العملية الجنسية، وكذلك **الصعود والهبوط والدخول والخروج**. وقد ترمز **أحلام الطيران** للانتصاب. وقد تمثل الشهوة العارمة فى الحلم **بالمآدب الحافلة والولائم الفاخرة وأكوام الفاكهة أو الحلوى.**

والتلذذ ذاتياً قد تمثله كل الأنشطة كاللعب، أو الحركة بأية أنواعها كأن يدفع شخص فى الحلم، أو أن نحلم بأننا محمولين. وهذا الحلم يرمز للاستمناء:

حلمت أنى أدخل مصعداً وكنت ألهث ثم بدأ لهثى يزيد. واشتغل المصعد، وبدأت سرعته تزيد وبلغت الدور الأخير ولكن المصعد لم يتوقف بل اندفع فى الهواء وانقذفت خارجه.

والسوائل الملونة كأن تكون صفراء ربما تعنى المنى، **والتغوط** قد يعنى إعطاء المال. **والبراز** إذا حلمت به فالمعنى يختلف باختلاف اللون، فاللون البنى يعنى الشىء يخرج منى لا قيمة له، وإن كان لونه أصفر كالذهب، فالخروج يعنى الخروج عن المال القيم.

وهذا الرجل استشعر الإمساك فأعطى نفسه حقنة شرجية هيجته جنسياً فضاجع امرأته ونام فحلم كالآتى:

عثرت على كومة ضخمة من النقود الذهبية فأخذت أكيلها مبتهجاً وفى حماس كبير. وكانت تبدو كأنها فى كل مكان.

وكما يقول ابن سيرين قد نحلم **بشخصيات كبيرة** فترمز للأبوين. **والحجزة** امرأة، وأيضاً **القطة**. **والملكة** هى الأم، وقد نرمز لها **بالساحرة أو العنكبوت**. والنساء يمكن أن يشار إليهن فى الحلم **كأقمشة وخشب وورق أو أشياء تصنع منها. والحيوانات** ترمز للناس عموماً والوالدين خصوصاً. وتظهر الأطفال فى الأحلام **كالنمل أو القمل أو الحشرات أو الحيوانات الصغيرة جداً.**

وهذا الحلم لرجل بدأ يرى زوجته بمنظار جديد :

نظرت إلى السجادة فى حجرة نومى فلم تعجبنى . كانت بها أشياء كأنما قد تغيرت فى الشكل فصارت أقبح وتآكلت وتفلطحت من أماكن . وطمأننى صديقى فقال يمكنك أن تستبدلها بسجادة جديدة .

وكما رأينا فالأحلام طبقاً للنظرية السابقة لا يمكن أن تكون كلها جنسية ، وفرويد نفسه يقول إنه من العجيب أن يوجه خصومه إلى نظريته النقد بأنها نظرية فى الأحلام ترى أن كل الرموز جنسية لا غير ، ويذكر فرويد أنه لم يحدث أن قال مثل ذلك أبداً فى أى من طبعات كتابه « تفسير الأحلام » بالإضافة إلى أن القول بأن كل الرموز جنسية هو قول يتناقض مع النظرية (Freud, S. : Interpretation of Dreams)

والنظرية المقابلة لنظرية فرويد هى التى تقول بأن للرموز وظيفة فى الحلم ولذا نطلق عليها اسم **النظرية الوظيفية** ، وهى تعيب على النظرية السابقة أن الرموز معناها ثابت وتصلح أن تضم فى كتاب لتصنع مرجعاً فى تفسير الأحلام يستقى منه الجميع ، وهذا خطأ برغم أن فرويد يذكر أنه من الأوفق أن يكتمل ذلك بالرجوع إلى مستدعيات الحالم عن الحلم . وأصحاب النظرية الوظيفية يقولون أن الرموز ذات المعنى الثابت يسهل تفسيرها ويتاح لآحاد الناس . وكان فرويد يرى أن سبب ظهور الرموز فى الأحلام فى شكلها كرموز هو أنها تشير إلى أشياء كريهة لا يحب الحالم أن يواجهها فى الواقع وهو يقظ ، وإذا جاءه التفكير فيها وهو يقظ صرف ذهنه عنها وغيبها عن وعيه ، فإذا أصرت على الظهور فى الحلم وهو نائم فلن يسمح لها أيضاً بذلك ، ومن ثم كان لابد لهذه الأشياء الكريهة أن تستخفى وتتقنع وتظهر فى أشكال رمزية تفوت على الرقيب باعتبار أنها رموز لا ضرر منها . ولذلك يذهب أصحاب النظرية الوظيفية إلى أن الرمز فى الحلم هو قناع لتفكير لا يرضى عنه الحالم ، كأن يحلم الحالم مثلاً أنه يتسلق شجرة بدلاً من أن يستمنى ، لأنه إذ يحلم بتسلق الشجرة فإن ذلك لا يجد الغضاضة من نفسه ، فى حين أن رغبته فى أن يستمنى بيده تقابل منه بالرفض الشديد .

وبالنظر إلى أن فرويد كان يرى أن الأحلام يدفع إليها غالباً رغبات أو أفكار جنسية ، فالرموز تأتى فى الغالب جنسية أيضاً وإن تقنعت ، ومن ثم فإن ركوب الخيل مثلاً ، أو حرث الأرض أو صعود السلالم أو إطلاق بندقية ، هى رموز للجماع الجنسى . فلماذا يقول فرويد أن البندقية ترمز للقضيب والنافذة للفرج ؟ **لماذا يكون الرمز رمزاً ؟** والجواب عند فرويد إن الرمز يرمز للمرموز لأنه يشبهه ، فالمحراث ينفذ فى الأرض كما ينفذ القضيب فى الفرج ، وصعود السلالم يشبه تزايد الرغبة الجنسية ، وكل شىء مدبب كالقلم أو الحقنة يمكن أن يشبه عضو الذكورة ، والتشابه فى الألوان قد يجعل أشياء تشبه أشياء كشبه اللون الأصفر بالبول واللبن بالمنى ، وكذلك التشابه فى القيمة يفسر لنا لماذا يمكن أحياناً أن نشبه أعضاء المرأة التناسلية بأنها كنوزها ، والتشابه فى الكيف قد يجعلنا نحلم بالحيوانات كرموز للشهوة .

والتحليل النفسى لا يكتفى **بالشبه** ولكنه يضيف إليه **العكس** ، كأننا نحلم بأننا نسير فى زحام شديد فيكون الزحام رمزاً للوحدة التى نعيشها ، أو أن نحلم بأننا نموت والموت عكس الحياة ، أو أن نحلم بأننا مرتدون لثيابنا فتكون الثياب رمزاً للعكس وهو العرى ، **ومبدأ التأويل بالضد** قال به أيضاً ابن سيرين من قبل فرويد بنحو ألف سنة ، فالبكاء قد يرمز للفرح ، والضحك قد يرمز للحزن ، والسيل قد يعنى العدو. والاعتراض الموجه لنظرية فرويد ليس استخدامها للرموز فى الأحلام ولكنه للسبب الذى من أجله يلجأ الجهاز النفسى لاستخدام الرموز، فهو عند فرويد لإخفاء شىء كريه ، بمعنى أن هناك أمراً بغيضاً على النفس لا ترضى عنه وتحاول إخفاءه فلا يظهر فى التفكير ولا يبين فى السلوك ، فإذا نام الشخص وقلت رقابته الواعية على تفكيره استطاعت هذه الأمور البغيضة أن تظهر فى التفكير والوعى مرة أخرى ولكن بشكل مقنع تموه به على رقابة الشخص على نفسه وتفكيره . والنقد الموجه لنظرية فرويد هو الآتى : إذا كان الأمر أمر رقابة وتمويه عليها فلماذا نحلم يوماً بحلم جنسى محظور فعله ومحرم كأن نحلم بأننا نضاجع أحد والدينا فى ليلة من الليالى ، ونحلم فى ليلة أخرى نفس الحلم ولكن مقنعاً . ولماذا تقول جوكاستا لأوديب « إن الكثير من الشبان يحلمون بأنهم ينامون مع أمهاتهم » أى يحلمون ذلك بصراحة مرة ، ويحلمون مرة أخرى أحلاماً غير مباشرة فيها رموز ويمكن تأويلها أيضاً على نفس المنوال ؟ ثم لماذا يسهل على العامة أحياناً أن يفسروا الرمز بسهولة و يشق ذلك عليهم مرة أخرى ؟ وكيف يتسنى تأويل الرمز بسهولة إذا كان المقصود أن يكون رمزاً ولا يكون من السهل تفسيره حتى يمكن أن تنطلى حيلته على رقابة الحالم على نفسه ؟ وتعتمد نظرية فرويد على التشابه فى اللغة العامية بين الفعل أو العضو الجنسى والشىء المرموز به ، فمثلاً المنى يقول عنه العامة صراحة اللبن ، فلماذا يتخفى المنى فى الحلم الجنسى فيرمز له باللبن ، وذلك شىء معروف وعادى وليس فيه تخف وكأنه لا وجود للرمز. ثم هناك اعتراض آخر حول القول بأن الرمز جاء ليخفى شيئاً ، فلماذا هناك عشرات من الرموز للشىء الواحد؟ ما الداعى إلى ذلك ؟ هل يخدم قضية التخفى أن يكون هناك كل هذا العدد من الرموز للشىء الواحد؟ أى تخف هذا ؟ لقد أمكن إحصاء الرموز التى يمكن أن ترمز للقضيب فى أدب الأحلام فبلغت ١٠٢ رمزاً ، وللفرج فبلغت ٩٥ وللجماع فبلغت ٥٥ ، فهل من المعقول أن يكون القصد من الرمز إخفاء المرموز إليه وهناك هذا الذى ما بعده ثراء فى التعبير عن معناه ؟ أو أن المقصود بالرمز لا يمكن أن يكون التمويه على الحالم وتمرير شىء مكروه إليه و بغيض عنده ما كان يمر وهو فى اليقظة ؟ وإذن فما هو إن لم يكن هو التخفى والتمويه ؟ وهنا تقدم النظرية الوظيفية فى تفسير الأحلام سبباً تقول إنه أكثر إقناعاً ، وهو أن الرموز توجد فى الأحلام حقاً لا لكى تخفى أموراً ولكن لتخدم وظيفة ، وهى ليست وظيفة الإخفاء والتمويه ، ولكنها **وظيفة التعبير عن الشىء وليس إخفاء الشىء .**

إن الحلم نوع من التفكير، وفى التفكير تكون الأفكار، وعندما نحلم فإن عملية الحلم هى

عملية تفكير بالصور، والحلم يحيل الأفكار إلى صور، والصور الحلمية تجسد أفكار الحالم: والتفكير في الأحلام هو تفكير بالصور، أو أن وسيلته هي الصور. والرمز في الحلم لا يشير إلى شيء في الواقع، وليس بديلاً عن الشيء في الواقع، ولكنه يشير إلى فكرة الحالم عن الشيء الذي في الواقع، فمثلاً البندقية، وهي شيء منظور ومحسوس، لا يمكن أن ترمز إلى القضيب وهو شيء منظور ومحسوس آخر، وإنما البندقية قد ترمز لفكرة أو تصور الحالم للقضيب إذا كانت فكرة الحالم عن القضيب أنه خطير خطورة البندقية، ويمكن في نفس الوقت أيضاً أن تكون البندقية رمزاً لفكرة أو معنى في تصور الحالم ليس منها القضيب على الإطلاق، وإنه لمن الخطأ البين إذن أن نقول في كل مرة يحلم فيها الحالم بالبندقية أن البندقية هي عضو الذكورة عنده.

ولنفترض أن حالماً حلم حلماً عن بقرة، وأن مقتضى الحلم كان تفسير رمز البقرة بأنه أمه، فلماذا يحلم بها على أنها بقرة؟ والجواب طبقاً للنظرية الوظيفية في التفسير أن الحالم لديه الانطباع أن أمه فيها الكثير من البقرة، فهي تهتم بغذائه وتمده به كالبقرة الحلوب. وليست هذه هي الصورة الوحيدة لأمه عنده، ولكنه في هذا الحلم لأمر ما يركز على هذه الصفة فيها دون غيرها. وكان من الممكن أن يرى أمه في الحلم في أشكال أخرى خلاف أن تكون بقرة، كأن يراها في شكلها الإنساني العادي تخدمه وتحنو عليه وتفيض عليه من رعايتها، وذلك أكثر احتراماً لها وأليق بها بدلاً من أن يراها كحيوان، إلا أن اللغة في الأحلام بسيطة وعلى الفطرة، ولو طلبت من طفل أن يرسم مثل هذه الأم الحنون فلن يجد أبلغ من أن يصورها كبقرة، وستكون الصورة بليغة بلاغة العبارة التي قد نقول بها مجازاً إن أمي بقرة حلوب.

ونفس الشيء لو طلبناه من فنان مثل بيكاسو فلن يكون أبلغ من أن يصورها أيضاً كبقرة، إذ كيف يمكن تصوير صفة في إنسان إن لم تكن هناك استعارات وكنايات في التصوير كوجودها في اللغة. والعبارة البليغة في الأدب تقابلها صورة بليغة في التصوير، والحلم تصويري، وليس أبلغ من أن يأتي التعبير عن الصفة على الصورة التي تأتي بها في الحلم. واللغة التصويرية في الأحلام لغة اختزالية عقلية كاللغة التي نستخدمها في اليقظة، فنحن في اليقظة عندما نريد أن نصف شجاعة إنسان نقول له إنك أسد، فالأسد رمز للشجاعة، والثعلب رمز للخداع، والبومة للشر، والمسيحيون يرمزون للمسيحية بالصليب، والاتحاد السوفييتي يرمز للشيوعية بالمطرقة والمنجل. وكل هذه الرموز تصور المرموز تصويراً مختصراً ودقيقاً ومستوف لمعانيه بحيث يمكن أن تستحضر الصورة كل معانيها وتستوفيها.

ولابد أن تكون فكرة الحالم عن الرمز متمشية مع فكرته عن المرموز إليه، فإذا كان الحالم سيحلم أن أمه كالبقرة فلابد أن تكون صورة البقرة في ذهنه متمشية مع صورة أمه في ذهنه، وسيرى في البقرة وأمه تشابهاً من حيث أن كلاً منها حلوب، وأما إذا كانت صورة البقرة في ذهنه صورة حيوان مفترس فلن يختار البقرة لتصوير أمه في الحلم.

وتفسر هذه النظرة للرمز السبب فى كثرة وجود رموز متعددة للشيء الواحد ، ولا يعنى ذلك أن الشيء الواحد يمكن تصويره بطرق مختلفة وإنما يعنى أن الشيء الواحد يمكن أن تكون له صور مختلفة فى الذهن بحسب منظورنا لهذا الشيء ، فقد نرى أن الجماع وسيلتنا للتكاثر والتوالد فتكون صورته عندنا هى صورة حرث الأرض و بذرها ، وقد لا ترى إحدى الفتيات فى الجماع إلا أنه وسيلة بربرية فى الحب ، فيها العنف والتعدى على الأنثى ، وعندئذ تأتى صورة الجماع عندها فى شكل إطلاق بندقية أو الطعن بالخنجر.

وقد تكون الصورة المتحصلة عن المرموز جامعة لعدد من الجوانب فيه ، فمن الممكن أن يرمز القمر لصورة المرأة فى أذهاننا ، فأولا ينظم القمر الدورة الشهرية ، ولقد كان تسميتها بالدورة الشهرية لأنها تأتى كل شهر قمرى ، وكأنما للقمر تأثير فى الحيض ، و بالتالى له تأثير فى رغبات الأنثى الجنسية من حيث الفترات التى يشتد فيها إشباقها فسيولوجياً . وقد نقول عن المرأة الحامل أنها استدارت واكتمل حملها من حيث تكامل استدارة بطنها مع قرب الولادة بالنظر إلى أن القمر هو أيضاً يكبر وتتمم استدارته بتمام وقته . والقمر أوهن من الشمس ، والشمس قد تصور الذكورة من حيث قوتها وعنفها ، بينا قد يصور القمر الأنوثة من حيث ضعفها ، ثم إن الشمس قد تصور بها عواطف الذكور من حيث ثباتها ورسوخها ، بينا القمر قد تصور به عواطف الإناث من حيث سرعة تغييرها ، وهو يبدأ وليداً ضعيفاً كالحب و يكبر إلى أن يصبح بدراً ، وكل ذلك فى شهر ، و بعد الشهر يعود إلى الأفول ، وما أسرع ما تتقلب المرأة فى عواطفها وكأنها القمر ، بل وما أكثر ما تتقلب المرأة فى أحوالها فهى بنت ، وشابة تحيض ، وعروس تفض بكارتها ، وحامل تتراوحها ظروف الحمل والولادة والإرضاع ، وأم ترى وجوداً لها جديداً فى ابنها الصغير الذى تحمله بين ذراعيها أو يحبو إلى جوارها ، وكأن للمرأة إيقاعاً منتظماً كالإيقاع الذى يستحدثه القمر مداً وجزراً فى مياه البحار ، فهى المحبة لأبويها والتى تنقل حبها لزوجها ، وهى المطيعة والمستسلمة التى تستكين للحب ودغدغاته ، وهى الحامل الوالهة بحملها ، والأم المغرمة بأولادها . وكل هذه الأحوال والأفكار والصور للمرأة تختزل جميعها فى صورة واحدة هى صورة القمر.

و يبدو أننا بما قدمنا من أفكار حول الرمز قد زدنا الأمر صعوبة عما كان يراه فرويد فيه ، ففرويد كان يرى أن الرمز يرمز للشيء مباشرة ولذلك كان يرى أن الرمز ثابت غالباً فكل ما هو مشقوق مثلاً قد يصلح رمزاً للفرج ، وأما فى النظرية الوظيفية فى تفسير الأحلام فالرمز صورة ذهنية عند الحالم هى تصوره للمرموز ولا تنفصل عن الحالم وتعكس ديناميات شخصيته ، ولذلك فحل شفرة الرمز مسألة صعبة تحتاج إلى الإحاطة بتصورات الحالم عن العالم المحيط به واستقراء النص الحلمى الذى ترد فيه الصورة المرموز بها عن الشيء . ولو كنا نحلم بالأشياء مباشرة لرأينا الأم فى حلم الأم البقرة مثلاً وهى فى شكلها الإنسانى تقوم بواجباتها الغذائية للأسرة فى صبر

وأناة ورضا دون أن نراها فى صورة البقرة . وأما ونحن نراها كبقرة فلابد أن نقوم بعملية ترجمة ، بحيث ندرك أن المقصود بالبقرة هى الأم فى حالة من حالاتها وهى أنها الحلوب للأسرة ، وعلينا أن تتحصل لنا المعرفة بتصورات الحالم عن البقر لكى يتحصل لنا العلم بتصوراته عن أمه .

والآن كيف يتسنى لنا أن نفسر الحلم ؟ وما هى الطرق التى ينبغى أن نتبعها ليسهل علينا تفسيره ؟

هناك عدة طرق لذلك ، لعل أولها أن نرى رأينا فى الحلم فلعله يكون بسيطاً لا يستدعى إعمال فكر ، وهناك أحلام من هذا النوع الذى لا يحتاج إلى تأويل ، وليس لهذا النوع ظاهر وباطن ، فأن كان الحلم لا يبدو أنه بسيط ومباشر وهو غالباً كذلك فعلى المفسر أن يحلل الحلم ويجزئه ويرى ما فيه من أشخاص وأشياء كحلم البقرة الأم ، فإن يحلم الحالم ببقرة فهذا شىء ليس بالبسيط لأنه لا دخل للحالم بالبقر حتى تتابعه فى منامه ويحلم بها ، وإذن يتبقى أن يحاول المفسر فك طلاسم الرمز فيجد له المرموز ، فإن توافق الحلم مع التفسير وصار له معنى فالتفسير غالباً صحيح . ولنضرب المثل بهذا الحلم وهو لامرأة :

حلمت أنى أركب حصاناً ، وكان كل شىء على ما يرام ، وفجأة أفلت منى الزمام وانفك السرج ، وكان الحصان ضخماً وقوياً . وقال الحصان أنه سيحاول أن يلقى بى ، وأجبته أنى لن أنزل مهما كان السبب . ورفس الحصان وجرى بين الأشجار كأقصى ما يمكنه ، وبقيت فوقه واستيقظت .

ولعل أول ما يبده المفسر لهذا الحلم الرمز فيه حيث الحصان يتكلم ، وما دام أنه يتكلم فالحصان رمز لإنسان ، ولأننا نشير إلى الحصان بقولنا « هو » فلابد أن هذا الإنسان ذكر ، ولأن الحصان ضخم وقوى فلابد أن هذا الإنسان الذكر بالغ ، وإذن فالحلم يحكى عن علاقة الحالمة برجل . والحلم يقول إنها كانت فى صلاتها به على خير حال ، إلا أن الأمور ساءت بينهما فاللجام انفلت والسرج انفك إلا أنها ظلت متشبثة بالحصان أو بالرجل برغم أنه يحاول أن يلقيها عنه ويقطع صلته بها ، وهى تجرب شطارتها بشطارته ، وكلاهما يحاول ، وتنتصر المرأة . فمن يكون هذا الرجل ؟ لا يقول لنا الحلم بالضبط ، فهذه العلاقة بين الحصان والراكبة لا يمكن إلا أن تكون علاقة أب بابنته ، أو علاقة شقيق أكبر بشقيقته ، أو علاقة زوج بزوجته ، أو علاقة غرامية لرجل بامرأة . ولا يمكن تحديد هذه العلاقة بالضبط من هذا الحلم وحده ، ولا بد أن نستمع لهذه المرأة فى أحلام أخرى ، أو أن نسألها هى نفسها عن تفسيرها لهذا الحصان ــ من يكون ؟ أو أن نستمع إلى مستدعياتها ونطلب إليها أن تقول لنا ما يخطر على بالها من خواطر الخيل عموماً ــ تصوراتها وربما ذكرياتها ، وهكذا .

وهذه الطرق السابقة سنتناولها الآن واحدة واحدة . وإليك هذا الحلم لامرأة تحتفل بالعيد الأول لزواجها بأن تستعيد وزوجها ليلة العرس ويمثلانها ، وتبحث عن فستان الزفاف دون جدوى :

وأخيراً وجدته إلا أنه كان متسخاً وممزقاً ، ولكنى أخذته وأسرعت إلى زوجى فسألنى عن سبب استحضارى للثوب وحرت جواباً وشعرت أنى أتصرف بغباء وزاد إحساسى بأنى وحيدة .

فلو فرضنا أن الفستان يرمز لتصور الحالمة لزواجها فما هى الشواهد التى تجعلنا نقول بهذا التفسير ؟ نعرف ذلك من زملة أحلامها الأخرى المترافقة لهذا الحلم ، إما فى الموضوعات أو الجو العام أو الزمن . وقد حلمت هذه السيدة أيضاً بزميلة لها قد تركت بيت الزوجية وطلبت الطلاق ، وهذا دليل على أن فكرة الطلاق عندها هى نفسها . وفى حلم آخر رأت نفسها وقد ضلت طريقها إلى بيت الزوجية وتاهت . وهذا الحلم يبين أنها لا تريد أن تعود إلى بيت الزوجية وتتمنى لو تتركه لغير عودة . وحلمت أيضاً أن خاتم الزواج ضاع منها ولم تجده ، وذلك قد يكون رغبة منها أن تنهى هذا الزواج الذى يرمز إليه الخاتم .

وهذه الأحلام المترافقة فى الموضوع والزمن تقوى من احتمال صحة افتراضنا أن هذه المرأة تعانى من زواجها وتريد الطلاق ، وأن فستان الزفاف الممزق والمتسخ رمز لحياتها الزوجية المتهرئة والفاسدة . و يتبين منها أن الأفضل دائماً النظر فى **جملة أحلام** وليس حلماً واحداً لفك طلاسم الرموز لدى الحالم . ولقد فعل فرويد ذلك كما فى حلم القبعة عنده ضمن باب الرمزية فى الأحلام ، فهو يقول أنه استطاع أن يفسر هذا الحلم **بناء على أحلام أخرى لها طبيعة مادة هذا الحلم لنفس الحالم .**

وأيضاً فمن الممكن أن نسأل الحالم عما يعنيه عنده هذا الرمز أو ذاك ، وغالباً ما يعطينا الحالم تفسيراً يكاد يقرب من الصحة ، ولقد فعلت المرأة السابقة ذلك ، فإذا وجدنا أن تفسيرها يعطينا تأويلاً معقولاً للحلم فقد نأخذ به ، وخاصة إذا توافق مع الاتجاه الذى نراه للحلم . والطريقة الأخيرة هى أن نسأل هذه السيدة أن تذكر لنا أية مستدعيات يثيرها عندها الفستان أو الحلم عموماً ، وذلك **منهج التداعى الحر** المشهور عند فرويد الذى يتوخى أن يميط اللثام عن المخبوء من الأمور والحوادث والعلاقات و ييسر بلوغ اللاشعور وأعماق المكبوت .

وفى التحليل النفسى بمقتضى منهج التداعى الحر يتناول المحلل كل كلمة ، وأحياناً كل عبارة فى الحلم ، بالمناقشة مع الحالم ، ثم يركب كل المعانى على بعضها لتصنع معنى كلياً للحلم . وهذا الحلم التالى يمثل طريقة العمل بمنهج التداعى الحر فى تفسير الأحلام :

حلمت أني أعمل وصديقي في محطة خدمة سيارات ، وكان على صديقي أن يكشف على زيت السيارات ، وكان يستخرج مسطرة قياس الزيت من علبتها وينظر إليها ثم يعيدها . ولم يعجبني ذلك فتوجهت إليه ، وقلت له يا صديقي انك تفعل الخطأ ، فعندما تسحب المسطرة إمسح الزيت الذى عليها ثم اعدها إلى العلبة وأخرجها من جديد لتقرأ علامة الزيت . وشكرني صديقي وانتهى الحلم .

وعندما سألنا الحالم عما يظنه بمسألة الكشف على زيت السيارة قال إن ذلك يذكره بالمسائل الجنسية ، وكأن إيلاج المسطرة وسحبها من علبة الكشف على الزيت هي العملية الجنسية ، وصديقي هذا يهوى جماع البغايا وذلك خطأ حاولت كثيراً أن أثنيه عنه . والطريقة التى يكشف بها صديقي على الزيت طريقة ميكانيكية بحتة كالجنس الذى يفعله ، بلا حرفية ولا علم .

وحلم آخر لفتى **كان فيه يعزف لبعض الوقت ثم انتهى وقام إلى المايسترو وقبل يده** ، فلما سألناه عما يعنيه له تقبيل يد المايسترو قال إنه يخيل له إن هذا المايسترو هو أبوه ، وكان منضبطاً شديد الانضباط ولكنه لم يكن متعسفاً معه ، بل يحاول أن ينظم له حياته ويرشده ويعلمه كما يفعل المايسترو . وحياته الآن ناجحة نجاحه فى العزف فى الحلم ، ولأنه يرى الآن ثمرة انضباط والده وتعليمه له فهو يشكره ، ويتمثل هذا الشكر فى تقبيله ليده ، وهكذا تكثفت تصورات الحالم لأبيه كمرشد وقدوة ومعلم فى صورة واحدة أو رمز واحد هو المايسترو .

والتداعى الحر يمكن أن يأتيه الحالم وحده إذا رغب بصدق فى ذلك ولم يحاول أن يكبح جماح اعترافاته أو يحول بين نفسه وأن يطلق العنان لذكرياته ، ولم يحاول أن يحذف منها أو يزيف فيها أو يقمع ما يظهر منها على تيار الشعور . وأفضل ما يكون ذلك والشخص مسترخ وقد اعتزل كل ما يمكن أن يصرفه عما هو فيه ، ويستحسن أن يستلقى على سرير أو كنبة فى حجرة هادئة . وعليه أن يستحضر صور الحلم فى ذهنه كلها مرة واحدة ثم يبدأ يسرد مستدعياته عن كل صورة وكل جزئية فى ترتيب ويستوفيها بأن يذكر كل ما عنده ثم ينتقل إلى الأخرى ، وبهذه الطريقة فقد يحصل فعلاً على تفسير للحلم وقد يفضى الحلم له بما فيه من أسرار . ولا ينبغى أن ننسى أن هناك أحلاماً لا تستدعى منهج التداعى الحر لبساطتها وتفسيرها لنفسها بنفسها كهذا الحلم لزوجة :

حلمت أني فى بيتى وكان زوجى يتحدث مع أمه ، وكلما اقتربت منهما سكتا فإذا ابتعدت عادا إلى الحديث وعيونها عليَّ . وزوجى وحماتى اعتادا أن لا يقولا لى أحسنت إذا أحسنت فإذا أخطأت وجها لى اللوم الشديد . وشعرت بأنى وحيدة وأنه ليس لى صديق وأنه لا أحد يفهمنى وأنه لا لزوم لأذكر ذلك لأحد حتى لزوجى .

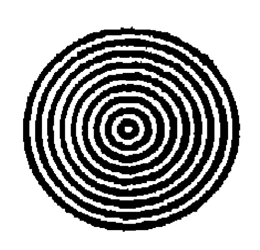
ألا يقول لنا هذا الحلم كل شيء عن الزوجة وحياتها مع زوجها وحماتها أو بالأحرى تصورها لعلاقتها بها ، فإذا طلبنا إليها أن تذكر ما عندها عن زوجها وحماتها ولا تتحرج من الإفصاح عن شيء وأن تقول كل ما يعن لها من خواطر فبالقطع ستعطينا صورة مكملة توضيحية للحلم الذى كشف لنا كل ذلك فى هذه الصورة الحلمية المفردة شديدة التركيز، و بالرغم من ذلك فلن نفهم من المستدعيات أكثر مما أفهمنا إياه الحلم . وقد نصل حقيقة من المستدعيات إلى ذكريات أبعد للحالمة ، وربما كان ما تراه انعكاساً لمعاملات سابقة مع أمها أو مع أبويها معاً ، أو ربما كان لاتجاهات الحالمة دخل فى تصوراتها هذه عن معاملة زوجها وأمه ، وعلى كل فالطريقة ستحددها الغاية من اللقاء بين الحالم أو المفسر ، ومجرد التفسير قد يكفى فيه الطريقة الأولى ، ولكن مع التحليل و بقصد العلاج فلابد من استخدام طريقة التداعى الحر وهو ما سنعود إليه من بعد .

والآن وقد أتينا على المدرستين بخصوص الرموز الحلمية ، **فماذا بشأن المدرسة القديمة التى ترى أن جانباً من الأحلام منبئ ؟** ونحن من القائلين أن الإنباء فى الأحلام هو محصلة ما نعرف ، وهو النتيجة لمقدمات موجودة فى واقعنا ، فإذا حلمنا مثلاً بأن مريضاً قد سافر فطبقاً لابن سيرين وغيره فإن هذا المريض سيموت لأن الرحيل بالنسبة للمريض موته ، فهل هناك إنباء بالمستقبل إذا كان هذا المريض مريضاً مرض الموت ثم مات فعلاً ؟ وقد يحتج المحتج بحلم فرعون بالسبع بقرات العجاف التى تأكل السبع بقرات السمان ، وتفسير يوسف للحلم ، والاحتياطات الاقتصادية التى اتخذها بناء على التفسير، وابن سيرين نفسه يقول إن الملك إذا حلم بالبقر فتفسير ذلك يختلف عما إذا كان الحالم فلاحاً مثلاً ، وحلم الملك بالبقر يعنى أنه مهتم بمسائل اقتصادية لبلده ، وإنه لأمر لا إعمال ذهن كثير فيه أن نقول لهذا الملك إنه سيعانى من ضائقة بعد يسر، والملك وقت الحلم يعيش هذا اليسر، والعسر سيتلوه ، ومن ثم يتوجب على الملوك فى هذه الحالة ما لا يتوجب على غيرهم ، وهو أن يعملوا لتلافى هذه الضائقة القادمة . والحلم بملابساته يعرب عن قلق ملك بأمور هى من صميم عمله اليومى . ولابد أنه كانت هناك إرهاصات بالعسر الوافد استشعرها الملك ولاحقته فى منامه وكان هذا الحلم وغيره ، وذلك ما نقول به أن الأحلام صدى للواقع الذى نعيشه ، فإذا قمنا بتفسيرها و بناء على التفسير اتخذنا سلوكاً معيناً إزاء بعض الناس من حولنا ، بمعنى أن الحلم تسبب فى تعديل سلوكنا ، فهذا من شأننا وليس لأن الأحلام منبئة .

والناس قد تعتقد أن الأحلام قد تبشر وقد تنذر، ولذلك يهمهم كثيراً أن يقرأوا كتب التفسير و يستشيرونها ، إلا أن ذلك منهم ليس سلوكاً علمياً وليس له ما يبرره . ومن كتب التفسير ما لا يقدم بشارات أو إنذارات كتفسير للأحلام ولكنه أيضاً غير علمى ، لأنه يذهب إلى عموميات فى تفسير الرمز، ويجعل مدلول الرموز ثابتاً فى كل الأحوال ولغة الأحلام لغة خاصة جداً ، برغم أنها أيضاً لغة عالمية ، فإذا قيل مثلاً أن الرحيل قد يعنى الموت بالنسبة للمريض ،

فذلك لأن هذا القول شائع بين الناس ، وهو من الأدب الشعبى الذى يتثقف به الجميع و ينشأون عليه ، والأحلام تترجم عن الشخص وتصدر عن ثقافته ، وقد يكون للرحيل معنى خاص عند الحالم بالإضافة إلى المعنى الشعبى ، و يصح أن يكون الرمز فى الحلم هو بهذا المعنى الخاص وليس بالمعنى الشعبى . وعلينا كمفسرين أن لا نعول على معرفتنا بالمعنى الشعبى كثيراً ، وعلينا أن نستشير الحالم نفسه فى كل الأحوال ، ولقد ثبت أنه رغم أننا جميعاً لنا إطار مرجعى ثقافى واحد ، أو حتى إطار مرجعى حضارى إنسانى ، إلا أن لكل فرد تصوراته ومعانيه التى لا يمكن أن يجتمع عليها اثنان من الأفراد ولو كانا من دائرة الثقافة الواحدة . والرموز فى الأحلام شخصية ولا يمكن أن نجعل لها معان عامة نسجلها من قاموس نرجع إليه ، غير أنه يفيدنا أن نحيط علماً بما قد يتشارك فيه الناس من تصورات ومعان ، ولا تعارض بين التصورات والمعانى العامة والخاصة ، وحتى التصورات والمعانى العامة لا تظل لمدة طويلة عامة ، وهناك دائماً العام والخاص فى كل شىء ، و ينبغى الحذر من استخدام هذا المنهج الذى نطلق عليه اسم **المنهج الميكانيكى فى تفسير الأحلام** ، والذى مؤداه الرجوع إلى كتب التفسير لتأويلها ، سواء كانت كتباً قديمة صفراء أو كتباً حديثة مصقولة الورق والأغلفة ، وليكن ديدننا دائماً أن نترك الحلم نفسه أو زملة الأحلام تفضى بأسرارها ومكنوناتها وتفسر رموزها دون أن نفرض معنى معيناً عليها نعثر عليه فى كتاب وهو ليس منها فى قليل أو كثير .

والآن و بعد كل ما أسلفنا لنا أن نتساءل من جديد ــ **لماذا توجد رموز فى الأحلام ؟** والجواب أن الرموز لازمة للأحلام لزوم الاستعارة والكناية والبيان والبديع للشعر ، ولزوم اللغة الدارجة فى الحديث اليومى ، والإنسان فى كل الأحوال يريد أن يعبر عن أفكاره بقدر من الوضوح بأى لغة ، ينقل بها معانيه بدقة وإيجاز . وهو يلبس تصوراته ما يناسبها من ثياب ، وربما كان ما يهدف إليه هو أن يجمل أفكاره و يزينها ، ولعله لهذا السبب كانت الرموز فى لغة النوم لزومها فى لغة اليقظة (Hall, C.: The Meaning of Dreams)



« نظرية فى الأحلام أنها صور عقلية »

تتوالى المشاهد فى الحلم كأننا نشهد **دراما** ، والحلم قد يتكون من **مشهد** واحد أو عدة مشاهد ، وقد يقوم الحلم على **شخصية** واحده أو عدة أشخاص بالإضافة إلى الحالم ، وقد يتضمن الحلم **حدثاً** واحداً أو سلسلة من الأحداث . والحلم يشبه **الهلوسة** ، فنحن فى الهلاوس نتوهم أننا نرى أو نسمع أشياء ، وكذلك فى الحلم نتوهم أشياء كما لو كنا إزاء ظاهرة ندركها حسياً ، ونخبر مشاهد وأناساً وموضوعات وأفعالاً كما لو كنا نحسها بحواسنا وتؤثر فينا كإحساسنا بالعالم الخارجى . والحلم **إسقاط** كامل أى أن ما يكون بأذهاننا يخرج أو يسقط خارجاً فنتوهم أنه حقيقى ، وتتجسد أفكارنا فى شكل الصور الحلمية ، فكأن ما كان مجرد أفكار يصبح محسوساً فى الأحلام ، مثلما أن اللغة تجسد الأفكار فى اليقظة فكذلك الصور تجسدها فى الأحلام ، وتجسيد الأفكار هو الوسيلة لنقلها أو توصيلها ، غير أن توصيل الأفكار فى اليقظة يصل للناس وأحياناً يكونون بالملايين ، وأما فى الحلم فالتوصيل يكون للشخص نفسه ، ولذلك كانت الأحلام **معرضاً شخصياً جداً لأفكار الحالم** طالما أنه الوحيد الذى يتاح له أن يستعرضها من خلالها .

والتفكير عملية تصور، وغاية التفكير أن نتحصل على تصور ما ، والتصور فكرة ، والفكرة معرفة ، وفى الفكرة نصوغ الخبرة صياغة عقلية نفهمها بها ونعرفها من خلالها . ومع أن الفكرة تقوم أساساً على مدركات حسية مصدرها العالم الخارجى أو الجسم ، إلا أن الفكرة يمكن أن تكون بالعقل دون أن تكون لها صلة بالمدركات الحسية ودون أن يكون للجسم دخل فى تأسيسها ، ومعنى ذلك أن **الصورة الذهنية بخلاف الصورة الحسية ، والإدراك الذهنى شىء والإدراك الحسى شىء آخر**، فإذا كانت الصورة المدركة أساسها جسم المدرك أو العالم

الخارجى قيل إنها صورة حسية وأن إدراكها كان حسياً ، وإذا كانت الصورة المطروحة فى الذهن قد استقت وجودها من الذهن وحده وقامت به دون اتصال بالأحاسيس فهى صورة ذهنية وإدراكها كان ذهنياً ، فمثلاً قد يتحصل لنا الإدراك الحسى لمنظر طبيعى بأن نراه بأعيننا و ينطبع به حس البصر ، وقد لا نبصر منظراً طبيعياً ونكون فى مكان أبعد ما يكون عن المناظر الطبيعية ثم يسألنا سائل عن المناظر الطبيعية فتتحصل فى أذهاننا صورة لما هى عليه ونبدأ فى وصفها وصفاً ليس مصدره رؤ ية واقعية ولكنها رؤ ية ذهنية خالصة ، وهذا هو الفرق بين **الإدراك الحسى perception والإدراك الذهنى Conception** . وربما صارت لنا الكثير من المعرفة بأمور الإدراك الحسى ، ولكن الإدراك الذهنى ما يزال يحتاج إلى البحوث المستفيضة ، ونحن نعرفه من خلال معرفتنا للصور الذهنية التى يستحدثها عندما تصبح صوراً حسية سواء فى اليقظة فيما نتحدث من لغة ، أو فى النوم فى شكل الأحلام . والفنان يصنع تصوراته الذهنية لوحات نبصرها إبصاراً ، والشاعر يطرحها صوراً شعر ية يقرأها الناس وتصل إلى وجدانهم ، والكاتب يصوغها عبارات يخاطب بها العقل ، وعلماء الر ياضة يكتبونها معادلات ر ياضية وأرقاماً ، والموسيقيون يستخدمون للتعبير عنها الأنغام والأصوات ، والراقصون ينظمونها إيقاعات وحركات ، والنحاتون يشكلونها أبعاداً ثلاثية ، والمهندسون يشيدونها بنايات وعمارات . وإذن فجوهر كل إبداع هو توصيل هذه الأفكار ، أى تحو يلها من مدركات ذهنية إلى مدركات حسية بحسب نوع مجال المبدع .

وفى عالم الأحلام يحدث نفس الشىء ، ففى الحلم يكون استيلاد الأفكار أو التصورات ، والحلم إذن عملية تصور تنطرح فيه الأفكار فى صور تجسدها ، وما لا يرى وهو الفكرة يصبح مرئياً فى الحلم ، والصور الحلمية هى صور ذهنية . والحلم عمل فنى غير أنه لا يتطلب من الحالم مهاره خاصة ، فالجميع يمكن أن يحلموا وأن تكون لهم إبداعاتهم الحلمية . **فإذا كان الحلم عبارة عن عملية تحو يل الصور الذهنية إلى صورة محسوسة فإن عملية تفسير الأحلام هى عملية عكسية بمعنى أنها تعيد الصورة الحسية إلى أصلها التصورى أى تعيدها كما كانت فكرة فيكون بوسعنا عندئذ فهمها والتعامل معها ، ونحن نقول عندئذ إننا نأول أو نترجم الصورة الحسية لكى نحصل على الصورة الأصل** ، و يتم ذلك بشواهد من الحلم نفسه ومن تفسيرات الحالم المختلفة ، وبمضاهاة أحلام الحالم ببعضها البعض ، أو بتحليلها من واقع ما نعرفه عن الحالم . **وعملية تفسير الأحلام هى عملية اكتشاف تصورات الحالم أو أفكاره أو عملية كشف عن أنساقه التصوير ية الذهنية** ، ويمكن أن نستخلصها من عدة مصادر منها :

(١) سلوك وحالات الحالم فى الحلم أى ما يقوم به من أدوار .

(٢) ما يكون فى الحلم من شخصيات وأنماط هذه الشخصيات وما يصدر منها وتفاعلاتها مع الحالم والأدوار المنوطة بها .

(٣) التفاعلات المختلفة بين هذه الشخصيات بعضها ببعض .

(٤) المشهد الحلمى .

(٥) النقلات بين أجزاء الحلم .

(٦) نتيجة الحلم أو الخاتمة فيه .

و ينبغى أن ننبه إلى أن **الغاية من تفسير كل حلم ليست هى معرفة الحلم ولكنها معرفة الحالم .**

فما هو نوع هذه التصورات التى نتحدث عنها ؟ لربما تغر بنا الأحوال الحلمية إلى أن نقول إن الحلم يمكن أن يضم كل أنواع التصورات الذهنية ، إلا أن ذلك ليس صحيحاً تماماً فلم يحدث أن حلم أحد بالقضايا السياسية أو الاقتصادية ، بحيث تكون هذه القضايا لا صلة لها به وليس لها مردود عليه ، فما ليس يعنينى لا أحلم به ، وحتى حلم فرعون يوسف وقد قلنا إنه حلم اقتصادى فإنه ما كان يمكن أن يحلم به يوسف للملك لأن يوسف ليست وظيفته الحكم ، وإنما الملك لأنه مهتم بالظروف الاقتصادية والسياسية فهو يحلم بها ، وهى تعنيه وشخصية من هذه الزاوية ، وأما أن أحلم بفضيحة ريجان أو ووترجيت أو الحرب العراقية الإيرانية أو مشكلة الشرق الأوسط وأنا مثلاً موظف فى وزارة الصحة وليست لى مصلحة أو علاقة شخصية بأى منها فهذا لا يكون ، والأحلام تستبعد كل هذه القضايا أو الاهتمامات من مجالها ، وحتى ما يظهر فى الأحلام من الشخصيات المهمة أو المرموقة أو المعروفة نادر ، وقد يحلم شخص بأنه سلم على الرسول (صلعم) أو أن الله كلمه ، أو أنه التقى بجمال عبد الناصر ، ولكن ذلك لا يحدث طوال عمره إلا مرة واحدة فى الأغلب . ولا تتناول الأحلام مسائل من الفلسفة أو الرياضيات أو الكيمياء أو التجارة والمال ، وكما قلنا ما لم تكن هذه المسائل لها صلة مباشرة بالشخص فلن يحلم بها ، وحتى إذا حلم بها فحلمه لا يتعدى زاوية الاتصال بها وليس المسألة أو المشكلة نفسها ، ولم يحدث أن استيقظ شخص فجأة ليقول وجدتها وجدتها مثلما فعل نيوتن عندما سقطت التفاحة من الشجرة فاستوعب من سقوطها الدرس الرياضى فى الجاذبية . أقول لم يحدث أن استوعبنا من الحلم درساً أو خرجنا بحل لمشكلة .

وإذن فما الذى نحلم به ؟ الجواب إننا نحلم بكل شىء شخصى له علاقة مباشرة بنا ونتصل به وجدانياً لأنه لصيق بنا . ونحلم بما يتصل بصراعاتنا اليومية الظاهرة أو الخفية ، التى نعيها أو لا نعيها وتعمل عملها فينا لا شعورياً . وذلك هو ما يأتينا فى الأحلام لأنه يزعجنا أو يقلقنا أو يهمنا ، أى نصاب منه بالهم .

ونحن أولاً نرى فى أحلامنا صوراً عن أنفسنا فالحلم مرآة تعكس الصور الذهنية للحالم عن نفسه ، أى تعكس أفكاره عن نفسه ، وهو يراها فيا يقوم به من أدوار فى الأحلام المختلفة ، ولكل حالم مخزون أدوار repertoire كمخزون ادوار الممثل المسرحى ، ولربما يكون هذا المخزون بسيطاً جداً وليس فيه إلا عدد محدود من الأدوار ، وربما يكون مخزوناً كبيراً يضم عدداً ضخماً منها .

وقد يحلم الحالم فى المجموعة أو السلسلة الواحدة من الأحلام المتشابهة أو المترابطة موضوعياً أو زمانياً أنه يقوم بدور القائد والرجل الإدارى الحصيف والرأسمالى الواسع الإمكانيات والسياسى المحنك ، وفى كل مرة ربما يحلم بأنه ينتهى بتأثير قوة أكبر منه وظروف تطيح به ، وهنا سنجد أن هذا الحالم لديه فكرة راسخة عن نفسه بأنه عظيم إلا أنه يشعر أن عظمته أو سلطته أو قوته من أى نوع لن تستمر للأبد ، وأن مآلها للزوال بتأثير قوى أو ظروف أكبر منه . وهذا حلم نمطى عن القوة التى تستحيل إلى ضعف :

حلمت أنى أجلس وأمامى كل ثروتى والناس تدخل فرادى تحاول أن تسطو عليها وأنا أزود عما أملك وأطاردهم الواحد بعد الآخر إلا أنهم دخلوا جميعاً مرة واحدة وأعملوا النهب فى الحجرة كلها وأنا كالعاجز لا أستطيع لهم دفعاً وهم بهذه الكثرة وقد تكالبوا جميعاً علىَّ فأخذت أبكى وارتميت على الأرض لا حول لى ولا قوة .

وهذا الحالم إنسان يتراوحه الضعف والقوة ، وتصوراته عن نفسه متناقضة ، وتغلب فيها تصورات الضعف على تصورات القوة .

ولربما لا يوجد مجال يمكن أن يقدم لنا تصور الشخص عن نفسه بمثل هذا الوضوح كالأحلام ، ولربما كان أوعى قول فى الأحلام هو هذا القول الحكيم لإمرسون : إن الحكيم هو من يستقرئ أحلامه ليعرف نفسه .

ونحن ثانياً نرى فى أحلامنا صوراً للآخرين ، وهى تكشف لنا ما نفكر فيه عن أمهاتنا وآبائنا وإخوتنا وأخواتنا ، وأزواجنا وأطفالنا ومختلف أنواع الناس من حولنا . وهذه التصورات الحلمية تكون عنهم فى شكل أدوار تناط بهم فى الأحلام ، فإذا كان الحالم يرى فى الواقع أن أباه إنسان متزمت ، صعب ، شديد المراس ، آمر ، فإنه سيراه فى أحلامه يمثل أدواراً تتفق مع ما يراه فيه ؛ وإذا كان يرى فى الواقع أن أمه إنسانة صبورة تتحمل الكثير من أجل أولادها فإنه سيراها فى الحلم أيضاً فى أدوار تثبت هذه النظرة أو الفكرة التى لديه عن أمه . وكثيراً ما يشكو الشباب من أحلام تأتيهم وفيها الآخرون يعتدون عليهم و ينالهم منهم الأذى ، وذلك تصوير لواقع الحال ، حيث تكثر المشاجرات والمساجلات بين الشبان فى أعمارهم الباكرة . وتقل الأحلام التى يتوددون فيها لبعضهم و يبدون لطفاً وأدباً ، وذلك لأن المنافسة والمجاهدة هى الأكثر شيوعاً عند

الشباب . وأيضاً يحلم النساء كثيراً بالرجال فى أدوار المعتدين والغاصبين ، ولو أن هناك أحلاماً غير ذلك فيها تصورات أخرى عن الرجال بخلاف أنهم على ما سبق . وعموماً فإن الحالم فى الأغلب لا يحلم بالشخص الآخر فى دور واحد ، وقد يحلم به فى أحلام متوالية فى أدوار عدة أو تصورات مختلفة وإن كانت ، لو ترجمناها إلى أصولها الفكرية ، تستقى من مصدر واحد هو الفكرة التى لدينا عن هذا الشخص أو ذاك ، والتى تظهر وقد تدثرت بمختلف الثياب فى مختلف الأدوار ، فإذا نزعنا عنها ثياب الدور لظهرت الفكرة الوحيدة التى لدينا عن الشخص . وهذه التصورات تشكل معاً إذن أنساقاً systems لأنها فى جوهرها واحد وإن تعددت شكلاً ، ومهمة تحليل الأحلام أن نكشف عن هذا الغموض أو الفكرة الواحدة التى خلف النسق الواحد من التصورات المختلفة .

ونحن ثالثاً نرى فى أحلامنا صوراً للعالم ، والعالم الذى نقصد إليه هو البيئة الكلية للحالم ، وهى كل ما ليس من نفسه .

ونحن فى الشعر قد ننفخ فى الأشياء من خيالنا حتى لتكون كأنها أشخاص تفكر وتشعر وتنفعل ، فنقول مثلاً إن الطبيعة قاسية ، أو كان البحر رحيماً ، أو عطفت السماء على أحوالنا ، أو دثرنا الليل بردائه ، أو تنفس الصبح ، وذلك كله بحسب المزاج النفسى للشاعر وما يكون لديه من تصورات عن الأشياء وهو يطرح فى تصوراته أفكاره عنها ويجسدها ، وذلك ما يحدث أيضاً فى الأحلام ، فالحالة المزاجية قد تتجسد فى الحلم باللونين الأسود والأبيض أو قد تصبغه بطيف من الألوان ، والطبيعة قد تظهر فى الحلم مواتية أو تكون ثائرة أو غاضبة إلخ .

ونحن نرى رابعاً فى أحلامنا صوراً للمحظورات وللعقوبات وللدوافع ، وتمتلئ الأحلام بالأحداث التى غايتها أن تشبع ما يكون لدينا من دوافع مختلفة وخاصة ما كان يتعلق منها بالجنس والعدوان ، والله سبحانه وتعالى قد جعل هذين الدافعين أقوى الدوافع فينا وربط بينهما برباط متين ، فالجنس لازم لاستمرار الحياة ، والله سبحانه وتعالى زين لنا الجنس وجعله من المحاور الكبرى التى ينبنى عليها السلوك ، وكذلك العدوان لأننا بالقدرة عليه ندفع عن أنفسنا ، وما يبنيه الجنس يحميه العدوان ، غير أن هذين الدافعين كانا أيضاً من أكثر الدوافع إساءة للاستخدام ، ولذلك كان التقنين الشديد من قبل المجتمعات لمنصرفاتها ، وأى إنحراف فى السلوك الجنسى غير مقبول اجتماعياً ، والعدوان غير مباح بشكله الصريح إلا فى الحروب . وتأتى الأحلام وفيها الكثير من الجنس والكثير من وجوه العدوان . ولم يكن غريباً إذن أن يقول فرويد فى باب الرموز فى الأحلام « كلما زاد اشتغالنا بحل مشكلة الأحلام زاد استعدادنا للتسليم بأن غالبية أحلام الراشدين تعالج مادة جنسية وتعرب عن رغبات شهوية (Freud: The Interpretation of Dreams)

وانتهى فرويد إلى أن الأحلام تحقق الرغبات التى لم تتحقق فى اليقظة والتى تطلب الإشباع ، ويتم هذا التحقق أو الإشباع بطريقة غير مباشرة أو مباشرة . ويروى فرويد أمثلة لذلك فقد قال له صديق يوماً « **سألتني زوجتي أن أخبرك أنها حلمت بالأمس أن الحيض قد جاءها** » ، ويعلق فرويد أن هذه الزوجة الشابة إذ تحلم بأن الحيض قد جاءها معناه بالمقلوب أن الحيض قد انقطع عندها أى أنها قد حملت ، وكأن الحلم كان طريقتها الماهرة لكى تنبئ عن حملها .

وهناك هذا المثل أيضاً لفرويد ، فقد كتب إليه صديقه **أن زوجته قد حملت بأنها تلحظ بقعاً من اللبن على صدارها** ، والحلم ينبئ بالحمل وكان هذا الحمل هو حملها الثانى ، والأم تريد أن تقول فى الحلم إنها تأمل أن يدر صدرها لبناً أكثر لوليدها الثانى عما كان يدره لوليدها الأول . ولعله لهذا السبب ذهب فرويد إلى القول إن لب الأحلام هو أنها تحقق الرغبات ، وأن هدف تحليل الأحلام هو الكشف عن الرغبة أو الرغبات التى يحققها الحلم ، غير أننا نزيد على ما قاله فرويد **أن الحلم لا يقول لنا فقط عن أن هناك رغبة تريد أن تتحقق ، ولكنه يكشف عن تصورات الحالم لدوافعه ورغباته** ، وطالما أن أغلب الأحلام تدور حول الجنس والعدوان فإنها تقريباً واحدة عند الجميع بهذا المعنى ، إلا أن الأحلام تختلف من شخص لآخر باختلاف تصوراته لهذه الدوافع ، وما يعنينا عند تحليل الحلم هو أن نكشف عن هذه التصورات فنتبين الدوافع إليها ، ونحن جميعاً نحب ونشتهى جنسياً ، ونحلم أحلاماً جنسية ، ولكن اعتبارات الجنس تختلف عند كل واحد منا ، فلربما نعد الجنس نعمة من الله ، وربما نعتبره نقمة ، وربما نسلكه فى عداد ما هو نجس ، وربما الجنس عندنا شهوة حيوانية ، وربما هو مسألة فسيولوجية محضة بهدف الإنسال والتكاثر ، وقد يكون الجنس من أرق مجالات النشاط الإنسانى ، فيه الحنان واللطف والحب ، وقد يلهمنا الجنس التضحية من أجل من نحب ، وقد يدفعنا إلى أخس السلوكيات ، وتقوم بسببه الحروب ، ولنذكر أن الكوميديا الإلهية ألهمها الحب ، وأن حرب طروادة اشتعلت بسبب الحب . والكثير من الأحلام الجنسية التى تنتهى بالاحتلام الجنس فيها عملية بيولوجية محضة كالتبول ، مثل هذا الحلم :

حلمت أنى نهضت من سريرى وتوجهت إلى الحمام وفتحت الحنفية فلم ينزل ماء ، وحاولت مراراً بدون فائدة ، فقررت أن أستدعى السباك ، ثم فتح الباب ودخل السباك وتأملته فوجدته لدهشتى شابة ، واستغربت أن تعمل النساء فى السباكة ، وتهكمت على ذلك ولكنها لم تبال ، وتوجهت إلى الحنفية وأخرجت أشياء من حقيبتها وجربتها فى الحنفية ، ثم فتحتها فنزل الماء ، واحتلمت .

وتكشف الأحلام عن تصورات الحالم للعراقيل التى تقف دون تحقيق رغباته أو إشباع دوافعه . وهذه العراقيل كثيراً ما يكون مصدرها داخلياً - يكون السبب فيها ضميره ، فيرى

الحالم أن الحوائط تقوم بينه و بين ما يريد ، وقد يجد الأبواب مغلقة ، وقد يحاول أن يسير بسيارته ولكن الفرامل تمنعه ، أو قد يمنعه ظهور شخصية تمثل السلطة كأن يكون الأب أو ناظر المدرسة أو مدير الشركة . إلخ ، فإذا أشبع حاجته فى الحلم وتحققت به رغبته فإنه من المحتمل أن يحلم فى نفس الوقت بعقاب ينزل به نتيجة ذلك ، ولربما يكون العقاب مباشراً كأن يضرب به أحد الناس أو تحل به كارثة فتنقلب به السيارة أو يصطدم بشىء . ونحتاج دائماً أن يرى المفسر فى أمر العقاب ووسيلته ، والعقبات التى قد تحول بين الحالم وما يتمنى ، ليحلل تصورات الحالم و ينفذ إلى طبيعة الأنا الأعلى عنده . ولكل منا أنساقه الحلمية التى تكون بها تصوراته لهذه الأمور ، ومع أنها أنساق لا تتصل بالأنا وسيكولوجيته وإنما تستقى من الأنا الأعلى إلا أنها على أى الأحوال تشكل الأيديولوجية الأخلاقية للحالم .

وتقدم الأحلام خامساً تصوراتنا للمشاكل والصراعات ، ولعل أهم ما يمكن أن تزود به الأحلام من معلومات هى تلك المتعلقة بما نعانيه من أزمات ، والأزمات كالحب والعنف كلنا نخبرها ، ولكن فى الأحلام تبين الاختلافات بين الناس فيما يتصورونه لمشاكلهم . والحلم يكشف داخليات المشاكل دون مواربة ، و يلقى الضوء على الجانب الشخصى جداً للمشاكل ، وما يقدمه من تصورات هو طرح تجسيدى لها يختلف عما يمكن أن نقرأه عنها من تقارير فى اليقظة ، والصورة أبلغ فى تعبيرها من الكلمة ، وما دامت الطريقة التى يتصور بها الشخص صراعاته هى التى تحدد سلوكه إزاءها فإن الإطلاع على ما نتصوره داخلياً للمشكلة ضرورى لفهم تصرفات الإنسان . ومن الممكن أن نرسم هيكلاً تخطيطياً لصراعاتنا بتحليل زملة أحلام أو مجموعة منها لنفس الحالم . ومعرفتنا لتصوارت الشخص الحلمية تساعد الأخصائى النفسى على فهم الشخص ومن ثم التنبؤ بسلوكه فى المستقبل ، كما أنها تساعد المحلل النفسى على السيطرة على سلوك الشخص المراد السيطرة على سلوكه . و ينبغى أن لا نفهم من اصطلاح التصورات الحلمية أنها الأفكار التى لدينا عن الواقع وأنها أفكار تتطابق لذلك مع الواقع ، فالواقع شىء وما نتصوره عنه شىء آخر ، فقد تكون صورة الأب مثلاً عند الابن صورة لإنسان متزمت وقاس وعنيف ، فى حين أن الابن ليس كذلك فى الواقع طبقاً لرواية آخرين منصفين ولا مصلحة لهم فى التحيز للأب أو عليه . و بناء عليه لا ينبغى أن تلتبس علينا التصورات التى نتحصل عليها من الأحلام بالواقع الموضوعى فنتعامل مع الناس بحسب ما نراه لهم من تصورات فى أحلامنا . وليست الأحلام إلا مصدراً للمعرفة يمدنا بالمعلومات عن واقع ليس هو الواقع الموضوعى وإنما هو واقع ذاتى ، والإحاطة بهذا الواقع الذاتى تفيدنا فى معرفة سلوك الناس لأن هذا الواقع الذاتى يؤثر فى السلوك و يصنعه ، فإذا كان الحالم يرى أن أباه إنسان مسيطر فسيكون رد فعل هذه الرؤية تعامله مع الأب باعتباره كذلك ..وإذن فهذه الأفكار الخاصة التى تصدر عنها الأحلام بمثابة معارف شخصية أو ذاتية للسلوك ، وهى المقدمات التى يكون السلوك نتيجة لها . ونحب أن نؤكد هنا

مـا نقول به من تأثير للمعارف الذاتية على السلوك ، ونحسب أن تجاهل ذلك من علماء النفس يضر بمسيرة علم النفس ، ولربما يكون العامل الحاسم الدافع إلى السلوك هو هذه المعارف الشخصية وليس ما اصطلحنا على دراسته ووصفناه بأنه الدوافع الموضوعية من ملابسات الشخص أو بيئته . والناس قد يستجيبون استجابات مختلفة لأن ما لديهم من تصورات لنفس المثير ليس واحداً ، وربما تتشابه تصوراتهم فيستجيبون للمؤثرات المختلفة بنفس الطريقة . ونحن نعتقد أن لكل منا تصوراته الخاصة التي تتزامل كالأمشاج بحيث تتكون في مجموعات تتصل ببعضها البعض ، فمثلاً لدينا تصورات عن أفراد عائلتنا ، ولربما تتصل هذه المجموعة المتشابكة مع مجموعة تصورات أخرى متشابكة تكون لنا عن نظام الحكم أو عن الدين أو عن النظام التعليمي .

وتثبت الدراسات النفسية والاجتماعية على الأقليات أن أفكارهم عن الأسرة ترتبط بأفكارهم عن الحكومة والدين والاقتصاد .

ونرىٰ أن من مهام علم النفس دراسة هذه الأنساق من الأفكار أو هذه الأيديولوجيات الخاصة ليكشف عن طريقة ترابطها وتطورها وتأثيرها في السلوك وتنظيمه والتحكم فيه ، وليميط اللثام عن تغيرها إذا تغيرت وشروط هذا التغيير . ولكي يحقق علم النفس ذلك لابد أن يؤلف الطرق التي يستطيع بها أن يكشف عن تصورات الناس . وعندنا طرق استفتائية لقياس الاتجاهات والآراء بلغت شأواً عظيماً من الدقة والتطور ويمكن بها أن نتعرف على معتقدات الناس مهما كانت ، ورغم القيمة الهائلة التي لهذه الطرق إلا أنها محدودة بسبب عوامل داخلية فيها ، فلربما لا يجيب المقدم إليه الاستفتاء على أحد الأسئلة لأنه لا يريد أن يجيب أو لأنه لا يعرف الجواب ، أو ربما يجيب عليه إجابة لا تعبر عن رأيه فعلاً و يتعمد فيها أن لا يصدق ، أو ربما هو يتعمد الكذب . وأيضاً فإن صياغة الاستفتاء مهمة ، وأقصى ما نحصل عليه من معلومات هي معلومات عن التصورات الواعية للشخص التي تقبل التعبير عنها بالكلام . فإذا كانت هناك تصورات لا شعورية أو أنها قبل شعورية فإنه يتوجب اصطناع طرق تفيد في هذا المجال ، ومن ذلك الطرق الإسقاطية وخاصة ذلك النوع الذي يطلب من المفحوص أن يعطينا قصة عن الصورة ، إلا أن هذا النوع من اختبارات القصة ــ الصورة لم يستخدم في هذا المجال للكشف عن التصورات الشخصية ، وحتى إذا استعمل لهذا الغرض فإن مجموع الصور التي يمكن تقديمها للمفحوص مهما كان هذا المجموع يستحيل أن يستوفي كل تصورات الشخص . وأوجه القصور هذه في أية من الوسائل السابقة يجعل الأحلام هي الوسيلة الوحيدة المثلى في هذا المجال ، فالحالم يصنع صوره الحلمية لتصوراته الذهنية ، وهو دائماً يعلي التصورات الأهم و يقدمها على غيرها بعكس أي وسيلة اختبار أخرى من الوسائل الموضوعية ، علاوة على أن الأحلام تكشف اللاشعور وتدفع ما فيه من أفكار أو رغبات أو صراعات إلى السطح في شكل الصور الحلمية . وهذه التصورات المختزنة في اللاشعور هي تصورات لأشياء جرت للحالم في الماضي البعيد ــ في

الطفولة ــ ومن الصعب أن تطفو إلى سطح الشعور إلا فى الأحلام . ودفعها إلى السطح يأتى فى الأحلام عفوياً . وإذن فالأحلام هى أنسب وأفضل ما يمكن أن تكون به دراسة أنساق الأفكار أو التصورات التى لكل شخص ، وهذه الدراسة أو المعرفة تلزم للإحاطة بسلوك الناس وفهم الدوافع إليه . فكيف يكون ذلك ؟ سنحاول فى الحلم التالى أن نستخدم المنهج السابق لتحليله ، وصاحب الحلم شاب :

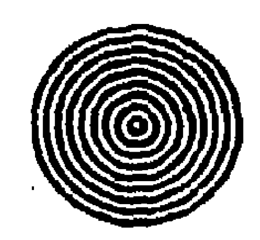
حلمت أنى فى المدرسة أقف قبالة السبورة وأحاول أن أحل مسألة رياضية دون جدوى ، وكدت أضع الطباشيرة يائساً ، وإذا بفتاة تتقدم نحوى وتأخذ بيدى وتدوربى ، وكانت هناك موسيقى رقيقة إلا أنها أحياناً تسرع وأحياناً تبطئ فتكون نشازاً ، إلا أنى كنت منسجماً تماماً مع الفتاة ، وكانت رائعة . وعندما توقفت الموسيقى وجدت أنى وهى فى الحمام نأخذ حماماً بملابسنا ، وحاولت أن أقنعها أن تخلع ملابسها وغمزت لها بعينى ، ولم أكن من قبل قد ارتكبت أى فعل من أفعال الزنا ، وقلت لها ذلك وضحكنا وكنا نتراشق برزاز الماء . ثم رأيت نفسى خارج المدرسة ، والدنيا ليل والنوافذ من حولى مضاءة ، وهناك حفلة صاخبة قائمة على قدم وساق . وأحسست بالوحدة وأردت أن أدخل المدرسة ولكن شيئاً كان يشدنى بعيداً ، ثم سمعت المؤذن يؤذن للصلاة .

فى هذا الحلم نرى الحالم فى البداية يحاول أن يحل مسألة ، وصورته عن نفسه أنه طالب مجد ولكن المواد التى يدرسها صعبة عليه . وتأتى الفتاة وتمسك بيده وتدور به ، والفتاة هى التى تفعل ذلك ، والمبادأة بيدها فهى الغاوية وهو الضحية ، وهى التى تصرفه عن دراسته فيترك النشاط الفكرى الذى كان يمارسه والذى لم يكن مؤهلاً له ذاتياً إلى نشاط آخر فيه الفتاة والموسيقى والدنيا خارج مبنى المدرسة . وهو يريد أن يأثم لكنه لم يفعل ذلك من قبل و ينكص عن أن يتم ما بدأته الفتاة . ثم يرى الحالم نفسه وحيداً يتفرج على الدنيا من حوله غارقة فى الملذات والحفلات الصاخبة ، و يستفيق من الفرجة بصوت المؤذن يدعوه للفضيلة والواجب ، وكأن المؤذن هو تصوره للأخلاق ، وهو تصور دينى كما نرى .

و يكشف الحلم عن نسقين من الأفكار يتعارضان ، أحدهما النسق الذى يشتمل على تصور الحالم لنفسه كإنسان يتعلم ويجهد أن يعرف ، والآخر النسق الذى فيه تصوره لنفسه شخصاً يطلب الملذات . والتصوران منفصلان وكلاهما يلغى الآخر ، ولا يستطيع الشاب من ثم أن يستبقى نفسه دون دنس و يتابع دراسته ، وأيضاً لا يستطيع أن يعيش كالناس غارقاً فى الملذات ، فإذا حاول المذاكرة وأن يفعل الواجب والصحيح فإن الجنس يدعوه فى شكل الفتاة ، وإذا حاول أن يرتكب الخطأ فالواجب والأخلاق والدين يدعونه دونه ، وكأن الشاب لديه تصور عن نفسه أنه غير كفء للمذاكرة ، وأيضاً لأن يعيش حياة شهوانية . ونرى فى الحلم أن الجنس فى ذاته لا يعنى شيئاً بالنسبة إليه ، ولكن تصوره للجنس هو الذى يجعل إتيانه له محرماً .

وتكمل أحلام أخرى الصورة العامة للشاب ، ففى حلم يمارس الجماع فعلاً ولكن ذلك لأن لفتاة جهدت أن توقعه فى الخطأ ، و يعنى ذلك أن هذا الفتى يمكن أن يتنازل عن مبادئه إذا وقع تحت الضغوط . وهو يبدى الندم على فعل و يأسف لأنه خضع لامرأة لعوب ، وكأنه ير يد أن يقول إنه كان الأولى به أن تكون علاقته بفتاة شر يفة ، فكأن النساء عنده صنفان : فهن إما المرأة اللعوب أو الفتاة الشر يفة . وهو فى حلم ثالث يمزج العمل بالجنس وتلتبس تصوراته الخاصة الأخلاقية باللا أخلاقية .

حلمت أنى أذاكر مع زميلة فى بيتها وكنا نجلس على سر يرها فكلما ثارت مشكلة علمية تحول نقاشنا لها إلى ملاعبة ، ومع كل سؤال علمى تكون ملاطفة جديدة غير أنى لم أزد إطلاقاً على التقبيل .



« أحـــــلام الـــعـــنـــــف »

لقد كان حديثنا حتى الآن عن الأحلام الجنسية ، والكثير من أحلامنا جنسى الطابع فعلاً ، لكن الجنس ليس وحده محور الأحلام ، فلئن كان الدافع الجنسى دافعاً أساسياً فى الإنسان فإن الدافع الثانى هو العدوان . والناس يخشون أكثر ما يخشون الجنس إذا انفلت أمره ولذلك كانت القيود والأوامر والزواجر والنواهى بخصوصه . وأيضاً فإن الناس يكرهون العدوان و يبغضون العنف و يفرضون أنواع العقاب على من يمارسهما . ولقد سبق أن قلنا إن الجنس والعدوان من نعم الله سبحانه وتعالى علينا ، فلكى تستمر الحياة لابد من الجنس ، ولكى يكون إعمار الدنيا لابد من العدوان ، فالنحات يعتدى على الحجر ليصوغه تمثالا ، والمهندس يستغل العدوان عنده ليدمر الجبال و يصنع نفقاً فيها ، والجندى يدفع عن وطنه ، والأب عن بيته لأن العدوان فيهما وفى تكوينهما . والجنس لابد من تنظيمه وإلا استحال فوضى اجتماعية ، والعدوان ينبغى تقنينه وإلا نزا القوى على الضعيف . وتتوجه التربية إلى التسامى بالجنس والعدوان وصرفهما فى منصرفات مشروعة تفيد الفرد والأسرة والمجتمع . ويمارس الناس مضطرين القمع والكبت لهذين الدافعين الأساسيين ، فتكون الأحلام من ثم منصرفاً لما نكبته أو نقمعه منهما فى اليقظة . وإننا لنتأمل ما يعتمل فينا فى النهار من رغبات وما تذهب إليه توهماتنا وتخيلاتنا الجنسية والعدوانية ، ولكننا نمسك أنفسنا عن الإفصاح عما يجيش داخلنا وتظل العواطف مع ذلك فى بواطننا تعمل عملها وتفور وتغلى ، فإذا جن الليل واضطجعنا لننام وخفت رقابتنا على أنفسنا ظهر كل ما أفلحنا فى قمعه أو كبته إلى السطح من الأعماق ، ومسرحته الأحلام مشاهد وشخصيات وحوادث ، ومن ثم كان الكثير من أحلامنا عدوانياً أو له طابع العنف ، طالما أن الكثير مما

يواجهنا فى الحياة قد يثير حفيظتنا ونغضب له أو نثور، ونود لو نطلق لغضبنا العنان ونعمل فى الأشياء أيدينا أو حتى أسناننا ، وقد يتراءى لنا أن نقتل أو ندمر. وقد يكون ما يثيرنا لا يثير غيرنا ، وذلك لأننا لا نثور للفعل نفسه ولكن ثورتنا تكون لما نتصوره عن هذا الفعل ، فالمثير هو ما يتحصل عندنا من انطباع أو تصور عقلى ، وهذا التصور العقلى أو فكرتنا عن الانفعال والأشياء والناس هى التى تستثيرنا .

والموقف العدوانى له **مكونات ثلاثة رئيسية** ، وهى الشخص الذى يقوم بالعدوان ، ونطلق عليه اسم **المعتدى** aggressor ، والشخص الذى يتوجه إليه العدوان ونطلق عليه اسم **الضحية** ، ثم هناك **فعل العدوان** نفسه .

وتناولت العديد من الدراسات الأحلام من هذه الزاوية ، وتبين أن العنف فى الأحلام يأخذ إما شكل **عدوان مادى** أو **عدوان بالكلام** أو أنه فيه **الاثنان . والقتل** نادر فى الأحلام ، وكذلك السرقة وتخريب الممتلكات والتمرد . والعدوان فى أحلام الذكور العنيفة مادى أو بدنى ، بينما أحلام الإناث العدوان فيها بالكلام . والذكور أعنف من الإناث فى أحلامهم و يكثر اتيانهم للعنف ، و يتمشى ذلك مع القول المأثور أن الذكور أعنف عموماً من الإناث سواء بتأثير من تكوينهم العضلى والعظمى واتجاهاتهم الطبيعية أو المتعلمة بتأثر البيئة والتربية والثقافة .

وقد نتساءل **عمن يقع عليه أكثر العدوان سواء من الذكور أو الإناث ؟** والجواب أنه أكثر ما يتوجه إلى الحالم نفسه فهو فى الغالب الضحية ، وسنعرف أن من الحيل المتبعة فى الأحلام حيلة القلب أو العكس ، فبدلا من أن يعترف الحالم بأنه يعتدى على الناس فإنه ينسب العدوان لغيره و يظهر نفسه فى مظهر المعتدى عليه ، و يتخلص بذلك من أن يقال عنه أنه عدوانى ، فالعالم الخارجى هو العدوانى ، وهو ملئ بالأعداء يتربصون به الدوائر لأنه أخطأ فى حقهم بأن طلب أن يؤكد ذاته وتكون له نفسه وأن لا يكون لأحد سلطان عليه ، أو لأنهم يغارون منه لأنه متميز كما يرى بينما هم عاديون .

والذكر عندما يحلم أحلاماً عنيفة يتلقى الاعتداء عليه من ذكور مثله غالباً ، وكثيراً ما يكونون أكبر سناً ، والكبير السن فى حلم الذكورة غالباً ما يكون الوالد ، فإذا كان الطرف الآخر فى الحلم فى سن الحالم فالعدوان يتبادله الطرفان ولا يكون الحالم فى دور الضحية كما فى الأحلام التى يكون الطرف الآخر أكبر منه سناً . ومثل ذلك فى **أحلام الإناث** مع اختلاف بسيط ، فأحلام الإناث فيها الطرف الآخر قد يكون أنثى وقد يكون ذكراً ، والأنثى كبيرة السن تعنى الأم ، والبنت تكون الضحية ، بينما إذا كانت الأنثى فى سن الحالمة فالعدوان يتبادلاه على قدم المساواة . والأنثى فى الحلم قد تحلم بأن العالم كله ضدها ذكوراً وإناثاً ، بينما الذكر لا يتلقى

العدوان إلا من الذكور. ومن هذه الزاوية تعانى الإناث فى أحلامهن حيث الجميع معتدون إناثاً وذكوراً .

وقد يحلم الناس **بالأغراب** ، ونحن نميل إلى أن ننسب العدوان إلى الأغراب أكثر مما ننسبه إلى الأهل أو الأصدقاء أو حتى المعارف ، و يتوجه عدوان الحالم إلى الغريب ولا يجد تثريباً فى ذلك طالما أنه غريب ، ولا إثم على أن يشتجر الحالم مع الغريب . وكثيراً ما يمثل الغريب جوانب من شخصية الحالم غريبة عليه ، وأحياناً يرمز إلى أناس يعرفهم ، ومن ثم فالشجار مع الغريب قد يكون فى الحقيقة شجاراً مع النفس أو مع الأهل أو الأصدقاء .

و يتفاوت العنف فى الأحلام ، فبعض الناس يحلمون دائماً بأحلام عنيفة ، والبعض قد لا يحلم بها ، والبعض قد يكون العنف فيها عدواناً عليه ، والبعض قد تكون أحلامه العنيفة عدواناً على الآخرين ، و بعضهم العنف فى أحلامهم مجرد تقطيبة حاجبين أو عبوس وجه ، والبعض العنف يتمثل ضرباً ولكماً . ويختلف الناس فيما بينهم فى مقدار العنف فى أحلامهم ، والمدى الذى يصل إليه فيه العنف عندهم سواء كان موجهاً إليهم أو يمارسونه هم أنفسهم على الآخرين . وإليك هذين المثلين من أحلام شخصين من نفس البيئة والمستوى الثقافى و ينتميان إلى أسرتين متشابهتين تقريباً فى كل الظروف و يدرسان فى نفس الكلية ، ولنرمز للأول بالرمز **(س)** والثانى بالرمز **(ص)** . وفى عدد من أحلام **(س)** بلغ عشرة لم يكن هناك عنف على الإطلاق ، وكانت كل أحلامه مبهجة ولطيفة من هذا النوع :

كنت مع فتاتى نسير فى حديقة ، وكانت مهمومة وتحسب أن أهلها صاروا يعلمون بعلاقتها معى ، و يبدو أن حالتها انعكست على الجو فكانت الدنيا غائمة والهواء به لسعة ولكننى سارعت فقلت لها لماذا كل هذا الحزن . سأسوى المسألة معهم وسترين ، وملت عليها وقبلتها طويلاً وفجأة ارتفع الغمام وأشرقت الشمس وشاع الدفء وابتسمت ثم ضحكت معها .

وكما نرى فاتجاهات **(س)** سلمية وبميل إلى المهادنة وإرضاء الناس وحل مشاكله بالتفاهم ، ومن يعرفه يسعد ولا يعرف الحزن .

وأما **(ص)** فعلى العكس تماماً فهو مشاكس ونكد ولا يحلم بالحب ، وهو إما معتد أثيم أو معتدى عليه وضحية ، والجميع ضده أطفالاً وشيوخاً وشباباً ونساء ، وهو يتشاجر مع طوب الأرض ولأسباب تافهة ، وعنده أن الناس إما سمك ضعيف أو حيتان وغيلان ، والمثل الذى يردده دائماً « اتغدى بعدوك قبل أن يتعشى بك » . وإذا خلت أحلامه من العدوان فهناك العنف ، و يتمثل فى حوادث تقع له أو لمعارفه ، أو أنه مجرد يرى جنازة فى الحلم أو طائرة تسقط .

وتحليل أحلام (**ص**) تبين أنه يعانى من صراعات داخلية هائلة بين شهواته و بين ضميره ، ولقد تمثلت هذه الصراعات فى حلم من أحلامه ، فقد رأى نفسه فى الكلية وهناك مظاهرة ، وكانت هناك جماعتان ، الأولى ملتحون و يبدو أنهم من الجماعات الإسلامية ، والثانية كان واضحاً أنهم أفضل فى لباسهم وأقوى فى أجسامهم ، والجميع يتراشقون بالطوب ، وقوات الشرطة تقف غير بعيد بالعصى والخوذات على رءوسهم ، واحتار إلى أى فئة ينضم ، على أنه كانت هو ية الجماعة الأولى واضحة فهم من الإسلاميين المتزمتين ، بينما الثانية تعلن عنهم ملابسهم وأجسامهم ، أناس يعيشون فى بحبوحة وترف . وهكذا كان يرى العالم الكبير خارج الجامعة رؤ يته للعالم الصغير داخل الجامعة ، فئات متناجزة ومتناحرة وحر باً تشمل الجميع كأنها حرب أهلية .

وإذن فالشخصية (**س**) نقيض الشخصية (**ص**) ، والشخصية (**س**) بميله إلى المهادنة يتصرف كالإناث ، وهو فعلاً يتمتع برقة كالإناث ، وتعبيراته منتقاة ، ولباسه فيه ذوق ، و به لمسات فنية فهو يحب الرسم و يعشق الطبيعة ويهوى أن يطلق شعره و يسرحه كالبنات ، وأما (**ص**) فهو جلف ومتوحش ، سواء فى خلقه أو لباسه أو طر يقته فى التعبير أو حتى عباراته ، ويهوى الأفلام البوليسية وأفلام الحروب ، ولم تكن فى أحلامه وعددها مماثل لأحلام (**س**) سوى حلم واحد رأى فيه نفسه كأنه يطير سابحاً فى الهواء مبتعداً فى الفضاء ، ولم يكن له تفسير سوى أنه فى هذا الحلم يتمنى لو يموت فتنتهى متاعبه ، وأحلام الطيران من هذا النوع تعبير عن العجز عن التعامل مع ظروفه ورغبته أن يهرب منها ، بل ومن الحياة كلها ، ولكن هيهات فلا منجاة له حتى بالهرب لأن الحرب الأهلية ليست بين جماعتين أو ثلاث جماعات فى الخارج ولكنها حرب داخل نفسه و بين ضميره (الجماعة الإسلامية) ونوازعه (الجماعة المقابلة) وأسرته (المتمثلة فى الشرطة) .

والعنف فى الأحلام قد يأتى صريحاً كالشجار والسباب والضرب وما أشبه ، وقد يكون حوادث عنيفة تجرى للحالم أو لإحدى الشخصيات فى الحلم . ولا يحدث كثيراً أن يكون هناك موت أو مرض خطير أو مصائب ، والغالب فى الأحلام وخاصة ما تعلق منها بالحالم نفسه أن تكون الأحداث العنيفة من النوع التافه فإذا كان هناك مرض فهو مرض خفيف ، وإن كانت هناك مخاطر فهى ليست مهلكة .

ولقد فسرنا الأحلام العنيفة بأنها التى يكون فيها عدوان ، ولكننا قلنا إن الحوادث تعبير غير مباشر عن العدوان ، والحوادث لا تشكل عدواناً فى الظاهر ولكنها كذلك فى الأحلام ، لأن الأحلام كما سبق أن قلنا تعبير عما يجرى فى ذهن الحالم ، ولأن الحالم يحلم فلابد أن هناك فكرة ما فى ذهنه تخرج فى الحلم فى صورة ما ، فلو فرضنا أن شخصاً حلم أن أباه قد مات ، فما الذى جعله يحلم هذا الحلم ؟؟ هل هناك حقاً قوة خارجية ألهمته بالحلم وأنذرته بأن أباه سيموت ؟

نحن لا نذهب إلى هذا الرأى ، ونميل بدلاً من ذلك إلى أن نقول إن فكرة موت الأب نبتت فى ذهن الابن ، والابن يكره أباه و يتمنى له الموت ، وهولا يستطيع أن يقتله بنفسه ، ولكنه لو رآه يموت فى حادث ، أو لو سمع بموته فى طائرة فإن المسئولية لن تقع عليه ، وسيكون مرتاح الضمير لأنه لم يقتله بيديه . وتسجل الأحلام الكثير من المضمون السابق . وفى أحد الأحلام حلمت زوجة بأن أسرتها كلها بما فيها زوجها وأولادها غرقوا فى البحر وجرفتهم أمواجه ، وبهذه الحيلة تخلصت منهم دون أن ترتكب جرماً ، وأتاحت لها الحادثة أن تستشعر الشفقة على نفسها وترثى لحالها لأنها صارت وحيدة فى الدنيا ، وكم يذكرنا ذلك بحال الفتى الذى قتل أباه الطبيب وأمه المذيعة بدعوى أنه كان يرثى لحالها و يشفق عليهما و يطلب لهما الراحة من عناء العيش ، أو حال الفتى الذى فعل نفس الجرم وقتل والديه الاثنين ثم طلب من القاضى الرحمة لأنه يتيم !!

وإذن هل أحلام العنف المتمثلة فى أحلام الموت هى أحلام رغبة تريد أن تتحقق ؟ ألا يمكن أن تكون تعبيراً عن الخوف أكثر منها تعبيراً عن رغبة ؟ ألا يمكن أن نحب أهلنا فنخاف عليهم من الموت ؟ وهل نحن دائماً نكره أهلنا حتى نتمنى لهم الموت ؟ إن فكرة أننا نخشى على أحبائنا من الموت فكرة بعيدة وذلك لأننا لو فكرنا على هذا النحو فإن معنى ذلك أن فكرة الموت تتملكنا وتلاحقنا وأننا مرضى بها فيما يسمى خواف الموت ، وهذا الخواف من الاضطرابات النفسية من نوع العصاب . والموت حقيقة بسيطة ، ونحن نتقبله ونتوقعه دائماً فى كل حين ، وكل شارع ، وعندما نركب الطائرة ، ونقود السيارة ، ونقف أمام آلة فى المصنع ونمسك بموسى ، ولكننا نعيش مع ذلك وننسى حكاية الموت هذه ، ونستمتع بحياتنا . وإذن فأحلام الموت ليست لأننا نخاف على أحبائنا ، وليست أيضاً لأننا نتوقع لهم الموت إذا كانوا مرضى ، فالمريض لا نحلم بأنه مات لأن معنى ذلك أن قوة خارجية أطلعتنا على الغيب وذلك موقف غير علمى . ولم يتبق إذن إلا أن تكون فكرة الموت فكرة منبثقة عن تفكير الحالم ، وهو يحلم بأن أباه مثلاً مات ، و يصحو من النوم متكدراً ومنزعجاً بشدة ، والسبب أنه فى الواقع يتمنى لأبيه الموت ، ولنفترض أن هذا الأب مريض وطال مرضه وأتعب من حوله حتى صاروا يتمنون له الموت ولكنهم لا يستطيعون أن يفصحوا عن ذلك ، ولنفترض ذلك ونبعد فكرة أن الحالم يكره أباه و يتمنى له الموت ، ولنقل أن تكدره وانزعاجه ليسا فى الحقيقة لأنه قد ضايقه أن يموت أبوه ، ولكنهما لأنه قد جرؤ وأسقط رغبته الشريرة فى الحلم الذى حلمه ، لدرجة أنه قد يلوم نفسه متسائلاً لماذا أحلم مثل هذا الحلم الفظيع ؟؟

ولربما نسأل أنفسنا لماذا لا نحلم للمريض المشرف على الموت بأنه يشفى بدلاً من أن نحلم بأنه يموت ، والجواب أن كل شخص يحلم بما لديه من أفكار ، ولو كانت فكرة تمنى الشفاء له موجودة لتجسدت فى الحلم ولكن الموجود هو فكرة الموت . وفى الكثير من الأحلام نحلم فعلاً بأن المريض يشفى ، وقد نحلم بأنه عاد إلى الحياة و بعث من جديد .

وقد يمكن أن نذهب فى تفسير أحلام الموت مذهباً آخر بخلاف أننا نتمنى الموت لشخص ما ، فلربما يعنى الموت الأدبى للشخص وليس الموت على الحقيقة ، كأن يكون قد فعل جرماً فنحلم بأنه مات كقولنا فى اليقظة أن فلاناً من الناس قد انتهى أمره ومات . ولربما يعنى الموت أن علاقتنا بالشخص الذى نحلم بموته قد انقطعت عاطفياً ، وقد نحلم به ميتاً ثم بعث حياً ، ومعنى ذلك أنه قد كانت القطيعة بيننا و بينه ثم عادت المياه إلى مجاريها وصار منا فى المنزلة التى كانت له ، كهذا الحلم لفتاة أحبت بعد مدة من موت أخيها وكانت له منزلة كبيرة عندها :

حلمت بأخى يقول لى إنه يريد أن يقابل خطيبى ، وأنى لا يمكن أن أتزوج دون أن يتعرف به . وقلت له إنه ميت فكيف يريد أن يتعرف به ، فقال إنه لم يمت حقيقة !!

و يكشف تحليل الحلم أن الفتاة كانت متعلقة بأخيها ، ولا تعقد أمراً دون أن تشاوره ، وهى تتمنى لو كان حياً فيقضى برأيه فى خطيبها ، وأنها رغم موت الأخ وانقضاء مدة طويلة على ذلك فإنها ما تزال تحت تأثيره فهو الذى يخطط لها حياتها ، والزواج حدث ضخم جعلها تحلم بأخيها فى هذا الوقت بالذات لحاجتها إلى الأخ ونصحه ، وارتباطها بأخيها من ثم ارتباط قوى لم يفلح الموت وانقضاء زمن كبير بين زمن الموت وزمن الحلم فى زعزعته ، وهى لذلك تقول على لسان أخيها أن هذا الأخ لم يمت حقيقة بما يعنى أنه وإن كان قد مات على الحقيقة فإنه لم يمت بالنسبة لها .

ولربما ذهب ابن سيرين إلى شىء من هذا التفسير السالف لولا أن ابن سيرين يجعل أحلامه كلها من النوع النذيرى أو التبشيرى الذى يهتم بالإخبار فيها عن شىء سيحدث وذلك ما نخالفه فيه ، والموت عنده قد يعنى أيضاً الموت الأخلاقى وقد يعنى الموت الأدبى أو الاجتماعى وربما الموت الدينى . ونزول الموت بساحة الحالم قد يعنى أن تحل به مصيبة ، ونذهب نحن إلى القول إن المصائب ومنها الموت عندما تنزل بالحالم أو بشخصية من شخصيات حلمه قد يكون استنزالا منه للعقاب لنفسه كما تقول فى اليقظة إنى أستحق العقاب ، وكذلك يفعل الحالم أحياناً وكأنه يعاقب نفسه فعلاً لأنه يستشعر الذنب على أنه ارتكب فعلاً إداً أو فكر فى ارتكابه أو طاف به مجرد خاطر شرير . والجدير بالذكر أن الأشرار لا يحلمون هذا النوع من الأحلام بل يحلم به الطيبون فهؤلاء بهم حساسية شديدة لما يفكرون فيه أو يفعلونه و يلاحقهم الشعور بالذنب والندم باستمرار . وهذا المثل لسيدة كثيرة الأحلام بالمصائب والأمراض ، وهى متزوجة وسعيدة ولكنها ترى أنها لسبب من الأسباب لا تستحق كل هذه السعادة وتخاف من المستقبل وتحلم أحلامها تلك . وسيدة أخرى نشأت فى بيت دين وتصلى كثيراً ولكنها تطاوع زوجها على الفعل الجنسى وتحس لذلك بالذنب وتعاقب نفسها على شهوانيتها فى الليل عندما تنام بأن تحلم بمثل ما سبق لدرجة أنها تنهض من نومها متعبة ومجهدة وجسمها يوجعها مع أن المصائب التى تحلم بها تحلم بها لغيرها وليس لنفسها :

حلمت أن زوجي كان ينام بجواري ثم جاءني أبي الذى مات منذ زمن بعيد وابتسم لي وقال سآخذ زوجك معي أفضل ومددت يدى أمنع ذلك وقمت من نومي مفزوعة .

والحالمة ترى أن شهوانيتها السبب فيها زوجها ، وأبوها أو ضميرها يقول لها أن الأفضل لها لو أن زوجها مات ، وكانت هي تحب أباها ، وهي أيضاً تحب زوجها ، ولكن الحل الذى تراه أن يموت هذا الزوج برغم حبها له ، ولما لا وأبوها قد مات .

وهذا حلم ثان لها :

حلمت أني مدعوة لوليمة وجلست وكانت المائدة حافلة وأكلت كأني لم آكل في حياتي . وقلت لنفسي إني دائماً أقول كأني لم آكل في حياتي . وكنت سعيدة غاية السعادة ، والبهجة في وجهي ، وأخذت ورك ديك رومي وقضمت عدة قضمات وبلعت وفجأة أحسست كأن عظمة دخلت زوري وأني أختنق بها ، وحاولت أن أصرخ وشعرت أني سأموت ولم يكن أحد إلى جواري .

والوليمة الحافلة هي اللذة الجنسية التي تستمتع بها يومياً تقريباً مع زوجها ، والرومي هو زوجها ، والمعظمة التي دخلت فمها تكاد تغص بها رمز جنسي للقضيب أو لفحولة زوجها ، ولذتها مترعة حتى لتكاد تغص بها ، وعلاقتها الحميمة بروجها أنستها الناس ، وهي تخاف أن يتركها هذا الزوج ، وخوفها هو عقابها لنفسها على استمتاعها ، ولو تركها فلن تجد أحداً حولها يواسيها .

وهذا الحلم لها أيضاً :

حلمت بأني أسير أمام بيتنا وأدخل النادى المواجه لنا وأنظر من حديقة النادى على شقتنا ، وكانت مظلمة ولا أحد في نوافذها وشعرت بالوحدة ، ونظرت كل العمارات المجاورة فوجدتها مظلمة والسواد يلفها جميعاً ، وشعرت أني أريد أن أركض ولكني خفت لو فعلت ذلك أن تؤلمني ساقيَّ فأنا أشكو وجعاً بها مستمراً وقلت لو تحركت ربما أنتهي تماماً .

والركض يعني عندها أنها تريد أن لا تسلم نفسها لشهواتها ، وعندها أنها الأفضل أن تجد نفسها وحدها على أن ترضخ لنزوات زوجها ، وهي نزوات شريرة « سوداء » ولكن بيتها القائم عليها ليس وحده في ذلك فكل البيوت هكذا ، والشهوة السوداء تلفها جميعاً ، ولو فعلت وهربت من بيتها أو زوجها فإنها تخشى أن تتألم ، وربما قد يعني انفصالها عن زوجها نهايتها بالكلية ، وهي لا تخشى في بيتها إلا عندما يأتي الليل لأنه زمن الاستسلام للشهوات . والمهم أن هذه السيدة لا تعاني من رغباتها الجنسية ولكن من أفكارها عن الجنس ، فتصوراتها نتيجة التربية المتزمتة ، والتعين بالأم التي كانت قوية الشخصية ومسيطرة على بيتها وأولادها ، وتقرّب منها هذه البنت

بالذات ــ هذه التصورات هى مرضها الحقيقى ــ وكما نقول إن الفضيلة ليست تمثالاً منطرحاً فى الخارج نتعبد له ولكنها تصور داخل أذهاننا نقيس إليه الأشياء و يسعدنا أو يشقينا أن لا نجد ما نحب منسجماً مع تصوراتنا . واللذات البدنية ، بما أنها لذات ، مبهجة ، ولكن ما يوجع منها هو الضمير ، فالجرح ليس فى البدن ولكنه فى الضمير الذى ينكأ جرحه كلما أتينا ما فيه لذة للجسم و يأتينا منه الألم فى الضمير .

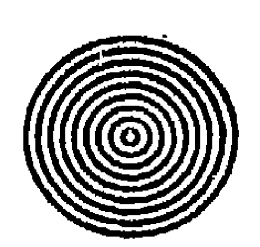
ومن العلماء من يقول إن الحلم لا يعرف الالتزامات الخلقية ، وأنه لا مكان للضمير فيه ، وأننا فى الأحلام قد نرتكب أبشع الجرائم ونسرق ونقتل ونغتصب دون أن يلحقنا من ذلك ندم . وهذا صحيح إلى حد ما لأنه لا يستشعر الندم ولا تزوره المصائب فى الأحلام كعقاب على فعل أو خاطرة آثمة فى اليقظة إلا من له ضمير . والأحلام مرايا النفوس، حتى لقد قال قائل خبرنى بأحلامك أخبرك ما دخيلتك . ولا يهم ما نظهر عليه فى اليقظة فقد نملك أنفسنا سلوكياً ونزنى بخواطرنا ، فإذا نمنا وجاءت الأحلام انطلقت مستدعيات الخواطر واتصلت دون التفات إلى العقل أو الضمير أو الذوق أو الحكم الخلقى أو الدينى ، وكما قيل إن ملكة الحكم تضعف حتى التهافت فى الأحلام . ونحن نسلك فى الأحلام ونتحدث بما يتفق وطباعنا ، فالفاضل يبقى فاضلاً فى أحلامه ، والأثيم لا يرى سوى صور سبق أنْ خطرت له فى يقظته . وفى الأحلام نرى أنفسنا على ما نحن عليه فى الحقيقة ، والفاضل إن فكر أو ارتكب إثماً نزل به العقاب فى الحلم لأنه يستفظع الإثم فى اليقظة . ولم يخطئ الإمبراطور الرومانى الذى أمر بموت أحد أفراد حاشيته لأنه رأى فى المنام أنه يطيح برأس الإمبراطور، و برر الإمبراطور قوله بأن مثل هذه الرؤ يا لا تأتى إلا من كانت له فى يقظته مثل هذه الخواطر ، إلا أن الإمبراطور من جهة أخرى ربما كان خطؤه أنه لا يستطيع تفسير الأحلام ، وربما كان الإمبراطور المعنى ليس هذا الإمبراطور على الحقيقة بل أبو الحالم نفسه .

والأحلام إذن قد تأتينا عنيفة أو جنسية بحسب ما تكون السيطرة على الحالم من تصورات تتوارد كنشاط نفسى لا إرادى تستثار باندفاعات باطنة فينكشف الإنسان لنفسه و يكون كالعاجز تماماً أمام إنفعالاته التى قد ينهانا عنها وهو متيقظ الضمير ولا يبدى الخوف من شيء ؛ والذى ينكشف فى الحلم على الأخص هو الإنسان الغريزى كما يقول البعض ، فالإنسان حين يحلم يعود إلى الفطرة إن جاز التعبير ، وكلما قل تأصل الأفكار المكتسبة فى نفسه زاد احتفاظ النوازع المخالفة لها بسلطانها عليه فى الحلم (**فرويد : تفسير الأحلام ، باب الحاسة الخلقية فى الحلم**) .

والعنف وثيق الصلة بالجنس ، وهكذا كانا فى الأدوار الأولى من التخلق عند الجنين فلم تكن النوازع الجنسية والعدوانية قد اكتمل انفصالها ، ولذلك فالحلم العدوانى يحمل فى طياته

غالباً جنساً . والتبادل الذى يحدث بين الجنس والعنف هو الذى يصنع محتوى الحلم الكامن ويحتاج إلى التفسير . وتذهب نظرية التحليل النفسى إلى القول بأن العدوان يطبع الجهاز النفسى جميعه ، فهو موجود فى اللاشعور ويحركه كلما نام المرء أو غفل الرقيب عنه ، والعدوان يحرك دفاعات الأنا ، وهو الذى يبدو على السطح كلما مارس الأنا الأعلى أو الضمير وظائفه . وتفسير الأحلام هو الذى يكشف عن الصور فى مخزون العقل نتيجة الأطوار الأولى من النمو النفسى الجنسى ، فقد تأتينا أحلام عنيفة فيها الغرق مثلاً أو الفيضانات ، وقد تكون أحلاماً بحرائق ، وذلك من مخلفات الأطوار الإحليلية والقضيبية التى يكون فيها التبول وتنشأ الصور أو الأفكار عنه وتبقى من مخزون التصورات أو الأفكار القديمة فى الذهن . وربما يكون أصل صور العض والبلع أو الالتهام والتسمم من مخلفات المرحلة الفمية ، وكذلك ربما ترجع أفكار التلوث وتصورات الوسخ والتبقع وغيرها من مخلفات الطور الشرجى . وقد ترجع أحلام العنف مع الأبوين أو كبار السن إلى تصورات من المرحلة الأوديبية . وقد تقوم التصورات للعلاقة بين الجنسين على العلاقة بين النوازع الجنسية والعدوانية فى أى من المراحل السابقة بحيث تأتى أحلام الاغتصاب وأحلام إعمال التشويه أو الثلم بإحدى الضحايا كنتيجة لها .

ويحول **عمل الحلم** dream work العدوان ويغير منه كماً وكيفاً ، ويجعل المعتدى ضحية أو يصنع منه متفرجاً بريئاً ، وقد يصنع من العنف سكينة ومن الحقد محبة ورقة ، وما يزال **التحريف** يستحدث فى الحلم مخفياً الأفكار العدوانية والمشاعر العدائية خلف قناع من البراءة . ولربما يكون الحلم الظاهر الذى فيه المطاردة والهجوم والتعدى مضللاً للغاية لو أخذناه على وضعه وقومناه كما يبدو ، ولربما يشتمل المحتوى الباطن للحلم على أشياء تذهلنا للتناقض بينها وبين المحتوى الظاهر . وقد يحدث أن تتخفى الكراهية خلف قناع الحب ، أو يتخفى الحب خلف مظاهر الكراهية . ومرة أخرى **لا ينبغى أن يغيب عن بالنا للحظة واحدة أن الحلم له محتوى ظاهر ومحتوى باطن وأن المحتوى الظاهر يحتاج دائماً إلى تأويل** . ونحن كمفسرين أو محللين للحلم نختار التفسير الذى يتلاءم مع السياق الحلمى ، فإذا توجهنا إلى عنصر من عناصر الحلم دون عنصر فإننا نضع فى الاعتبار الأهمية النسبية لهذا العنصر ووزنه النسبى داخل المحتوى ككل ، ونقارن ما هو قبل شعورى بما هو شعورى ، وما هو من الماضى بما هو من المستقبل ، وما هو دفاعى بما هو دافع ، وما هو شهوى بما هو عدوانى ، ونختار أكثر ما يمكن أن يكون له معنى عند الحالم ونؤكد عليه .



«أحـــلام الصـــراع الأخـــلاقـــى»

شغلت مشكلة الخير والشر والحلال والحرام والحق والباطل والجمال والقبح والصحيح والخطأ كل تاريخ البشرية ، وكانت محور الكتب السماوية وكتابات الفلاسفة والشعراء والمسرحيين والقصاصين ، ودار عليها التعليم كله ، واحتوتها الحكمة ، ونهض بها أفذاذ استشعروها قوية فتوفروا عليها بحثاً ودراسة وتفكيراً ودعوة ، وسجن بسببها من سجن ، وقتل من قتل ، واستشهد من استشهد ، وبدا كأنه لا مشكلة هناك لو أن الإنسان كان له سلوك معين تلخصه سطور قليلة سهلة الحفظ والفهم تضمنتها الوصايا العشر فى التوراة ، ثم فى الإنجيل كانت لها شروح ، وطورها القرآن ، ومع ذلك ظلت على بساطتها وبلاغتها هى نفسها الوصايا العشر أو اللاءات العشر ، وظل الإنسان أيضاً فى الحضيض الذى هو فيه فلا هو عمل بالوصايا ولا هو ارتفع من وهدته ، واستمر يهين والديه ويقتل ويزنى ويكذب ويسرق ويشهد الزور ويحسد جاره على بيته وعلى امرأته وعلى خدمه وحشمة والنعم التى هو فيها . والسبب أن الإنسان له غرائز أو نوازع أقواها جميعاً النزوع الجنسى والنزوع العدوانى ، وغرائزه أو نوازعه أقوى من كل نواه أو زواجر ، وعندما تشتد به فإنه يسقط ويأثم وهو واع تماماً بما يفعل . وتتآمر عليه ظروفه والضغوط الواقعة عليه من الخارج مع نوازعه الداخلية فلا يملك إلا أن يخرج على العرف الأخلاقى . والنتيجة أنه يستشعر الذنب لما فعل ، ويندم بعد كل فعل ويقسم أن يصلح من نفسه وقد يفى بقسمه إلى أن تلح عليه غرائزه أو نوازعه من جديد وتحاصره الإغراءات وحينئذ ينهزم أمامها ويتجاوز القواعد الأخلاقية ويعود إلى مشاعر الذنب والندم من جديد وهكذا ، وكأننا يتعاورنا الليل والنهار ، وكأن الإنسان يتراوح بين قطبى الشر والخير .

ونحن نستشعر الذنب عندما نصنع الشر بسبب الضمير أو الأنا الأعلى الذى يستحدث الرضا فينا فنرضى عن أنفسنا إذا فعلنا الخير، و يعذبنا بمشاعر الذنب إذا فعلنا الشر. وعذاب الضمير هو **قلق أخلاقى** يكون بنا كلما هممنا بالشر. والضمير أو الأنا الأعلى هو صوت المجتمع وقد استدخلناه فينا بالتعين بالوالدين، فالوالدان يأمران و ينهيان بحسب العرف الأخلاقى، ونحن نستدمج أوامرهما، و يعرف الأطفال الصواب والخطأ والخير والشر والقبيح والجميل والحق والباطل من الأبوين، والأبوان يثيبان على الصواب والخير بالاستحسان والمكافأة، و يعاقبان على الخطأ والشر بالاستهجان والتأنيب والضرب أحياناً، ومن ثم يتنامى الضمير بما يستدمج من النواهى والزواجر، وتكون له أيضاً القدرة على الثواب والعقاب، وثواب الضمير هو حالة الرضا التى يستحدثها فى فاعل الخير والصواب كما قلنا، وعقابه هو مشاعر الذنب.

ونحن لا نستشعر الذنب إذا فعلنا الشر فقط ولكن لمجرد التفكير فيه، والتفكير فى الشر هو شر، ومن يفكر فى الشر ولا يفعله قد يستشعر عذاب الضمير أكثر من الذى يفكر فيه و يفعله، فالذى يفعل الشر قد يجد المبررات لفعلته، ولكن الذى يفكر فيه لا يجد لتفكيره الشرير أى عذر، وهكذا نجد أن الخطائين أقل معاناة لعذاب الضمير من أصحاب الضمائر المرهفة من الصالحين أو أولياء الله.

ونحن جميعاً بلا استثناء خطائون فى أحلامنا، فعندما ننام تقل رقابتنا الأخلاقية على أنفسنا فتأتينا الأفكار والتصورات فى شكل أحلام نحقق فيها ما يشبع رغبات النوازع أو الغرائز، وما لم نستطع أن نحققه فى اليقظة، وننفس عما قمعناه منها وما كبتناه فينا من توجهاتها. وأقوى النوازع أو الغرائز كما سبق أن أفضنا ما يلح علينا فى أحلامنا بكثرة، **وليس أكثر من الجنس والعدوان فى هذه الأحلام**. ونحن نأتى فى أحلامنا بما لا نتصور أن نأتيه فى اليقظة. والأحلام صور تتجسد مشاهد وشخصيات وأحداثاً وحواراً لتصورات أو أفكار تحتشد فى العقل، وما نحلم به كأننا نخبره فى الواقع فإذا كان شراً استشعرنا الذنب له، وإذا كان خيراً رضيت نفوسنا. وما يستحدث فينا مشاعر الذنب أكثر مما نستشعر له الرضا النفسى، وما كان من المفروض أن تتحقق به الرغبات المكبوتة والنزوعات المقموعة، يصير بما يسببه لنا من عذابات نفسية كابوساً. وليس هناك ما هو أكثر شهوداً للصراع بين نوازع أو غرائز الجنس والعدوان و بين الضمير من مجال الأحلام، لأنه فى الأحلام تخرج النوازع أو الغرائز تريد التحقق والإشباع كأنها العفريت يخرج من القمقم، و يستثار الضمير. ومع الحرية فى الأحلام تجول الغرائز أو النوازع وتصول، و يكون الإرهاق الأشد للضمير عما هو فى اليقظة، وتكون معاناته الأكثر، والعذابات الأحد. وفى الأحلام تكون الجريمة سبباً والعقاب نتيجة أكثر مما فى اليقظة كما فى هذا الحلم:

حلمت أني قتلت شخصاً واكتشفت أن بواب عمارة مجاورة رآني أقتله فقتلته هو الآخر حتى لا يبلغ عني .. ورأيت نفسي فى النيابة والحجرة التى يستجوبونني فيها كأنها المستشفى وكل الناس الذين أعرفهم رقود على أسرة كأنهم المرضى . وكان هناك أبى وإخوتي وأمي . وكان هناك شهود شهدوا ضدى . وكنت آخر من استدعاه وكيل النيابة ولم يسألنى السؤال المباشر هل ارتكبت الجريمتين ، وكانت أسئلته بحيث يسهل على التخلص من الجرم . ولما انتهى من استجوابى ذهبت إلى سريرى مثل الآخرين واضطجعت عليه أفكر: لماذا لم يسألنى مباشرة رغم أنى أنا القاتل ؟ وهل سيتركنى أفلت بجلدى ؟ ولكن الشخصين اللذين قتلتهما ــ هل يذهب دمهما هدراً ؟ وشعرت بفظاعة الجرم واستبد بى عذاب لم أعد أحتمله فقمت من فورى وتوجهت إلى وكيل النيابة وطلبت الكلام واعترفت واسترحت . وعدت لسريرى ولكننى أخذت أفكر. ماذا بشأن خطيبتى وأهلها والناس من الجيران ، ماذا سيقولون عنى ؟ وإخوتي ما الذى سيقولونه للناس وما تأثير ذلك عليهم ؟ وعدت أتعذب . ونظرت إلى أهلى فوجدت الجميع وقد أشاحوا بوجوههم عنى ، وقلت : هل كنتم لا تريدوننى ان أعترف ؟ واستيقظت وكلى عرق وخوف .

والتحقيق مع الحالم كما نرى يتم فى مستشفى ، و يعنى ذلك أنه يرى نفسه وقد ارتكب هذا الجرم كأنه مريض ، وتصوره للجريمة هو تصور مريض ، ولا مسئولية على المريض ، وعائلته كلها مرضى مثله ، وذلك يبين أن فكرته عن الجريمة الاجتماعية أن المجتمع كله مسئول عنها ، ولا يعجبه هذا التصور أو الفكرة ، ورغم أنه يروغ من المحقق ويهرب من المسئولية التى يريده أهله أيضاً أن يهرب منها (الجميع مرضى) إلا أنه يعانى ، و يقرر الاعتراف و يرتاح ، وعندئذ يبدأ عذاب جديد وهو وضعه كمجرم فى المجتمع ، والأذى الذى يلحق بأحبائه نتيجة اعترافه ، وكأن الحالم يتراوحه عذابان : عذاب الضمير لما ارتكب ، والمعاناة التى تستتبع تصنيفه كمجرم ، ولربما يستطيع كل مرتكب لجرم أن يحتمل عذاب الضمير لأنه معاناة داخلية ، ولكنه لن يستطيع احتمال ازدراء المجتمع له (المتمثل فى إشاحة أهله بوجوههم عنه) ، وهذا هو الصراع الأبدى بين القلق الذى يسببه ارتكاب الجرم (القلق الأخلاقى) والقلق الذى يسببه سقوط المجرم اجتماعياً (القلق الواقعى reality anxiety) .

ويمثل الشرطى فى الحلم الضمير لأنه يجسد القانون والنظام ولأنه يقبض على الناس إذا أساءوا السلوك . وهذا حلم نمطى من هذا النوع :

كنت أتحدث مع زميل وكان معي مسدس أمسكه بيدى ، وكان زميلى قد ناولنى إياه ، وكان يضحك منى لأن شرطياً كان قادماً نحونا ولابد أنه كان سيقبض علىّ لأنى أحمل سلاحاً بدون ترخيص .

والحالم يرى فى الحلم أنه سيقبض عليه لحمله سلاحاً بدون ترخيص . والمسدس فى الحلم بخلاف أنه سلاح عدوانى فإنه رمز للذكورة ، والحالم يشعر بالذنب لمسألتين عنده وهما نوازعه الجنسية ونوازعه العدوانية .

وهناك أحلام يرى فيها الحالم نفسه يخالف **قواعد المرور** و يقبض عليه إما للسرعة أو كسر إشارة المرور . . إلخ . وترمز السيارة غالباً للقوة من أى نوع ، وللفحولة الجنسية ، و بصفة خاصة للفورة الجنسية ، ومن ثم كانت **المخالفة المرورية** عبارة عن تصور الحالم لإساءة السلوك جنسياً ، وهو ما يجعله يحلم كعقاب له أنهم قبضوا عليه .

وقد يظهر الشرطى فى الحلم بوصفه حامى الآداب وليس من ينزل العقاب بالمخالفين . وفى أمثال هذا الحلم فإن المعنى أن الحالم يستنجد بضميره و يستحثه أن يمنعه من ارتكاب عمل لا أخلاقى ، كهذا الحلم لفتى :

حلمت أن رفاقى استدرجونى معهم وخرجنا سوياً وفعلنا شيئاً لا أذكره ولكننا كنا نجرى معاً وهرباً . وكنت شديد الغضب وتركتهم وتوجهت إلى الشرطة وأبلغت عنهم .

والتفسير لهذا الحلم أن الحالم غير راض عن نفسه وعما يعتمل فيه من أحاسيس جنسية ولم يكن يعجبه سلوكه ، وهو يستنجد بضميره كى يخلصه من هذا كله .

وهذا حلم مماثل لفتاة :

كنت مع أترابى ، وكنا ليلة العيد ، وكان حديث قريتنا هروب سجين من أبناء القرية كان قد قبض عليه سياسياً ، وفجأة رأينا هذا الفتى أمامنا وركضنا مذعورات وهو يطاردنا وأفلحنا أن نحبسه فى إحدى الحجرات ونستدعى الشرطة .

والسجين هو تصوير الفتاة لنوازعها ، وهى تشعر أنها محبوسة ، وحبسها ليس لجريمة حقيقية ولكن لأسباب اجتماعية ، وهى تخشى على نفسها أن تصطدم بالمجتمع إذا تمردت وتكون كهذا السجين ، وهى لا تستطيع شيئاً حيال نوازعها التى تطاردها وتستنجد بضميرها .

وهذا حلم لفتى يحل فيه **شرطى المطافئ** محل الشرطى العادى :

حلمت أنى كنت أقف متأملاً فجاءت سيارة المطافئ ووقفت قبالتى وطلب منى الشرطى أن أتوجه معه إلى مركز الشرطة لتحرير محضر عن بلاغ كاذب بحريق .

والحريق رمز للعواطف الجنسية المشبوبة ، والحريق الكاذب بديل عن الإشباع الحقيقى للجنس كأن يكون مستغرقاً فى العادة السرية وهى منصرف جنسى كاذب ، وهومتهم بهذه التهمة ، وشرطى المطافئ هنا هو الضمير الذى إن استيقظ فسيحول بينه وأن تستغرقه هذه العادة .

وقد يرمز للضمير فى الأحلام **بضباط الجيش والمدرسين والقضاة والوزراء وكل من يمكن أن يمثل السلطة**

وهذا حلم لفتى رمز فيه لضميره بفرامل السيارة :

رأيتنى أقود سيارتى بسرعة وأحاول أن أوقفها دون جدوى وكنت أعلم أنه لا نجاة لى إلا إذا ضغط على الفرامل وعثرت عليها قدمى وضغط ولكن دون جدوى فقد كانت السيارة مسرعة رغم ذلك .

ورغم أن الفتى ذكر ضمن مستدعياته عن الحلم عند تحليله أنه فى اليوم السابق على الحلم كان على موعد مع فتاته وكانا منخرطين فى الحب وظل يردد على نفسه أنه لا ينبغى أن ينسى نفسه معها و يرتكب شيئاً يندم عليه وقد أفلح أن يتوقف ، إلا أن الحلم كان يقول بنهاية غير التى أوردها هو ، فكأنه كان يكذب عن واقعة الحب لأن الحلم يقول إنه لم يتوقف واندفع بسرعة السيارة إلى ارتكاب ما كان يحذر أو يندم عليه .

وقد يرمز **درابزين السلم أو سور أى شىء** للضمير يحجز الحالم عن إتيان ما يحذره . وللغسل عند المسلم بنوع خاص معنى لا يعرفه الأوروبيون ، لأن المسلم يلزم عليه أن يغتسل عقب الاحتلام ، أو عقب جماعه مع زوجته ، و يستوى فى ذلك الرجل والمرأة ، بالإضافة إلى أنه ينبغي أن يتوضأ قبل كل صلاة ، **فالوضوء والغسل** لازمان لرفع النجاسة وللنظافة ، والنجاسة تكون بالجسم و بالقلب والعقل ، والتطهر يكون جسماً على الحقيقة ، ومجازاً بالقلب والعقل بأن لا يستشعر المسلم الغل للناس. ولا يفكر فى الشر ، وأكثر الشر هو الجنس يفسد الجسم والقلب والعقل ، والتطهر وسيلته **الماء** ، وهو فى الأحلام له هذه الرمزية وله معنى الولادة الجديدة :

حلمت أني أستحم ، وكنت أقف فى البانيو والماء ينزل فوقي حاراً ، ولكنى سمعت أصواتاً من خلف ستارة الحمام وأزحتها قليلاً ورأيت الكثير من الناس رجالاً ونساء لم أكن أعرفهم وكلهم يشيرون علىَّ و يتكلمون بقرف وكانوا يقولون إنى لا أستحم وأنى نجس وفزعت وأحكمت الستارة وتخفيت خلفها وسمعتهم ينصرفون فأكملت حمامى ونظرت إلى نفسى فوجدتنى نظيفاً وظللت أشتم فى الناس الذين اعتقدوا فى نجاستى .

ومشاعر الذنب عند الحالم تتمثل في اقوال الناس عنه واتهامهم له بالنجاسة ، وهو ما يفكر فيه في نفسه و يسقطه خارجه و ينسبه إلى الناس . والاستحمام يعني تطهره من الشر الذى رمزه العرى ، وشتمه للناس بعد الاستحمام بمثابة التعبير عن استيائه من ضميره المتزمت خلقياً الذى يحاكمه بهذه القسوة و يقضى فى أمره على لسان الناس أنه نجس ، ومع ذلك فهو يرضخ لهذا الضمير و يكمل الاستحمام .

وتكوين الضمير يبدأ من الطفولة باستدماج أوامر وزواجر الوالدين ، و يظل الضمير يعمل عمله حتى وإن بدا أن الشخص قد أسقط من حسابه كل ما استدمجه أو تعلمه أو تلقاه من تربية دينية أو خلقية . وما كان الوالدان يزجران طفلهما بشأنه و ينهيانه عن إتيانه و يأمرانه أن يتصرف بوحى منه يبقى يلاحق الشخص فيما بعد و يشكل بالنسبة إليه قيوداً تحول بينه وأن يفعل ما يخالف ضميره . والكثير من مشاكل الزواج سببها هذه القيود ، فكم من زوجة يشكو زوجها من برودها الجنسى ، وكم من زوج لا يتهايأ مع زوجته وقد يصاب بالعنة نتيجة استبقائهما تصورات الطفولة عن قذارة الجنس أو نجاسته أو انحطاط من تأتيه مشاعره .

وهذا الحلم لفتى تزوج وعاد من شهر العسل وكان يسكن مع والديه :

حلمت أنى فى حجرة نومى وبجانبى زوجتى ، وكنت ابتعد عنها فقالت اقترب منى فقلت لها عيب وشدتنى إليها فنازعتها نفسى وكنت شديد الخوف أن يدخل علينا والدى أو والدتى ، وفجأة دخلت والدتى فلملمت ملابسى وابتعدت بسرعة ونظرت إلينا أمى نظرة فيها غضب شديد ولكنى أقسمت لها أنى ما كنت أفعل شيئاً . وأشرت إلى زوجتى وقلت إنها السبب ولكنى أقسمت لها إنى ما كنت أفعل شيئاً ، وأشرت إلى زوجتى وقلت هى السبب . ودخل والدى فتمنيت لو أن الأرض انشقت وابتلعتنى . وردت زوجتى على نظراتها قائلة « إنه ملكى وأنا حرة أفعل به ما أشاء » وأسرعت إلى أمى واحتضنتنى وأمسك أبى بيدى وقالت اصمد ثم خرجا واستيقظت .

والحالم ما يزال يستشعر الذنب من الجنس حتى بعد أن تزوج ، وما يزال واقعاً تحت تأثير نواهى وزواجر الوالدين ، وهما هنا ضميره ، وضميره يؤنبه أنه قد انخرط فى الجنس بمجرد الزواج ، وكان قبل ذلك يعتبره شراً ، إلا أنه يتمحل من الإثم و يبرر سقوطه بغواية المرأة له وهى هنا زوجته ، ويحملها مسئولية ما آل إليه أمره . و ينقسم الحالم على نفسه ويحتمل الصراع بين ضميره متمثلاً فى الأبوين ، و بين نوازعه متمثلة فى زوجته . والزوجة عندما تتحدث إنما تتحدث باسمه ، و يظهر هو فى دور الزوجة التى تدافع عما يخصها منه . وهو لم يعد حراً كالسابق ، وارتباطه بزوجة تترتب عليه واجبات لها ، وهو موزع بين واجباته تجاهها وواجباته تجاه والديه ، أى بين مقتضيات الشهوة ومقتضيات الضمير ، فإذا نازعته شهواته فإن ضميره يشده ناحية الأبوين لتمسك به الأم و يأمره الأب أن يصمد ، أى لا ينهار أمام مطالب الجنس .

وعندما يظهر الضمير فى الحلم فإن ظهوره يعنى أن عقاباً ما سيوقع على الحالم نتيجة فعل ما، أو تفكير فى فعل لا يرضى عنه . و يتفاوت العقاب بحسب تصورات الحالم عن الجرم وعن العقاب ، وقد يكتفى الضمير بتأنيب الحالم ، وقد يحكم عليه بعقاب شديد . وهذا الحلم لشاب يبدو أنه ارتكب ما يؤثم عليه برغم تأكيده هو نفسه لدى تحليل الحلم أنه لم يفعل ما يؤاخذ عليه :

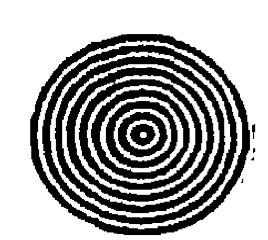
حلمت أنهم حكموا علىّ بالإعدام ، فلما أردت أن أجلس رفعنى الشرطى وقال إنك لا تستحق حتى أن تجلس ، ثم صوبوا البنادق ناحيتى وأطلقوا الرصاص فاستيقظت مفزوعاً أتحسس نفسى وكنت لدهشتى منتصباً .

والعقاب فى الحلم لابد كما قلنا أن يتناسب مع الجرم كما يتصوره الحالم ، وما كان من الممكن أن يحكم هو على نفسه بالإعدام لو لم يكن قد أتى كبيرة من الكبائر، وليس أكبر من الزنا ، وهو أشد ما يكون إيغالاً فى الإثم عندما يكون زنا بالمحارم ، و بعض الناس يستوى لديهم الإحساس بالذنب إذا اشتهوا محارمهم أو زنوا بهم ، و يبدو أن هذا الفتى يعانى من هواجس تتعلق بمحارمه ، وتحتدم به رغبات لأمه أو أخته ، تعتمل فى باطنه ولا يدرى بها ، أو أنه يحسها ولكنه يبعدها عنه ، وتأتيه الأحلام ليلاً عقاباً له على أفكاره أو رغباته وهو ما كشف عنه التحليل النفسى فقد كانت أمه صغيرة السن وتزوجت بآخر وتركته فى رعاية جدته ، وكان يزورها وهو طفل لماماً ، وكان يبيت عندها إذا كان زوجها فى سفر فكانت تنيمه فى سريرها وتحتضنه طوال الليل وتقبله ، فتفجرت به رغبات جنسية تجاهها ظلت تلاحقه طوال حياته ، وكان ينازعها باستمرار وخاصة بعد أن طلقت من زوجها وجاءت لتعيش معه وهو فتى ، وكانت ماتزال شابة وقوية وجميلة وتلعب معه لعبة الجنس البريئة فى مظهرها والتى كانت تهزه هزاً عنيفاً من داخله ، فكانت تكثر من تدليله وتقبيله وتأخذه إلى حضنها وهو ما لم يكن يرضى عنه .

ولقد عالجنا حتى الآن الصراع الأخلاقى الذى يتمثل فى أحلامنا فى مختلف الأشكال والصور نتيجة ما تتراوحنا من رغبات وأفكار جنسية أو عدوانية تصادم ما نشأنا عليه من تربية واعتقادات فيكون الصراع بين النوازع و بين الضمير أو الأنا الأعلى وهو محصلة التربية . ولعل القارئ قد لاحظ أن أكثر ما أوردنا من أحلام فى علاجنا للصراع الأخلاقى هى لذكور، والسبب **أن الذكور أكثر معاناة للقلق الخلقى وللصراع بين النوازع والضمير**، والفرق بين الجنسين فى هذا الأمر لا يرجع إلى أن الذكور نفوسهم أمارة بالسوء أكثر من الإناث ، بل لأن الذكور يعانون أكثر من الإناث أن تستبد بهم الرغبات الجنسية أو الميول العدوانية . و يبدو أن **الإناث أكثر واقعية من الذكور وأقل معاناة لتأنيب الضمير**، فهل ذلك لأن الضمير عند الأنثى أقل تطوراً وأضعف بناء ؟ لا ندرى سوى أن التاريخ يظهر الذكر كصانع للقيم ، وهو

مناط التكليف السماوى والأخلاقى ، بينما الأنثى مناطها الزواج وإنجاب الولد ، وهى لذلك أقل اهتماماً بالقيم وأحرص على الناحية المادية التي بها تكون أسرتها ورعاية الولد .

ولقد رأينا أن الجنس والعدوان تدور حولهما أغلب مشاعر الذنب إن لم تكن جميعها والتى تأتى الناس فى أحلامهم فى مختلف الصور فتقض مضاجعهم وتفزعهم وتلاحقهم فى يقظتهم وتحكم تصرفاتهم وسلوكهم اليومى حيال أنفسهم ومع الناس ، فإذا كان هذا هو واقعنا الذى نعيشه فإننا نكون إزاء مشكلة عويصة لا ندرى لها حلاً ، فمن ناحية نحن نعيش هذه النوازع الجنسية والعدوانية ، وهى جزء من طبيعتنا وإن لم نوجد لها المنصرفات فإنها ستجد لنفسها هذه المنصرفات شئنا أم أبينا ، ومن ناحية أخرى فإن هذه النوازع إذ تأخذ طريقها إلى التعبير عن نفسها فإنها قد تأخذ شكل تعبيرات مباشرة وقد تتخفى وتتقنع وتكون لها المنصرفات غير المباشرة ، وربما تكون الأخيرة أشد ضرراً لنا وللمجتمع من الأولى ، ولنا أن نتصور شخصاً يغضب لأن غيره لم يوله اعتباره فينبرى بالعدوان المباشر على هذا الغير بأن يسبه أو يضربه ، وشخصاً آخر مريضاً بالسادية ويهوى ضرب النساء وإيذاءهن و يبرر ذلك بأن ذلك ما يردنه أو أن المرأة تحب من يضربها ، ولنا أن نحكم أيهما أشد إيذاء وأكثر ضرراً لنفسه وللناس . ومن هذا النوع الأخير نصادف الكثير من الأمثلة ولعل أظهرها لنا فى هذه السنوات الحكومات الديكتاتورية التى يرأسها أفراد ساديون والغون فى العدوان يغرقون بلادهم فى متاهات الحروب ويجرون العالم إليها .



«أحـــلام صـــراع الأدوار الجنسيـــة»

قـدر الله سـبـحـانـه وتـعـالـى أن يـأتـى الـنـاس، ذكوراً وإناثاً ، وأن تكون الطيور والحيوانات والـنـبـاتـات ذكـوراً وإنـاثـاً . والإنـسـان منذ أن يكون جنيناً تتحدد هو يته الذكور ية أو الأنثوة فلا الإناث تصبح ذكوراً ، ولا الذكور تصبح إناثاً . وهذه الضرورة التى لا تتغير هى ما نطلق عليه اسـم **الـدور الجـنـسـى الـبـيـولـوجـى** biological sex role . **ودور الأنـثـى الـبـيولوجى أو الحيوى** أن تحمل وترضع وليدها ، ولكى تتوفر على هذا الدور خلق الله لها الرحم والمبيضين والفرج والثديين ، كى تنتج البو يضات فإذا خصبت تكوّن الجنين فترعاه تسعة أشهر ثم تـرضـعـه مـن صـدرها وليداً حتى يصبح فى استطاعته أن يأكل ويهضم الطعام الصلب . وهذا الجـهـاز الـتـنـاسـلـى يخص الإنـاث وحدهن . إلا أنه لابد للأنثى من ذكر كى يكون لها الجنين والـولـد ، وعـلاقتـهـا بالذكر و بالولد تمليها عليها حاجاتها النفسية ، وتتحكم فيها إفرازاتها الهرمونية الأنـثـو يـة ، وهـى المـسـئـولـة عـن رغـبـة الأنثى أن تعرف الذكور وتتزوج ، ومن هذه الافرازات الهرمونية هرمون الأمومة ، وهو المسئول عن هذا الوله الذى يكون بالأم حيال طفلها .

وأمـا **الـدور الجـنـسـى للذكر** فهو أقل تعقيداً وأهمية من الدور الجنسى للأنثى ، وليس على الـذكر إلا أن يعطى الأنثى الحيوان المنوى الذى يلزم لتخصيب البو يضة ، فإذا فعل ذلك فقد قام بـدوره الـذكـورى البيولوجى ، إلا أنه يلزمه لهذا الدور الخصيتان ليفرزا المنى ، والقضيب ليوصله إلى رحـم الأنـثـى مـن خـلال الـفـرج . والـذكر لابد أيضاً أن يستشعر هذه الحاجة إلى الأنثى ، ونـزوعـه لها يـدفـع إلـيـه هـرمـون جنسى ذكورى ، وليس عند الذكر هرمون أبوّة كما عند الأنثى هرمون أمومة ، وذلك أن دور الأب لرعاية الطفل بيولوجياً غير ضرورى .

وللجنسين مظاهر جنسية جسمية ونفسية أخرى ، فالذكور أطول وأثقل وزناً وأمتن عضلياً من الإناث . والأنثى تكون ممتلئة ورقيقة ، والذكر مربع وخشن . وجلد الذكور أسمك ، وشعر الجسم عندهم أغزر ، وأصواتهم أعمق . وتتصرف الأنثى بخنوع بينما الذكر عدوانى . وتتناسب عدوانيته مع حجمه الأكبر وقوته العضلية وقدرته على الانتصاب والإيلاج . و يتفق خنوع الأنثى واستسلاميتها مع صغر حجمها ورقتها وطبيعة جهازها الجنسى المستقبل . ومن سمات الإناث والذكور أنهما يتجاذبان جنسياً لبعضهما البعض ، ولو لم تكن هذه الجاذبية الجنسية تشدهما إلى بعضهما لما كان هناك حب ولا زواج ولا إنجاب ، ولنضب البشر . ولو كان الذكور ينجذبون جنسياً للذكور ، والإناث للإناث ، لما كان هناك حمل ولا تكاثر ، فالطبيعى أن تكون الجنسية بالذكور والإناث غيرية ، ومن غير الطبيعى أن تكون الجنسية بينهم لذات الجنس فيما يسمى اللواط .

وإذن فالأنوثة تعنى أن يكون للأنثى جهاز تناسلى أنثوى ، ورغبة فى التزاوج مع ذكر لكى تحمل وتنجب . والأنوثة تعنى أيضاً أن تكون الأنثى رقيقة ومستقبلة وتابعة للذكر .

والذكورة هى أن تكون للذكر جهاز تناسلى ذكورى ورغبة جنسية تدفعه إلى مضاجعة الإناث ، وهو بدنياً قوى وعدوانى وفعّال .

وللثقافة دورها فى تشكيل معانى الذكورة والأنوثة ، بحيث تختلف مفاهيم الدور الأنثوى والدور الذكورى من ثقافة إلى ثقافة ، وأيضاً تختلف هذه المفاهيم فى الثقافة الواحدة بحسب الطبقات والعائلات والفئات والطوائف ، وتختلف فى الأسرة الواحدة بحسب تصورات الأبوين للدور الجنسى الذى يرجوانه لطفلهما . ولا ينبغى إذن أن نعمم متناسين أن هناك دائماً حالات فردية ، ومن الواجب أن نكون على وعى بما يمكن أن يفرض ثقافياً على الأفراد من أدوار معينة برغم السمات الجنسية التى تخصهم .

و ينصرف معنى صراع الأدوار الجنسية إلى المحاولات داخل كل منا لتتغلب فيه السمات الجنسية التى تخصه ، لأن فينا جميعاً من سمات الجنسين ، فالذكر فيه سمات أنثوية وإن غلبت السمات الذكورية ، والأنثى فيها سمات ذكورية وإن غلبت السمات الأنثوية . والسمات الأغلب تحاول أن تطبع الفرد بطابعها ، والمفروض أن تساعدها الثقافة والتربية على ذلك ، فالأنثى تنتصر فيها الأنوثة وتنشأ بوصفها أنثى ، والذكر تنتصر ذكورته و ينمو كذكر . والصراع الذى ندخله جميعاً داخلى ، يدور دون أن ندرى به وتستغرقه السنوات ، فإذا حدث مثلاً أن ولد لأسرة ولد ، وكانت الأم تريده بنتاً ، فقد تعامله على أنه أنثى ، فكأن التربية تذكى الصراع البيولوجى لكى تتحدد هوية دور الطفل على عكس ما يغلب عليه بيولوجياً . و بالمثل قد تسخف

الأسرة أن تكون البنات إناثاً ، وتنشأ البنت لترى أن وضعها أدنى من الولد ، وقد تستحث الأسرة البنت أن تتصرف كولد و يلبسونها كذلك فيعجلون بظهور الصراع حول دور البنت كأنثى . وفى بلادنا الإسلامية وخاصة فى الريف ، وعند البدو ، و بين الطبقة المتوسطة ، للذكر حظ أكبر من حظ الأنثى ، وتنشأ البنات وبهن الرغبة أن تكون لهن أدوار الذكور ، **ومن ثم كانت مظاهر الصراع على الدور الجنسى أبلغ عند الإناث المسلمات** . والمجتمع الذى يذكى سمات جنسية فى أى من الجنسين ليست له ، يذكى من صراع الأدوار الجنسية ، وعليه أن يتحمل مسئولية هذا العمل من بعد عندما يشب الصغار و يصبحون رجال ونساء الغد . ولا ينبغى أن يغرب عن بالنا أنه لا وجود للذكر المطلق ولا للأنثى المطلقة ، فكل منا به من هرمونات الإناث قدر يختلف من ذكر إلى ذكر ، وكل أنثى بها قدر من هرمونات الذكور ، بحيث يمكن أن نقول إننا جميعاً **مزدوجو الجنسية** bisexual ، فالقاعدة أن ازدواج الجنسية هو الأصل ، وإن كان ما يبدو على السطح أننا إما ذكور أو إناث . ولو قارنا بين رجل ورجل لوجدنا أن هذا الرجل به قدر أكبر من هرمونات الذكورة ، وقدر أقل من هرمونات الأنوثة ، بينما ذاك الرجل به قدر أقل من الآخر من هرمونات الذكورة ، وقدر أكبر من هرمونات الأنوثة . والذكر الذى تزيد به هرمونات الأنوثة يكون شكله أميل إلى الإناث ، وكذلك صوته ومزاجه النفسى . وإذا زادت نسبة الهرمونات الذكورية عند أنثى من الإناث فإنها تأتى شبيهة للرجال فى البنية والتصرفات . واختلاف هذه النسب فى الذكور والإناث يجعل من الذكورة والأنوثة فى الجميع مراتب ودرجات ، فهناك الرجل الرخو المستأنس ، صغير الحجم ، ضعيف الصوت ، واهى العزم ، سلبى الإرادة من ناحية ، ومن ناحية أخرى هناك الرجل متين التركيب ، قوى العصب ، حاد الطبع ، عدوانى السلوك ، يفرض إرادته على الآخرين . وحتى فى هذا الرجل الأخير لن نعدم أن أن نجد قدراً من الأنوثة تصارع الذكورة فيه بحكم ما به من إفرازات هرمونية أنثوية ولو كانت ضئيلة القدر للغاية ، وقد تتمثل هذه الإنوثة فيه فى لحظات ضعف العزم وغلبة رقة المشاعر . وإذن نحن جميعاً نعانى هذا الصراع بين الجانبين الانثوى والذكورى فينا ، سواء كنا ذكوراً أو إناثاً ، فجزء فينا يحاول أن يتشدد و يعتدى و ينزو ، وجزء يميل إلى السلوك برقة وأن ينتظر وأن يوافق و يركن إلى الدعة ويحب أن يترك المبادأة للآخرين وأن لا يفعل شيئاً . وجزء فينا ينجذب إلى الجنس الآخر و يكون غيرى الجنسية ، وجزء يجذب نفس الجنس و يريد أن يكون مثلى الجنسية . وهذان الجانبان فى طبيعة الإنسان فى حرب مستمرة ، وصراعهما هو ما نطلق عليه اسم **صراع الأدوار الجنسية** ، أو هو **صراع ازدواج الجنسية** bisexual canflict .

وتكشف الأحلام هذا الصراع ، وهى مجال يظهر فيه واضحاً جلياً بحيث تنطبع به أحلام كثيرة نحار فى تفسيرها لغلوها فى الرمزية ، ولعل هذا النوع من الأحلام يحتاج فيه تفسير الرموز وتأويلها إلى جهد فكرى لا يحتاجه تفسير الأحلام الأخرى ، فمثلاً قد يرى الشخص نفسه فى

الحلم فى دورعكس دوره الجنسى كهذا الحلم :

حلمت أنى نائم وكنت أبسط يدى أتحسس بها نفسى فوجدت أن صدرى كبير ووجدتنى فى ثياب حريرية ملونة جميلة ، ثم رأيت نفسى أنتصب واقفاً وتأكدت أنه قد صار لى ثديان .

وتحليل هذا الحلم يتم من داخل تحليل أحلام أخرى ، ومن مستدعيات الحالم حول حلمه ، ونعرف أن به ميولا أنثوية ، ويحسد البنات أنهن بنات ، و يقول إن نصيب البنات فى الحياة أفضل من نصيب الذكور، و يعجب بجسم المرأة و يأنف من التركيب الجسمى للرجل ، وهذا الحلم يحقق رغبته فى التحول إلى أنثى .

وهذا حلم لفتاة من النوع المسترجل حيث تلبس كالذكور وبها خشونتهم ، وتركيبها عضلى ، وصدرها يخلو من الأثداء ، وهو أعرض من الحوض :

كنا نلعب ، بنات وصبياناً ، وخيل إلىَّ أن البنات صارت صبياناً والصبيان صاروا بنات .

والحالمة لا تتمنى فقط أن تصير ولداً ولكنها تريد أن تنتقم من كل الأولاد بأن يتحولوا إناثاً ، أى يكونوا الجنس الأضعف .

وقد ترمز الأحلام إلى فقدان الرجولة بأن يفقد الحالم ساقه أو يصاب فى ذراعه فى حادث . وفى أحد الأحلام رأى الحالم أنه كان ملقى على الأرض لا حول له ولا قوة والفئران تنهش فى ساقه . وقد نرى فى الأحلام أن قطاً يعض فى الساق أو الذراع .

و يرمز الشعر للرجولة ، وفقدان الشعر يعنى تحصل العجز الجنسى للحالم ، وإننا لنعرف أن شمشمون عندما قصت له دليلة شعره ذهبت قوته وفحولته ولم تعودا إليه إلا بعد أن طال شعره من جديد . وفى هذا الحلم سنرى قلق الحالم على شعره ، وهو بعد التحليل يتبين أنه قلق على رجولته إذ أنه كان سيتزوج قريباً ، وكلما اقترب موعد الزفاف زاد قلقه :

حلمت أنى كنت أغسل رأسى ، ولما ذهب عنى الصابون أحسست أن هناك شيئاً غريباً فى رأسى كأنى فقدت شعرى ، وركضت إلى المرآة ولدهشتى وجدتنى أصلع إلا من خصلة تتدلى نحو بوصة ونصف على جبهتى ولا شىء أكثر من ذلك .

وترمز الخصلة المدلاة إلى قضيبه رمز رجولته ، وليس هناك من هذه الرجولة سواه ، وأما هو فى حقيقته فليس رجلاً فبرغم وجود القضيب فهو لا ينتصب لأنه « أصلع » .

وحلمت امرأة أنها قد نبتت لها لحية وشارب لترمز إلى رغبتها فى أن تتحول رجلاً . وقد يحلم الرجل بأنه كسر قلمه ، يعنى فقد رجولته . وقد يحلم بالعاصفة وقد كسرت الأشجار وألقت بها ،

والعاصفة قد ترمز لعواطفه المشبوبة وتهافته على الجنس ، وقد يستبد به القلق نتيجة انشغاله الجنسى فيخشى أن يفقد رجولته لهذا السبب . والمرأة عندما تحلم بأنها فقدت سناً فقد يعنى ذلك أنها مقبلة على الإياس وأن حيضها سينقطع ، وفقد السن بالنسبة للرجل هو إخصاؤه . وربما يرمز للإخصاء بالرصاص الفشنك كهذا الحلم :

هاجمنا اللصوص وخشيت على أسرتى وكنت أكثر خشية على زوجتى وكنت أقول لها سيهاجمونك أنت ، فتقول ولماذا أنا ، فأقول بسبب الذهب فى صدرك ، اخلعى هذا الذهب ، فترفض . وأمسك مسدسى وأضرب فى الهواء ولكن الرصاص الخارج لدهشتى ما كان يتعدى السنتيمترات من المسدس وكان يسقط لا حول له ولا قوة .

ومسدسه الذى هو قضيبه لم يعد قادراً على القذف إلا لسنتيمترات ، والمنى يخرج منه لا قوة فيه ولا نفع كالرصاص الفشنك . واللصوص هم عالم الرجال يخشى منهم على زوجته الفاتنة ، والذهب الذى يبرر به خوفه هو الذهب على صدرها وهو أنوثتها . والتحليل يكشف أنه أراد من زوجته أن تتحجب بسبب ما يرى من جمالها فرفضت وهذا هو معنى طلبه منها أن تخلع الذهب أى تتخلى عن فتنتها بالحجاب .

وهذا الحلم لنفس الرجل :

كنت أطارد ديكاً كبيراً طلبت منى زوجتى أن أستحضره لها ، وجاهدت والديك يزوغ منى ثم رأيت أنى أحمل حربة وتابعت الديك إلى أن حاصرته تماماً فى زاوية وصوبت الحربة أحاول أن أقذفها ولكنى تبينت أن ذراعى غير قادر وعاجز عن القذف .

والحلم جنسى خالص ورموزه واضحة و يكشف عن قلق جنسى هائل ، والديك هو فحولته أو رجولته يحاول أن يستحضرها لزوجته و يفعل المستحيل وعندما يكاد ينجح يتبين أنه غير قادر على الإيلاج لأنه يصوب ولكنه لا يصيب وهو يقول صراحة أن ذراعه أى قضيبه عاجز عن القذف .

وهذا الشخص نفسه يعوض عن رجولته بأن يدخل فى معارك مع كل أنثى يحاول أن يفقدها هى أيضاً أنوثتها ويجردها من أسبابها .

حلمت أنى دخلت البيت فوجدت زوجتى وعدداً من صديقاتها وكان معهن شىء يحاولن إخفاءه و يدارين ما يفعلن باصطناع أن تذهب أيديهن على صدورهن وأردافهن ولكنى أدركت اللعبة وضحكت هازئاً وتوجهت فوراً فانتزعت ما يخفين وكان مسدساً كبيراً لا يناسب الإناث فأخذته أصوبه على أشياء وليس على حيوانات أو بشر وأطلق حتى انتهى منه الرصاص .

وهو يريد أن يقول أن القوة الجنسية للرجل وليست للمرأة ، وأن النساء لا حديث لهن سوى الجنس ، وأن هذا شيء لا يمهر فيه إلا الرجال ــ المسدس لا يناسبهن ــ لكنه فى حالته بدلاً من أن يصيب برجولته النساء ، الطالحات منهن والصالحات ، يعنى سواء كن بغايا أو سيدات مجتمع ، فإنه يطلق قذائفه على غيرهن ، إذ يبدو أن هذا الرجل كان يكثر من العادة السرية و يظن أن ذلك دمره تماماً وأفقده فحولته .

وقد تكشف الأحلام عن خوف مرضى يصيب المتخنث من الخنوثة برغم أنها تغلبه على أمره :

حلمت أني أركب دراجة مسرعة ، وقيل لى هناك صرخات إنسانة تلد ، وصعدت الدرج مسرعاً فوجدت رجلاً يطلق كأنه سيلد ، وغضبت جداً لأنه رجل وأخرجت مسدسي وقتلته .

والحالم غاضب لأن الميول الأنثوية توجد فى ذكر و يرديه قتيلاً يريد أن يقتل فيه التعبير الخنثى . وهذا العمل منه كأنه يريد أن يغلب فيه التعبير الذكورى على التعبير الأنثوى ، وإذن فالحالم يريد لو تسود ذكورته على ميوله الأنثوية وتلغيها ، و بدلاً من أن يقول إنه المصاب بالتخنث يحلم به لآخر بينما دوره هو أن يعبر عن رغباته فى أن يكون ذكراً كاملاً .

وهذا الحالم نفسه يحلم بأنه متهافت و ينقذه صديقه :

شعرت كأنى مريض وتخذلني ساقاى وأسرع إلىّ صديقى وحملنى بين ذراعيه القويتين . وكانت عيناه تدمعان من أجلى و يقبلنى محموماً .

والحالم وهو يستدعى أفكاره عن الحلم يقول إن صديقه فى الحلم بديل عن فتاته التى هجرها منذ زمن لانشغاله مع هذا الصديق . وطبعاً هو مشغول مع صديقه أكثر من فتاته لأنه يميل جنسياً إليه ، ولقد رأيناه يجعل هذا الصديق كأنه أنثى ثم يقبله محموماً كأنه يقبل أنثى ، وهذه الميول اللوطية إن لم يتسن لها أن تظهر فى اليقظة فذلك بسبب قمعها وهو ما يجعله ينفس عن رغباته فى الحلم . وفى الحلم التالى يرى شيئاً مشابهاً و ينسب لغيره ميوله الجنسية ، وتلك حيلة دفاعية يدفع بها عن نفسه ما لا يعجبه فيها :

كان لى زميل يحاصرنى بنظراته وخفت منه فذهبت إلى زملائنا الواحد بعد الآخر أشكو أمره وأقسم لهم أنه مريض باللواطة وأنه يريدنى لنفسه ، و يضحكون . ووجدتنى أنصرف مبتئساً وإذا بى أجده جالساً غير بعيد يقرأ فتولانى الخوف منه ، لكنى سرت ومررت به ولدهشتى لم يرفع عينيه عن الكتاب وانصرفت .

وزميله المصاب باللواط هو نفسه ، وميوله حتى الآن كامنة لا يعلم بها أحد ، وهو يتهم نفسه

بـاللـواط ، و يـفـشـى سـره ، أى أنـه يخشى أن ينفضح حاله ، أو أنه يتمنى لو يعرف عنه ذلك . و يـبـدو أن المحـيـطين بـه لا يـعـامـلـونـه بـاعتبار ميوله الكامنة وذلك يضايقه لأنهم منصرفون عنه و يا ليتهم يعرفون .

ومع ذلـك فـأحلام الفتيان تكثر فيها أن يروا زملاء لهم و يصاحبوهم ، والأمر ليس أكثر من ذلـك غالباً ، ولا يعنى وجود انحرافات جنسية ، وكثيراً لا تظهر خلافات الشبان فى الأحلام وإنما الـذى يـظـهر توددهم لبعضهم البعض فيلعبون و يسبحون و يتسابقون ركضاً و يضحكون ، وإذن فليس شرطاً أن يكون لأحلام الشباب معنى جنسى مثلى ، أو أن ترمز إلى الجنسية المثلية ، وكما قلـنـا لابـد لتفسير الحلم من أحلام أخرى لنعرف نسق تصورات الحالم ، ولابد أن يساعدنا الحالم بمستدعـيـاتـه حـول الحـلـم . و بعض الحالمين الشبان كانوا مجندين سابقين ، وللزمالة فى الجندية ذكريات عزيزة فإذا حلم مجند سابق بزملائه السابقين وكان له معهم لهو فلن يكون هناك معنى جنسى شاذ لهذا اللهو معهم .

والـشـبـاب غـالـبـاً عندما يكونون فى معسكرات لا يعايشون فيها إناثاً تكثر أحلامهم وتتكون شـخصياتها من زملائهم أى من الذكور . وقد تعنى النظرة الخاصة للشاب بزميله ، أو للفتاة بفتاة زميلة لها ، تصعيداً وتسامياً للجنسية المثلية تتحول فيها الرغبة الجنسية المثلية إلى ود حقيقى وحب وإخـلاص وولاء . وقـد تـتـعـانـق المـرأة والمـرأة فى الحلم وفى اليقظة ، وقد تتماسكان بالأيدى . وكـانـت بـأفـلاطـون مـيـول مـثـلـيـة ولكنها متسامية ، واستطاع أن يحولها إلى عواطف جميلة تجاه أصدقـائـه الـذكـور ، وذلـك شـىء لم يـسـتـطـعـه أبونواس ، على عكس الشاعر الأمريكى والت هـو يـتـمـان ، الـذى كـان يـرى اسـمـى الحـب بين الذكور ، ولكنه الحب الذى يلهمه التفاهم والمـشـاركـة الـفـكـر يـة . غير أن أحـلام الـنـسـاء حـول صديقاتهن أكثر من أحلام الذكور حول أصـدقـائـهـم ، بـتأثير الثقافة التى تبيح للنساء أن يتعانقن وأن يتصاررن بعكس الذكور . والرقة هـى جـوهـر الأنـوثة ، بالإضافة إلى أن النساء قد يؤذن لهن بأن يسلكن مسلك الرجال ولا يسمح للـرجـال بـأن يـسـلـكـوا أبـداً كالإناث . وعندما تلبس الفتاة أو المرأة قميصاً و بنطلوناً لا ينتقدها أحـد ، ولا يسمح للفتى أو الرجل بأى حال من الأحوال أن يرتدى فستاناً . ولعل هذه التفرقة فى المـعـامـلـة مـن الـثـقـافـة هى التى تجعل الذكور يعانون فى أحلامهم من القلق نتيجة الصراعات المزدوجة الجنسية أكثر مما تعانى النساء فى أحلامهن .

وقـد يـرى الرجل يترقق للرجل وعندئذ قد يقابل من الآخر بالضرب واللكم والسباب . وقد يـتـصـرف الـذكور برقة ولكنها الرقة المؤقتة التى سرعان ما يحل الغضب مكانها والثورة لأى شىء وعلى أى شىء . وتتمثل هذه الأدوار المتراوحة فى الأحلام كالحلم التالى :

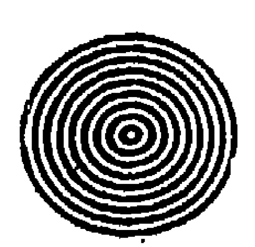
حـلـمـت أنـى فى رحـلة مع زملاء لنا إلى الفيوم ، ووصلنا إلى هناك ونا نستمتع بوقتنا

ومررنا على جماعة مثلنا يقفون بسيارتهم ، وكانوا يمسكون بخرطوم طويل يغسلون به سيارتهم وضحكوا عندما رأونا وضحكنا منهم ، وقال واحد منا نحتاج إلى خرطوم كهذا لنغسل سيارتنا .

وهذا الحلم أيضاً لنفس الشخص :

حلمت أني كنت مع صديق لي ثم جاء موعد النوم فقال لي ألن تنام ، وأعددنا سريرنا سوياً وكان عليّ أن أنام معه ، ثم فجأة جاءت فتاتان ليلقيا علينا تحية المساء فقام صديقي وحياهما ودعا إحداهما إليه فاستجابت وبدأ يغازلها و يلاطفها بينما لم أستَطع ذلك لأني كنت خجلاً من ملابسي الداخلية .

وفي الحلم الأول يجد الحالم لذته وسعادته في صحبة رفاقه ، و يقول ان الكل في صحبة رفاق ، والسيارة هي الطاقة الجنسية ، ومن رأيه أن طاقة زملائهم أفضل من طاقاتهم ، بما يعني أن ذكورته هو أقل من سائر الذكور. وفي الحلم الثاني يذهب لينام مع رفيقه ، ثم تجئ الفتاتان ، وتختبر ذكورته فيرفض أن تكون له علاقة غيرية بإحداهما مع أنه كان سينام مع رفيقه ، وهو حائر بين ميوله الجنسية المثلية و بين ميوله الجنسية الغيرية ، ومستعد أن يمارس اللواط مع صديقه ولكنه غير مستعد لأداء الجماع مع فتاة ، ويخجل من ملابسه الداخلية وهي رمز لباطنه اللوطي . وصراعات هذا الحالم حول جنسيته المزدوجة هي التي تسبب له القلق في يقظته ومنامه .



« التشخيص بتحليل الأحلام »

انفرد التحليل النفسى منذ صدور كتاب فرويد **تفسير الأحلام** بالتفسير أو التأويل للأحلام كطريقة من طرق التحليل النفسى . ولم يدخل تفسير الأحلام مجال علم النفس إلا مؤخراً بعد أن امتد هذا المجال ليشمل البحث فى الشخصية وفى الخلق والمزاج ، وخاصة أن الحلم يمكن فعلاً أن يخضع للبحث العلمى بالنظر إلى أنه سجل للشخصية ، وهو أيضاً وسيلة اسقاطية . والحلم باعتباره سجلاً للشخصية أصدق إنباء من المذكرات التى قد يدونها الشخص عن نفسه ، وباعتباره وسيلة اسقاطية فإنه أفضل من كل الوسائل الاسقاطية لاختبار الشخصية وذلك لأننا فيه لا نحتاج لبقع الحبر ولا للصور كى نخرج ما بداخلنا فنستعرضه أمامنا . **والحلم شخصى جداً واسقاطى جداً أكثر من أى شىء آخر يمكن أن تتيحه لنا الدراسات فى الشخصية .**

ويضم كتاب فرويد تفسير الأحلام أغنى ما يمكن أن تقدمه أية نظرية يشتمل عليها كتاب من الكتب النفسية ، كما أن ما كتبه وليام شتيكل فى مجال تفسير الأحلام يجعل القارئ على يقين من أن الأحلام تكشف عن كل شىء ، وكل صغيرة وكبيرة ، ولا تترك شيئاً إلا وتتناوله ، وتغوص فى أعماق الشخصية وتخرج الخبيئ منها . ولم يحدث ان كانت هناك كتابات فى التنظير لعلم النفس كما قدمها علماء التحليل النفسى ، وكانوا فعلاً منظرين أكثر منهم عمليين ، وكانت بهم قدرة عجيبة على التأمل والاستنباط . ولم ينتقص نظرية التحليل النفسى إلا أن يصدقها التطبيق ، وأن تخضع للمعايير العلمية وللاختبار المقنن . وهذا ما تصدى له بعض علماء النفس فحاولوا سد هذا النقص ليجعلوا من تفسير الأحلام طريقة صادقة علمياً من طرق التشخيص

للشخصية نستطيع بها أن نحصل من الأحلام على الكثير جداً من المعلومات ذات المغزى والمفيدة فى تحليل الشخصية والإحاطة بديناميتها .

والطريقة لتحقيق ذلك هى **اختبار سلسلة من الأحلام للشخص نفسه** كما سبق أن نوهنا إلى ذلك ، وقد تبين جدوى تلك الطريقة . ولقد أجريت تجارب من هذا القبيل على طلبة الجامعات على وجه الخصوص وخاصة فى أوائل السنة الدراسية وقبل امتحانات النقل وأثناءها ، والطالب يكتب ما يحلم به يومياً عقب الاستيقاظ من النوم ، ويفهم أن أحلامه سرية ومن غير المطلوب معرفة اسمه . ولا تعطى لمحلل الأحلام أية معلومات عن أى من الطلبة حتى لا يقع المحلل فى **خطأ توهم صدق تفسيراته** fallacy of pseudo- validity وهو الخطأ الذى يكثر فى تفسيرات الكثيرين من المحللين عندما يتأكدون من أن الشخصية المطلوب تفسير أحلامها تعانى من صراعات معينة فيميل المحلل إلى تفسير سلسلة الأحلام فى ضوء ما يعرفه من هذه الصراعات .

ويبدأ تفسير الأحلام كخطوة تالية ، وهنا تبدأ الصعوبة حيث يتوقف التفسير لاجراء الحلم على المدرسة أو النظرية التى يتبعها المفسر أو المحلل ، فمثلاً قد تحلم طالبة جامعية أنها أصيبت بشلل أطفال وأن عليها أن تترك الدراسة ، ولربما يذهب المفسر إلى القول كتفسير للحلم بأن الفتاة تتمنى لو تصاب بمرض يقعدها عن تكملة تعليمها ؛ وقد يفسر الحلم بأنها مصابة بما يسمى خواف الإصابة بشلل الأطفال ؛ وقد يحسب أن الإصابة بالمرض فى الحلم هو شعور بالذنب على جرم أو إثم اقترفته الفتاة وليس المرض سوى عقاب تنزله بنفسها على ما اقترفت ؛ ولربما يذهب فى التفسير إلى أن الحلم نكوص إلى الطفولة التى كانت فيها مشلولة الإرادة لا تحقق لها رغبة وتقصر إمكانياتها فيها عن أن تعيش حياتها كما تحب ؛ ولربما يكون المحلل من الذين يردون ظاهرة الحلم بالمرض بأنها انعكاس للشعور بإرهاصات مرض يعتمل فى الجسم داخلياً ولم يتضح بعد ، والمريض به يحلم بما يداخله منه أو بما يشعر بإرهاصاته ؛ وقد يقول المفسر ببساطة العامة إن الحلم انعكاس لشىء أكلته وتعبت منه ؛ وقد يكون المفسر ممن يرجعون لكتاب ابن سيرين فيقول أن الشلل دون الحركة معناه العجز نتيجة ذنب عظيم . وكل تفسير من هذه التفسيرات يقوم على افتراضات ، والسبيل إذن لتجاوزها جميعاً هو أن نفسر الحلم بأجزائه ، وبما فيه ، ونترك هذه الأجزاء تتحدث عن نفسها ، وما تقوله كل الأحلام هو أنها طريقة يحاول بها الشخص الحالم أن يحل صراعاته ، وقد تكون هذه الصراعات بين نوازع متعارضة ، كأن يتعارض الجنس والعرف السائد ، وقد تكون الصراعات بين عواطف متناقضة ، كأن يتناقض الحب والكراهية ، أو بين دافع وعائق ، كأن يكون هناك الدافع للنجاح ككاتب ولكن القدرة المحدودة للشخص تحول دون تحقيق الدافع . وربما يكون الصراع بين عاطفة وعائق ، كالسيدة المتزوجة من رجل تكرهه ولا تستطيع أن تفصح عن كراهيتها لحاجتها إليه مادياً . وقد يشتمل الصراع على قطاعات

عربضة من التركيب الوجداني والنزوعي لدرجة أن يقسم الشخصية كلها كحالة الدكتور فاوست في رائعة جوتة ، أو حالة الدكتور جايكل والمستر هايد ، فيحتدم الصراع بين أجزاء الشخصية وتأخذ بتلابيب بعضها البعض . ومن النادر أن يقدم الحلم حلاً للصراع ، وفي الغالب أن الحلم يعكس القلق الذي يستحدثه الصراع . وأحلام القلق قد لا تقول شيئاً ، أو أنها قد تقول القليل عن أسباب القلق ، وربما كانت مجرد بلاغ بأن الحالم يعاني من الصراع . ولما كانت الصراعات تقوم بين الدوافع والعواطف فإن رواية الحلم وتحليله بالتفسير والتأويل يكشف عن مكوناته الفاعلة وديناميياته الباطنة ، و ينبه إلى حاجات الحالم وقيمه ودفاعاته وإحباطاته ومشاعره ومجاهداته . والنظرية التي تقول ذلك تذهب إلى أن الأحلام إسقاطات لكل ديناميات الشخص الباطنة . ومن رأى أصحابها أن تفسير الأحلام مسألة قد استحالت صعبة بتأثير مقولات فرويد في ميكانيزمات الحلم أو الحيل التي يلجأ إليها ، والتي تخفي مضمونه وتموه على محتواه الباطن . وهذه الحيل التي نقصد إليها والتي سنتناولها من بعد هي التكثيف والابدال والاسقاط والتعويض والقلب والتصوير المسرحي ، فإذا كانت هذه العمليات تجرى تغييراتها على المضمون الباطن فتحيله شيئاً آخر يمكن أن يفلت من الرقيب ويخرج في شكله الظاهر وهو الحلم ، **أفلا يكون من المنطقي أن لا نعتمد على حلم واحد لنغامر بتفسيره ، إلا إذا كنا نعرف من حياة الحالم ما يجعلنا نفهم ما يقصد إليه الحلم بالإحالة إلى ما نعرفه من حياته ؟** ولعل ذلك هو ما قصد إلى بيانه فرويد عندما توجه بتحليله لأحلامه هو لأنه أدرى بحياته الخاصة و يعرف ما تعنيه رموزها أو ما خفي من أمرها بما استحدثِ فيها من تحريف وتشويه وقلب وإبدال . . إلخ .

وإذا كنا نعرف ديناميات شخصية الحالم قبل أن نفسر أحلامه فعلام إذن يكون تفسيرنا لهذه الأحلام ؟ ولهذا كان منطقياً أن نفترض أننا لا نعلم شيئاً عن الحالم من بواطن حياته وشخصيته ، وأن لا نغامر بأن نقول إننا سنكشف ذلك من تفسير حلم واحد ، أو أن من الممكن أن يكشف لنا الحلم الواحد ديناميات الشخصية ، وأن نعول على أن نتناول للأسباب السابقة عدة أحلام ، أو كما نعبر عن ذلك « **زملة أحلام** » ، ونستقرئ جوها العام ، ونتبين رموزها من السياق ومن ترددها داخل السياقات المختلفة ، ونكتشف الصراع الذي يشملها جميعاً والذي ينفرد به الحالم ؛ ومع ذلك فإنه كثيراً ما يكون الحلم الواحد مستكفياً بنفسه بحيث نستغني بما يقوله — إذا كان يقول الكثير — عن أن نطلب المزيد من أحلام الحالم ، وغالباً ما يكون هناك حلم يتوسط كل زملة الأحلام كواسطة العقد ، يلقي الضوء على سائر الأحلام ، و ينبه إلى الصراع الذي يجمع بينها جميعاً بحيث يمكن أن نقول إن سائر الأحلام تكون تكراراً لهذا الحلم الوسطي . **ولكن كيف نجمع بين المجموعة الواحدة من الأحلام الزملة وسط طوفان أحلام الحالم ؟** الطريقة أننا نرى رأينا في كل حلم ؛ فإن رأينا الخط العام فيه يتمشى مع غيره ضممناه

إليه حتى تجتمع لنا مجموعة مترابطة منها . والغالب أن زملة الأحلام بها صراع واحد رئيسى ، إلا أنها قد تجمع فيها أيضاً عدة صراعات رئيسية .

وعلينا أن نجرب التفسير الذى نغامر به للحلم على بقية أحلام الزملة فإن وافقها فالأغلب انه تفسير صحيح ، وإلا فعلينا أن نجرب تفسيراً آخر حتى نجد التفسير الذى يوافقها جميعاً ، وعندئذ فعلينا أن ندخل أجزاء ومكونات كل حلم فى تركيب جديد كأننا نركب معاً أجزاء متناثرة من لعبة واحدة ، فنضع جزءاً من هذا الحلم مع جزء من حلم آخر ، إلى جوار جزء ثالث من حلم ثالث وهكذا ، إلى أن تعطينا الأجزاء التركيب الذى له المعنى . وإليك هذا المثل :

الحالة لفتاة طالبة جامعية عمرها عشرون سنة ، والصراع الأساسى عندها رغبتها فى أن تكون لها حياتها المستقلة ، إما بأن تتخرج وتعمل أو بأن تتزوج ، وهى تفضل الزواج ، إلا أنها إن فعلت ذلك لا تدرى النتيجة ، وهل ستنجح أو تفشل ، وستكلفها مغامرتها الأمان الذى تعيش فيه فى كنف أسرتها .

الحلم الرئيسى : حلمت أنى تقدمت بطلب للعمل فى الكويت مدرسة ، وكان على أن أترك أهلى ، ولقد سافرت و بدأت حياة جديدة ، وقد حدث أن تعرفت إلى أسرة مصرية هناك كان لهم ابن يريدون له زوجة ، وأعجبوا بى وخطبونى من نفسى ، وقد قبلت فقد كانت الأسرة كأسرتى ، إلا أنى ما زلت أعانى من جراء فراق أسرتى .

التفسير: الصراع الأساسى قد تم إسقاطه فى الحلم بوضوح . والحالمة تترك بيتها ، بل وتغادر مصر كلها ، ورغم أنها تجد بديلاً عن أسرتها وتتزوج بسرعة ، فإن ذلك لم يعوضها عن أسرتها ، والحالمة واعية بمشكلتها ، و بالصراع الذى تعانيه . ولقد قالت هى نفسها فى محاولة تفسير الحلم أنها لم يحدث من قبل أن فارقت أسرتها لأكثر من أسبوع .

الحلم الثانى : حلمت أنى واختى فى محطة سكة حديد ، وكان علينا أن نسافر إلى مكان ما ، و ينبغى أن نأخذ القطار المتجه إليه ، ولكننا كنا نبحث عنه بلا جدوى ، وكنا نجرى هنا وهناك ، ونسأل عن قطارنا بينما القطارات كثيرة ، والدنيا زحام ، والمحطة واسعة ، والضجيج عال .

التفسير: تريد الفتاة أن تترك بيتها ولكنها لا تدرى إلى أين تتجه ، وقد عمى عليها القصد ، واحتارت ، والدنيا واسعة خارج بيتها . والخروج من البيت معناه اللاأمان مع أنها فى رفقة أختها . و يبدو أنها وأختها هذا قدرهما . و يبدو أنها تريد الزواج ، ونحن نقول بالعامية فاتها قطار الزواج لمن تتجاوز سن الزواج ، وهى تريد أن تلحق وأختها بهذا القطار .

الحلم الثالث : حلمت أنى عدت لأيام زمان ، أيام المدرسة الثانوية ، ولكن الغريب أن الموضوعات التى كنا ندرسها هى موضوعات الجامعة . وكنت أجتمع مع رفيقاتى كأيام زمان ونتناقش ونتواعد .

التفسير: هذا الحلم نكوصى يرجع بالحالمة إلى أيام ثانوى عندما لم تكن بها حاجة أن تفاضل بين الزواج وبين الأمان النفسى والمادى التى تحسه الفتاة بالإقامة بين ذويها . وضرورة أن تختار تدخلها فى صراع ، والعودة إلى أيام ثانوى تخلصها من هذا الصراع ، ولو أنها من الناحية الدراسية تفضل الدراسة الجامعية ، ولكنها يا ليت تكون من غير أن تكبر فى السن وتفكر فى الزواج وتقلق أنها لم تتزوج وتخاف من الزواج مع ذلك ، وتؤثر أن تظل مع أسرتها ، وتعانى من الصراع بين الاختيارين .

الحلم الرابع : حلمت أنه قد وقع لى حادث وكسرت ساقى فصنعوا لى جبيرة وكان علىّ أن ألازم الفراش ، وكانوا يعنون بى ويحيطوننى بالرعاية . والغريب أنى ما كنت أشعر بألم الكسر ، وأنى كنت أستمرئ البقاء فى الفراش .

التفسير: التداعى بالمرض يخلصها من حيرتها ومن الصراع الذى تعانيه والقلق أنها لم تتزوج ، ثم الخوف من أنها لو تزوجت افتقدت أسرتها والأمان فى البيت . وهى تؤكد هذا العنصر ـــ الرعاية والعناية اللتان يحيطانها بها فى البيت .

الحلم الخامس : حلمت حلماً غريباً . كان هناك ابن خالتى الضابط ، وحاولت أن أكلمه ولكنه قال لى أنه يخاصمنى ، وسألته عن السبب فأشاح بوجهه ، ثم كان هناك صديق أخى ، وكان قد تحدث مع أسرتى بشأن خطبتى وترك أبى الأمر لى تماماً ، وقد أشار بيده إلى حيث ذهب ابن خالتى ، وأدار لى ظهره وسار فى طريقه ، وأصبحت وحدى ولم يكن هناك آخرون . وهرزت كتفى فلم أكن أفهم لماذا يقاطعوننى .

التفسير: تتضارب مشاعرها حيال الزواج ، وهى تريده ولا تريده ، وتحاول أن تستجلب لنفسها زوجاً ، ولكن ابن خالتها أولاً يخاصمها ثم يتابعه الآخر ، وتسأل لماذا تقلق ولكنها تهز كتفيها ، وكأنها تقول لو أن المسألة جاءت من هذين لا منى لكان أفضل ، فهى إذن تفضل ألا تتزوج لأن فى الزواج أن تخرج من بيتها إلى المجهول .

الحلم السادس : حلمت أنى والأسرة سافرنا إلى الإسكندرية .

التفسير: هذا الحلم فيه الحل البسيط لأزمتها فلا مانع عندها أن ترحل عن البيت بشرط أن تصحبها أسرتها .

الحلم السابع : حلمت أن أمى مرضت مرضاً مؤلماً وكانت تتوجع بشدة وماتت ، وحزنت حزناً هائلاً وكانت تجربة فظيعة .

التفسير: الحلم إسقاط للصراع بينها وبين أمها ، وهى لا تحبها لأنها تريدها أن تتزوج وتفارقهم إلى حياتها الخاصة ، ودائماً تذكرها بالزواج وتعود إليه المرة بعد الأخرى ، والزواج عندها أهم من الدراسة ، وهى لذلك فى أعماقها لا تريد دوام الأم ، وموتها يخلصها من عذابها ، وبقدر بغضها للأم بقدر الألم الذى ينزله حلمها بالأم فى مرضها ، والألم وحجمه يعكسان حجم الصراع الذى تعانيه ، وموت الأم هو حل جزئى للموقف ، لأنها لو ماتت فستكون هى حرة ، وتستطيع أن تبقى بلا زواج وتلازم إخوتها وأباها .

الحلم الثامن : حلمت أنى فى أول السنة الدراسية بعد أن نجحت وانتقلت إلى السنة الأخيرة ، لكننى كنت تعيسة لأنى لم أعثر على الكتب المطلوبة لدراستى ، ولم أفهم ما يقال فى المحاضرات . واستيقظت من نومى وأنا أستشعر كآبة وهزيمة لا أدرى كنهها .

التفسير: القلق الذى تعانيه هو نفس القلق الذى يشكو منه كل طالب أو طالبة فى أول يوم من الدراسة ، ومعنى أنها فى السنة الأخيرة أن تخرجها قد اقترب وذلك يقلقها ، فالتخرج سيجبرها أن تترك البيت لتبحث عن عمل ، وتتحمل مسئوليات الكسب وربما تتزوج . وعليها إذن أن تختار بين الوظائف المتاحة والأزواج الموعودين ، ولا مفر وقتها من حسم الاختيار ، ولا سبيل إلى التسويف والتأجيل إذا تخرجت فعلاً ، وإذن فهى تخشى المستقبل وتخاف أن تشب عن الطوق . لكن لماذا هذا الخوف ؟ أتكون هذه الفتاة من النوع الجبان غير الناضج ، الذى يرهب الدخول فى تجارب جديدة ، وأن يتحمل المسئولية ، وأن تكون لها أعباء النساء ، وتفضل أن ترتبط بعائلتها لأنهم يكفونها كل شيء و يؤمنون حياتها ؟ أو ربما كان موقفها هذا هو تكرار لمواقف مشابهة سابقة فيها الفراق وعذابه وإحباطاته . والحلم الأخير فى زملة الأحلام هذه يعطينا الحل :

الحلم التاسع : حلمت بالأمس أنى كنت وأختى أيام الطفولة ، وكنا نمثل تمثيلية دورى فيها أن أقوم بالغناء لدقائق . وكنت أحاول أن أشترك ورفضونى ولم يقبلوا أن يعطونى هذا الدور الغنائى إلا فى آخر لحظة ، وتعثرت بروفاتى ولم أكن أعرف كيف أحفظ . وكانت أختى هى كل شيء ، وهى الأولى . ولسبب لا أدرى ما هو كنت أدخل وأظهر أمام الناس فى غير وقتى وكانوا يسحبوننى ويخرجوننى بينما أختى تغنى و يصفقون لها ، وأخيراً أدخلونى فغنيت سطورى القليلة ومثلت بيدىّ وملت مع الأغنية فصفقوا لى كثيراً وكنت مدهشة فقد نجحت .

التفسير: يلقى الحلم الضوء على ما يسمى التنافس بين الأشقاء والشقيقات . والحالمة تتنافس مع أختها على المركز الأول عند الأبوين ، إلا أن الأبوين يؤثران الأخت عليها فهى الأولى ، وهى كل شيء ، ودورها هى ثانوى ، وما كانوا سيعطونها دوراً إلا فى آخر لحظة وذلك أنه بينها و بين أختها فارق فى العمر الزمنى ، وما كان الأبوان سينجبانها إلا أنهما لظروف خاصة

بها أنجباها ، وهي تحاول باستمرار أن تقول لها أنها موجودة بين الأسرة وتدخل فى غير وقتها فيسحبانها للخارج ، وأخيراً كبرت ودخلت الجامعة وقارب أن يكون لها دور وإن كان صغيراً ، وهى كما توحى نهاية الحلم يبدو قد نضجت أخيراً وستقوم بدورها حتى لتنتزع من الجميع التصفيق لها ، وبذلك تكون قد حسمت مشكلتها فهى لم تعد بحاجة إلى أن تلتصق بأهلها وستشق طريقها معتمدة على نفسها ، وتكون أيضاً قد حسمت الصراع بين الزواج والاستقلال لأنها فى هذه المرحلة على الأقل تفضل أن يكون لها دور على مسرح الحياة ، ولقد كانت تخشى أن تنفصل عن أهلها لأنها لا تأمن على نفسها بدونهم وهى غير مستعدة أن تضحى بالأمان لقاء الزواج ، أما وقد شعرت الآن بالأمان فإنها تتقبل مسئولية التخرج وأنها قد صارت ناضجة .

ولنتحدث الآن عن مدى صدق هذا المنهج السابق ، فلقد رأينا أننا قد استطعنا أن نتحصل عن طريق **زملة الأحلام** للشخص على تشخيص للصراعات التى يعانيها وديناميات شخصيته بمساعدة التفسيرات التى يقدمها هو نفسه لهذه الأحلام ، ولكننا فى الحقيقة لا ندرى مدى صحة ما تذهب إليه تفسيراتنا ، وربما كان ما تطوع به الحالم بإلقاء الضوء عليه ليس إلا شطحات من عنده ، وربما هو قد يذهب إلى ما يذهب إليه لغرض فى نفسه ، وقد يكون ما نذهب إليه أيضاً هو مذهب خاطئ ، إلا أننا بالقطع نستطيع التحقق من صحة تفسيراتنا بما تعارفنا عليه من وسائل التحقيق من صحة أى رأى شخصى ، **فأولاً** لو اتفق اثنان أو أكثر على تفسير لظاهرة فإن اتفاقهما قد يغرى على التأمين على صحة ما ذهبا إليه ، وطبقاً لهذا المنهج (**منهج الاتفاق بين آحاد الناس**) فإن الفيصل النهائى على صحة التفسير ليس هو مطابقته للحقيقة ولكنه أن هذا الرأى هو رأى أناس خبراء أو أنه رأى الثقات ، وثقات الناس يتحققون من صحة آرائهم بأن يبسطوا هذه الآراء للبحث مع زملائهم فإن وافقوهم فهو رأى صحيح . وثقات الناس يجتمعون على الرأى الواحد بأن يبحثوا أمره معاً و يتداولوا الأفكار حوله ليمحصوه و يصلوا بشأنه إلى قرار . والناس الثقات قد يصل آحادهم إلى نفس الرأى كل على حدة ثم يقارنوا ما توصلوا إليه ليتبينوا اتفاقهم ، وهذه الطريقة الأخيرة هى أفضل طرق الاتفاق .

وثانياً فإن الرأى الذى يذهب إليه أحد الناس إذا كان يصلح للتطبيق على أكبر عدد من الحالات فهو رأى يغلب فيه الصواب ، وكلما زاد عدد الظواهر التى يمكن تفسيرها بالنظرية فإن الاحتمال يقوى بأن النظرية صحيحة ، فمثلاً إذا كانت معانى زملة الأحلام ، منفصلة ، تتوافق ويمكن أن تندرج بسبب هذا التوافق تحت افتراض واحد يجمع بينها جميعاً بحيث لا يكون هناك تعارض ما فى التفسيرات المختلفة فإن الغالب أن تفسيراتها صحيحة . وهذا المبدأ هو مبدأ التوافق الداخلى ، واختبار توافق البواطن أو الدخائل يجد أوسع تطبيق له فى استبيانات الشخصية التى صممت على أساسه .

وثالثاً فإنه إذا اتفقت نتيجة اختبار مع نتيجة اختبار آخر أو مع نتائج أكثر من اختبار فالغالب أن نتيجة الاختبار الأول صحيحة . **ومبدأ التوافق الخارجي** هذا لو طبقناه على التفسيرات المختلفة من جهة والواحدة من جهة أخرى لزملة الأحلام ، فإن مضاهاة التفسيرات بتفسيرات أخرى نحصل عليها من معطيات اختبارات تشخيصية مماثلة ، كاختبار تفهم الموضوع T.A.T ، واختبار رورشاخ ، والتداعي الحر إزاء الكلمات ، واستبيانات الشخصية ، وملاحظة الحالم في مواقف محكومة أو مواقف حرة ، واللقاءات معه ، وسلوكه المعبر ، والمعلومات التي نجمعها عنه ، يجعلنا نميل بالقطع إلى الحكم على التفسيرات التي نذهب إليها للأحلام والمتفقة مع نتائج الاختبارات السابقة بأنها صحيحة .

ورابعاً فإذا صدقت الأحداث المستقبلة ما تذهب إليه التفسيرات على أساس النظرية فإن ذلك لدليل على صدقها . وهذا المبدأ هو **مبدأ الإنباء** في النظرية .

وخامساً فإنه إذا كان الإنباء هو التنبؤ بالمستقبل فإن هناك ما يجعلنا نستقرئ الحاضر لنتنبأ بما كان عليه الماضي ، **والإنباء بالمستقبل** هو prediction **والتنبؤ بالماضي** postdiction ، وهو مبدأ قال به أول مرة توماس هكسلي ووصفه بأنه « **منهج صديق** Zadig » عن شخصية فولتير في إحدى روائعه وهي رواية « صديق » ، وصديق هذا نستطيع أن نقول بحق أنه الأصل لشخصية شرلوك هولمز ، وصديق يستطيع أن يستخلص أشياء من الحاضر يفهم بها الماضي و يستعيده في ذهنه ، وهذه الطريقة التنبؤية التي يعود الإنباء فيها القهقرى للماضي retrospective prophecy يسميها أولبورت عالم النفس الأشهر منهج التنبؤ بالماضي ، ولهذا المنهج ميزة على منهج الإنباء بالمستقبل وذلك أن الباحث يستطيع به أن يتحقق من شيء حدث فعلاً في الماضي وذلك أيسر وأوقع من التحقق من حدوث شيء قد يقع في المستقبل .

وطرق التحقق من صحة النظرية أو الرأي أو التفسير السابقة الخمس تقوم جميعاً على قاسم مشترك فيما بينها ، وهي أنها جميعاً تشترط **الاتفاق** ، وهو اتفاق نستطيع أن نجمله على حسب ترتيبها السابق بأنه **أولاً** اتفاق جماعي ، **وثانياً** اتفاق باطن ، **وثالثاً** اتفاق ظاهر ، **ورابعاً** اتفاق زمانه المستقبل ، **وخامساً** اتفاق زمانه الماضي . **فأما الاتفاق الجماعي** فلو أننا استقدمنا عدداً من خريجي أقسام علم النفس بكليات الآداب وأعطيناهم زملة أحلام وطلبنا منهم اعطاء تفسيرات لها فإن تفسيراتهم لتتشابه و يندر بها الاختلاف ، فمع القدر الكافي من العلم بديناميات الشخصية وسيكولوجية تحليل الأحلام فإن المتوقع أن تكون التفسيرات على قدر من التماثل مهما تعدد المفسرون ، وذلك شيء يقوي صحة ما نذهب إليه من أنه حيث يكون هناك اتفاق جماعي حول تفسير الأحلام فإن ذلك لدليل على صحة الأخذ بهذا المنهج ــ منهج الاتفاق الجماعي ــ كمعيار لقياس التحليل . وأما **التوافق الباطن** فهو ما يجمع زملة الأحلام للشخص

الواحد من فكرة تتكرر فيها جميعاً بطريقة أو بأخرى وذلك دليل على أن كل شخص وإن كانت له صراعاته التي تظهرها أحلامه إلا أنه هناك دائماً صراع أساسى يجمع بينها جميعاً كالخيط الذى يصل بعضها ببعض . وحيث تتكرر الفكرة فإن الشخص يجرب معها فى كل حلم حلاً جديداً لعله عن طريق المحاولة والخطأ أن يصل فيها إلى حل يرضيه و ينسجم معها . وهذا الاتفاق أو التوافق بين زملة الأحلام هو ما نصفه بأنه توافق باطنى أى يعمل عمله من داخلها فهو سمة باطنة فيها ، والمثل على ذلك زملة الأحلام التى للفتاة التى تعانى من الصراع بين النضج وما يتبعه من تحمل للمسئولية والرضا بأن تتزوج ، و بين أن تستمر فى كنف أسرتها ترعاها الأسرة بدون مسئوليات عليها ، فإن كانت الفتاة تحلم كل مرة حلماً مختلفاً فإن باطن هذه الأحلام يقوم على الفكرة الرئيسية التى توحد بينها . و يدعم هذا الاتجاه فى تفسير الأحلام أن نظريات الشخصية تقول بهذا أيضاً فمن المفروض أن كل شخص تتنوع سلوكياته وتتباين تصرفاته إلا أنها جميعاً تستقى من مصدر واحد ، ولابد أن يكون هناك ما يجمع بينها .

وهذه الزملة من الأحلام نقدمها كمثال لما نقول :

الحالة : طالبة فى السنة الثانية الجامعية وعمرها عشرون سنة ، مخطوبة وخطيبها متعاقد للعمل فى إحدى البلاد العربية وله سنتان غائب عنها ، وهى ضجرة من وضعها لأنها مخطوبة وليست مخطوبة ، فليس هناك ما يؤشر إلى قرب زواجها ، ولا هى تلتقى بخطيبها كالبنات فيغازلها و يرضى حاجاتها العاطفية والجنسية ، ولا هى حرة تتصرف مع زملائها بوصفها غير مرتبطة فتستمع إلى مغازلاتهم وتتجاوز عن ملاطفاتهم وربما تقع فى الحب وتعيش هذه التجربة الشرية مثل رفيقاتها ، وربما يتقدم أحد لخطبتها فتتزوج بسرعة . وهى تعانى هذا الصراع وتحلم أحلامها من حوله .

الحلم الرئيسى : دخلت مطعماً وكنت وحدى أبحث عن طاولة ولاحظت أنها جميعاً مشغولة . وكان على كل طاولة عريس وعروسة . ولم أجد إلا طاولة منعزلة رضيت بها إلا أننى انتظرت أن يخدمنى أحد ولكن عبثاً ، وأخيراً نفد صبرى فخرجت ، وكان علىّ أن أنزل سلماً حلزونياً لأتوجه إلى موعد ، فقد تقدمت بطلب لأعمل ، وكنت مرشحة لهذه الوظيفة ، و بدأت أنزل إلا أن الهواء كان يطير فستانى فيتعرى فخذاى ، وجهدت أن أستر نفسى إلا أن محاولاتى ذهبت أدراج الرياح فأسرعت أنزل وقد تملكنى التعب .

التفسير: يشرح الحلم الحالة ، و يقول إن البنت قد عيل صبرها ولم يعد فى قوسها من منزع ، ولقد قررت أن تتصرف وتتولى أمرها بنفسها . و يعكس حيرتها وتعبها وضعها النفسى المجهد ، وما يكلفها كبتها لعواطفها ونوازعها الجنسية .

الحلم الثانى : حلمت أن خطيبى قد عاد ، وقد أحضر معه سيارة جميلة أخذنى بها ، وكنت غير مصدقة لنفسى ، وظللت أقول هل أنا أحلم ، واستيقظت لأتبين لخيبة أملى أنى كنت أحلم فعلاً .

التفسير: يصور الحلم ما تراه من حل أمثل لمشكلتها ، وهو أن يعود خطيبها فلا تكون هناك صراعات .

الحلم الثالث : حلمت أنى مع خطيبى ، ولكنى لاحظت أنه لا يضع دبلة الخطوبة ، فسألته ، فقال لى إنه لم يعد يلبسها ، وقلت له غاضبة وهل تريد أن تتحرر من الخطبة .

التفسير: الحالمة تقلب المسألة وتجعل خطيبها هو الذى يخلع الدبلة ، وتسقط ما تنويه عليه .

الحلم الرابع : حلمت أن خطيبى مات ، وكانت جثته فى حقيبة سفر فى غرفة نومى ، وأصابنى الفزع لـمّا اكتشفت ذلك . وجاء الحانوتى وأخذه كما هو فى الحقيبة ، ووضعه على مسرح ، وكانت الأنوار باهرة ، وهناك زفاف ، وكانت العروس ترتدى فستاناً أخضر ، وهو اللون الذى أحبه فى فساتين الزفاف . وكنت أبكى ، وفجأة خرج خطيبى من الحقيبة وضحك كثيراً لدهشتى ، وكان يقول كنت أمثل عليك ، كنت أهزل معك ، وبالمناسبة أنا كثيراً ما أحلم بأن خطيبى قد مات .

التفسير: إن أى فتاة فى مثل ظروفها لابد أن ترى الحل لمشكلتها المعلقة بأن تفسخ الخطبة ، وهو ما يعنى أن خطيبها مات ، أى أنه مات بالنسبة لها ، وهى تعلق على ذلك بأنها كثيراً ما تراه فى الحلم وقد مات . وربما يعنى كونه فى حقيبة سفر أنها تذكر سبب فسخ الخطبة أنه إنسان دائماً غائب فى سفر ، فسفره هو سبب موته بالنسبة لها . وأما الزفاف على المسرح فهو زفافها هى ، لأننا نعرف أنها تحب لون فستان الزفاف أن يكون أخضر ، وعندما تتحرر من خطيبها تستطيع أن تتزوج بآخر . وهذا الحل أن يموت خطيبها على الحقيقة مرفوض منها . إن موته المطلوب هو موته بالنسبة لها ، يعنى فسخ الخطبة ، أما أن يموت على الحقيقة فهى تقول إنه تمثيل .

الحلم الخامس : حلمت أنى كنت أجلس مع شقيق خطيبى نتحدث عنه وعن غيابه الذى طال ، ثم فجأة وجدته هو نفسه خطيبى وضحكنا

الحلم السادس : كنت مع ابن خالتى نسير فى شارع طويل ، وجاءت سيارة أجرة فأشرنا إليها ، وأخذتنا إلى جهة لا أعرفها .

الحلم السابع : حلمت أنى وأخى نسير فى حديقة ، واكتشفت أن ابن الجيران جالس غير بعيد ، وكان طالباً فى السنة النهائية بكلية الطب ، وكانت معه فتاة ، وتقدمنا منه وسلمنا عليه ، وكان الارتباك عليه واضحاً ، فقلت له هل هى قريبتك ؟ قال نعم ، ولكنى أذكر أنى رأيت هذه الفتاة فى الجامعة ، وكان هناك لغط كثير حول سلوكها ، والولد كان عندى محترماً .

التفسير: الأحلام الثلاثة تشير إلى رغبة الفتاة أن تتعرف إلى الجنس الآخر، وأن تقع فى الحب ، ولكنها لا تريد أن تكون سيئة السلوك وأن يكثر اللغط حول تصرفاتها . وهى ترى نفسها مع شقيق خطيبها الذى يحل محله ، ومع ابن خالتها ، ومع ابن الجيران ، وكلهم شخصيات محترمة يمكن أن يكونوا بدائل للخطيب الغائب ، وهى تريد علاقة حب محترمة وليس علاقة جنسية . وربما يعنى الحلم الأخير أنها تريد أن تبرّر رغبتها فى الوقوع فى الحب ، وإن يكن علاقة يدور حولها اللغط ، بأن تنسب لابن الجيران « المحترم » أنه يحب فتاة غير محترمة .

وأما **الاتفاق الظاهر** الذى يكون بين النتائج التى نتوصل إليها عن طريق الأحلام والنتائج الأخرى التى قد نبلغها بالطرق السيكولوجية الأخرى لدراسة الشخصية ، فإن الدراسات الحديثة ، وخاصة فى مجال اللقاءات الشخصية ، تؤكده ، وما نتحصل عليه من معلومات عن الحالم و بيئته وظروفه ، وما نسأل عنه من المحيطين به ، ومستدعيات الحالم نفسه حول حلمه ، وذكرياته ، كلها تتفق مع تفسيرات الأحلام التى تتمشى مع أحداثها .

والاتفاق الذى زمانه المستقبل نعنى به أن نختبر صدق التفسير بما يصدق منه مستقبلاً ، ونحن نعرف أن الناس جميعاً كانت تنظر إلى الأحلام على أنها تبشر بحدث يتحصل مستقبلاً ، أو تنذر به ، وكانوا يسمونها الرؤيا الصادقة .

وتفسير أحلام صاحبَي يوسف ، وفرعون يوسف ، كلها صدقت . وهذا الصدق المستقبلى دليل على صحة التفسير الذى يذهب إليه المفسر ، **والإنباء** prediction إذن يمكن أن يكون طريقة من طرق التحقق من صدق التفسير ، ولقد جربه العلماء ، وصدق فى الغالبية العظمى من التفسيرات ، فإذا كانت الأحلام السابقة للفتاة المخطوبة لخطيب مسافر وطال سفره على ما هى عليه ، أفلا نتنبأ منها أن هذه الخطبة لا محالة مفسوخة ؟ فإذا صدق من بعد أن الخطبة فسخت فعلاً فإن هذه النتيجة قد يمكن أن نستخلصها من مقدماتها السليمة .

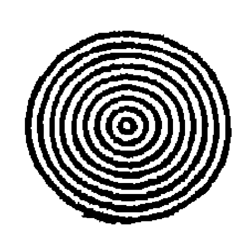
وفى زمرة أحلام البنت التى تعانى من مشكلة الاختيار بين التخرج والحرية والمسئولية ، و بين أن تتخلف دراسياً لتظل مع أهلها وترفض لهذا السبب أن تتزوج ، لأن الزواج يعنى أن مسئوليتها صارت إلى نفسها ـــ رأينا فى آخر حلم لها أنها نجحت فى أن تفعل ما لم تكن تتوقعه من نفسها ، وما أثار إعجاب المحيطين بها ، وتنبأنا بأنها ستنجح فعلاً بعد أن استبصرت حالتها من خلال التفسيرات المقدمة لأحلامها ، وقد حدث ذلك فعلاً مما أجريناه من تحقيقات حولها من بعد .

وبالمثل فى **التنبؤ بالماضى** postdiction فقد أمكن أن نعرف من الأحلام أحداثاً هامة من الماضى أمكن التحرى عنها ووجدت صحيحة ، والحالم نفسه قد لا يؤكدها لسبب فى

نـفـسـه ، ولـكن اللقاءات التى تتم مع أهله ومعارفه والكبار فى السن من المحيطين به ، قد نتعرف من خـلالهـا على مـعلومات كانت متفقة مع التفسيرات الصحيحة للأحلام ، والتى يذهب إليها خبراؤها من محللين ومفسرين .

وإذن فـأن نعتبر الأحلام معطيات سيكولوجية نعول عليها لدراسة الشخصية مسألة سليمة ، ووجـهـة نـظـرنا فى ذلك أن الأحلام مصدر معلومات هائل عن الشخصية وأنها وسيلة إسقاطية ، **ربما كـانـت أثرى وأصدق الوسائل الإسقاطية إطلاقاً** . والأحلام من وجهة نظرنا محاولات من الحالم لحل صراعاته الحالية . ونعتمد فى منهجنا فى تفسير الأحلام على الأخذ بمجموعة منها ، وليس التعويل على حلم واحد ، فأحلام المجموعة الواحدة تفسر بعضها البعض ، وتلقى الأضواء على معانى الرموز فى بعضها البعض . وما نذهب إليه هو نظرية علمية يمكن تطبيق طرق التحقق من صدقها علمياً عليها ، ولقد أجملنا هذه الطرق فى خمس هى : **الاتفاق الجماعى ، والاتفاق الباطن ، والاتفاق الظاهر ، والإنباء .. والتنبؤ** ، على اعتبار أن أساسها المشترك جميعاً هو **الاتفاق** ، وكانت النتائج عند التطبيق إيجابية ، وهو ما يؤكد صحة ما أخذنا به أنفسنا كمنهج لتفسير الأحلام . وطريقتنا وإن بدت متباينة عن طريقة فرويد فى تفسير الأحلام التى تقوم على التداعى الحر ، إلا أنها مع ذلك تدور فى اطار من الرؤية الفرويدية العامة .

وسنحاول أن نطرح طريقة فرويد ونقارن بينها و بين الطريقة السابقة .



«تفسير الأحلام بالتداعى الحر»

كان المنهج الشعبى فى تفسير الأحلام هو المنهج السائد قبل فرويد ، **فمنهج فرويد هو أول منهج علمى.** وقبل فرويد كان الناس يعتمدون فى أول الأمر على طريقة **التفسير الرمزى للأحلام** فكل شيء يعنى شيئاً ، فمثلاً فى حلم فرعون السبع بقرات العجاف تعنى السبع سنين عجاف ، والسبع بقرات السمان تعنى سبع سنوات من الخير، وأن تأكل البقرات العجاف أخواتها السمان تعنى أن يأتى القحط عقب الشبع ، وكما نلاحظ فإن هذا المنهج يعتمد على ثقافة المفسر وسعة اطلاعه وحذقه ، وقد يتراءى له أن الرمز له معنى معين قد لا يراه مفسر حازق آخر مثله ، ومن ثم **فالتفسير كان ذاتياً ، وهذا ما حدا بابن سيرين أن يضع شروطاً خاصة لابد أن تتوافر فى المفسر بهذه الطريقة .**

وأخذ الناس من بعد بمنهج آخر فى التفسير، يعتمد على الرجوع إلى كتاب فى التفسير أو ما يشبه القاموس ، فإذا رأى الواحد منهم أنه على سفر، يفتح كتاب التفسير على بند السفر، و يقرأ ما يعنيه الرمز، ثم يفك شفرة الحلم بأن يترجم رموزه وفق ما يقوله الكتاب . والطريقة لذلك تسمى **طريقة التفسير بفك الشفرة أو تسمى منهج الشفرة .**

وجاء فرويد ، وكان قد تتلمذ على أستاذ نابه هو بروير، وكان برو ير يعالج المرضى بالعصاب ، ولاحظ أنه وهو يتحدث مع المريض و يتناول أعراضه ، فإن المريض يستطرد منها إلى أفكار له حوها ، ومن ضمن هذه الأفكار ما يحلم به المريض ، وتعلم برويد أن يتناول كل

فكرة عند المريض ، و يتبعها فى تفكيره بمناقشتها معه جزءاً جزءاً ، إلى أن يصل إلى جذورها التى هى مصدر الخطأ فى الفكرة ، فإذا استبصرها المريض الذى يمثل الفكرة يزول عنه .

وأخذ فرويد بمنهج بروير، واعتبر الحلم ظاهرة نفسية ، وعرض من أعراض الاضطراب العصابى ، ومثلما كان يناقش المريض حول أفكاره فكان أيضاً يناقشه فى أحلامه . وتعلم أن يعد المريض قبل هذه المناقشة إعداداً نفسياً ، بأن ينبهه إلى طريقته وما يهدف إليه منها ، وهو أن يزيد إدراك المريض لحالته ، و يقتضى منه ذلك أن يقول أثناء جلسة العلاج كل ما يعن لذهنه من خواطر وذكريات ، مهما كانت ، دون أن يحاول أن يخفى شيئاً . ولاحظ فرويد أن ملكة النقد تكون عند المرضى قوية كلما تواردت إلى أذهانهن خواطر « ممنوعة » أو « خطيرة » ، وكان عليه أن ينبه المريض قبل العلاج أن يحاول أن يلغى ملكة النقد هذه ، أو يعطلها أثناء توارد خواطره . وتوارد الخواطر هذا يسميه فرويد **ملاحظة ذاتية** ، حيث تفكير الشخص يكون متوجهاً لما يرد على ذهنه ، وهو ضرب من التفكير ولكنه يختلف عن التفكير ، أن الأفكار هنا تأتى متحررة من أية قيود ، و بدون قمع أو كبت ، فى حين أنها فى التفكير تغربلها ملكة النقد ، فتستبعد بعضها أو توجر بعضها أو تقوم بتحريف بعضها . والمريض فى الملاحظة الذاتية إذ يأخذ بمنهج التداعى الحر يكون **حيادياً** مع أفكاره ، فلا ينحاز لبعضها ولا يعارض بعضها ، وهذا هو الشرط الأساسى لاتمام العلاج . والأحلام ضرب من الأفكار ، وإنما هى أفكار مصورة . والشخص عندما ينام يسترخى فتكون هذه الأحلام التى تنبعث أفكاراً لا إرادية . والمريض تحت العلاج بطريقة التداعى الحر **يسترخى** أيضاً ، بحيث تتوارد مستدعياته ، إلا أنها لا تتوارد لا إرادياً كما فى الأحلام ولكن **إرادياً** ، و يفيده جداً ما يوفره له الاسترخاء من طاقة ، فيوجهها لعملية ابتعاث الأفكار الإرادية .

وقد يسهل التداعى الحر عند بعض الناس ، لأنه من اليسير عليهم أن يفتعلوا الحيادية مع أفكارهم إذا طلبنا منهم ذلك ، إلا أن البعض يشق عليهم ذلك لاعتيادهم ممارسة النقد على أنفسهم وتمحيص أفكارهم ، والنتيجة أن الأفكار اللا إرادية فى الحلم يقاومونها فتقل أحلامهم ، كما أن الأفكار الإرادية فى التداعى الحر تحرك فيهم مقاومة عنيفة تحول دون ابتعاثها . وكان فرويد من الناس الذين يسهل عليهم ابتعاث الأفكار بالتداعى الحر ، فطبق المنهج على نفسه ، وأورد الكثير من الأحلام فى كتابه تفسير الأحلام ، ناقش فيها خواطر الحلم ، وأحداثه وذكرياته عن كل كلمة أو إشارة وردت به .

وتقوم طريقة فرويد فى **الاسترخاء** على توفير جلسة مريحة للمريض بحيث يستلقى على أريكة ، ثم يبدأ المريض يسرد خواطره بما فيها أحلامه . وعند تناول الأحلام يكون تناولها **جزءاً جزءاً** ، والحالم لا يرد على ذهنه أية خواطر لو حاول أن يعلق على الحلم ككل ، فإذا قسمناه فإنه

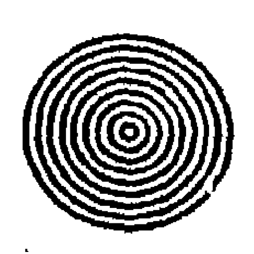
يستطيع أن يتحدث عن كل جزء بسيل من المستدعيات ، بحيث تمسك الفكرة بتلابيب الفكرة ، وتنهال الأفكار التي كانت مخبوءة ومجهولة منه عن هذا الجزء أو ذاك .

وإذن فوظيفة المحتوى الظاهر للحلم عند فرويد هو أن هذا الظاهر بمثابة العلامات على الطريقة المؤدية للمحتوى الباطن . **والمحلل يقف من الحلم وهو يستدعي خواطره موقفاً حيادياً ومشاركاً ،** فهو حيادي بمعنى أن يستبقي خلف عملية التذكر أو عملية التداعي ، حتى أنه ليتخذ مجلسه خلف الحالم وهو مستلق في استرخاء على الأريكة . و يكون مجلسه الخلفي ، مع الإضاءة الخلفية ، بحيث لا يشغل الحالم بأيها و ينهمك في عملية ملاحظة ذاته واستدعاء خواطره . و يسجل المحلل ما يراه مهماً ، وقد يستوقف الحالم ليستزيده توضيحاً لنقطة ، أو يوجه عملية التداعي . و بقدر ما يكون الحالم وقد استغرقته خواطره ، بقدر ما يكون استغراق المحلل تفكيراً في هذه الخواطر ، وهذا هو **ما نعنيه بالمشاركة من طرف المحلل .** وتقتضي هذه المشاركة أن يكون متقبلاً للحالم ولخواطره ، فلا يستثقل دمه مثلاً ، أو لا يكون في مزاج بحيث يتجاوب سلبياً معه .

ويحذر المحلل أن يفرض نظرياته مقدماً على ما يسمعه ، و يغصب مستدعيات الحالم في قوالب نظرياته ، فتتوه منه الحقيقة ويجانبه التفسير الصحيح والتشخيص الصادق . وليس هناك حلم سخيف ، وحلم مهم ، ورؤيا صادقة ، **فكل الأحلام سواء ، وكلها منبئة ،** بمعنى أنها تفصح عن شيء وتكشف مستوراً . **والحلم هو عمل الحالم ،** وإبداعه الذي يتوفر عليه بكل مكوناته الثقافية والذهنية والنفسية والحياتية . والمحلل إذ يستمع إلى الحلم ، ثم ينصت لمستدعيات الحالم ، إنما يستشرف العالم الباطني للحالم ، و يستمع إليه في حوار مع نفسه ، و يشاهده على الطبيعة وعفوياً يتعامل مع أجزاء الحلم ، فيكتشف اتجاهاته ودفاعاته واضطراباته . **وأسلوب الحالم في الحلم هو أسلوبه نفسه في الحياة . والحلم مفتاح شخصية الحالم .** وسؤال الحالم عما يعنيه الحلم قد يكون مباشرة ، وقد نستقصي فيه كل جزء ، وقد نتحرى عن نشاطاته في اليوم السابق على الحلم ، والأمر متروك لكل محلل على حدة ، **ففي تفسير الأحلام طبقاً لمنهج التداعي الحر يكون لكل شيخ طريقته كما يقول المثل .** وقد يحدث أن لا يستجيب الحالم للتداعي ، ولا يتحدث بشيء و يقف موقفاً سلبياً ، وقد يفيد في هذه الحالة الكلام بما يعرفه من حياة الحالم ، وما قد ينعكس من هذه المعرفة على الحلم من تفسيرات . وقد يدرك المحلل تفسير الحلم دفعة واحدة ولكنه لا يعلنه للحالم . وقد لا يفيد الحالم ما نعرفه عن الحلم ، وقد نتريث في التفسير ، وقد نؤثر أن نتأكد أنه مستعد لتلقي ما نقول . وتحتوي أحلام المرضى بالقلق على معلومات لا يفيدهم أن يعرفوها . و بعض تفاصيل الأحلام تقودنا مباشرة إلى المعنى المخبوء ، و بعضها يحتاج إلى جهد كبير لتفسيره ، و بعضها الغاية منه التمويه على الحالم وصرف انتباهه تماماً عن دوافعه . وقد يضطر المحلل أن يستعيد الحالم أجزاء من الحلم ، أو يستعيد الحلم برمته ، وقد ينتقي من الحلم

شذرات يركز عليها ، وهو إذ يسأل عن شيء يبدأ من المعروف و ينتهى إلى المجهول ، أو من المألوف و يتوقف عند الشاذ . والتفسير الذى هو الغاية والهدف من كل ما سبق ينبغى أن يكون بلغة مفهومة من الحالم ، تناسب ثقافته ، وتلائم ذكاءه وقدرته على الاستيعاب .

وطريقة التداعى الحر فى تفسير الأحلام برغم أن فرويد طرحها فى كتابه سنة ١٩٠٠ إلا أنه لم يحدث أن جربت « معمليا » ، ولكن تطبيقاتها الإكلينيكية كانت إيجابية فى نطاق التشخيص المرضى . والتداعى الحر فى تفسير الأحلام يقصر عن الوفاء بأهدافه فى مجال تشخيص الشخصية . وبغاية الكشف عن ديناميا تها ، فنحن مع غير المرضى نتعجل المعلومات ، ومنهج التداعى يتطلب وقتاً و يستلزم الانتظار إلى أن يحلم الحالم مجموعة من الأحلام ، و يتطلب تجميع المستدعيات وكتابتها وفحصها والمقارنة بينها ، وذلك يستغرق زمناً نحن لا نستطيع إهداره ، ولدينا مناهج أخرى أسرع وأوفر مثل اختبار رورشاخ لقياس الشخصية المسمى « اختبار بقع الحبر ink- blot test » . وليس الناس سواء فيما يتعلق بالقدرة على استدعاء الخواطر والأفكار ومعايشة المشاعر ، و بعضهم قد يقدم مادة غنية جداً و يكون ثراً و يكون ثراً فى الكلام ، و بعضهم قد لا تكون لديه موهبة الكلام و يكون شحيحاً فيما يقول ، قاصراً فى تعبيراته ، و بعضهم قد تحول المقاومة دون أن يستطرد فى السرد ، وأيضاً يتمايز المحللون فبعضهم موهوب ، وله البصيرة الحادة ، ويمهر فى استدراج الحالم واستقراء المستدعيات ، و يتقن المناورة ، فإذا واجهته المقاومة فقد يبدأ من جديد ، أو يصوغ السؤال بطريقة مختلفة ، و بعضهم ليست لديه هذه الدراية أو البراعة أو الموهبة ، ومن ثم فقد تكون **طريقة تفسير الأحلام بتحليلها** أيسر فى التطبيق من **طريقة تفسير الأحلام بالتداعى الحر**، مع الأخذ فى الاعتبار أن منهج فرويد يتوجه من المحتوى الظاهر للحلم إلى محتواه الباطن ، فى حين أن طريقة تحليل الأحلام تقوم على التعامل مع المحتوى الظاهر ، وإن كان ذلك يتم فى إطار من المقولات الفرويدية كما سبق أن نوهنا إلى ذلك (Erikson, H.: The Dream Specimen of Psychoanalysis)



« الإسقــاط فى تفسيــر الأحـــلام »

الإسقـاط هو أن ننسب أفكاراً أو مشاعر لنا إلى غيرنا ، ومن الأمور المألوفة أن يسارع الناس إلى تـفسير أحلام غيرهم بمجرد سماعها مع أنهم ربما لا يعرفون شيئاً البتة عن ذلك ، أو قد يعرفون النـزر اليـسير الذى لا يؤهلهم لأن يدلوا برأيهم فيما يسمعون . وربما كان مرد هذه العادة أننا جميعاً نخبر الأحـلام وأنهـا قـد تـتـشـابـه فى محتواها ، وأن منها مجموعة نمطية قد تغرينا أن نضع تفسيرات متـشـابهة للرموز الواحدة ، أو ربما كانت عملية التفسير سهلة بالنسبة لأنها عملية إسقاطية يخرج فيهـا المفسر ما يشعر هو به أو يفكر فيه حيال محتوى الحلم و يعرضه كتفسير . والواقع أن الإسقاط هو ما نحذره دائماً عند التعرض لتفسير الأحلام ، ولا يمارس المحلل تفسير الأحلام إلا إذا تدرب على تجنـب الإسـقـاط بحـيـث لا ينسب ما عنده إلى مكونات الحلم و يعطيها تأو يلات هى إسقاطاته عـليهـا . ولعله لهذا السبب قرن فرو يد وتلاميذه تفسير الأحلام بالتداعى الحر الذى يقوم به الحالم نـفسـه وشـرطـوا أن يـشـارك الحـالم فى تـفسير أحلامه . والمحلل لا يسارع إلى إلقاء التفسير فى وجه الحـالم ، ولـكـنـه يـسـتـدرجـه إلى هـذا التفسير ، بحيث يصنعه الحالم نفسه ، و يقول به فى لحظات الاستنارة والاستبصار بمعانى الرموز فى الحلم وإحالاتها على حياته فى الحاضر والماضى .

والمعـول عـليه فى تفسير الأحلام بتحليلها بدون التداعى الحر أن المحلل لابد أن يعرف بعض المعلومات عن الحالم ، ولابد أن يلتقى الحالم ويجلس إليه و يعاينه بنفسه و يسمع منه . والحلم كما قلنا هو إبداع الحالم ولا ينفصل عنه ، وهو تفكيره مطروحاً إلى الخارج ، وهناك دائماً عملية إحالة بين الحـلـم والحـالم . وقـد يـدأب بعض الناس على آن يرسلوا أحلامهم فى خطابات ليفسرها لهم

آخرون ، أو قد يحملها إليهم من يطلب منهم تفسيرها ، وهو ما نسميه **تفسير الأحلام الكاذب** pseudo- oneiromancy . وتشبث البحوث على الأحلام أن دراسة تاريخ حياة المفسر تبين أن ما يقدمه من تفسيرات ترتبط بوجهة نظره وثقافته وإطاراته المرجعية واتجاهاته واهتماماته . و يستدخل المفسر عواطفه وما يحب وما يكره وخبراته وأفكاره ، ولذلك فإن الأحلام التى يكون مضمونها المشاعر والعواطف قد يصيب المفسر فى تفسيراتها المتكهنة بالحالة النفسية السائدة فيها .

وهذه الأحلام العشرة أعطيت لخمسة وعشرين مفسراً فجاءت تفسيراتهم لها كما سنبين من بعد :

■ **الحلم الأول :** كانت الحالمة تتحدث إلى شخص عندما أخذ هذا الشخص يتضاءل و يتضاءل إلى أن تحول إلى حشرة ثم طار.

■ **الحلم الثانى :** كانت السماء ممتلئة بالطائرات التى تسقط باراشوتات . وأدرك الحالم أن أحد الباراشوتات معلق و به طفل ، وأخذت المدفعية الأرضية تصوب ناحيته ، والحالم قلق على مصير الطفل.

■ **الحلم الثالث :** كانت هناك دقات على الباب ، وفتحت الحالمة فوجدت رجلاً لم تتبينه ، ولكنها متأكدة أنها تعرفه .

■ **الحلم الرابع :** كلب صغير وكلب كبير عثرا على بيضة فرخة ، وأخذ الكلب الصغير يساعد الكلب الكبير على رفعها عن الأرض ، ولكنها تقع من فم الكلب الكبير على الأرض وتنكسر.

■ **الحلم الخامس :** عندما عاد الحالم ليلاً إلى حجرته وجد إلى جوار سريره سريراً كبيراً قد نصب ، ينام فيه رجل وزوجته لا يعرفهما .

■ **الحلم السادس :** يذهب الحالم إلى البقال لكنه يجد مكانه الشركة التى يعمل بها ، فيعود إلى البيت ويجد مكانه مكتب البريد .

■ **الحلم السابع :** كان على الأسرة أن تخرج للنزهة ، و يبحث الحالم عن أمه فلا يجدها و يتوجه بسؤاله إلى الأب والإخوة والأخوات فلا يعطيه أحد جواباً .

■ **الحلم الثامن :** حلمت الحالمة أن صاحبتها وكانت جميلة ولعوباً ، تقدمت للانتقال إلى مدرسة أخرى معروفة بجديتها و برامجها الدراسية القوية .

■ **الحلم التاسع :** ينزل الحالم وأمه فى محطة السكة الحديد ، و يبحث عن حقيبة سفر و يعثر عليها

مفتوحة ، ويحاول أن يضع على نفسه بعض الملابس فقد كان عارياً ، ولكنه لا يستطيع فيستر نفسه بالجلوس ، و يضع طفلاً على حجره .

■ **الحلم العاشر:** كانت هناك مخالب كثيرة تقترب منه حثيثاً ولم يستطع أن يهرب الحالم منها .

تحليـــل التفسيـــرات :

١ ــ اختلفت تفسيرات الحلم الأول إلا أن نصفها تحدث عن قطيعة عاطفية مثل : « الحالمة تخشى أن تفقد عزيزاً عليها » أو « الحالمة تحب من طرف واحد » أو « الحبيب سيبتعد إلى أن يطير من حياتها » أو « الحالمة لا تريد هذا الرجل وتتمنى لو ينتهى من حياتها » أو « هذا الشخص غير مهم لحياتها » . وأما غير ذلك من تفسيرات « إنها لا تثق بنفسها » و « الحلم تعبير عن الشعور بالنقص » و « الحالمة لا تشعر بالأمان » .

٢ ــ كانت هناك تفسيرات متباينة للحلم الثانى حول امتلاك طفل مثل « رغبة فى الإنجاب » أو « الخوف من الإنجاب » أو « القلق على طفل » أو « الحلم صدى لوجود مشكلة معلقة لم تحل عند الحالم » .

٣ ــ دارت التفسيرات للحلم الثالث حول التعرف على رجل ، أو أن يكون للحالمة رجل أو زوج ، أو الشوق إلى لقاء شخص مهم .

٤ ــ الحلم الرابع قالوا فيه أن الكلب الصغير هو ابن ، والكلب الكبير أب ، أو أنهما أخان صغير وكبير ، أو صديقان ، والصغير به عقدة نقص أن يقدم يد المساعدة ولكنه يفشل ، أو الكبير فاشل والصغير يقوم بواجبه ، أو أنهما شخصان أحدهما كفء والآخر فاشل .

٥ ــ تباينت التفسيرات فمن قائل الحالم هو نفسه الغريب ، وهو فى حالة خصام مع زوجته ، أو الحالم يتمنى مضاجعة امرأة غيره ، أو الحالم متضايق أن آخرين قد زاحموه و يضايقونه فى عيشته ، أو الحالم يعانى من إحباط جنسى .

٦ ــ أجمع المفسرون على أن انتقال المبانى من أماكنها هو اضطراب فى حياة الحالم ، واختلفوا حول السبب مثل « لأنه يشعر بعدم الاستقرار » أو « لأنه كثير المشغوليات » أو « لأنه يسىء توجهاته » أو « لأنه لا يعرف أين يذهب » أو « لأنه يخشى أن يتعطل عن العمل » .

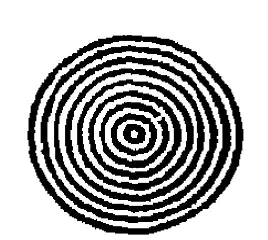
٧ ــ ذهب المفسرون مذاهب شتى فى تعليل غياب الأم ، فمن قائل أن الحالم قلق على أمه التى يحبها » إلى قائل بأن الحالم لا يستشعر الأمان ، أو أنه لا يثق فى أمه ، أو أنه يكرهها أو أن الأم ماتت من زمن غير بعيد .

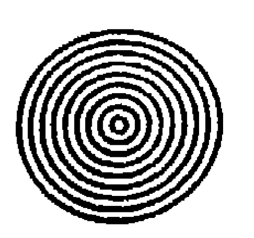
٨ــ الحلم الثامن فسروه بأنه حلم غيرة ، وقال أحد المفسرين إن الحلم يعنى أن الجمال وحده لا يكفى بل يلزم أيضاً الذكاء ، وقال آخر أن الحالمة زهدت أن يمتدحها الناس لجمالها وتريدهم أن يمتدحوها أيضاً لذكائها .

٩ــ قال أحد المفسرين عن حلم التعرى أنه حلم حلماً كهذا ، وقالت واحدة أنه تعبير عن الخوف من التعرى ، وقالوا بل هو الخوف من عتاب الأم .

١٠ــ وفسروا الحلم العاشر بأنه مخاوف من موقف متأزم ، ربما هو الزواج ، أو ربما وظيفة جديدة ، أو ربما الحالم متضايق من ملابس النوم الضيقة ، أو ربما هو خوف عام تملكه من كل شىء ولا شىء .

ولقد تبين من تحليل الاستجابات أن المفسرين ينفعلون فى الحياة فى المواقف التى يتخيلونها للأحلام بنفس الانفعالات فى تفسيراتهم ، وأنهم كانوا يعانون من مشاكل قريبة مما وصفوه كتفسيرات كأن تكون مشاكل عائلية مع الأبوين أو مع الإخوة ، أو مشاكل فى العمل . وكانت تفسيرات الذين قالوا بعدم الاستقرار أو الشعور بعدم الأمان واحدة فى أربعة أحلام . والنتيجة أن التفسيرات جميعها لأنها من غير الثقات فى تفسير الأحلام كانت إسقاطات لانفعالاتهم وأحاسيسهم واتجاهاتهم وانطباعاتهم عن الحياة على مواقف تخيلوها لأنفسهم .





الباب الثانى

الأحلام النمطية

ـ ١ ـ

[أحــلام العــرى]

قلنا إن الأحلام تتميز بالخصوصية ، و يلزم لتفسيرها إذن أن تكون هناك زملة منها ليفسر بعضها بعضاً ، وتلقى جميعها الضوء على النّسق الرمزى للحالم وطريقته فى التفكير الحلمى وأسلوبه فى العرض الحلمى ، وأن يساعدنا الحالم على التفسير أو تساعدنا معرفتنا بظروف الحالم وشخصيته ، وقد نجرب فى تفسير الحلم التداعى الحر للحالم حول موضوع حلمه وأحداثه الظاهرة لنخلص منها إلى المعنى الباطن .

و يبدو أن هناك **أحلاماً نمطية** تحتاج إلى كل ما سبق ويمكن تفسيرها مفردة كما هى ، ونطلق عليها هذا الاسم لأننا جميعاً قد خبرناها يوماً ما ، وهى لها عندنا معنى واحد ، و يبدو أيضاً أن منشأها عندنا واحد ، والمثال على ذلك أحلام العرى كالحلم العاشر من الفصل السابق ، **والشرط فى أحلام العرى النمطية** ، كما نلاحظ ، **أن العرى يتسبب عند الحالم فى الخجل ، فإذا لم يكن الحالم يستشعر الخجل فللحلم تفسير آخر بالضرورة** . وهذا الخجل الذى يستشعره الحالم نتيجة عريه يعانى من جرائه ، بحيث تتسبب هذه المعاناة فى أن تكف حركته فلا يستطيع الفرار من الناظرين ، ولا يستطيع درء عريه وستره ، فهو كالعاجز ، وقد يتحرك ولكن حركته لا تفيده .

والعرى نفسه يختلف من حالم إلى حالم وبحسب موضوع الحلم ، فقد يكون العرى لراقصة هو التجرد تماماً ، وقد يكون العرى لضابط هو أن يسير بدون الكاب على رأسه .

ومن الغريب أنه فى أحلام العرى النمطية فإن **عرى الحالم لا يستثير الناس من حوله ، فلا أحد يعيره إلتفاتاً . وارتباك الحالم وعدم مبالاة الناس هو تناقض يلفت الانتباه للحلم ،** ولولاه لما كان للحلم المعنى الذى نقول به ، وذلك أن أحلام العرى تعكس رغبة من الطفولة ، وفيها كنا نمشى عرايا و يلذ لنا ذلك ، وما كانت النظرات تنتهبنا ، وذلك ما يحدث فى الحلم ، فالناس لا ينتبهون لنا ونحن نرتبك من العرى ، والقلب الذى يحدث وهو من ميكانيزمات الأحلام أو الحيل التى نلجأ إليها ، جعل اللذة للتعرى خجلاً منه ، وإذن فالرغبة التى يعكسها هذا الحلم النمطى هى **رغبة فى الاستعراء أو الاستعراض ،** وهى رغبة عميقة فينا من الطفولة البعيدة ، بل هى رغبة تاريخية فى الإنسان منذ الخليقة ، ففيها يقال أن آدم وحواء كانا عاريين فى الجنة ، ولم يخجلا من عريهما إلا بعد أن عصيا الله ، وكذلك فى الإنسان فإن الخجل يتأتى من انتصار الرغبة السحيقة التى نصفها بأنها لا شعورية ، أى أنها فينا دون أن ندرى عنها شيئاً أو نعيها ، وانتصارها هذا هو انتصار على رقابة التربية والحضارة ـــ أى على الضمير أو الأنا الأعلى الذى موقفه موقف الله ، فظهور الرغبة عصيان للشعور أو الوعى أو الضمير ، والعقاب أن يستشعر الإنسان الخجل . والمثال لذلك :

حلم (١) : حلمت أنى فى عملى وأجلس إلى مكتبى ، وفجأة تبينت أنى عار ، وأخذت أهيل الدوسيهات فوقى وأنظر من حولى مخافة أن يكتشف الموظفون العرى الذى أنا فيه .

التفسير: الحالم قد أتى ذنباً يتعلق بالعمل ، ويخاف أن ينكشف ويحاول أن يغطى على فعلته .

حلم (٢) : حلمت أنى ليلة الزفاف ، وكانت زميلاتى قد تحدثن معى عنها ، ولكنى لم أكن أخاف شيئاً إلا أن يرانى عريسى عارية ، فأمسكت بملابسى بشدة واستيقظت من نومى مفزوعة .

التفسير: الحالمة كانت تعانى من تأجيل زواجها باستمرار وتريد اتمام الزواج ، ولكنها كانت تخشى إعلان رغبتها حتى لا تفسر تفسيراً جنسياً ، وكانت تسكت على مضض ، وهو ما يزعجها ، و يسبب لها معاناة نتيجة هذا الصراع الذى يحتدم داخلها ، ولا يدرى به المحيطون بها .



ـ ٢ ـ

« أحـــلام مـــوت الأهـــل »

قد يحدث أن نحلم بأن عزيزاً علينا قد مات ، كأن يكون أباً أو أخاً أو أختاً أو صديقاً ، وعندئذ فقد نحزن و يصيبنا الكمد ونذرف الدمع الثخين ، أو قد لا نتأثر البتة وكأن شيئاً لم يحدث .

والأحلام من هذا النوع التى يمكن أن ندرجها ضمن الأحلام النمطية **هى التى نستشعر فيها الحزن حقاً** ، فبديهى أن نحزن لموت هذا القريب أو العزيز ، وغير الطبيعى أن لا نحزن ، ولذلك فإن **أحلام الموت التى لا تقترن بالحزن لابد أن تعنى شيئاً آخر خلاف الموت** ، والمثال على ذلك هذا الحلم :

حلمت أن ابن أختى الوحيد قد مات ، وكنت أتأمله مسجى على الفراش ولا أبدو حزينة البتة .

التفسير: تبين من مستدعيات الحلم واشتراك الحالمة فى التفسيرات أن أختها هذه كان لها ولدان ، مات أحدهما من قبل ، وحضر موته قريب لهما كانت تتمنى لو تزوجته . وقد انقضى زمن على الحادثة ، وعاودها الحنين لرؤية قريبها هذا لأنها لم تتزوج للآن ، و يبدو أنه لم يكن هناك احتمال لزيارته لهما إلا مع حادث مهم كحادث وفاة الابن ، ومن ثم فقد حلمت أن الابن الثانى قد مات ، لعل هذا القريب يحضر هذه المرة أيضاً فتراه . وإذن فالحلم يعبر عن

مكسب ثانوى ستناله الحالمة لو وقع الموت لابن أختها ، ولذلك فلم يكن هناك بكاء ولا حزن حقيقى ، ولم يتعلق شعور الحالمة بالمحتوى الظاهر للحلم بل بالمحتوى الباطن ، والحلم لهذا السبب ليس من الأحلام النمطية لموت الأهل ، ففى هذه الأحلام الأخيرة يترافق الموت وأن يستشعر الحالم الحزن الشديد وأن يبكى على الميت بكاء مراً ، لأن الحلم يعكس رغبة الحالم أن يموت هذا القريب موتاً على الحقيقة أو على المجاز، فقد يكون الموت بالبدن ، وقد يكون موتاً أدبياً ، وفى الحالين هو موت لهذا القريب نتمناه له فى أعماقنا ولا تفصح عنه ألسنتنا ، ولكن أحلامنا قد تفضحنا بما نكنه ونحاول ستره من مشاعرنا وأفكارنا . وربما لا تعنى الأحلام النمطية من هذا النوع أننا نتمنى الموت لهذا القريب الآن ، فلربما كانت تلك أمنية قد جاشت فى صدورنا يوماً من الأيام ، وربما تكون رغبة من الماضى السحيق منذ الطفولة . **وربما يعترض معترض فيقول وهل من المعقول أنى لو حلمت أن والدتى توفيت أنى أتمنى لها الموت ؟! وهل نتمنى الموت لأبنائنا إذا حلمنا بوفاتهم ؟**

فأولاً دعنا نتحدث عن الطفولة ، ففيها يكون الشقاق والغيرة والحسد والسباق على المكانة الأولى عند الأبوين ، وكثيراً ما نرى الإخوة فى الطفولة فى شجار كأنهم الأعداء الألداء . وتنتهى الطفولة ونكبر فى التفكير، ولكن المشاعر الأولى تظل هناك دائماً تعمل عملها ومنها بقايا تبقى معنا باستمرار حتى الشيخوخة ، فإذا جاءت حادثة ما ، وما أكثر ما يتفجر منها بين الإخوة الكبار بسبب الميراث وزواج الأبناء وغير ذلك ، فقد تعود ذكرى الرغبات الأولى ، وليس البكاء الشديد فى الحلم لدى رؤية الميت الأخ إلا لأن الأنا الأعلى أو الضمير أو مكونات التربية والحضارة فى الحالم ترفض مثل هذه الرغبة الممنوعة وتعاقبه عليها بعذابات الضمير التى مظهرها هذا البكاء فى الحلم . وليس للموت عند الأطفال المعنى الذى للموت عند الكبار، فالطفل يفهم من الموت أنه اختفاء الشخص ، ولذلك فكلما تمنى الكبير البالغ أن يختفى شخص من حياته فإنه يطلب له الموت . والسؤال الآن هو: مع افتراض أن رغبة الطفل أن يختفى اخوته بمعنى أن يموتوا تفسرها أنانيته التى ترى فيهم منافسين له ، **فكيف نفسر رغبته تجاه والديه اللذين يمنحانه الحب ويقضيان له حاجياته ؟** والواقع أن الطفل إذا حلم بموت أحد الوالدين فهو يحلم بموت الوالد من جنسه ، بمعنى أن البنت تتمنى لأمها الموت ، كما يتمناه الولد لأبيه ، وذلك هو ما يحدث غالباً ، كما لو أن الصبى يرى فى والده الذكر غريماً كإخوته ، والبنت ترى فى أمها غريمة لها . وأذكر بهذه المناسبة أن صديقاً لى سافر هو وزوجته للحج وتركا ولدين لهما عند جدتها ، وجاءت الأنباء الكاذبة تترى بسقوط الطائرة ، وكانت الجدة تبكى والبيت كله فى مناحة ، وحدث أن رأيت الولدين يلعبان ، وسمعتها غير بعيدين منى يتساءلان إذا كان صحيحاً أن والديها ماتا . وقال الابن الأكبر إن كان الأمر صحيحاً فهو سيرث سيارة أبيه وعمله ، وقال الأصغر وأنا سأرث عفش البيت !!

وتكشف لنا الخبرة بالحياة أنه خلف العلاقة بين الوالدين والأبناء لأكثر من مناسبة من مناسبات العداوة ، وما لم تكن احتمالاتها قائمة ما كان القرآن قد أوصانا المرة تلو المرة بالوالدين إحساناً . وتعبر الأساطير عن ذلك فى العلاقات المحتدمة بين أفراد أسرة أوديب الملك ، وتحكى أن كرونوس التهم أبناءه ، وأن شجرة الدر قتلت زوجها ، وأن قابيل قتل أخاه هابيل ، وست قتل أخاه أوزيريس ، وكل ذلك نعرفه ، وقد يشفع لنا إذا قلنا إننا قد نتمنى موت أحبائنا بمعنى اختفائهم من حياتنا لو زاحمونا هذه الحياة . ونحن نعرف من دراساتنا للطفولة والأبوة أن الطفل ينزع منذ صغره إلى أن يحب الأب من الجنس الآخر ، ولكنه يتعلم أن يتعين بالأب من نفس الجنس ليكون له دوره فى الحياة ، ونعرف أن هناك عقداً تتخلف من الطفولة ، ومنها ما يقال له **عقدة أوديب** عن حب الطفل الذكر لأمه واستمرار هذا الحب حتى بعد أن يتعين بالاب ، وتعنى عقدة أوديب أنه بقدر ما يكون هناك من انجذاب من الأم نحو طفلها حتى وإن شب عن الطوق بقدر ما يكون هناك من عداوة بين الأب وابنه و بين الابن وأبيه . وهناك عقدة يقال لها **عقدة الكترا** ، عكس الأولى ، توجه سلوك البنت من حيث حبها الكامن لأبيها و بغضها لأمها ، وتوجه سلوك الأم من حيث كراهيتها لميل الأب للبنت وتدليله لها ، كما توجه سلوك الأب من حيث هواه لابنته . وأيضاً هناك عقد بين الإخوة فحواها تنافسهم على محبة الوالدين وشقاقاتهم التى لو تتبعناها لكان هذا أصلها ، ومنها **عقدة يوسف** التى موضوعها حسد الإخوة للأخ الصغير ، **وعقدة قابيل** ومدارها الدوافع النفسية التى تجعل الابن الأكبر يقتل أخاه الأصغر (هابيل) ، **وعقدة ست** التى موضوعها دوافع الابن الأصغر لقتل الابن الأكبر (أوزيريس) . ولابد أن كلاً منا قد تبين فى محيط حياته كيف يتهافت الأبناء على مكان الأب من المائدة إذا خلا ، أو كيف تحاول البنت أن تخلف أمها إذا غابت ، أفلا يكون منطقياً مثلاً إذا أخذت الأم ابنها الطفل ليشاركها سريرها عند سفر الأب أن تعتمل هذه الأمنية بنفس الابن لو أن أباه يستمر غائباً حتى لا يحرمه حضوره من أن ينام فى حضن الأم ؟ ومن وسائل استمرار هذا الغياب يتعلم الأبناء أن يصبح الأب فى عداد الأموات ، و يتعلمون بالتجربة أن الموتى يظلون غائبين مثل الجدة أو الجد اللذين ماتا بمعنى أنهما ما يزالان غائبين . و يطلق النفسانيون على هذا الموقف الذى لابد أن نخبره جميعاً والذى لابد أن يخلف آثاره فينا جميعاً بالسلب أو بالإيجاب اسم **الموقف الأوديبى** ، وهو موقف يجمع بين الأب والأم والأبناء بحيث تدور بينهم منذ الطفولة حمى حرب مستمرة فيها انحيازات وائتلافات ومرارة وقمع وتأديب وكبت فنخرج من هذه المرحلة ولا يعلم ماذا نكون نفسياً إلا الله . ولسوف نتناول هذا الموقف فى الفصل القادم إن شاء الله (**الأحلام والصراع الأوديبى**) .

والمهم أن أحلام موت الأقارب ، التى نصفها بأنها نمطية ، تظهر حقيقة مشاعرنا تجاه أرحامنا ، وتفصح عن جانب منها يتستر باستمرار بحيث نبدو دائماً وكأننا المحبون ولا شىء غير

ذلك . وقد ننكر أن يكون هذا هو المضمون الحقيقى لهذه الأحلام ، فنقول إن إنكارنا لا يقتصر على التفسير ونحن أيقاظ ، فإننا ننكر أيضاً ما تذهب إليه هذه الأحلام ونحن نيام ، لدرجة أن الرقابة على الأحلام ، وهى المسئولة عن تحريفها وإظهارها فى المشاهد والرموز التى تظهر بها ، لا تكون معدة لمواجهة هذا النوع من الأحلام من فرط بشاعتها ، ومن ثم فقد تفاجئنا بظهورها والمعنى البشع الذى ننكره عليها ، وقد يدفعها إلى الظهور قلق على حياة شخص عزيز يلم بنا كأثر من آثار اليوم السابق ، و يستغل هذا القلق الرغبة المحرمة ، وتستغل الرغبة هذا القلق فتنتفع به .

مثال « ١ » :

حلمت أننى أنتظر حضور أمى ، وكنا نجلس وإخوتى فى انتظار حضورها . وأقلقنا غيابها وتساءلنا ما إذا كنا قد بحثنا عنها فى المستشفيات . وسألت عن مستشفى بالذات هى الأشرفية .

التفسير: الحالمة مريضة بعينيها وتخشى على نفسها ، وقلقها على صحتها دفعها إلى أن تحيى فى نفسها ذكرى أمها ، وهى ترى نفسها فى أمها ، وقلقها على أمها الذى عانته يوماً من الأيام يتفجر من جديد قلقاً على نفسها ، وترى أن فقدانها المحتمل لبصرها بمثابة الموت لها كالموت الذى وقع لأمها ، وأما المستشفيات التى تسأل عنها فإنها قد جربت العلاج فى الكثير منها ودارت على كثير منها ، وتخص مستشفى الأشرفية وهى مستشفى فى الأردن ، إذ الحالمة أردنية ، وتعالج الناس علاجاً من نوع ليس كعلاج المستشفيات الخاصة ، والحالمة تعتبر هذه المستشفى البداية لمأساتها ، وفيها كانت بداية غيابها الحاضر ، أو حضورها الغائب ، أو حياتها الحالية التى تشبه الموت أو يتهددها هذا الموت المجازى الذى هو فقدانها لبصرها . ولنلاحظ أن الحلم ليس فيه بكاء أو حزن أو ما يدل على ميت حقيقى يرتبط باختفاء الموت ولذلك فذا الحلم ليس من الأحلام النمطية .

مثال « ٢ » :

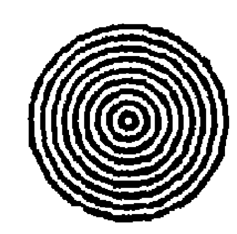
حلمت أن زوجى مات وجاء أهله يطالبوننى بالميراث .

التفسير: كانت الحالمة قد تشاجرت مع زوجها فى اليوم السابق ، وزوجها أودع لديها كل ماله ، فلما تشاجرا هددها بسحب وديعته عندها ، وذلك يقلقها ، والحلم ينفى عنها أنها راغبة فى مال زوجها ، و ينسب قلقها إلى ما قد يثيره أهله من مشاكل فى حال وفاته . ولو كان الحلم يعرب عن حزن على الزوج الذى سيموت لكانت انفعالات الحالمة مختلفة تليق بتوقعات الموت أو وقوعه .

مثال « ٣ » :

حلمت أن دهبت لز يارة أمي فوجدتها قد ماتت و بكيت عليها بشدة .

التفسير: الحالمة مطلقة ، ولها ولد عهدت به إلى أمها ، كي يتسنى لها أن تعمل وتعول نفسها وابنها . وكانت الأم قد رفضت فكرة زواجها من مطلقها ، وحقدت عليها الابنة ، ولكنها نفذت فكرتها ، والابنة ، أي الحالمة ، تعتبر أمها مسئولة مع ذلك ، لأنها كان في وسعها أن تمنعها من الزواج ، ولو بالقوة ، ولكنها لم تفعل بحجة أن الابنة كبيرة ومتعلمة وخريجة جامعة . والحلم فيه الرغبة بإيقاع العقاب بأمها ، وهو أن تختفي من حياتها ، فهي تذكرها بفشلها وتؤنبها دائماً ، وهي بمثابة الضمير الذى يعذبها ، ثم إن الأم لو اختفت بالموت فإن ذلك أنها ستضطر أن تستحضر ابنها معها ، وهو ما تتمناه .



- ٣ -

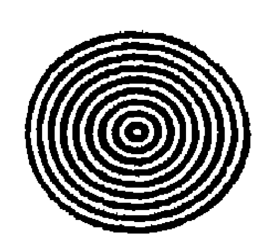
« أحــلام الامتحــان »

كثيراً ما نحلم بأننا نؤدى امتحاناً ما ، **وأحلام الامتحان** التى هى من قبيل الأحلام النمطية **فيها الجزع الشديد والقلق المبهظ والخوف وتوقع الفشل ، ودائماً ما يكون الامتحان فى مادة لم يحدث أن رسب فيها الحالم** ، ولو كان الامتحان فى مادة يخاف الحالم منها أو قد سبق له أن خاف منها كان للحلم ما يبرره ، ولكن أحلام الامتحان النمطية ليس فيها ما يبررها فى الظاهر ، فالطبيب الناجح الذى قد مارس الطب لسنوات قد يحلم بأنه يمتحن وأنه يسلم ورقة الإجابة بيضاء ، وقد يصحو من الحلم يستشعر النكد ويحمد الله أنه طبيب فعلاً ويمارس الطب وليس هناك ما يخشى منه أو يجزع له . والحلم لابد أن يرتبط بمواقف من حياته الحاضرة تلح عليه ، والامتحان كما نعرف اشتقاق من المحنة ، ومن منا لم يجرب محنة الامتحان منذ الطفولة ، ومن منا لم يطلق على يوم الامتحان اسم يوم الهول ، والتجارب التى قد ندخلها فى الحياة ونخشى منها نحاول أن نطمئن أنفسنا بخصوصها ، ومادام الحلم يمتحننا فى مادة نجحنا فيها فهذا دليل على أن القلق المرتبط بالخبرة الحالية يربط بين هذه الخبرة وخبرة أخرى مشابهة ، بل وربما أقسى منها (يوم الهول) ، وقد نجحنا فيها ، فلماذا لا ننجح فى هذه الخبرة أيضاً ، وهى مثلها إن لم تكن أقل منها خطراً أو مبعثاً للخوف والقلق ؟؟ ولقد تبين بالبحث أنه **كلما كانت هناك أحلام نمطية مرتبطة بالقلق والخوف والتوقعات الباعثة على الجزع ، فإنها تأتى الحالم حين تنتظره فى الغد القريب أو البعيد مسئولية يخشى أن يخفق فيها** ، ولذلك فإن الحالم يتلمس مناسبة من

ماضيه ، لم يكن فيها للقلق والخوف والجزع ما يبرره ، وجاءت النتائج بما يكذبها ، وكأن الحلم فى الحقيقة يحمل العزاء للحالم ، وكأنه يبلغه رسالة من ذاته أو أناه مضمونها « لا تخشى شيئاً من الغد ، وتأمل أية مخاوف وقلق وجزع تملكك قبل امتحان الشانوية العامة أو البكالوريوس .. إلخ ، ولم يصبك أى سوء مع ذلك ، وها أنت الآن طبيب بالفعل ، أو مدرس ... إلخ » ، أو ربما يختلف مضمون الرسالة ، بحسب مستدعيات الحالم ، أو بحسب ما نجمعه له من أحلام من هذا النمط ، فقد يكون الحالم يحلم بحلم امتحان شيخ كبير فى السن تجاوز تجربة الامتحانات ، ومع ذلك فإنه قد يحلم بها إذا كان فى حياته ما يشبه أن يدخل محنة أو تجربة مقلقة .

مثال : حلمت أنى أدخل امتحان الكلية الحربية ، وقد طلبوا منى أن أخلع ملابسى وأقف عارياً ، وقد فعلت وأنا شديد الجزع ، ثم صرفونى بدعوى أنى لا أملك اللياقة البدنية المطلوبة .

التفسير: الحالم يعمل ضابطاً ، وامتحان اللياقة للكلية الحربية قد نجح فيه ، وهو الآن برتبة كبيرة ، وكان قد تزوج وأنجب وماتت زوجته ، وعاش أعزب مدة خمس عشرة سنة إلى أن كبر أولاده ، ثم تراءى له أن يتزوج ، وخطب فتاة تصغره بعشرين سنة ، وكلما اقترب موعد الزفاف زاد قلقه وتنامت مخاوفه ، وهى تربط بين التجربة الحاضرة والماضية عندما تقدم للكلية الحربية ، وكان يتمنى أن يكون ضابطاً ويخشى أن يرفضوه ، فقد كان بساقه كسر شفى منه ، ولكنه كان يوجعه أحياناً ، وكان يخشى أن يكتشف أمر هذا الكسر الماضى . ثم إن التجربة الحاضرة التى يقلق منها هى تجربة زواج ، والحالم يخشى الفشل ، ويخشى أن يكون بقاؤه بدون زواج خمس عشرة سنة قد أفقده رجولته ، وذلك ما كان يعتقده أيضاً لو فشل فى كشف اللياقة فى الكلية الحربية ، والمعروف أن الشباب يعتبرون القبول فى الكلية الحربية بمثابة إعلان بكمال رجولتهم ، وكمال الرجولة هذا هو ما يغرى الفتيات على طلب ود الضباط وتصويرهم فى الصورة الرجولية الكاملة ، وإذن فالتجربة الحالية توقظ التجربة الماضية حول كمال الرجولة ، ولكن مضمون الحلم أنه ما دام قد نجح هناك فلماذا لا ينجح هنا أيضاً ، وكأن الحلم يطمئنه على نتيجة مشروع زواجه المرتقب .



— ٤ —

« أحـــلام الطيـــران »

لـيس منـا إلا وقد حلم يوماً أنه كأنما يطير . وللطيران فى الأحلام لذة تجعل الحالم يتمنى أن يطول ، وفى الطيران يمارس الحالم قدرة مطلقة على التحليق والارتفاع والحركة ومطالعة الأمور من عل . والغريب أن الذى يحلم بأنه يطير يستطيع أن يتذكر بدقة حلمه و يصفه و يصف مشاعره فيه . والوصف فى أحلام الطيران للمشاعر أكثر منه للمشاهد ، **وكأن أحلام الطيران أحلام مشاعر وأحاسيس** . ويحلم الحالم بحلمه وهويعى **أنه يحلم** ، و يستزيد من الحلم ، وأحلام الطيران لذلك **من الظواهر قبل الشعورية ، وهى أحلام تقوم على مسرحة الأفكار ، فالشخص الذى يتمنى أن يحوز القدرة والقدرة يحلم بأنه يطير و يستشرف الأمور من عل ، والذى يعانى من واقع يحس أنه فيه محاصر ومنبوذ يتمنى الانطلاق والحرية دون قيود ولا سدود .**

ونحن نكثر من أحلام الطيران ، والطيران أمنية الإنسان ، فالطائر وقدرته على المطالعة من عل ، وتحليقه المتحرر ، كل ذلك يجعل الإنسان يحلم و يرجو أن يكون مثله ، وهو لن يكون مثله فى الواقع فيفعل ذلك مجازاً فى الحلم ، فأحلام الطيران **فيها تحقيق رغبة** ، ولسوف نرى أن ابن سيرين ذهب فى تفسيرها مذاهب شتى تشبه مذاهب النفسانيين ، و بين ابن سيرين وفرويد نحو ألف عام .

وأحلام الطيران أحلام نمطية ، بمعنى أنها شائعة ، ولها نفس المواصفات ، ولكن التفسيرات لها تتباين . وتشمل هذه الأحلام ذلك الضرب منها التى يطير فيها الحالم أو يموج فى الهواء أو يسقط أو يعوم ، وتعنى فى كل حالة معنى مختلفاً ، ومادة الإحساسات المحتواة فيها هى وحدها التى تخرج من نفس المصدر . و يبدو من التحليل أنها أحلام **تعيد انطباعات من الطفولة ، وتتعلق بالألعاب الحركية التى يغرم بها الأطفال من المهد** ، وكلنا يوماً من الأيام لعبنا مع أطفالنا بأن نلقى بهم فى الهواء ثم نلقفهم ، أو نرفعهم عالياً هابطين بهم دواليك ، وقد نرفعهم عالياً ثم نعدو عبر الغرفة وكأننا نطير بهم أو نطيّرهم ، والطفل أثناء ذلك يضحك من قلبه مسروراً غاية السرور . وليس منا إلا ورفع طفلاً وأنزله بحركة مفاجئة وكأنه يسقط ، وقد نمسك به ونضعه على ركبتينا نحركها حركة رتيبة صعوداً ونزولاً ، وقد نكون مستلقين فنضع الطفل على ساقينا ونرفعها عالياً والطفل يطير من الفرح ، ودائماً يستز يدنا الطفل من اللعب بهذه الطر يقة ، و يصيبه من هذه الحركات المفاجئة الدوار . وعندما نكبر تكون بأحلامنا نفس الحركات والدوران والصعود والهبوط ، مع حذف الأيدى التى كانت تمسك بنا ، فنبدو كما لو كنا نطير أو نسقط أو ندور أو نحلق أحراراً . و يشبه فرو يد ولع الأطفال بالألعاب التى تشبه الطيران بولعهم بالأراجيح ، فهل منا من لم يحب الأرجوحة ؟ وهل منا من لم يركبها و يطيّرها فى الهواء عالياً حتى لتبتعد بعيداً نحواً من ستة أمتار ، وقد يتمكن أن يقلب الأرجوحة فى الهواء ؟ فإن لم يكن قد فعل ذلك فى صغره لسبب أو لآخر ، فمن منا لم ينظر للآخر ين يركبونها و يطيرون بها و يتشقلبون فى الهواء وهم سعداء غاية السعادة ؟ واللذة التى تصاحب هذه الألعاب تجعل لها إشباقاً تنفرد به ، حتى لتتكرر اللذة مع الأحلام التى تتكرر فيها هذه الألعاب . ولربما تكون للإحساسات الفسيولوجية مثل حركة الرئتين فى عملية التنفس صعوداً وهبوطاً دخل فى إثارة هذه الأحلام التى فيها الطيران والسقوط ، غير أن التحليل النفسى يستبعد هذا السبب الفسيولوجي كأصل لهذه الأحلام ، وإنما الأصل دائماً نفسى ، وإن كان يتلبس أحياناً بالشكل الفسيولوجي طالما أنه شكل إنسانى قد تتسربل به آمالنا ورغباتنا وطموحاتنا وصراعاتنا . ورغم أنها أحلام نمطية لها شكلها الواحد ، وربما أصولها الواحدة ، إلا أن لها خصوصية تجعل تفسيراتها تتباين ، وكان نابليون يحلم بأنه يمشى فى الهواء وأن قامته تطول حتى لتبز كل القامات ، ونابليون كان قصيراً ، وكان أعلى أهل عصره طموحاً وحباً للسيطرة والتفوق . وقد تحلم البنات كثيراً بأنهن طيور صغيرة لطيفة ، فيظهرن طبيعتهن الودودة والتى يحرمن من ممارستها فى النهار .

وهناك من يذهب إلى تفسير أحلام الطيران بأنها أحلام جنسية ، والرجل الذى بأنه يطير دليل على أنه كان منتصباً أثناء الحلم ، والمرأة التى تحلم بأنها تطير تعلن بطر يقه غير مباشرة عن رغبة جنسية . ومن أسماء القضيب أنه « الإير » ، والإير كلمة سامية معناها الهواء ، وكان الإير إلـــه الهواء عن الساميين ، والإير فى اللغات الأورو بية (air) فى

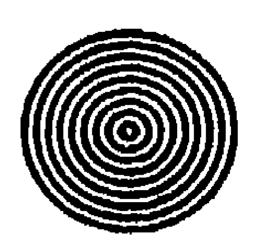
الإنجليـزية مـثلاً) ، والإير عند العرب هو القضيب فى حالة الانتصاب يمتلئ بالهواء لأنه يرتفع سـامقاً يطاول رأسه الهواء ، وربما يمتلئ بالهواء فيكون انتصابه ، وكان الأقدمون يقولون بالقضيب المجنح ، وقد تكون أحلام الطيران لذلك أحلام شبقية بالنظر إلى الأحاسيس الجسمية التى تقترن بها والتى تصاحب الانتصاب والإنزال ، ثم بالنظر أيضاً إلى أن **الأطفال دون العاشرة لا يحلمون أنهم يطيرون** ، أى لا يحلمون بالطيران قبل البلوغ ، فإذا كان البلوغ بدأوا يحلمون أنهم يطيرون .

والطيران كما فى أحلام نابليون قد يكون **تعبيراً عن شعور بالنقص أو بالعجز أو قد يكون تعبيراً عن الطموح أو الرغبة فى التحرر والانطلاق أو فى السيطرة والقوة** . ونحن فى هذه الأيام نعتبر قوة سلاح الطيران هى القوة الفعّـالة فى الحروب ، والطائرة إنجاز حضارى هو تحقيق لأحلام الطيران من جانب الإنسانية كلها ، وتتمثل فى الطائرة كل رغبات الإنسان فى القدرة والقوة والإنطلاق .

ولربما تزيد بنا متاعب الحياة وتقسو علينا ظروفنا وتحاصرنا فيكون أن نحلم بأننا نطير مبتعدين . ومنا من يريد الخلاص من المتاعب بالموت ، **والطيران يماثل الموت** ، ونحن نقول طارت روحه ، أى مات ، وكأن البدن الثقيل الذى لم يتحقق به الطيران ، بموته تطير الروح فيتحقق إذن للإنسان ما كان يهفو إليه .

وابن سيرين يرى فى أحلام الطيران تفسيرات مشابهة وإن لم تكن لها الأسباب السابقة ، **وهو يقول بتفسير جنسى** « ومن رأى أنه يطير من سطح إلى سطح آخر فإنه يطلق امرأته و يتزوج بغيرها » . **و يقول بتفسيرات أخرى فيها التفسيرات السابقة كلها وأكثر منها** ، فمن رأى أنه يطير كالطير من مكان إلى مكان فإنه يدل على **السفر**، و بالطبع يقصد ابن سيرين التنبؤ بالسفر ونحن نقول إنها رغبة السفر، و يستطرد ابن سيرين فيقول بما يعنى إن الطيران قد يكون **رغبة فى علو القدر**، و يقيس هذا العلو المرغوب بمقدار بعد الحالم فى الطيران عن الأرض . وقد يكون الطيران الذى يبلغ السماء طلباً للحج ، ومن رأيى أنه **يطير من غير ريش** فإنه قد يعنى أنه فرط إحساس بالقدرة ، أو على العكس دليل العجز فى الواقع فيرى أنه فى الحلم يطير أى يقدر برغم أنه ليست لديه أدوات القدرة . ومما يروى أن رجلاً جاء ابن سيرين يقول له إنه يطير فى السماء وفى الأرض أيضاً فقال له إنه رجل كثير الانتصاب ، أى لا يفرق فى الجماع ويمكن أن يجامع هذه وتلك . و يقر ابن سيرين أن الأحلام قد **تعكس الرغبة** فيقول إن الطيران قد يؤول بالتمنى إذا كان الحالم يكثر منه فى أحلامه ، و يقول إن الطيران فيه **لذة وسعادة** بدليل أننا نقول فى اليقظة إننا نطير من الفرحة ، والطيران قد يكون تعبيراً عن الاستعلاء . وأما النابلسى فيقول بالنسبة

لطيران النساء إنه رغبة فى الزواج أو النكاح ، و يفسر من يطير فيسبق الآخرين إنه رغبة فى التفوق عليهم ، ومن يطير كالحمامة وهو قادر على أهل الأرض بأنه رغبة فى التسيد والتسلط ، ومن يطير وهو فى غربة أنه يرغب فى العودة للوطن ، ومن يطير فوق البيوت والأزقة أنه يستشعر الضيق والمعاناة والاضطراب فى حياته ، ومن يطير بين السماء والأرض يكثر من التمنى ، وقد يعنى أنه يطلب العلم إن كان عالماً ، أو المجد إن كان مجيداً ، أو المال إن كان من طالبيه ، رحم الله ابن سيرين والنابلسى فقد كانا نابغين !!



ـ ٥ ـ

« أحلام السقوط »

يحلم الناس كثيراً بالسقوط ، كأن يسقط الواحد من حالق ، أو يرى نفسه وقد هوى فى جب سحيق ، أو قد انزلقت قدمه فهوى من السلم ، و يفزع الحالم و يصيبه من ذلك الهلع ، ولكنه قبل أن يرتطم بالأرض يستيقظ مفزوعاً . وقد يتكرر الحلم مع الحالم و يعاوده الليلة بعد الأخرى ، **وتتشابه أحلام السقوط عند الناس فهى من الأحلام النمطية** وإن كان تفسيرها فى كل حالة يختلف باختلاف ملابسات الحلم وأحوال الحالم . ودائماً تكون **أحلام السقوط قصيرة الأمد ، وتنتهى بأن يستيقظ الحالم .**

ولربما تكرر أحلام حوادث السقوط التى نتعرض لها ونحن أطفال ، ولا يكاد يوجد طفل إلا وعانى من السقوط من فراشه ، ثم أسرع إليه المحيطون به ورفعوه ودللوه وأعادوه إلى سر يره ، و يتربى لدى الطفل الخوف من السقوط و يتوقعه ، فإذا بلغ مبلغ الكبار فإن توقعات المستقبل والخوف من السقوط والفشل قد تجعله يعيش فى قلق يدفعه إلى أن يحلم بالسقوط على الطر يقة التى عرفها فى طفولته .

والسقوط قد يعنى **السقوط الأدبى** ، والمرأة الساقطة هى التى تأثم جنسياً ، والسقوط فى الحلم عند النساء إن كان له هذا التفسير هو **رغبة جنسية محرمة** ، وكأن رسالة الحلم تنبيه الحالمة إلى خطورة هذه الرغبة فلو حققتها تكون قد أثمت . والسقوط بالنسبة للرجل قد يكون **استسلاماً لدواعى يجاهدها** ، فالذ يقبل الرشوة لأول مرة قد يحلم بأنه يسقط فى بئر عميق ، والذى يستكين للظلم قد يرى فى المنام أنه يسقط .

ولربما تفسر أحلام السقوط بأنها مخاوف من الزلل ، أو من الهزيمة ، وكأن الحالم يعيش حياة فاضلة ، أو يهفو للسيطرة والقوة ، وتتراوحه لذلك نواح فيه ضعيفة ونواح قوية ، ويخشى أن يغلبه ضعفه على قوته .

والسقوط فى التفسير الشعبى للأحلام له دلالة تنبؤية ، وهو عند **ابن سيرين من معنى تنبؤى نقول به ولكن من منطلق ما يجرى به تفكير الحالم ، ولربما يكون هو على وعى بما يعتمل به من أفكار ومخاوف ، ولربما هذه عملها فى تصرفاته لاشعورياً وتنعكس على أحلامه .**

مثال : حلمت أنى أصعد الدرج وكنت أعانى فى صعودى وألهث ، وكنت أخشى من بلوغى درجة معينة كانت تبدو مكسورة ، والدرابزين عندها متداع ، فلما بلغتها زادت مخاوفى وحاذرت قدر استطاعتى ، ولكنى فجأة وجتنى أهوى ، واستيقظت مفزوعاً أتحسس جسمى .

التفسير: الحالم عصامى تبين من مستدعياته أنه عانى اليتم صغيراً وحاول أن يتعلم ، وعانى كثيراً وأنكر على نفسه كل بهجة ولذة حتى أشرف على التاسعة والثلاثين ، وكان يخشى أن يبلغ الأربعين ولم يتزوج ، وكان يخاف إن تزوج ربما يفشل وتضيع عليه ثمار كفاحه الطويل . والسلالم هى سنوات العمر التى تنقضى ، وهى أيضاً درجات أو مراحل ترقية من يوم أن تيتم حتى الوقت الحالى . والدرجة المكسورة هى سن الأربعين ، وهى سن حرجة بالنسبة له ، وعليه أن يقرر فيها أو يتخذ قراراً مصيرياً وهو الزواج ، وعليه أن يعتمد على نفسه فى قراره فلا سند له فيه (الدرابزين عند هذه الدرجة متداع) . والسقوط يرمز لمخاوفه من الفشل .



— ٦ —

« أحـــلام الحفـــاء »

الحفاء كالعرى ، وإن كان العرى للجسد والحفاء للقدمين . ولقد قلنا إن التعرى فى الأحلام **ينبئ عن ميول استعراضية ،** وكذلك الحفاء ، وإنه لأمر ذو بال أن يكون التخفف من الملابس مقترناً أيضاً بالحفاء .

• مثال : حلمت أنى أسير حافى القدمين وأكاد أطير وأرى من حولى خضرة وزرعاً فى كل مكان .

التفسير: الحالم قاطع طريق مقيد فى أقسام الشرطة من الخطرين ، وسنه ثمان وعشرون سنة ، أطبقت عليه الشرطة وحاصرته وكان قد أصيب بالرصاص وحلم حلمه هذا وهو نائم . والحفاء هنا رمز للتحرر الذى ينشده ، وكأنه قد تخفف من كل همومه ، والطيران هو رغبته أن يتجاوز كل مشاكله ، فإذا حدث ذلك فإنه سيشعر وكأنه فى الجنة .

والحفاء قد يعني الفقر والعوز ، وقد يعني الانفضاح ، وقد يعنى ذهاب السلطة ، وابن سيرين يفسره بأنه مصيبة تنزل بالمرء ، فإذا كانت امرأة فإنها تطلق أو ينكشف سترها . والأحلام كما نذهب فى تفسيرها لا تنبئ بالمستقبل إلا بالقدر الذى تكون عليه أحوال المرء فى يومه بحيث لا يمكن إلا أن تكون المصيبة نتيجة لها قد يشهدها الغد .

● **مثال : رأيت أني ألقى درسي وكنت أضع الروب الجامعى ، والقاعة صامتة ، والحضور ينتظرون ، وأنا أسمع لنفسي ، ثم فجأة قالت طالبة فى الصفوف الخلفية « هذا الدكتور حافى القدمين !! » وضحك الجميع ونظرت لقدمى فاكتشفت عريها ، وحاولت أن أستتر خلف الطاولة ، ولكن الضحك المتصل من تلاميذى جعلنى أهرول خارجاً .**

التفسير: الحالم أستاذ جامعى نابه ، وكان قصير القامة شديد النحافة والسمرة ، إلا أنه كان شديد الأناقة ، وقال عن نفسه مفسراً الحلم إنه ليس جميلاً ولكنه يحب الملابس لكى يتجمل ، وأصله المتواضع ترك بصماته على صحته وحجمه ، إلا أنه كان يعوض بالتفوق فى الدراسة ، والحلم لذلك تدفع إليه مشاعر بالنقص ، وهو حلم نمطى لأن هذا النوع من الأحلام النمطية عن الحفاء يقدم لنا صورة حلمية تتميز بالتناقض ، فكون الحالم أستاذ جامعة ويحاضر يتناقض بشدة وأن يظهر أمام تلاميذه حافى القدمين ، والارتباك هو النتيجة التى لابد أن يستشعرها ، و يذكرنا هذا الارتباك بارتباك مثله فى أحلام العرى النمطية ، وفى أحلام العرى إذا حلمت البغى أنها عارية فإن عريها يكون منطقياً مع كونها بغى ، ولكن إذا حلمت الشريفة العفيفة أنها تسير عارية فذلك هو **التناقض الذى يدرج ضمن الأحلام النمطية . وأيضاً لابد أن يوجد هذا التناقض فى أحلام الحفاء .** والحفاء فى حالة هذا الأستاذ الجامعى يفضح أصله المتواضع . وإننا لنلاحظ أن طالبة هى التى تصرخ بالاكتشاف ، وذلك يكشف جانباً من حياة هذا الأستاذ ، فقد كان له غرام بالتلميذات ، وعنايته بملابسه ليظهر بمظهر يعجبهن ، وذلك مجال آخر يظهر فيه شعوره بالنقص و يثبت فيه رجولته ، إلا أنه رغم نجاحه فى الميدانين كان يدرك أن الناس يعرفون عنه ما يحاول أن يستره ، وهو لم يتزوج للآن لأنه يشك فى الحقيقة فى رجولته ، وكأن الحلم إذن يكشف عن صراع بين جوانب الضعف فيه وجوانب القوة ، وغلبة جوانب الضعف ، ولذلك يشعر بالخزى ويحاول الاستتار ويخرج مهزوماً .

والحفاء فى الأحلام قد تدفع إليه **منبهات حسية ،** والتفسير بالتنبيه الحسى جائز فى حالة حلم كأن نرى أن ماء بارداً ينزل على القدمين ، أو نرى أن أقدامنا كأنها تغوص فى الثلج و يكون الوقت شتاء ، وتتعرى القدمان منا ونحن نيام ، فقد تأتينا حينئذ أحلام من هذا النوع ، وهناك تجارب على التنبيه الحسى للأحلام وخاصة بالنسبة للأقدام ، إلا أنه فى حالات الأحلام النمطية بالحفاء ، والتى تأتى على الصورة السابقة ، وتقوم على التناقض ، كأن يرتدى الحالم فى الحلم فاخر الثياب ولكنه يكون عارى القدمين ، أو كأن يظهر نابه الشأن يخاطب الجماهير ، أو يجلس مجالس العظماء ، و يكتشف أنه حافى القدمين ، لا يمكن أن نفسرها تفسيراً فسيولوجياً ، وليس من تفسير للتناقض إلا أن تكون **دوافعه نفسية ، ومن ثم لا يتمشى معها إلا التفسير النفسى .**

«أحــلام نمطيــة أخــرى»

ومن الأحلام النمطية تلك التى موضوعها **سقوط الأسنان** أو الشعر أو عجز يلم بعضو من الأعضاء ، **والتفسير الشعبى هو التفسير الغالب عند الناس ، وهو تفسير تنبؤى** ، كما ذكرنا ونحب أن ننبه باستمرار ، غير أن النبوءة فيه يمكن أن تكون نتيجة وانعكاساً للأحوال النفسية للحالم ، وللتفاعلات الدينامية لشخصيته ، وما يكشف عنه الحلم من صراعات يظهر بعضها على بعض . ولنتأمل ما يقوله ابن سيرين أو النابلسى عن سقوط الأسنان . **والأسنان فى التفسير الشعبى** هى ما يحوزه الشخص من مال أو أملاك أو أهل وولد ، وتشبيه ذلك بالأسنان له ما يبرره فالمال والولد والأهل عدة الرجل ، وسقوط السن قد يعنى على ذلك فقد المال أو موت الولد ، والأسنان كثيرة وتعيين السن الساقط هو تعيين لقرابة الميت من الشخص ، **فالأسنان العليا** هم الرجال من جهة أبيه ، **والسفلى** هن النساء من جهة أمه ، **وأدناها من الثنايا أقربهم** فى النسب ، **والثنيتان العليا** هما الأب والعم ، فاليمنى الأب واليسرى العم ، وإن لم يكن له أب أو عم فأخوات أو ولدان أو صديقان ناصحان مشفقان ، **والرباعية** ابن عم الرجل أو صديقان يقومان مقامه ، **والناب** هو الشخص من أهله الذى يعتمد عليه ولا يكون فوقه أحد ، أو صديق حميم هو أعلى الأصدقاء مكانة عنده ، **والضواحك** الأخوال و بنو الأخوال أو ما يقوم مقامهم بالنصح ، **والأضراس** أجداد أو بنون صغار يباهى بهم و يأنس إليهم ، **والثنيتان السفليان** الأم والعمة ، فاليمنى الأم ، واليسرى العمة ، وإن لم يكن له أم أو عمة فأختان أو بنتان أو من يقوم مقامهن فى الشفقة والنصح ، **والرباعية السفلى** ابنة العم أو ابنة العمة أو من يقوم مقامهن فى النصح ، **والناب الأسفل** سيد أهل بيته ومن يستند إليه أو من يقوم مقامه ، **والضواحك**

السفلى بنت خالته أو بنت خاله ، أو من يقوم مقامهن بالنصح ، **والأضراس السفلى والعليا** الأبعدون من أهل بيت الرجل والجدة أو بنات صغار يباهى بهن ، فإن تحرك منها سن واحدة من هؤلاء فرض ، فإن سقطت أو ضاعت فإنه موت من ينسب إليه أو غيبته عنه غيبة لا يرونه بعد ذلك ، فإن أمسكها ولم يدفنها فإنه يستفيد بدلها من يكون له مثل ذلك القريب الذى ينسب تلك السن فى التأويل ، فإن دفنها فإنه موت ذلك القريب . وكذلك سائر الأسنان ، وكذلك بقية الجوارح .

ويبدو أن تأويل **سقوط السن** بموت قريب هو **من التراث الشعبى** الذى يرقى أن يكون ميثولوجيا إنسانية ، فهو كذلك عند الأقدمين من اليهود واليونانيين والرومان والمصريين القدماء والأشوريين وأهل الصين والهند ، وهكذا يرد فى كتبهم فى تفسير الأحلام . وقد يبدو التأويل الشعبى متناقضاً مع التأويل النفسى إلا أننا نقول إن **التأويل النفسى يجعل خلع الأسنان أو سقوطها نوعاً من العقاب ينزله الشخص بنفسه أو ينزل به لفعل يرى أنه قد أثم به** . ويبدو أن الشعور بالذنب سمة نفسية تميز الإنسان عن الحيوان ، ولقد كان الإنسان دائماً خطاء ، ودائماً هو فاضل يهفو إلى الفضيلة ، وأبداً هو الشاعر بالذنب ، والشعور بالذنب عقاب لأنك به تعيش فى قلق وتوتر وصراع وترقب لمكروه ، وإنزال العقاب بالبدن ضرب من التكفير عن الذنب واتجاه فى السلوك ، **وإننا لنحاول أن نرى سبباً لحلاقة الرأس بعد الطواف بالكعبة ، أو للختان ، أو للإخصاء إلا أنه عقاب للتكفير نتطهر به ونحس بعده أننا أفضل** ، وسقوط الأسنان أو خلعها ، وكذلك سقوط الشعر من هذا المنطلق أيضاً تكفير وتطهير للبدن . ونحن نعرف من دراسة العصاب القهرى أن المريض ينسب موت الأقارب إلى إثم ارتكبه ، وهذا الإثم فى أبسط حالاته أن المريض بالعصاب لم يلتزم بما فرضه على نفسه من طقوس قهرية يفعلها فى ترتيب وعلى الدوام ، فإن تهاون فيها مرة أو تقاعس فقد يتوقع أن يعاقب على ذلك بأن ينزل مكروه بقريب له ، **والمكروه لا ينزل به ولكن بقريب له ، ولعل ذلك نفسه هو سبب شيوع التفسير الشعبى لسقوط الأسنان بأنه موت قريب ، فالميثولوجيا هى الأحلام العصابية للإنسانية** ، وهناك الكثير من الشعوب تضفى على خلع الأسنان هالة طقوسية كبيرة ، مثله مثل سقوط الشعر أو قصه ، أو الختان ، فيعنى الشخص بدفن السن المخلوعة أو خصلة الشعر المنزوعة أو الغرلة المختتنة ، باعتبار أن الجزء من البدن يمثل الشخص كله ، وهناك ضروب من السحر بالاقتران ، فقد تقع هذه الأجزاء بيد غريب أو عدو فيؤثر فيها بسحره ، فيمكن بالتالى أن يتأثر الجسم كله ، ويصاب بالمرض أو يأتيه الموت . والتفكير البدائى الطقوسى يبعد الشر والمُرض عن الشخص بأن يحيله إلى غيره ، وليس أقرب إليه من القريب يحيله إليه ، ولقد عرفنا مما تقدم من أبواب هذا الكتاب أننا نكن لأقاربنا الأقربين الحب الظاهر ، وأما البغض فنقمعه ونكبته ، وتتراوحنا بالنسبة لأقاربنا الأقربين لذلك مشاعر متضاربة ، قد نسلك إزاءها بالنهار بأن نظهر

الحب لهم ، فإذا كنا نياماً تأتينا الأحلام كاشفة للوجه الآخر المناقض للحب ، ولكنه يكون وجهاً مقنعاً ، يستر نفسه بالرموز ، ومن ذلك سقوط الأسنان أو خلعها ، وتفسير هذا السقوط بأنه وفاة الأقربين .

وكذلك نعلم أن هناك ما يسمى ببدائل الاستمناء ، فالطاقة التى يمكن أن تذهب فى الاستمناء قد نحولها إلى منطقة أخرى من الجسم نشحنها شحناً جنسياً ، ونعتاد على دلكها أو دعكها أو فركها كلما زاد الشحن الجنسى فينا ، ومن ذلك فرك الأذن ، أو دعك الأنف ، أو الربت على الشعر ، أو هز الساقين أثناء الجلوس . وقد يحدث أن نستعوض اللذة بأن نجعلها علوية بدلاً من أن تكون بالمناطق السفلى من البدن حيث الأعضاء الجنسية ، وذلك من تأثير القمع والكبت ، وهذا الاستعواض هو ما يسمى النقل الجنسى ، ومن أمثلته الشائعة أن يستبدل الوجه بأعضاء التناسل فى رمزية التفكير اللاشعورى ، فقد نشبه الخدين والسمنة بها بالمقعدتين ، ونشبه الشفرين بالشفتين اللتين تضمان فتحة الفم ، والمقارنات بين الأنف والقضيب أمر شائع ، ويزيد الشبه اكتمالاً وجود الشعر فى كل من الوجه والعورة ، وقد يتصور بعض العصابيين الفرج وكأن له أسناناً يمكن أن تخصيهم فى الجماع فيكون من ثم نفورهم منه وخوفهم المرضى من النساء ، وكأن الأسنان ووظيفتها القضم والتقطيع والتحطيم أى وظيفة عدوانية ، قد توظف أيضاً جنسياً ، فيكون إذن سقوط السن بمعنى انتهاء القدرة العدوانية الذكورية ، أى أن الحالم لديه **خوف مرضى من الاخصاء ، أو أنه يعانى من العنة** ، وقد يكون بالمعنى نفسه **عند الأنثى** فهى تعانى من عقدة إخصاء ، وتكلف بالسلوك الذكورى ، وربما تكون بسبيلها إلى الرواج ، وذلك يعنى أنها لن تكون من بعد قادرة على أن تسلك سلوكها الاسترجالى أو أنها ستفقد حريتها . ونحن فى الأدب الشعبى قد يخاطب الرجل زوجته أمام الأولاد فيطلب منها أن تتيح له فرصة مجامعتها دون أن يفهم الأولاد ذلك فيقول « سنى توجعنى وقلت أنك ستعالجينها » ، وقد يضبط الطفل الصغير أباه وأمه يتجامعان فيتعلل الأب بأن ماما تخلع له سنة ، وكأن خلع السن بمثابة رمز للجماع ، **وبالنسبة للمراهقين** يكون خلع السن بمثابة استمناء ، ولربما تكون إذن القوة الدافعة إلى أحلام المنبه السنى عند الذكور مرجعها النزعات الاستمنائية فى زمن المراهقة ، ولذلك قد نجد أن بعض أحلام المنبه السنى يصحبها استمناء فعلاً .

ومن التفسيرات الشعبية أن خلع السن **بالنسبة للحامل** هو الولادة ، وطريقة الخلع تنبئ عن نوع الولادة إذا ما كانت سهلة أو متعذرة ، فالسن هى الطفل ، فإذا سقطت طواعية فالولادة سهلة ، وإذا كان بها ألم فالولادة متعذرة بعض الشيء ، وذلك يعنى أن المولود ولد من الصعب إنزاله إلا ببعض الجهد والألم ، ويأخذ بهذا التفسير يونج ويقول به ويصادقه عليه إرنست جونز .

ويذهب فرويد وجماعة التحليل النفسى إلى تفسير سقوط السن أو خلعه بأن يردوه إلى **النزعات الاستمنائية** ، وخاصة أن السن له مدلول رمزى شعبى بأنه القضيب ، فالألم به

وسقوطه ذاتياً قد يكون **بديلاً عن الإمناء الليلى**، وقد يترافق معه، ونزعه باليد يرمز للنزعات الاستمنائية، وقيام طبيب بنزعه هو أثر من آثار الجنسية المثلية وإن كان أثراً لا يعتد به.

أمـــثـلـــــة :

■ **حلم (١) :** حلمت أنى أتألم، ولم أكن أعرف مصدر ألمى، ولكننى كنت متضايقاً، فأخذت شربة ماء وتمضمضت.

التفسير: الحالم كان يشكو ألماً فى سنه قبل أن ينام، ولما استيقظ وتذكر حلمه أمسك بالسن بيده وقلقلها إلى أن انخلعت. والمنبه الحسى فى الحلم واضح، وكان الحلم مرشداً له بحيث ألهمه أن يقوم بخلع السن هو نفسه.

■ **حلم (٢) :** حلمت بأن سنى توجعنى، وقد رأى زوجى ألمى فقال سأذهب بك إلى الطبيب، ولكن أمى لم تر داعياً لذلك ووضعت لى بعض الملح عليه فزال الألم فعلاً.

التفسير: الحالمة كانت حاملاً، وكانت تخشى الولادة القيصرية، وبينما كان الزوج يرى ضرورة التدخل بالجراحة، من أول الأمر، فإن الأم لم تكن ترى موجباً للخوف وتستبعد القيصرية كلية، أو أنها تتمنى أن لا تضطر ابنتها إلى الجراحة، وأما الملح فذلك لأن أمها كانت تعالج وجع الأسنان لأى فرد من الأسرة بوضع قليل من الملح على السن المريضة وكان علاجها ينجح، أو هكذا تذكر الحالمة عن أيام صباها، وفى هذا الحلم ترى أن نصيحة أمها لها بعدم الخوف لابد أن تنجح أيضاً مثلما كانت تنجح نصيحتها بتطبيب وجع الأسنان بالملح، أو أنها كانت تتمنى لو تتحقق لها أمنية أمها بأن كل شىء سيكون على ما يرام.

■ **حلم (٣) :** حلمت أن أسنانى توجعنى، وكنت أضع يدى على خدى من الوجع، وقد أشفقت علىّ زوجتى فنفخت فى فمى فزال الألم.

التفسير: الحالم كانت به أشواق جنسية قبل النوم، ولكنه اضطر إلى تأجيلها لما رأى زوجته قد سبقته إلى النوم، وكان يخشى أن يوقظها لأنها كانت **تهب فى وجهه** كلما فعل ذلك، فنام على مضض وحلم حلمه ذاك، وقد استيقظ من النوم فوجد نفسه منتصباً يضع يده على قضيبه، ونفخ الزوجة هو ما قال عنه « لو أيقظتها لأجامعها **تهب فى وجهى** »، فكأنه يقول لو أن زوجتى أشفقت علىّ ورضيت الجماع بدلاً من أن تهب فى وجهى لزال الجماع. ومن ميكانيزمات الأحلام أو الحيل التى تحتال بها لتصوير صيغة « **لو أن** » أنها تستحضر الصورة الحلمية وتستغنى بها عن « لو أن »، فتكون الصورة للزوجة وهى تشفق عليه وتنفخ له على الألم فيزول. والنفخ لدى العامة كما نعرف للتلطيف، ونحن قد ننفخ على الطعام مثلاً ليبرد.

* * *

وأحلام سقوط الشعر من الأحلام النمطية ، والشعر رمز للقوة ، وهو كذلك فى الميثولوجيا ، — **والتفسير الشعبى لسقوط الشعر** أنه يدل على الهم والغم أو زوال القوة والمنعة ، وللمرأة يخاصمها زوجها أو تطلق وإن لم تكن متزوجة فلا تتزوج أبداً ، بينما **التفسير الشعبى لطول الشعر** أنه زيادة فى العمر أو فى المال أو فى الولد ، **وسواد شعر المرأة** يدل على محبة زوجها لها . وبالنسبة للمهموم أو المدين **زيادة الشعر** زيادة فى الهم أو فى العيال أو فى الدين ، **وانتشار الشعر** اضطراب فى أحواله ، **ونظمه** نظم لأحواله ، **وطول شعر الإبط** زيادة فى الجاه ، **ونتفه** صلاح أمره ، **وحلق الرأس** زيادة فى العيال أو الجاه ، وكفارة للذنوب وزوال للهموم وقضاء للديون . **وحلق الشارب أو حفه** إصابة خير . **والمرأة التى ينبت لها شارب** تلد ولداً إن كانت حاملاً ، وإن كانت عقيماً لا تلد ، **وشيب الشعر أو اللحية** زيادة فى الأبهة ، **ونقصان اللحية** نقصان فى الهم أو الدين ، **وطول اللحية** فوق قدرها هم وغم .

وفى التحليل النفسى فإن سقوط الشعر قد يعنى تهافت قوة الرجل مادياً أو أدبياً أو جنسياً ، **وفى الميثولوجيا** فإن قوة شمشون البدنية والجنسية كان يرمز لها شعره ، فلما قصته دليلة زالت عنه قوته وفحولته معاً . **وفى الشعوب البدائية** إطالة الشعر زيادة فى القوة فيستطيع الشخص أن يتحكم حتى فى الطبيعة ، وكأن قص الشعر أو سقوطه بمثابة الإخصاء للرجل ، ومن ثم **فإن أحلام سقوط الشعر قد تفسر التفسير الشعبى بأن الحالم يعانى من صراعات يخشى معها أن تنزول قوته أياً كانت هذه القوة ، وخاصة ما تعلق منها بالجنس** . والدلالة الجنسية للشعر لا ينكرها منكر ، فالشعر الطويل سمة الأنثى ، وشعر البدن سمة الذكر ، والشعر يغطى العورة ، وقد تضطرب الأحوال النفسية للشخص ويصاب منها بالشذوذ فيغرم بذوائب شعر الإناث ، ويعتدى عليهن خلسة أو علناً يقصها قصاً ويحتفظ بها يعاملها كأنها أنثى كاملة وهو الاضطراب المعروف باسم **الفيتيشية** .

وسقوط الشعر مثل سقوط الأسنان ، وكلاهما قد يكون له التفسير الذى يناسب مقتضيات الحالم وظروف الحلم ، إلا أنه فى كل الأحوال فإن الحالم لابد أن يكون فى صراعات مع نفسه ويعانى من القلق والمخاوف . ومن الاضطرابات النفسية الجلدية التى تصيب الرأس ويسقط بها الشعر **الثعلبة** ، ومنها أنواع تكون الإصابة بها عقب الصدمات النفسية أو لا يصاب بها إلا العصابيون ، فإذا نحن حلمنا بالصلع مثلاً وأن الشعر قد سقط فذلك دليل معاناة أكيدة قد تتحقق فى الواقع ، وكأن ما كنا نخشاه نتيجة أننا نعرفه بحكم الثقافة قد يأتينا فى الحلم على شكل صلع نصاب به ، أو تساقط للشعر ، كما لو كان الحلم نذيراً بما سيحدث لو استمرت حالة القلق والمخاوف تستبد بنا .

ويذهب **فرويد وعلماء التحليل النفسى** إلى اعتبار الإخصاء أو العنة المضمون الحلمى لسقوط الشعر ، بمقتضى إزاحة للاهتمام الجنسى من أسفل الجسم إلى أعلاه ، فبما أن الشعر علامة

فحولة فى الميثولوجيا فسقوطه يعنى إما الخوف من الإخصاء ، أو من العنة ، أو أنه تعبير عن حالة العجز الجنسى للذى يعانى من مخاوف الإخصاء ، أو للذى يعانى من العنة . و يفطن التفسير الشعبى للمعنى الجنسى لسقوط شعر المرأة بأنه طلاقها من زوجها ، أو انفصاله عنها ، أو انصراف قلبه عن هواها . و يعتقد العامة أن بالإمكان التفريق بين الرجل وزوجه بالسحر لها أو لأحدهما باقتناء خصلة من شعره والقراءة عليها ، ومن ثم تحرص النساء بخاصة أن لا يقع شىء من شعورهن فى يد أحد كى لا يعمل لهن عملاً ، **فكأن الإخصاء أو العنة أو النفور الجنسى يمكن استحداثه بالتأثير فى الشعر**، وكأن للشعر قيمة سحرية ، غير أننا لا نرى هذا الرأى ولا نذهب إليه ، وسقوط الشعر أو قصه فى الأحلام قد يعنى المعاناة من القلق والخوف ربما من فقدان القوة أياً كانت ، ومن ذلك المال أو الجاه أو السلطان أو الجنس ، **وسقوط الشعر أو قصه أو حلقه فى الحلم قد يكون عقاباً ذاتياً ينزله الشخص بنفسه لمشاعر ذنب به ،** ولربما يستيقظ الحالم من حلمه فيتحسس رأسه ليجد أن بعضاً منه قد زال فعلاً بالمرض الذى يقال له الثعلبة .

● **حلم « ١ » :** حلمت أنى أستحم ونظرت فى المرآة فوجدت أن شعرى قد سقط ، وقمت من النوم أتحسس رأسى فاكتشفت أن جزءاً من المقدمة قد زال فعلاً .

التفسير: الحالمة معلمة مصرية وكانت تعمل فى مدرسة فلسطينية عندما عقدت اتفاقية كامب دافيد ، ، وقد نشب صراع وقتها بين المصريات والفلسطينيات من المعلمات ، وكانت هذه المصرية صديقة للكثيرات من الفلسطينيات فأصيبت بصدمة نفسية وهى ترى صديقاتها يتحدثن بكل هذه الكراهية لمصر ، وكانت تريد أن تقابل الإساءة بالإساءة ، وكان يمنعها أنهن صديقات ، فاضطربت أحوالها النفسية ، وساء نومها ، وكثرت أحلامها ، ومنها ذلك الحلم ، وكانت تعانى من توترات سابقة تدرجها ضمن العصابيات ، وسبق أن أصيبت بالثعلبة وبالإكزيما ، ومن ثم عاودتها هذه الأمراض الجلدية النفسية فى ظل معاناتها الحالية .

● **حلم « ٢ » :** كنت أسبح بالبحر وخرجت ، وإذا بى أتبين أن جسمى كله قد سقط شعره ، وتحسست رأسى وأنا مضطرب فإذا بها أيضاً صلعاء ، والتقيت بزوجتى فحاولت أن أخفى رأسى بيدى ، ولكنها أشارت إليها ساخرة ، وقالت صارت رأسك كالبطيخة القرعة .

التفسير: الحلم لمهندس فى منتصف العمر كان يهوى زميلة له ، ورفضه أهلها لقصور ذات يده وأصله الاجتماعى المتواضع ، فأوغر ذلك صدره وتهالك على العمل ليقتنى المال ، وتزوج امرأة مطلقة وغنية ليحل بها مشكلته المادية ، ولكن لأن العنصر النفسى فى الجنس غير موجود فقد أصيب بالعنة ، ودار على الأطباء فنبهه طبيبه النفسى إلى الأسباب النفسية لعنته . وفى ضوء هذه المعلومات تتضح رموز الحلم ، فالبحر هو حياته العائلية والمهنية والجنسية المضطربة ، وسقوط شعر

جسمه ورأسه هو ذهاب رجولته ، وكانت زوجته فى اليوم السابق قد طلبت أنا تأكل البطيخ ووعدها بشراء واحدة ، وكان البطيخ فى أول الموسم وثمنه مرتفع ، ولكنها لما فتحت ما اشتراه تبينت أن البطيخة قرعة فسخرت منه ، وكانت تردد أتمنى البطيخ فيحضر واحدة قرعة !! فكأن هذا الجزء من بقايا اليوم السابق ، وفيه تعريض بعجزه الجنسي .

* * *

ومن الأحلام النمطية أحلام النار، ومثلما قلنا إن ما يجعل الأحلام نمطية ورودها بمحتوى ظاهر واحد عند حالمين كثيرين . وأحلام النار أتت القدماء وتأتى المحدثين ، وتفرد لها الكتب القديمة أبواباً ذات مساحة كبيرة بالنظر إلى كثرة ما يمكن أن تأتى النار على صورته ، ولا شك أن الصور الحلمية للنار لها مضمون ثقافى يختلف باختلاف الثقافات ، ولكننا معنيون بمضمونها العام ودلالاتها الأكثر شيوعاً ، ومنها أن النار دالة على السلطان بتأثير جوهرها الذى يعلو على كل الجواهر؛ ودالة على العذاب ، وبها تكون جهنم ، وعذاب الضمير يرمز له بالنار ، وربما كانت النار من دلالات الهدى فقد اهتدى بها سيدنا موسى ، والنار رمز الفتنة والحرب والبغض ، ونقول عن الوباء أنه نار ، و يشبّه بها الجدب أن يأكل الأخضر واليابس . والنار فى الشتاء دليل اليسار لأنه لا يشعلها إلا القادر عليها ، والنار فى مكانها من المشاعل وفرة فى المال ، وفى غير مكانها لا يخمد لها أوار فقر وتعطل عن العمل ، ومن أكل ناراً فإنه مال حرام ، و يشبّه أكل مال اليتامى بالنار ، وما أصابت النار فأحرقت من بدن أو ثوب فهو ضرر ومصائب ، ومن قبس ناراً أصاب مالاً حراماً ، ومن أصابه وهج النار اغتابه الناس ، والكى بالنار لذعة من كلام .

تلك إذن الصور الشعبية للنار ، تذكى المخيلة فى الأحلام فتأتى الصور الحلمية بليغة مبينة بيانها ، وإن كنا نكرر كل حين أن التفسير بالتنبؤ بما سيكون ، بحيث نقول مثلاً عن الحلم بالنار تأكل قرية أن قرية تنتشر فيها وتصيبها الفتنة ، لا نأخذ به ، وإنما نقول عن تفسير لرؤيا كهذه إن الحالم بها يعانى من مخاوف الفتنة و يعيش فى قلق وتوقع لها ، ولربما يكون لمخاوفه وقلقه وتوقعاته أسبابها ودوافعها السليمة فتأتى النتائج الصحيحة كمترتبات لمقدمات صحيحة ، وعندئذ تصدق رؤياه .

ومن العبارات اللغوية أن يشبّه الحب الشديد والعشق المتيم بالنار ، وكذلك فى الصور الحلمية عن الحب ، وتوصف العاطفة بأنها مشبوبة ، و يقال أن لها لهيباً ، وهناك دائماً علاقة بين الجنس والنار ، ونحن نقول اشتعلت به الرغبة . والنار كانوا يتعبدون لها وما يزالون ، وهم يضرمونها فيكون الرقص حولها والجماع . والنار تطهر . ومن المحللين من يرد **غلمة إشعال الحرائق** pyrolagnia إلى الإحباطات فى الطفولة ، والجوع العاطفى ينشأ عليه البعض ، والجوع الجنسى يستبد بالمراهق أو البالغ ، نتيجة العجز عن إشباعه لسبب أو لآخر . وقد تحفل

الأحلام بالنار بهذا كله ، و يكون دورها فيها لهذه الدوافع أو بعضها . وقد يأتى الحلم والحالم يضرم النار، وفعل إشعال الحرائق عندما يتكرر من الأفعال المعادية للمجتمع ولا يقوم به إلا سيكوباتى ، **وتكرار الحلم بإضرام النار قد يدل على عقلية إجرامية** ، وربما **يعكس تلفاً عضوياً** ذهنياً يجعل الحالم مريضاً مذهوناً وتأتى أحلامه هلوسات ، وربما يكون **عملاً قهرياً استحواذياً** يأتيه الحالم غصباً عنه فيتواتر الحلم بإضرام النار. ولا شك أن لأحلام الحرائق صلته بالجنس فكلما تهيج الحالم فى اليقظة فإنه لسبب ما قد يقارن بين هياجه وإضرام النيران ، فيصنع الحريق فى الحقيقة أو يأتيه فى الحلم ، ومع تنامى الحريق يزيد الهياج الجنسى فيمنى ، وكأن الإمناء تبول يريد أن يطفئ به الحريق ، وهو فى الحالين يطفئ الحريق المشتعل على الحقيقة أو على المجاز بقضيبه و يستشعر لذلك لذة جنسية وإن كانت لذة مضطربة ، والكثير من الناس وخاصة البدو يفعلون نفس الشيء فى اليقظة فيلذ لهم إطفاء النيران التى يشعلونها للطهى أو للتدفئة بالتبول عليها ، وقد ينتصب الرجل وهو يطفئ النار ببوله أو قد يضاجع بعدها . والإمناء أو الاستمناء عند المرضى بهوس إشعال الحرائق عقب اضرامها مثل ذلك ، وهو كالتبول على النار الذى يكون بالبعض فعلاً قهرياً متواتراً ، وكلاهما من الأفعال التى يختص بها الذكور دون الإناث ، ولا عجب إذن أن تكون أغلب أحلام الحرائق من النوع الجنسى أى الذى ينتهى بالإنعاظ يختص بها الذكور دون الإناث ، ولقد تبين من إحصاء أحلام الحرائق عند المراهقين أنه من بين كل مائة ذكر يحلمون بالحرائق أحلاماً جنسية هناك عشر فقط من الإناث تأتيهن هذه الأحلام . والمرأة التى تحرك مشاعرها الحرائق فى الأحلام غالباً من النوع البارد جنسياً . وكانت الروائية جورج صاند تقول إن النار تستثير فيها الرغبة فى التبول ، وأنها تحلم كثيراً بالنار، وهى أيضاً كثيرة الاستيقاظ من النوم لتتبول ، وفرويد يقرن بين أحلام النار والرغبة فى التبول ، و يرد هذه الأحلام إلى ذكريات الطفولة عن بلل الفراش وما كان الأهل يحذرون منه أطفالهم بقولهم لا تلعبوا بالنار حتى لا تتبولوا على أنفسكم فى الليل . وإننى لأميل إلى رأى فرويد فالملاحظ عند التبول أنه يكون هناك حرقان يستشعره الكثيرون ، والإحساس الحارق فى الفرج أو القضيب خلال الهياج الجنسى لشبيه به ، وقد يستشعر البعض ميلاً إلى التبول كلما كان هناك هياج جنسى ، ويمكن أن تكون القوة التدميرية للنار رمزاً للطبيعة القوية للدافع الجنسى ، فكلما استبد هذا الدافع جاءت الصور الحلمية بالنار انعكاساً للرغبة الجنسية . وقد تكون للحرائق غلمة فى اليقظة وفى الأحلام ، وربما يشبعها لدى المنحرف إشعالها ، وربما كانت تلك حال نيرون وهو يضرم النار فى روما ، وكانت تأتيه أحلام إضرام النار، وكان كلما رأى ناراً يتعبد لها وكأنها إلــه ، وربما كان ذلك أيضاً هو حال الكثيرين من مثيرى الفتن ومشعلى الحروب .

أمـــثـــلـــــة :

■ **حلم « ١ » :** حلمت أنى أدخل مكاناً وكانت الدنيا شديدة الحرارة وقال قائل أنت تستحق الكى بالنار، ووجدتنى مغصوباً أن أمشى إلى النار وأنا أقاوم ولا أستطيع رد نفسى، واستيقظت مفزوعاً ووجدت أننى قد أمنيت .

التفسير: الحالم طالب تجارة قد أطلق لحيته و يعيش حياة تدين و ينضم إلى جماعة دينية ، وهو يهفو جداً إلى الجنس وبه حساسية لسماع حكاياته و يتمنى الزواج ، و يكره أن يكتشف الناس فيه هذا الضعف ، و يعيش صراعاً بين ميوله الجنسية القوية وبين قوى القمع والكبت فيه ، وكلما تهافت جنسياً كان توغله أكثر فى الدين ، وحلمه هذا ضمن أحلام أخرى كثيرة يحلم فيها بالنار والعذاب ، والنار فى هذا الحلم هى عذاب الضمير، وهى نار مطهرة له ، وتعكس أيضاً نار أشواقه الجنسية ، وكأنه بالنار يتحقق له شيئان : التنفيس جنسياً فيمنى ، وأن يعاقب نفسه على ذلك بما يستشعره من عذابها .

● **حلم « ٢ » :** حلمت أنى أشعل موقد الغاز فانفجر، وكنت أملأ جردل الماء وأرش عليه فانطفأت النار.

التفسير: الحالم طفل فى السابعة يعالج من التبول اللا إرادى ليلاً ، والحلم بالنار هنا له سبب فسيولوجى وهو امتلاء مثانته بالبول ، وانفجار الموقد هو انفجار لمثانته وتبوله رغم إرادته ، ولقد تبول فعلاً و بلل فراشه فكأن ماء البول قد أطفأ نار الرغبة المحتدمة فيه أن يقوم بالتبول .

● **حلم « ٣ » :** هذا الحلم لفرعون موسى يورده ابن سيرين بالتفسير الذى يراه له ونقدمه نحن بما نراه له من تفسير:

« حلم فرعون حلماً فظع به وهاله . رأى كأن ناراً خرجت من الشام ثم أقبلت حتى انتهت إلى مصر فلم تدع شيئاً إلا أحرقته ، وأحرقت بيوت مصر كلها ومدائنها وحصونها ، فاستيقظ من نومه فزعاً مرتاعاً ، فجمع لها ملأ عظيماً من قومه فقصها عليهم ، فقالوا له لئن صدقت رؤياك ليخرجن من الشام رجل من ولد يعقوب يكون هلاك مصر وهلاك أهلها على يديه وهلاكك أيها الملك ، فعند ذلك أمر فرعون بذبح الصبيان حتى أظهر الله تعالى تأويل رؤياه ، ولم تغن عنه حيلته شيئاً ، وربى موسى عليه السلام فى حجره ، ثم أهلكه على يديه عزت قدرته وجلت عظمته » .

والحلم أصلاً تقصه التوراه ، وواضح أنه من وضع الأحبار لأن الحلم وإن كان فيه أن مصر ستعانى من فتنة أو غزو يتحصل لها من ناحية بلاد الشام إلا أن حكاية أن محدث الفتنة من ولد يعقوب يكون هلاك مصر على يديه ملفقة تماماً ولا تأتى فى تفاصيل الحلم ، ثم إننا نعلم أن موسى

ولد بمصر وعاش بها قومه مدة تربو على الأربعمائة سنة حتى اندثرت قوميتهم وصارت لهم عادات ولغة المصريين . و يروى فرو يد فى كتابه « موسى والتوحيد » أن العي بلسان موسى هو عجزه عن التحدث بالعبرانية ، وأن الختان اليهودى هو عادة مصريه لها ما يبررها عند المصريين وليس لها ما يبررها عند اليهود ، وأن تحريم لحم الخنزير لأن المصريين حرموه على أنفسهم فقد كان من الصور التى اتخذها ست فى عراكه مع أخيه أوزيريس شكل الخنزير فكان الخنزير نجساً عند المصريين لهذا السبب ، وحرمه اليهود عندهم بلا سبب ، وأن تحريم اليهود للتماثيل كان لأن المصريين كانوا يتعبدون التماثيل ، فكأن الديانة اليهودية مصرية المنشأ والطابع وليس ثمة ما ينبئ بأن الفتنة أو الغزو الموعود فى الحلم يمكن أن يرتبط بقوم موسى من نسل يعقوب . والرأى عندنا أن فرعون موسى كان من الفراعنة الضعاف كحاكم ، وفى عصره كان هناك ما يشبه الغزو الفكرى السامى حتى أن النساء كانت تستورد من الشام ومعهن عادات أهلها ولغاتهم ، وظهر اتجاه وطنى فى مصر يرفض ذلك و يتصدى له ، ونعلم أن الملوك يمتلى تفكيرهم بما ينفع شعوبهم وبما يحل مشاكلها ، ورؤيا الملوك بالنار تأتى من ناحية الشام وتهلك مصر هى رؤيا عادية جداً تعكس هموم الملك اليومية ، والحلم هو رأيه الشخصى فيما يشهد أنه غزو فكرى لبلده يأتيها من الشام ، والحلم بذلك نفسره بأنه تعبير عن مخاوف ملك مصرى وقلقه إزاء الهجمة الفكرية الشامية .

* * *

وأحلام الولادة من الأحلام النمطية ، والولادة من الأحداث الكبرى فى حياة كل إنسان ، و ينسب علماء النفس إلى الولادة آثاراً هائلة على التكوين النفسى للفرد باعتبارها صدمة يسمونها **صدمة الميلاد** ، فالخروج من أمن الرحم والماء الذى يحيط بالجنين و يسبح فيه مطمئناً إلى اضطراب الحياة والتنفس بالرئتين ومشاعر الجوع والعطش وأحاسيس التبول والتبرز ، كل ذلك يصاب منه الطفل بالمخاوف والقلق ، وكلما أعوزنا الأمن فى الحياة من بعد كان بنا الحنين لعزلة الرحم ، فنعتزل داخل حجرات كالرحم ، لعلنا نستشعر وقتها بمشاعرنا ونحن فى الأرحام ، وفيها الماء يرمز للرحم ، والخروج منه يشير إلى الخروج من الرحم أى الميلاد ، وكذلك **النجاة من الغرق** من دلالات الميلاد . و يروى فرو يد حلماً لإحدى مريضاته **حلمت بأنها تقفز إلى الماء فى منطقة منه انعكس عليها ضوء القمر الشاحب** . وتفسير هذا الحلم يكون بالقلب بمعنى أن القفز إلى الماء هو فى حقيقته خروج من الماء ، أى ولادة ، وكلمة القمر فى الفرنسية ــ حيث كانت المريضة فرنسية ــ هــى la lune ، وتعنى أيضاً « المؤخرة » ، والقمر الشاحب إذن المقصود به المؤخرة ، فكأن الولادة التى تراها هذه الحالمة هى ولادة بالمقعدة وليس بالرأس ، ومن شأن هذه الولادة أن تكون عسرة . ولما سألها فرو يد ماذا تعنى بأنها تولد كما يقول

الحلم ، قالت أوليس العلاج كأننى أولد من جديد ، فكأن الحلم بمثابة الدعوة منها لتواصل العلاج وإن كانت ولادتها عسرة .

وأحلام الحمل من الأحلام النمطية التى لا تنبئ عن مخاوف أو قلق ولكنها تنبئ عن رغبة فى الحمل ، أو رغبة فى خير يتحصل للواحد و يزيد به كزيادة الحامل بحملها ، فالتاجر إذا حلم بأنه حامل أو أن زوجته حامل فإنما لأنه يرغب إما فى ولد أو زيادة ماله من التجارة ، والعالم الذى يحلم بالحمل قد يكون راغباً أيضاً فى الحمل على الحقيقة بمعنى أن ينجب ، أو الحمل على المجاز ، بمعنى أن يوفقه الله إلى حل مشكلة علمية أو إنشاء نظرية أو صياغة فكرة لم يسبقه إليها أحد . وربما يكون الحالم بأنه حامل يعانى من صراعات جنسية مثلية يسوء بسببها تعينه بدوره الذكورى ويختلط تعينه الذكورى بتعين أنثوى فتتوه عليه الأدوار الجنسية . وقد تكون أحلام الحمل للرجل من قبيل التخيلات التى تفصح عن رغبة فى أن ينقلب أنثى ، وذلك شائع بين المتخنثين والمتشبهين من الذكور الذين يعانون من الاضطراب الجنسى المسمى التخنث أو الاضطراب الجنسى المسمى التشبه . ومن أحلام الولادة أن يحلم الذكر بأنه يلد ، غير أن ولادته تأتى من شرجه ، والولادة الشرجية تخيلات تتراوحنا فى الطفولة وتأتى الذكور ، وتلح عليهم عندما تزيد الحساسية الشهوية بمنطقة الشرج وتتثبت كمنطقة شهوية فتكون من بعد منطقة جنسية يتعامل معها جنسياً ، أى تتحول إلى منطقة للجماع وتهيلات الولادة ، ولربما يتحصل الحمل الكاذب للمأبون وتكبر بطنه ، فلا غرو أن تعكس الأحلام كل ما يدور من أفكار بذهنه وتصادق على ما يتخيله أو يتمناه أو يذهب إليه خاطره بلا وعى منه .

ومن الأحلام التى تندرج تحت أحلام الولادة **أحلام السقط** ، فيرى الحالم أن حمله لم يتم ، وتفسير ذلك أن ما كان يفكر فيه وتتجه إليه إرادته بالتفكير يميل إلى الانصراف عنه وأن لا يتمه .

وأحلام الرضاعة أيضاً فيها أن المرضع إنسان أو إنسانة من دأبها العطاء ، ولديها ما تعطى ، فى حين أن الذى **يرضع** يعنى أنه إنسان انتهازى أو اعتمادى ، فإن كانت رضاعته من ذكر فحتماً يعانى من ميول لواطية ، ومثل ذلك أن ترضع الأنثى من ذكر فإنها ميول ذكورية فيها ، والرجل الذى يحلم بأنه يرضع أنثى به ميول أنثوية ، ونحن نعرف أن الذكور قد يعانون من حسد الأنثى معاناة الإناث من حسد القضيب ، والرجل الذى يعانى ذلك ربما يتزوج إلا أنه يخدم زوجته ويحب ذلك و يقوم بالطهى والكى والغسل والكنس وتحميم الأولاد ، و يسميه أصحاب مدرسة التحليل النفسى **الرجل المهبلى** ، أى المؤنث الذى يتعين بأدوار النساء . وتكشف الأحلام من هذا القبيل كل تلك الميول والاتجاهات والانحرافات .

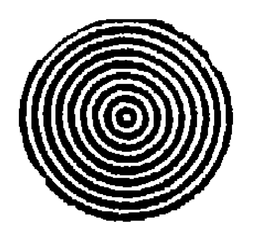
ومن رموز أحلام الميلاد أن نحلم بأننا نمر بأماكن ضيقة ونعانى أثناء الحلم من مخاوف وقلق كما لو كنا محاصرين ، وهو نفس الحصر أو القلق الذى يعانى منه العصابيون الذين يشكون

رهاب **الأماكن** المغلقة أو الكلوسترو فوبيا ، فكأن المرور فيها فى اليقظة أو الحلم بمثابة كابوس يربن على الصدور ، وذلك بسبب أننا نستعيد من خلالها حصراً قديماً كان بمثابة التجربة الهائلة العميقة الأثر ، والتى تترك هذا الأثر مدى الحياة من بعد ، وتطبع الشخصية بطابعها بطريقة أو بأخرى ، وهى تجربة الميلاد أو **صدمة الميلاد** ، عندما تتعثر الولادة ، و ينزنق الجنين فى المهبل ، ويحاول المرور بصعوبة ، وتطول الولادة ، وقد يشارف الموت ، وقد يصاب من بعد بخواف الأماكن المغلقة أو تمهد الصدمة لإصابته به ، وقد يخاف الموت خوافاً مرضياً وتأتيه **أحلام الموت** كالكوابيس فيحلم بأنه يدفن حياً ، أو يغلق عليه قبر ، أو يحلم بأنه يشنق أو يختنق ، **ولعله لهذا السبب يذهب التفسير الشعبى لأحلام من يرى نفسه وقد مات أنه يولد من جديد بمعنى سيطول عمره .**

ومن أحلام الميلاد والموت طائفة يحلم الحالم كأنما الأرض ابتلعته ، أو أنه ابتلعه وحش أو حوت ثم قذف به إلى الخارج ، وذلك تفسيره معاناة حاضرة للحالم يرجح فيها لنفسه أنه سيخرج منها سالماً ، ولعل قصة النبى يونس من ذلك ، فيونس كان الصراع فيه محتدماً بين الواجب وحب الذات ، و بين الغيرية والأثرة ، و بين الأنا والضمير ، وقد رأى يونس أن يهرب من واجباته و يسافر مرتحلاً ، فغرقت المركب والتقمه الحوت ، فاستغفر من ذنبه ، وكأن الحلم كانت تدفع إليه مشاعر الذنب الهائلة ، وانتصر الضمير على الأنا ، فلفظه الحوت وكأنه قد ولد من جديد بأنا جديد ، وقد طهره العقاب من ذنوبه ، **وذلك تفسير أن الموت فى الحلم ولادة أخرى .**

وأحلام الحيض من الأحلام النمطية التى تأتى البنات والسيدات والعوانس والعجائز على حد سواء ، وقد تأتى الرجال ، وأما إتيانها **البنات** فهو من قبيل ما يسميه علماء النفس **حرض العذرية** حيث تكون بالبنت مخاوف من الزواج ، ومن الليلة الأولى ، فتأتيها التخيلات بخصوص افتضاض بكارتها ، وعندئذ تحلم بالحيض ينزل عليها بديلاً عن دم الافتضاض ، وكأنها بذلك تيسر على نفسها الزواج وتلغى مخاوفها . وقد تحلم **الأم** بأن الحيض يجئ ابنتها ، فقد ترى أن ابنتها تأكل عسلاً أسود مثلاً ، وهو ما يعنى أنها ترى أن الإبنة قد كبرت وحان حيضها . **والمرأة المتزوجة** إذ تحلم بأنها تحيض فذلك قد يعنى نفورها من الجماع ، حيث بالحيض يتعذر إتيانه ، وقد يعنى أنها ترى عدم كفاءة زوجها جنسياً ، فالمرأة المتزوجة لا تحيض إلا إذا كانت غير حامل ، وكأنها تلوم رجلها على استمرارها تحيض ، ولذلك فقد نفسر رؤية المرأة لحيضها أن بها أشواقاً للإنجاب . ورؤية **العجوز** للحيض مخالف للواقع ، فإذا حلمت أن الحيض قد نزل عليها فذلك ربما لأنها تتحسر على شبابها ، وتتمنى لو يعود الزمن القهقرى ، أو ربما تكون قد مرت بمعاناة عظيمة تذكرها بتجارب مماثلة من حياتها فى ماضى أيامها ، والمعروف أن الحيض ينزل على المرأة فى غير أوانه إذا زعلت ، والزعل يبين فى الحلم فترى نفسها تفعل نفس الشىء مثلما كان يحدث لها سابقاً .

والحيض للرجال قلب للدور الجنسي ، وقد يحب الرجل امرأته حباً جماً حتى ليتعين بها ، فإذا كانت بالزوجة أشواق لأن تحمل فقد يرى زوجها أنه يحيض ، والمعنى بالقلب أنه يتمنى لزوجته أن يرتفع حيضها ، أى أن تحمل . ولقد قيل إن **المأبون** يحيض كالنساء ، وليس ما ينزل منه حيض على الحقيقة ولكنه تجلطات يضرب لونها للسواد تتجمع فى المستقيم بسبب سوء الاستخدام وتنزل دفعة واحدة ، ولقد تأتيه أحلام الحيض لتؤكد دوره الجنسي السالب . والحيض قد يراه البعض فى الأحلام **نفوراً من الجنس الآخر**، فقد يميل الشخص فى اليقظة لفتاة و يراها فى الحلم تحيض فينفر منها ، وكأن الحلم يمده بالذريعة للنفور. وقد تعنى رؤيته لها تحيض رغبات لا تفصح عن نفسها بفض بكارتها . ورؤية الحيض قد يعنى **ميولاً عدوانية ضد النساء**، ونحن نعرف أن كل الثقافات تجعل المرأة فى المحيض نجساً ، وقد تغلو فى ذلك كما فى اليهودية فتنهى حتى عن مؤاكلتهن فى المحيض .



« الأحــلام الأوديبيــة »

قيـل إن هـذا العصر الذى نعيش فيه هو عصر القلق ، وهو حقاً ما يعاينه فيه كل بصير ، غير أننا نطالع التاريخ وسيطه وقديمه ، ونقرأ كتب الأدب فى الشعر والنثر والقصة والمسرحية ، ونقرأ التوراة والأناجيل والقرآن ، فلا نخرج من كل ما نقرأ ونطالع إلا بأن عصرنا ليس أسوأ العصور ، وأن القلق ليس سمة نختص بها ، فالقلق عام وشائع ، وكان مع الإنسان دائماً وأبداً ، حتى ليمكن أن نقول إن الإنسان يولد والقلق معه ، وأنه مخلوق قلق ، قد قدر عليه أن يقلق دائماً . و يبدو أن القلق سمة الوجود الإنسانى ، وهو دافع قوى من الدوافع التى تشكل الأفراد والجماعات وتوجه أهدافهم ، فالقنبلة الذرية مثلاً ترتبت على الشعور بالخوف والقلق ، ولم تكن سبباً لهما ، والخوف والقلق هما اللذان يجعلان الحكومات والشعوب تخصص نحواً من نصف ميزانياتها أو ما يزيد على ذلك للدفاع .

والإنسان مخلوق قلق ، لأنه يعانى من صراعات باطنة ، وشخصيته تشبه البيت المنقسم على نفسه ، والذى تدور بين أهله وتملأ ساحاته حرب أهلية . و يعانى الإنسان عذاباً نفسياً وذهنياً كنتيجة لهذه المجاهدة الباطنة ، ويحاول أن يخفف عن نفسه بمختلف الطرق إلا أن يمسك بالمشكلة الأصلية التى تسبب له القلق ، وذلك لأنه يتجه لحل المشكلة إلى العالم الخارجى ، أو العالم من خارجه ، فى حين أن المشكلة داخله هو ، وإذا أراد أن يحلها فعليه أن يستبصرها داخله ، و يلتمس حلها من داخله ، و يضع يده على جذور القلق فيه .

والصراعات التى يعانيها الإنسان والتى تولد القلق فيه مدفونة فيه ـــ فى عقله وأعماق نفسه ـــ ولكى يصل إلى أسبابها عليه أن يغوص خلفها إلى الأعماق ، وأعماق الأعماق ، وأن يستخدم من الأدوات ما يمكنه من تحريها وملاحقتها ، وكأنه يتحتم عليه أن يستعين بأشعة كأشعة إكس تكشف عنها وتفضحها ، والأحلام هى هذه الأداة ، لأن الأحلام هى مرآة الأعماق وهى المجال الذى تنطرح فيه الذات للخارج ، فعندما ننام وننقطع عن العالم الخارجى فإنه لا يتبقى للتفكير وللتأمل إلا العالم الباطن ، وفى الأحلام ننكفئ على أنفسنا ، ونعيش مشاعرنا واضطراباتنا ، والقلق الذى يخترمنا والمخاوف التى تلفنا ، والآمال التى تتلألأ من بعيد وتشدنا إلى وميضها ، والصراعات التى تحتدم بنا . والأفكار التى تأتينا فى النوم حول كل ذلك فى شكل الأحلام تسجل لكل منا كل الغموض الذى يلف حياتنا .

ولقد تسنى أن نبحث فى مجموعات هائلة من الأحلام التى جمعناها من الأسوياء ، لنطالع فيها الصراعات التى تهصر الإنسان وتنغص عليه عيشه ، **فما هى هذه الصراعات ، وما كنهها ، وما هى طبيعتها ؟**

إن أول هذه الصراعات وأهمها جميعاً هو الصراع الثلاثى الأطراف ، الذى يضم الحالم وشخصين آخرين ، ولعلنا نذكر أننا قد قلنا سابقاً إن متوسط أشخاص الحلم هو ثلاثة بما فيهم الحالم . ونحن نضيف الآن أن ما نقصد إليه هو أن يكون الشخصان الآخران رجلاً وامرأة ، بمعنى أن يكون الثالوث المقصود رجلين وامرأة لو كان الحلم لرجل ، وامرأتين ورجل لو كان الحلم لامرأة ، وذلك شأن مألوف فى الحياة نفسها وليس فى الأحلام فقط ، على شكل رجل تتخاطفه امرأتان ، أو امرأة يتنافس عليها رجلان ، وهو ما تدور حوله قصص السينما والمسرح والروايات والكثير من الشعر والأغانى ، و يتكرر نفس الشىء فى الأحلام ، والكثير منها يقوم على هذا الموقف الثلاثى دون كلل أو ملل ، ودون أن يصبح هذا الموقف مملاً فى الحقيقة ، أو فى الخيال ، أو فى الأحلام ، فهو موقف متجدد يشد إليه الناس شداً ، و يسيطر على تفكيرهم ، لأنه يعكس صراعاً باطنياً له أهميته فى حياتهم ، ولعلنا بهذا الطرح المتجدد له فى الأدب أو فى الأحلام نجد الحل له ، أو نجد بعض العزاء لما نستشعره نحن من جرائه ، فإذا كانت عقدة الموقف تنحل أحياناً فى قصص الأفلام أو المسرحيات أو الروايات فلعلها أيضاً تنحل فى الأحلام . ولعلنا نؤثر أن نحدد طبيعة هذا الموقف بعض التحديد فنقول إن الأحلام النمطية له هى أحلام يرى فيها الحالم الذكر أن فتاته أو امرأته ينافسه على قلبها رجل آخر ، ويحاول الحالم المستحيل أن يبز منافسه وأن يخرجه من السباق عليها فتكون فتاته أو امرأته له خالصة . وكذلك قد تحلم المرأة أن رجلها أو فتاها تنافسها عليه فتاة أو امرأة أخرى وتحاول أن تغصبه منها .

وهذا الموقف نفسه إن كنا نعيشه فى الشباب أو فى أى وقت وزمن لاحقين فإنه تكرار لموقف نمطى بدائى عشناه فى طفولتنا جميعاً ، وهو **الموقف الأوديبى الذى كان يضم الأب والأم**

والطفل سواء كان ذكراً أو أنثى . وربما يكون من المناسب أن نذكّــر قليلاً بمعنى الصفة التى وصفنا بها الموقف وهو أنه أوديبى ، فهو اشتقاق من **أدويب** ، الملك اليونانى التى تحكى الأسطورة أنه تزوج أمه وقتل أباه ، والطفل فى بواكير عمره يشعر بانجذاب الأب من الجنس الآخر ، فإذا كان ذكراً فإنه ينجذب إلى الأم ، وإن كان أنثى انجذبت إلى الأب ، ومن ثم فإنه يغار من الأب من نفس جنسه ، فالذكر يغار من الأب ، والأنثى تغار من الأم ، ويجد أن هذا الأب من نفس جنسه يزاحمه حبه للأب من الجنس الآخر ، فيبغضه أحياناً ، ويحبه أحياناً ، و يتراوحه الحب له والبغض ، وقد يسفر ببغضه حتى ليتمنى موت غريمه أو منافسه فى حبه . **وهذه هى الدراما الإنسانية التى نعيشها فى طفولتنا ونحاول لمعضلتها حلاً** ، وقد نستطيع حل الإشكال فنتعين بالأب من نفس الجنس ونتشبه به ، لعلنا نكون فى الصورة التى نجد أن الأب من الجنس الآخر يحب الأب من نفس الجنس بها ، وهكذا قد نصل إلى الحل بأن يتشبه الولد بأبيه لعله يرضى عنه ، ولعل الأم ترى فيه صورة أمثل لرجلها من الزوج (الأب) ، وتتشبه البنت بأمها لنفس الغاية ، فترضى نزعة الأم لأن ترى فيها نفسها ، ولتكون نسخة أفضل منها فى عين الأب . **وهكذا نحن دائماً نريد لعلاقاتنا الحميمة أن تكون علاقة بين اثنين ، وليس علاقة بين ثلاثة ، والاثنان صحبة بينما الثلاثة كثير وزحام** . و ينعكس هذا الموقف الأوديبى فى أحلامنا حتى لنذهل من الوضوح الذى يكون عليه الصراع فى الحلم فلا نصدق التفسير ، وإليك هذا الحلم :

حلمت أنى أضاجع أمى ، ومن الغريب أنى كنت منتصباً ، وكانت هى فى كامل ثيابها وأنا أيضاً ، وكنت ألتصق بها وأضمها إلــىّ فى وله .

وهذا الحلم أيضاً الذى ليس بصراحة الحلم الأول :

حلمت أنى متزوجة من رجل يكبرنى كثيراً ، وكان فى العمر كأنه أبى ، وكان قصيراً وسميناً . وكنت أقف فى النافذة إلى جواره ننظر إلى المشهد أمامنا . وفى الشارع كان الناس متجمعين يشيرون إلينا فى غضب ، لأنى رضيت أن أتزوج رجلاً فى عمر أبى . وكان واضحاً أنى أعرف بعضاً من هؤلاء الناس ، فقد كانوا صديقاتى ، ولكنى لم أكن أبالى ، وكنت سعيدة بزواجى من رجل به شبه من أبى .

والحلمان يستشعر الحالمان بهما الذنب لما يفعلاه ، فالشاب فى الحلم الأول لا يفعل ما يفعل إلا وقد ارتدى ثيابه وأضفى الثياب على أمه ، فهو يعرف أن ما يفعله خطأ ولا يجسر على أن يفعله مباشرة والبنت تحل إشكال حبها لأبيها بأن ترى نفسها فى الحلم أنها تتزوج رجلاً يشبه أباها ، وهكذا تستعيض عن أبيها بصورته طالما أن أباها محرم عليها .

أنقلاب الولد على أبيه ، فتظل بالبنت رغم غواية الأب لها أشواق لأمها ، وتتمنى أن تفهمها الأم ، ولا تقطع علاقتها بها ، وتحاول وصالها باستمرار ، ولذلك فإنها تعانى فى حياتها أكثر مما يعانى الولد الذى يحسم الأمر و ينحاز كلية ولا يتراجع عن انحيازه ولا تتراوحه مشاعر البغض والحب مثلما الحال مع البنت .

وإليك هذا الحلم الذى يصور علاقة أحد الشبان بوالديه :

حلمت أننا فى الإسكندرية نقضى الصيف ، وكنا على البلاج ونزلنا الماء أنا وأمى وأبى ، وأخذنا نسبح ونحن فى بهجة ، وفجأة وجدنا التيار يسحبنا ، وكانت أمى على يمينى وأبى على يسارى ، وسمعت أبى وأمى يقولان التيار يسحبنا يا بنى ، وتطلعت نحو أمى وأبى ، ولا أدرى لماذا ظننت من الوهلة الأولى أن أبى سيد بر نفسه ، وأن أمى هى الأولى بالرعاية ، وضربت الماء بقوة ووصلت إليها ، بينما ما تزال صرخات أبى تدوى فى أذنى ، وأخذت بيد أمى واتجهت إلى الشاطئ ، وتبينت بعد فوات الأوان أن أبى قد اختفى .

ونحن نرى فى أحلامنا الصراعات التى تنشأ بين الأولاد وذويهم ونشهد فى نفس الوقت محاولات الحالم أن يحل بقايا هذه الصراعات من الطفولة . وتقدم الأحلام حيلاً طريفة يلجأ إليها الحالم من الجنسين كهذا الحلم :

كنت أنا وأبى وأمى نركب سيارتنا إلى بيتنا فى الريف ، وكانت أمى هى التى تقود السيارة بينما كنت أجلس أنا جوارها وأبى فى الخلف ، وكانت أمى سارحة بينما أتناقش أنا وأبى ، وكان موضوعنا ما تفعله بنات اليوم ، وتطرق الحديث إلى الحب وكان أبى يضحك منى لجهلى ، وقال سأعلمك وأخذ يربت بيده على شعرى ، و يدلك كتفى و يقترب بأنفاسه من رقبتى وأذنى ، وأنا مندهش لتصرفاته وأحمر لها خجلاً ، وأمى صامتة لا تقول شيئاً .

والحالمة تنسب الفعل اللا أخلاقى لأبيها بدلاً من أن تنسبه لنفسها ، وتستشعر الذنب مع ذلك لأنها رغم حيلة القلب هذه ما تزال تدرك فى أعماقها أنها هى التى تتمنى أن تفعل ذلك وليس أبوها ، وما تريده فعل محرم وضميرها يؤنبها لهذا السبب . والحالمة تحيّــد الأم ، أى تجعلها على الحياد ، فلا تعلق على ما يدور ، فكأنها أخرجتها من الموقف وجعلت المسألة بينها و بين الأب فقط . **وحيلة القلب** هنا ذكية ، وتتجنب بها البنت أن تبدو فى صورة الغاوية لأبيها ، لأن هذه الصورة لا يوافق عليها المجتمع والدين .

ونفس الحالمة السابقة تفصح عن كراهيتها لأمها بطريقة فريدة تحقق لها أمانيها الشريرة للأم دون أن يظهر ذلك صراحة :

وأما الحلمان التاليان فهما لفتى يناصب أباه العداء صراحة فى الحلم ، والفتاة ترى أن أمها عدوتها اللدود .

الحلم « ١ » : حلمت أنى أتشاجر مع أبى ، وكان يمسك فى يده عصا غليظة حاول أن يعتدى بها علىّ ، فلكمته بقوة أطاحت به من فوق السلم ، فسقط يهوى على الدرج .

حلم « ٢ » : حلمت أن أمى جاءتنى غاضبة ومهددة ، وكانت تريدنى أن لا أخرج ولا ألبس كما يلبس البنات ، فناقشتها ولكنها ما كانت تبالى بى ، فأخذت أصرخ وأصرخ حتى بح صوتى ولم يعد يخرج ، وأحسست أنى أخور ، ولم أستطع أن أحرك يدىّ ولا قدمىّ كأننى أصبت بالشلل ، واستيقظت مذعورة فحمدت الله أنى سليمة ، ولكنى كنت فى حالة يرثى لها من النكد .

والحلم الثانى أكثر تعقيداً من الحلم الأول ، لأن الحالمة فيه لا تعرض كراهيتها لأمها فقط ولكنها تبين سبب هذه الكراهية . والحالمة تكره أمها لأن الأم برفضها أن تلبس وتخرج كالبنات تحول بينها و بين إتيان شىء يأتيه البنات اللاتى يلبسن ويخرجن ، ولا تريد ابنتها أن تحذو حذوهن ، وفى هذه الحالة فإن الأم تجسد ضمير البنت .

ولو أخذنا الأحلام التى يظهر فيها أحد الأبوين أو الأبوان معاً وصنفناها بحسب ما يبدو بين الحالم و بينهما من علاقات مودة أو بغضاء ، لوجدنا **أحلام الرجال تصور الأم فى صورة محببة ، بينما تجعل الأب معادياً ، والعكس صحيح فى أحلام النساء ، فالأم تظهر بغيضة والأب يبدو ودوداً .** ولو أخذنا أية شخصية من شخصيات الأحلام التى نحلم بها بحيث تكون هذه الشخصية فى سن أحد الوالدين ، فإننا نحصل على نفس النتيجة ، **فالرجال يتصورون الذكور كبار السن معادين ، والإناث كبيرات السن ودودات ، بينما تتصور النساء الإناث كبيرات السن معاديات والذكور كبار السن ودودين ،** ومن ثم فإن موقف الحالم أو الحالمة من الأبوين يحدد موقفهما من أى من الناس الذين يحلمان بهما من أى من الجنسين ممن يكونون فى سن الأبوين . ونلاحظ أيضاً أن النساء لا يفرقن هذه التفرقة الحاسمة بين الأبوين بحيث يجعلن الأمهات فى الجانب المعادى ، والآباء فى الجانب الصديق مثلما يفعل الرجال ، فالنساء يمكن أن تكون لديهن مشاعر مختلطة تجاه الوالدين ، وهو شىء لا يدهشنا إذا عرفنا نشأة هذه التصورات ، فالأطفال من الجنسين سواء كانوا ذكوراً أو إناثاً لديهم مشاعر إيجابية تجاه الأم ولا يشعرون بمثل ذلك نحو الأب ، ثم من بعد المراحل الأولى ينحاز الأطفال لأى من الأبوين من الجنس الآخر بحسب المعاملة ، فالبنت لا تجد أن أمها صديقتها ، على عكس الأب الذى يترضاها أكثر و يتقرب منها ، والولد لا يجد أن معاملة أبيه له ودودة على عكس أمه ، و يتبين فى تصرفات الأب معه خشونة ، فى حين أن الأم تتقرب منه وتتودد له ، ومع ذلك فإن البنت لا تنقلب على أمها

رأيت جدى ، وكان طبيباً للأسنان ولكنه اعتزل الطب ، رأيته يعالج ضرس أمي ، ثم شهدته يخلع الضرس ، وبعد ذلك لاحظت لدهشتي أن أمي تغير شكلها فوراً ، فشاب شعرها كله وبدت التجاعيد فى وجهها وانحنى ظهرها كأنها أصبحت عجوزاً شمطاء ، وقد فزعت من تحولها هذا وأصابني الخوف وأخذت أبكى .

وتظهر نفس الحالة بغضها لأمها هذه المرة صراحة ولو أنها تتوجه ببغضها لبديلة عن الأم :

كانت المرأة إلى جوارى ، وكانت ترتدى ثياباً كالتى ترتديها أمي ، وتعقص شعرها مثلها ، ولم أكن أعرفها ، وكنت ما أزال أتساءل من تكون ، عندما رأيتها تصرخ وتتلوى ألماً ، وتسقط على الأرض وتمد ذراعيها نحوى ، وتطلب النجدة وتشير إلى قلبها ، وكان واضحاً أنها تعانى نوبة قلبية كالتى تصيب أمى ، ولم أسرع بنجدتها ، بل على العكس تمنيت لو تموت وأرتاح من شكلها وصوتها ووجودها إلى جوارى ، وشهقت المرأة ثم أسلمت الروح .

ونلاحظ أنه حيثما تكون البغضاء يكون الخوف ، ولنتأمل خوف الحالة السابقة من كل النساء فى مثل سن أمها :

كنت على البلاج ، وكنت أريد أن أستلقى وأستمتع بالشمس والهواء ، وملت بجسدى على الرمال ، واكتشفت أن هناك سيدة فى نحو الخمسين (كانت أمها فى الخمسين) **ترمقنى شذراً ، وغطيت ساقىّ ولكنها ظلت تنظر إلىّ نظرات حادة ، فاعتدلت فى جلستى وقد تملكنى الغيظ الشديد منها .**

وواضح الآن السبب فى كراهيتها لشبيهة الأم : أنها لا تريدها أن تستمتع بحياتها .

وأما فى هذا الحلم فرأيها فى أبيها مختلف ، وتجعله حزيناً لها وشريكاً فى الفعل الفاضح :

كنت على البلاج مع شخص ، وكنت وهو كأننا متفاهمان ، وكان يمسك بيدى ويتحسس شعرى وأنا مستلقية على الرمل وقد استسلمت لمداعباته تماماً . وكان هذا الشخص أشيب الشعر ، وما كنت أراه كذلك ، فقد أغمضت عينى فى نشوتى ، واشتدت الشمس ، ففتحت عينى لأرى غير بعيد سيدة شعرها أشيب تشير إلىّ مشمئزة ، وتطلعت حولى لأتبين لمن تشير فوجدت أنها تشير إلىّ وأضمرت لها البغض فى نفسى ، فقد أخرجتنى مما كنت فيه .

وواضح من الحلم أن هذا الشخص هو أبوها ، وهى تستمتع بحياتها معه لولا ما ينغصه عليها تزمت أمها التى تمثلها هذه السيدة . وزملة الأحلام السابقة كلها تحكى عن التوترات فى حياة الحالة التى تردها لأمها ، فى حين أنها دائماً تنشد المتعة مع أبيها .

وإليك هذا الحلم لشاب يضاجع بديلة عن الأم و يعاقب نفسه على ذلك :

حلمت أنى أنزل فى فندق وطرقت الباب سيدة طويلة القامة بيضاء ، وكانت تبدو محترمة ودفعتنى إلى الداخل ، وبدأت تقبلنى ثم همت أن تخلع ملابسها عندما دخلت سيدة أعرفها وأحبها ، وعندئذ تلاشى كل شىء ، ثم رأيتنى فى الشارع أشهد عراكاً بين شاب ورجل يكبره كثيراً ، وكان واضحاً أن الرجل سيصرع الشاب ، وألقاه على الأرض وكاد يقتله ، والشاب يتلوى ، ونظر إليه الرجل ثم تركه ، والشاب يبكى ، فرجع إليه الرجل وربت على رأسه وتحاضنا ، وانتهى المشهد وأنا مسرور غاية السرور لهذه النهاية .

والحلم يعكس حقيقة مشاعر الحالم نحو أمه وأبيه ، وهو يشعر بالحب لأمه حباً شهوياً لا يرضى عنه فيجعل الرجل يعاقب الشاب ، والرجل يمثل أباه ، و بعد أن ينزل العقاب بنفسه يشعر أن أباه قد رضى عنه ، و بذلك ينحل الصراع الأوديبى عنده وتكون الأمور على ما يرام .

و يذكر فرو يد فى كتابه **تفسير الأحلام** أنه كان كلما سأل مر يضاً عما إذا كان يحلم أحلاماً أوديبية أكد له المر يض أنه لم ير فى حياته حلماً كهذا ، ولكنه كان عندما يعصر ذاكرته يتذكر أنه ربما حلم حلماً مشابهاً . و يستطرد فرو يد أن الأحلام الأوديبية تأتينا ، بل وربما تأتينا أكثر من الأحلام العادية ، ولكننا لا نذكرها بالذات ، أو ربما لا تلفت نظرنا ، فإذا جلسنا إلى المحلل فإننا بالتداعى الحر سنذكر الكثير منها . والأحلام الأوديبية المقنعة كانت تأتى القدماء ، وكانوا يفسرونها التفسير الفرو يدى ، و يذكر **أوتو رانك** أن يوليوس قيصر قد حلم حلماً رأى فيه أنه يجامع أمه ، فأوله مفسرو الأحلام بأنه سوف يمتلك الأرض الأم . وكذلك **حلم هيبياس** الذى يرو يه هيرودوت ، الذى رأى فيه أنه يضاجع أمه ، ففهم من الرؤ يا أنه سيعود إلى أثينا و يسترجع سيطرته على أرض وطنه . و يعلق فرو يد على ذلك بأن هذه الأساطير أو التفاسير تكشف عن بصيرة سيكولوجية صادقة ، وتؤكد ذلك التجربة ، حيث نلاحظ أن الناس الذين يعلمون أنهم مفضلون عند أمهاتهم ، أو لهم عندهن معزة خاصة يبدون فى حياتهم ثقة فر يدة بالنفس وتفاؤلاً شديداً وقد تكون لهما منهما مظاهر البطولة فيكون سلوك هؤلاء الناس الناجح الذى يحقق لهم نجاحاً فى حياتهم .

وهذه العلاقة الأوديبية من جانب آخر قد تفسد حياة الطفل فيشب غير قادر على أن تكون له علاقات غير ية سو ية مع آخر ين من خارج نطاق أسرته ، فقد يستشعر وهو رجل أنه يخون حبه لأمه إذا وقع فى غرام امرأة ، وقد تستشعر البنت أنها تخون حبها لأبيها لو أسلمت قلبها لآخر . و يعمل الآباء فيما يبدو على ترسيخ هذا الاتجاه عند أولادهم بأن تكره الأم خطيبة ابنها أو زوجته ، و يكره الأب خطيب ابنته و يضيق عليها من حيث الحر ية التى تكفلها الخطبة

للمخطيبين . وكم من بنات و بنين رفض الآباء أن يعقدوا قرانهم على من اختاروهم شركاء لهم ولم يكن هناك سبب مقنع . وهذا الحلم يبين لنا إحساس الحالمة بالذنب لأنها ستتزوج :

حلمت أنى سأتزوج ، وكان الجميع فرحين من أجلى إلا أنا ، فقد كان لدى إحساس بأنى ، بزواجى ، أظلم إنساناً وأسئ إليه ، ثم رأيت أبى يقف قبالتى ويحاول أن يخنقنى ، وكنت أتلوى وأعلم أنى أختنق ، ولم أكن أخشى الموت بقدر ما كنت مفزوعة لأنى قد أغضبت أبى لدرجة أن يريد خنقى .

وتشعر الحالمة أنها تتصرف عكس رغبة أبيها ، وأن من حقه أن يعاقبها ، وهو ما تراه هى من وجهة نظرها ولا يهم أن يكون ذلك حقاً ما يراه الأب ، لأن الإحساس بالذنب هو إحساسها هى وليس إحساس الأب .

وهذه الزملة من الأحلام لشاب كان يحب أمه حب العبادة ، وكان يتعلل لعدم زواجه بأن أمه فى حاجة إليه ، بسبب بخل أبيه وتقتيره وشجاره الدائم مع الأم كلما وجد نفسه معها وحدهما دون الإبن . وهو ينزع فى هذه الأحلام إلى التدرج بالمشكلة إلى الحل الذى يراه لها ، ففى الحلم الأول يرى أن فتاته هى عزاؤه عن صراعات البيت ، وفى الحلم الثانى يرى أمه تبكى منه هو وليس من الأب ولا يدرى السبب ، وفى الحلم الثالث يرى أن أمه ستكون بائسة لو أنه تزوج وتركها ، فيقرر ألا يتزوج ، وفى الحلم الرابع يحل الإشكال بأن يموت أبوه فترضى فتاته أن تتزوجه وتعيش أمه معهما .

الحلم « ١ » : حلمت أنى ذهبت للقاء فتاتى وكنت بائساً ولا أدرى السبب ، فقالت لى حقيبتى معطلة فأصلحها بدلاً من هذا الكلام الموجع للدماغ .

الحلم « ٢ » : حلمت أن أمى كانت تبكى وحاولت أن أعرف السبب ، وكانت تقول أنت السبب . لكن كيف ؟ لم تقل . فقط كانت تبكى .

الحلم « ٣ » : حلمت أنى وأمى نجلس فى المطبخ ، ونتذكر الماضى وكنا مسرورين ، وقالت لى ولكنك سترحل وتتركنى يا خائن فأقسمت أن لا أتركها ، وأخرجت علبة استحضرتها وفتحتها ، وكان بها فستان أبيض فرحت به وابتسمت وقبلتنى .

الحلم « ٤ » : حلمت أن أبى قد مات ، وقد انتقلنا إلى شقة أخرى تتسع لى ولزوجتى وأمى . وكانت الأمور بين زوجتى وأمى على ما يرام . وكنت أطرى طهى زوجتى فتنظر إلى أمى وتقول ذلك بفضل أمك .

وهذا الحالم إنسان متهافت الشخصية ، يعيش فى كنف أم مسيطرة وأب ضعيف ، ومشكلته أنه لا يثق فى نفسه ، وهو لا يفكر فى ضعفه ولا يجد لنفسه الحل الواقعى ، ولكنه يحلم حلماً يحل

به مشاكله فيميت الأب ، ويجد الشفقة المناسبة ، و يوائم بين أمه وزوجته . والواقع أن أحلام هذا الفتى كلها من النوع الذى نلمس فيه الكراهية للأب والحب المولَه للأم . وَالصراع الأوديبى لم ينحل عنده ، وما يزال يعتمل فيه و يفسد عليه حياته فلا يتعامل بواقعية مع المواقف المختلفة .
و يأتى على الأطفال عادة سن معينة يدركون فيه حقيقة انتماءاتهم ، وما ينبغى أن يتعينوا بهم من الوالدين ، فالذكور ينحون إلى الذكور، والإناث تتوجهن إلى الإناث ، وبهذه الطريقة يضعف الحب الذى يمكن أن يقوم بين الولد وأمه و يفسد عليه حياته من بعد ، وتضعف أيضاً الكراهية التى تكون بينه و بين أبيه ، ويجد أنه من اللازم عليه أن يتصرف مثله وأن يكون له دور ذكورى مثله . وقد يحدث كثيراً أن ينقلب حب الولد لأمه إلى كراهية عندما يتبين أن حبها له يحول بينه وأن يتطور التطور الطبيعى ، وأن يكون له دوره الذكورى . وهذا الشئ نفسه قد يحدث أيضاً بالنسبة للطفلة تجاه أمها وأبيها ، ومع ذلك يظل تخوف الأطفال الذكور من جنس الذكور البالغين على ما هو عليه ، و يظل تخوف الأطفال البنات من جنس الإناث البالغات ، ومهما كانت إيجابية الاتجاه الذى تنحل به عقدة أوديب فإن ما يتخلف عنها هو من عينة ما كان موجوداً فى الأصل ، وهو أن يتصور الولد والبالغ من بعد أن كل الأولاد أو كل البالغين من الذكور معادون له ، وكذلك تتصور الأنثى أن الإناث معاديات . ومهما بدا لنا أن هذا الشاب أو ذاك يعامل أبو يه باحترام ، وأنه يحبها كل الحب ، فإن المظهر لابد أن يخفى أشياء أخرى قد تتكشف فقط فى الأحلام ، ولعل العرض الذى تعرضه الأحلام أو الذى تعرضه المسرحيات والأفلام والروايات عن مثل هذا الموقف الثلاثى هو الذى يشدنا إلى قراءتها أو مطالعتها فاغرى الأفواه مشدوهين ، لأن ما نراه فيها ليس المظهر ولكنه الحقيقة التى تبد هنا ، وهذا ما نحسه تجاه **مسرحية هاملت** ، وتدور أحداثها متلاحقة ونحن على وعى بما جرى فعلاً ، ونتابع هاملت وهو يتردد فى الانتقام لأبيه ، ونشعر بشعور غامض يلهمنا السبب ، وهو أن العم قد نفذ الجريمة التى كانت تراود هاملت نفسه ، وتراود كل طفل يرى فى أبيه منافساً له على حب أمه . ونسمع هاملت يلوم أمه أنها خانت عهد أبيه وتزوجت ، والواقع أنه يقول هذا الشيء عن نفسه هو، و يرى فى زواج أمه خيانة له ، **ولو كانت الأم قتلت الأب ولم تتزوج لما كانت ثورة هاملت ، والمزعج لهاملت أن الأم تزوجت** . أو لا يقول كل طفل ، لو سألناه عمن سيتزوج ، أنه سيتزوج أمه ؟ أو لا نرى الطفل يضرب أباه لو رآه يقبل أمه ؟ ولربما قد نذكر مقولة **ديديرو** التى غدت مثلاً : **إن كل طفل ليتمنى أن يزيح أباه من طريقه ليخلو له حب أمه** . ولكم يتمنى الأطفال الذكور أن يموت الأب ليتزوجوا أمهاتهم !!!

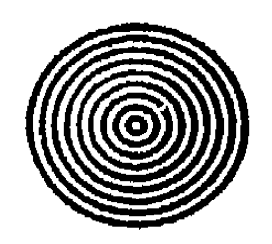
ولقد حفلت الدراما الإغريقية بهذا الصراع الأوديبى الثلاثى الأطراف ، وليس أروع من **مسرحية الملك أوديب لسوفوكل** عرضاً لهذا الصراع ، وهو ما جعل فرويد ينبه إليها ، ولربما يكون النقد الموجه لفرويد أن ما استقاه من أصول للصراع الأوديبى مصدره دراسته لأحلام

المرضى ، غير أن الكثيرين قد درسوا أحلام الأسوياء ، كدراستهم لأحلام المرضى باضطرابات نفسية أو عقلية ، وكانت النتيجة واحدة . وتعمل عقدة أوديب عملها فى الجميع سواء كانوا أسوياء أو مرضى ، ولربما يكون فعلها فى الأسوياء أكثر من فعلها فى المرضى ، ولنضرب لذلك بهذا المثل الذى نلاحظه جميعاً ونعرفه فى أوساطنا ، وما منا من لم يسمع أن رجلاً يحاول أن ينتزع من آخر خطيبته أو زوجته ، وقد يفلح فى ذلك ، ولربما عاينا فعلاً امرأة تختطف خطيب أخرى أو زوجها ، وليس من دافع لأيهما سوى هذا الدافع من عقدة أوديب ، أن تحوز الشريك أو الشريكة لآخرين . ويفسر لنا ذلك سبب أن بعضنا يفضل أن يبقى بلا زواج ، بدعوى أنه يرعى أمه أو أخته بعد وفاة أبيه أو بعد أن تركهم أبوه . وقد نسمع أعذاراً غريبة ، وقد تكون مقنعة ولكنها تخفى تحتها الدوافع الحقيقية ، وتتلخص فى تعلق الرجل الشديد بأمه ، أو تعلق البنت بأبيها . وتكشف الأحلام هؤلاء الناس وتبين عن الأسباب التى من أجلها يصابون بالقلق .

ويبدو أن كل الأحلام التى مدارها صراعات من نوع ما منشؤها هذا الصراع الأزلى الذى نعيش بسببه فى قلق ، والذى يدفعنا إلى أن نحلم أحلامنا هذه عن آبائنا . وهذه الصراعات التى أهمها الصراع الأوديبى هى التى تصنع ما أطلقنا عليه اسم **الأحلام النمطية** ، وهى أحلام عرفها ابن سيرين وميزها فرويد ، غير أنهما قالا بأن ظاهر الحلم له باطن ، ومن ثم فإن القول بالأحلام النمطية يتناقض ، لأن هذه الأحلام نمطية فى ظاهرها وتختلف فى باطنها . ولعله لهذا السبب نركز على تفسير ظاهر الحلم فى كتابنا هذا ، ولا نعول كثيراً على طريقة التداعى ، لأنه ربما لا تتهيأ لنا الظروف أن نتحصل على المستدعيات الباطنة ، أفنترك الأحلام إذن وقد عرفنا ما لها من أهمية ؟ الحل هو أن نركز على ظاهر الحلم ونحاول أن نستكنهه . ولقد ركز فرويد على نوعين من الأحلام النمطية هما **أحلام السقوط من الأماكن العالية ، والأحلام المهددة** التى نرى فيها أن أحداً يهاجمنا ، كأن يكون لصاً أو قاطع طريق ، أو كأن يطاردنا شخص أو حيوان ونتعثر فى الهروب . ونلاحظ أنه رغم أن تفصيلات هذه الأحلام تختلف من شخص لآخر فإن العامل المشترك بينها جميعاً هو نفسه دائماً ، وهو فى النوع الأول قلق ينتاب الحالم من أنه مفارق لموضوع كان يعيش فى كنفه ويستند إليه ، وهو فى النوع ، الذى أطلقنا عليه اسم **الأحلام المهددة** threatening dreams ، ترقب وخوف وقلق من تهديد بالإيذاء مصدره خارجى . وثمة فارق آخر بين النوعين السابقين يجعل كل نوع منهما نسيج وحده ، وهو أنه فى النوع الأول ، أى أحلام السقوط ، **يشعر الحالم أنه وحده** دون أن يعينه أحد أو يسعفه أو يمسك به ويحول بينه والسقوط ، وفى النوع الثانى **يكون الحالم إزاء شخص أو شىء أو حيوان يخاف** منه ويحاول أن يهرب ولكنه يعجز . وفى النوع الأول تكون هناك حركة ملحوظة ومفاجئة ، وفى النوع الثانى يبلغ بالحالم الفزع أنه يتسمر فى مكانه بمعنى أنه تمتنع عليه الحركة أو كما نقول تقمع .

ولقد ثبت من إحدى الدراسات (Typical Anxiety Dreams) Harris, I: Observations Concerning — عن مجلة (Psychiatry) أن أغلب **أحلام القلق** مظهرها الحلمى هو السقوط أو التهديد الخارجى ، وأن الناس تأتيهم هذه الأحلام بدرجات متفاوتة ، وتؤثر فيهم أيضاً تأثيرات متباينة . ونفهم من شيوع هذه الأحلام أنها اضطرابات نفسية أو عقلية ، ولكنها تأتى الأسوياء وغير الأسوياء على السواء ، ومن ثم فقد تكون هناك أسباب عميقة تخص تطورنا منذ الطفولة هى التى تدفع إليها . وهذا حق ، فهناك أخطار نفسية نتعرض لها فى طفولتنا ، وهى بخصوص النمط الأول ، وهو نمط أحلام السقوط ، أخطار أن يتخلى عنا أحد الوالدين أو كلاهما ، أو أن يسقطنا من حبه ورعايته وحمايته ، وربما قد يكون هذا الخطر هو خطر الانفصال عن أحبائنا ، كأن يتخطفهم الموت أو يحدث ما يستوجب الفراق . وأما أحلام التهديد الخارجى فيقابلها ما نخبره فى طفولتنا من أذى يلحق بنا أو يتهددنا من الأبوين وخاصة بالنسبة للأولاد ، حيث قد يعانون مخاوف من العقاب من الأب يصل إلى حد الإخصاء ، وقد يتوجه معنى الإخصاء إلى قطع القضيب أو بتره ، وقد يتوجه الى ذكورة الطفل فيحال بينه وأن ينمو من حيث اعتباراتها المميزة للذكور فى مجالات السلوك والتفكير والشعور والحكم ، و باختصار تتهدد تمثل الطفل لدوره الذكورى . وإذن فإن أصل القلق والمخاوف ينشأ أول ما ينشأ فى الموقف الأوديبى الذى يضم الطفل والوالدين . ولعله لهذا السبب يعتبر المحللون أحلام السقوط نمط من الأحلام يسمونها **أحلام السقوط الأدبى** ، بمعنى أن الحالم يتهدده أن يتداعى بالسقوط أخلاقياً ، ولا يحدث له ذلك إلا لأنه قد عانى أن يسقط من اعتبارات الوالدين أو من محبتهم . و يعتبرون الأحلام المهددة نمطاً من الأحلام يطلقون عليها اسم **أحلام الإخصاء** ، وأصلها المخاوف والقلق اللذان يعانى منهما الأطفال نتيجة تهديدات الأبوين بالعقاب فى الطفولة . و بقدر ما يعانى الطفل من أخطار أن يتخلى عنه أبواه أو أحدهما ، ومن أخطار العقاب من قبلهما ، فإنه سيعانى مستقبلاً من أحلام من أى من النمطين السابقين . ولقد عرفنا فى أبواب سابقة أن أكثر ما يحلم به الذكور هو **أحلام العنف** ، فى حين أن أكثر ما تحلم به الإناث هو **أحلام الانفصال** أو التى موضوعها الحب والبغض . و يفيدنا ذلك أن نعرف اتجاهات الناس وتكوينهم النفسى وديناميات شخصياتهم ، **فلو عرفنا أحلامهم نعرف نوع التربية التى تعرضوا لها** . ولقد ثبت فعلاً أن سلوك الذين يحلمون أحلام السقوط يتصرفون فى الحياة من منطلق تجاربهم فى الطفولة التى أساسها الانفصال ، بينما يسلك الذين أحلامهم مهددة بحيث يغلب الخوف من الأخطار الخارجية . غير أنه من ناحية أخرى فإن من يخاف أن تتركه أمه يخشى أن يغضبها ، ومن ثم فقد يصرف غضبه على أبيه ، ولا يكون أمامه أن يعلن عن هذا الغضب على الأم إلا فى الأحلام فقط ، و يكون عكس ذلك فى الحياة ، وأن من يخاف من عقاب أبيه وسخطه عليه فقد يرهب أن يغضبه ، و بدلاً من أن يتوجه بغضبه إليه فقد يصرفه على أمه غالباً ،

ولا يجرؤ أن يعلن عن عدائه لأبيه إلا فى الأحلام ، ومن ثم فقد نستنبط أنه **كلما كان سلوك الفرد فيه الاحترام الشديد والتبجيل للأب كلما كانت أحلامه تجاهه معادية غالباً وتعكس حقيقة هذا الاحترام وهو أنه مبنى على الخوف منذ الطفولة** . وكذلك قد تكاد تقدس البنت أمها ، فنجد أن أحلامها عكس ذلك ، ونتبين أنها فى طفولتها كانت شديدة الاعتماد عليها . وهذا ما سنناقشه من زاو ية أخرى من خلال دراسات أخرى للأحلام المهددة .



« الأحلام المهددة من نمط أحلام الحرامى وغيرها »

نعود مرة أخرى لما أسميناه **الأحلام النمطية** لنؤكد من جديد ما نعنيه بها ، وهو أنها الأحلام الشائعة ، أى التى يحلم بها كثير من الناس فى مقابل الأحلام الخاصة أو الفردية ، فإذا كنا سنعامل الأحلام بوصفها وسيلة قياس للشخصية كاختبارات رورشاخ ، فمنها استجابات عامة يأتيها أغلب الناس ، ومنها استجابات خاصة تشير إلى اتجاهات وميول معينة تخص أحد الناس دون كل الناس . **والأحلام النمطية مثلها مثل الاستجابات العامة ، ومنها أحلام السقوط والتعرى والامتحان وخلع الأسنان وموت الأقارب ، والأحلام الجنسية أو أحلام الزواج ، وأحلام ركوب الخيل أو الدراجات والقطارات .. إلخ ، وأحلام الضياع التى مؤداها أننا ضللنا الطريق ، وأحلام الجهد الضائع** . ولقد تحدثنا عن أغلبها وضربنا لها الأمثلة ، وقلنا إن فرويد قد جعل تفسيرها عند الناس تفسيرات متشابهة ، وردها إلى ما يردونه إليه وهو القلق إزاء موضوع معين ، أو القلق الذى يولده توجس الشر وتوقعه من موضوع مهدد ، ولذا فقد أطلق عليها اسم **أحلام القلق** anxiety dreams ، وقدم تحليلات لبعضها ، فقال إن الأحلام قد تصدر أيضاً عن رغبة ، **والرغبة فى أحلام التعرى** مثلاً هى رغبة استعراضية ، بأن نستعرض أو نستعرى أمام الوالدين أو أحدهما ، وأن البنت تميل للاستعراض أمام الأب ، والولد يستعرض أمام أمه . **والرغبة فى أحلام موت الأقارب** تعكس الإحباط من معاملة الوالدين فى الطفولة ، والخوف من أحدهما لسبب من الأسباب ، حتى ليتمنى الطفل لو أنّ هذا الأب يموت . ورغم أننا ننسى كل ذلك عن الطفولة بتأثير ما تتعرض له هذه الرغبات من استهجان بسبب التربية ، وما تفرضه المصلحة على الطفل نفسه ، بحيث يجد أنه لابد أن لا يعلن عن رغباته و يضطر أن يكبتها ، إلا أنها تستمر تعمل عملها فيه لاشعورياً ، وتأتيه فى أحلامه

تكشف عن وجودها واستمرارها . وليس من الغريب أن نسمع طفلاً يطلب الموت علناً لمن يكرهه حتى ولو كان أحد الوالدين أو الإخوة ، بل إن الوالدين نفسيهما قد يدعوان بالموت على الطفل فى لحظات البغض ، وكلما زادت شقاوته . ولقد سمعنا ذلك كثيراً وعايناه بأنفسنا ، أن يقول الطفل أو البالغ « إن شاء الله تموت يا فلان » . **وأما الرغبة التى تفصح عن نفسها فى أحلام الامتحان فهى أن نتجاوز محنة حاضرة** ، بأن نستعيد فى الحلم تجربة سابقة ناجحة ، يقلبها الحالم تجربة فاشلة ، لينبهنا الجهاز النفسى أننا طالما اجتزنا محنة سابقة فسنجتاز هذه المحنة أيضاً ، فكأننا بأحلام الامتحان نرغب فى تطمين أنفسنا .

وربما يناسب طبيعة الذكور العدوانية أن تأتى أحلامهم عنيفة ، وكان الأولى أن تأتى أحلام التهديد — التهديد الواقع على الحالم — أكثر بالنسبة للبنات ، بالنظر إلى كونهن أميل إلى المسالمة والاستكانة فيقع عليهن الظلم الكثير ، إلا أن ذلك لا يصدق إلا فى أحلام الاعتداءات الجنسية بالاغتصاب وغيره ، فإن أحلام الإناث بها أكثر ، وهى ضعف أحلام الذكور بالاعتداءات الجنسية ، وتتراوح التهديدات المقصودة ، من مجرد التهديد بالضرب إلى التهديد بالقتل ، أو بالقبض على الحالم أو سرقته ، أو الاعتداء الجنسى عليه ، وأكثر ما تكون التهديدات فى الأحلام من هذا النوع بالقتل للجنسين ، ثم يأتى الضرب الثانى فى الترتيب ، ثم القبض على الحالم ، ثم الاعتداء الجنسى ، ثم السرقة . و يتراوح رد الفعل عند الحالم ما بين الهرب من الموقف بالركض أو تغيير المشهد ، أو أن يتقدم أحد لينقذه ، أو أنه يستيقظ فزعاً ، وعادة ما نصف هذه الأحلام بأنها **كوابيس** ، وكلها من قبيل ردود الفعل السلبية ، وقد تكون هنالك أحلام من قبيل ردود الفعل الإيجابية ، بأن يرد الحالم على التهديد فى الحلم بتهديد مثله ، أو بأن يظهر التحدى ، وبصرف النظر عن كونها ردود فعل ناجحة أو فاشلة فإنها بشكل عام تكون فى الأغلب والأعم **ردود فعل سلبية** ، و يستوى فى ذلك أن يكون الحالم أنثى أو ذكراً . وأغلب هذه الأحلام ليس فيها ما يستوجب أن يتلقى الحالم تهديداً ، وحتى لو كان قد أساء الفعل فى شىء **فالتهديد لا يتناسب مع الفعل** . وكثيراً ما يكون المهدد حاملاً لسلاح ما ، وخاصة فى أحلام التهديد الجنسى . **وفى أحلام الإناث يكون المهدد واحداً بينما فى أحلام الذكور يكون هناك عدة أشخاص .**

ونخلص من كل ما سبق إلى أن أحلام التهديد هى انعكاس لتصور الحالم لنفسه من حيث الضعف والقوة ، والشخص الذى يحلم هذه الأحلام ، و يكثر منها شخص ضعيف ومستكين وسلبى ، وليس الخوف من الإخصاء هو الذى يدفعه إلى أن يحلم بأحلام التهديد ، لأن الحالم يدل على أنه فعلاً قد خصى ، أى أنه بتأثير سلطان الأبوين عليه فى صغره فقد خرج من الموقف الأوديبى وقد حيل بين ذكورته وأن تنمو النمو الطبيعى . وهو الآن يشعر أنه عاجز ولا حول له ولا قوة ، وتعكس أحلامه مشاعره هذه ، ولهذا فهو يرى أنه لا يستطيع أن يجارى التهديد إلا بأن

يـركـض أو يـصـرخ أو يـسـتـغيث أو يصحو. وإذا كنا سنفترض فعلاً مع فرو يد أن أصل أحلام التهديد هو الخوف من الإخصاء فإن ذلك قد يكون مفهوماً فى حالة الذكور، ولكنه لن يتمشى كتفسير فى حالة الإناث ، فأى إخصاء يمكن أن يقصد إليه فى حالة الإناث إلا أن يكون معنى الإخصاء منصرفاً إلى المعنى العام وليس المعنى الخاص ، **والإخصاء بالمعنى العام هو بتر الشخصية** amputation of personality ، بأن يحال بينها وأن تتنامى وتنضج ، وذلك ما يحدث كثيراً من جراء الصراع الأوديبى الذى ذكرناه ، والذى قد يكون موضوعاً لأحلام أطلقنا عليها اسم **الأحلام الأوديبية** . ولفرو يد رؤ ية فى الأنوثة تعنى أنها الاستسلام والخنوع والاستكانة والسلبية . والأنوثة بهذا المعنى قد توجد أيضاً فى الذكور، وعندما يستشعر الذكر أنه يتصرف بسلبية وخنوع فإنه يحاول جاهداً أن لا يكون كذلك ، ونقول عندئذ أنه يحاول أن يجاهد الإخصاء ، أى أن يتحول إلى أنثى ولو بالمعنى دون المبنى ، فإذا غلبت عليه السلبية والخنوع قلنا إنه تقبل الإخصاء ، ومن ثم فنحن نقول إن **أحلام التهديد هى أحلام خنوع وسلبية واستكانة ، أى أحلام أنوثة ، و يستوى فى ذلك أن يحلم بها الذكور أو الإناث** . ولقد قال فرو يد أيضاً عن الأنوثة إنها أميل نحو تلقى الألم واستعذابه ، وأطلق على ذلك اسم **البعد الماسوشى فى الشخصية** ، ومن ثم فإنه يكون من الطبيعى أن تأتى أغلب أحلام الإناث مهددة ، ولكنه ليس من الطبيعى أن تأتى أحلام الذكور من هذ النوع إلا أن يكون البعد الغالب فى شخصية الحالم الذكر هو البعد الماسوشى الأنثوى ، وهو الذى يجعله يتقبل التهديد بخنوع ولا يرد عليه ، وقد يهرب من الموقف برمته أو يستغيث كالأطفال ، وذلك يعنى بلا جدال **أن حلم التهديد ليس عن خوف من الإخصاء عند الذكور، ولكنه يدل على أن الحالم الذكر قد خصى فعلاً ، وصار أقرب إلى طبيعة الإناث** ، و يفيدنا أن نعرف ذلك لأن الحلم كما قلنا وسيلة من وسائل التعرف إلى مكونات الشخصية وديناميانها وتأثير التربية فيها وفى نموها ، وتحليل الحلم هو بمثابة تحليل للشخصية .

ولقد كانت هناك بحوث حول علاقة رد العدوان بقوة وتماسك الأنا أو الذات عند الحالم ، وتبين أن الأطفال بالنظر إلى تهافت ذواتهم وعدم نضجها فإنهم يتقبلون التهديد أو العدوان فى أحلامهم ، و بالمثل يتقبل المر يض بالاضطرابات النفسية أو العقلية التهديد أو العدوان ، إلا أنه فى حالة المراهقين يكون هناك رد فعل إيجابى وعنيف فى نحو ٥٣٪ من الحالات ، بينما تز يد النسبة عند البالغين الأسو ياء إلى ٧٠٪ . ومن الطبيعى أن يشعر الطفل إزاء التهديد الخارجى بالعجز، وأن يتصور نفسه غير قادر على دفع العدوان عليه مادياً ومعنو ياً ، إلا أن البالغ الذى يتصور نفسه على هذا الضعف لابد أن يكون ضعيفاً فعلاً ، وكأنه يتصور نفسه طفلاً ، أو يتشبه بالإناث اللاتى يعرفن أنهن كالأطفال أعجز من أن يواجهن التهديد بالتهديد .

ولقد قلنا عكس فرو يد إن أحلام التهديد لا تصدر عن خوف من الإخصاء ، بل هى تعبير

وانعكاس لحالة الإخصاء التى يعيشها الحالم ، فهو ضعيف ومستكين كالإناث ، وهو لا يخاف الإخصاء ، ولكنه يخاف ما تخافه الإناث والأطفال : مخاطر العالم الخارجى ، وأن يؤذى منها أو يقتل ، وأن يعتدى عليه جنسياً ، ومع أن أحلام الاعتداء الجنسى أقل بنحو النصف عند الذكور عنها عند الإناث إلا أننا لا نستطيع أن نتغاضى عما ترمز إليه رموزها عند الحالم ، وهى رموز جنسية مفضوحة ، وتشبه القضيب ، فهى بنادق وسكاكين وخناجر وإبر . . إلخ . وهو يخاف دوافعه وغرائزه التى يشبهها الحلم بالحيوانات ، و بقوى الطبيعة كالزلازل والفيضانات ، ويخاف عذابات ضميره ، ويمثلها فى الحلم الشرطة وناظر المدرسة والمدير والرئيس فى العمل . . إلخ . ولا يمكن أن يعنى رفضنا أن نرد مع فرو يد أحلام التهديد إلى الخوف من الإخصاء أنه لا توجد أحلام من هذا النوع يمكن أن نردها فعلاً إلى الخوف من الإخصاء . وهناك أحلام أمكن جمعها وفيها يحلم الحالم أن أسداً قدَ قضم قضيبه ، أو أن حادثة وقعت فبترت إصبعه أو ساقه ، و يعكس الحلم تصور الحالم عن نفسه أنه عاجز جنسياً . وقد يحلم مثلاً أن الجنود من فرقته سلموا بنادقهم ورفض هو أن يسلمها ، و يعنى ذلك أن الرجال من جيله قد أصابهم العجز الجنسى ولم يصبه ، فهو ما يزال يعاند ، وذلك وضع يتوسط القدرة الجنسية والعجز ، إلا أنه يعنى بالتالى أن العجز مدركه لا محالة .

ونعود إلى الصراع الأوديبى ونتذكر أن أول من نحبه ونتعلق به هو الأم ، وأن أول من نشعر تجاهه بمشاعر متباينة فيها الحب والكره معاً هو الأب ، وقد نظهر له الحب ونكتم البغض ، ونلاحظ لذلك أنه فى أحلام التهديد بالنسبة للذكور فإن بغضنا أو مخاوفنا من الأب تمتد إلى كل ذكر ، وذلك هو أصل أن نحلم بعدو ذكر ، ومن النادر أن يحلم رجل أو فتى بأن أمه أو امرأة تناصبه العداء . ولقد قال لنا فرو يد كذلك أن سلطة الأب يستدمجها الأنا أو الذات فيتكون الأنا الأعلى أو الضمير ، وكلما كان الأب متزمتاً كان الأنا الأعلى أو الضمير متزمتاً أيضاً ، فيأتى فى الحلم على صورة رجل ولا يمكن أن يأتى على صورة امرأة .

وثمة فارق فى أحلام الجنسين ، فالغالب أن يتلقى الحالم الذكر التهديد إثر فعل سيئ قام به ، و يعنى ذلك أن الرجال لديهم ضمير أكثر تشدداً من ضمير النساء ، كما قال فرو يد ، إلا أنه كثيراً ما يتلقى الرجل العون فى حلم التهديد من شخص آخر ، وذلك لا يحدث فى أحلام التهديد عند النساء ، فهل يعنى ذلك أن النساء يشعرن فى قرارة نفوسهن أنهن منبوذات ، ولن يساعدهن أحد إذا احتجن المساعدة ؟ ربما كان الأمر كذلك وهو ما يتمشى مع نظرة فرو يد إلى الأنوثة ، وخيبة الأمل التى تصاب بها البنت إذ تنشد العون من أمها فى الموقف الأوديبى فى الطفولة فلا تجد منها الفهم ولا العون ، وتخذلها أمها وهى أول من تحب ، فيجعلها ذلك تتحول إلى أبيها ، فيخذلها هو الآخر ، وهو ما لا يخبره الرجل ، لأنه فى طفولته يحب الأم و يستمر متعلقاً بها ، وتتعلق به أمه ولا تخذله ، وإنما يأتى الرفض له من أبيه فتكون مناصبته العداء .

« تحليل الشخصية من الأحلام : الشخصية التسلطية »

تتكون للطفل شخصية تسلطية بتأثير نشأته فى ظل أسرة تأخذ بالتربية التسلطية ، فقد يكون الأب أو الأم تسلطياً يحب أن يطاع وأن تكون لابنه قيمة ومُـثله وأفكاره وآراؤه . و يتصادم هذا الاتجاه مع رغبات الابن وتطلعاته ولكنه لا يستطيع أن يعلن سخطه جهاراً فيكتمه ولا يفصح عن كراهيته لأبيه ، وفى نفس الوقت يعتاد أن يؤمر وأن يحترم من يأمرون ، و يتمثل أناه أوامر الأب ونواهيه ، فيكون له منها أنا أعلى أو ضمير ملتزم ومتزمت يعكس التزام الأب وتزمته ، فكأنه من ناحية يكره الأب ومن ناحية أخرى يتمثله و ينزله من نفسه منزلة كبرى ، ونسمى ذلك **تناقضاً وجدانياً** emotional ambivalence ، فصاحب الشخصية التسلطية ينشأ يعانى من انقسام فى مشاعره من جهة أبو يه المتسلطين ، فهو يكرهما ويحترمهما فى نفس الوقت ، وهو موزع بين هذين الاتجاهين ، وتسلطه الذى تحصل له من المعاملة التسلطية لوالديه يعممه على كل الناس و يقسمهم إلى أبيض وأسود ، فالناس عنده ببساطة شديدة إما ضعاف متهافتون ، وإما أقو ياء أشداء ، وهو يحب الأقو ياء ويحترمهم وسرعان ما ينصاع لأوامرهم و يلتزم بها حرفياً . وهذا الاتجاه فيه يعمل عمله اجتماعياً فيقسم به الناس من حوله إلى جماعتين ، فهؤلاء أهله وأولئك أغراب عليه ، أو هؤلاء من عشيرته وأولئك أجانب ، أو هؤلاء مسلمون وأولئك مسيحيون ، أو هؤلاء من أهل بلدته أو الحى الذى ينتمى إليه أو الوظيفة التى ينتسب لها وأولئك من سواهم .

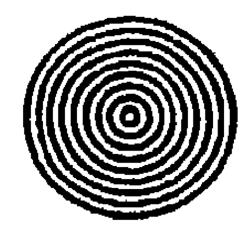
وصاحب الشخصية التسلطية يقبل قيم جماعته ingroup ، بحلوها ومرها ، وقضها وقضيضها ، و يرفض قيم الجماعة الخارجية outgroup مهما كانت لها حلاوة أو فائدة ،

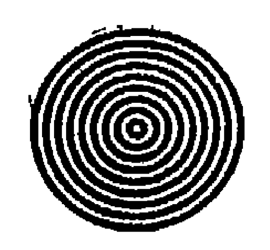
فعادتنا وأعرافنا هي الصحيحة ، وعادات وأعراف الأغراب خطأ . وعلى عكس ذلك تماماً صاحب الشخصية غير التسلطية الذي ينشأ فى جو عائلى ليبرالى ليس فيه أبوان متسلطان ، وتسير الأمور فيه بالمحاجة ، فالولد أو البنت قد يتناقشان أو يناقشان الأبوين فيما يطلبانه منهما ، وقد يوجهان العتاب للأبوين أو يلومانهما حول قضية من القضايا ، وقد يأخذ الأبوان بما يقترحه الأولاد ، ولا يعانى الطفل فى هذا الجو الصحى كبت أية مشاعر سلبية لأنه إذا كانت لديه منها شيء فإنه يصرح بها ولا يختزنها ، فالتناقض الوجدانى لا يعرفه ، وليس له أن يصنف الناس بالتالى إلى أناس يكرههم وأناس يحبهم ، وهو لا يلونهم تبعاً لذلك بحيث يكون فريق أبيض وفريق أسود ، و يتعامل مع الجميع بالتسامح ، ولا يذهب مذهب التسلطى ، فيقبل كل ما يمت بصلة لجماعته على حساب الجماعات الأخرى ، ولا يتعصب لأى فريق ، وحاله كحال الرياضى الذى يستحسن اللعبة الحلوة سواء كانت من فريقه أو الفريق الآخر. **والسؤال الآن : كيف تكون أحلام أى منهما ، وهل يختلف مضمونها اختلاف الشخصيتين ؟ وهل نستطيع من ثم أن نميز غير التسلطي من أحلامه ؟ وهل من الممكن أن نفيد من ذلك فنستخدم الأحلام كوسيلة قياس للشخصية فيكون تحليلنا للحلم بمثابة تحليل للشخصية الحالمة ؟**

ولقد كانت هناك تجارب معملية ودراسات مستفيضة (Attiudes and Dreams Meer, S.: Authoritazian) حول هذا الموضوع ، وجمعت زملة أحلام من أعداد كبيرة من شباب الجامعات من الجنسين ، وجرى استفتاء واستقصاء حولها ، ودرست الأحوال العائلية للمشتركين ، وتأكد بما لا يدع مجالاً للشك أن التعصب للأسرة وللأهل دأب التسلطى فى أحلامه ، وأنه مع الأغيار يظهر العداء . ونحن جميعاً لا نعاين العداء إلا مع الأهل والأقارب والأصدقاء والأزواج والزوجات والأولاد ، ولكننا نكتم هذا العداء فالمفروض أن لا نظهره ، ونحاول أن نطامن منه لكى نبقى القلق الذى يتسبب فيه فى أقل الحدود . وأما بالنسبة للأغيار فلا مجال لكى نحتك بهم ، **فما الداعى لأن نظهر لهم العداء ونحن أصلاً لا نعرفهم ولم تكن لنا تجربة بهم ؟** والأمر مع التسلطى أنه يزيح هذا العداء من أسرته أو جماعته **Ingroup** إلى غيرهم ، و يسقط غيظه منهم على من سواهم ، و ينقل ما يشعر به من مشاعر سلبية إلى الجماعات الأخرى الأقل شأناً من جماعته والأدنى مكانة ، ومن ثم تجده يناصبهم العداء بدعاوى من ديانتهم المختلفة أو عرقهم المتباين ، ونعرف أنه كانت هناك بحوث مستفيضة توفر عليها علماء أجلاء على التسلط وعلاقته بالأقليات . وأما غير المتسلط فالشأن معه مختلف ، فهو لم يشب بحيث يفرق بين الناس من حيث هذا من أهله وذاك من الأغيار ، ولم يعرف تصنيف الناس إلى أبيض وأسود ، لأنه كان دائماً يجهر بالعدوان إذا استشعره ، و يناقش و ينفس عما يعتلج فى صدره أولاً بأول ، فلم يكظم ولم يقمع ولم يكبت ، ولم يضطر أن يزيح ما يرين على صدره إلى المستضعفين من

حوله . والميزة فى الأحلام أنها مجال للتفريج عن النفس عما يلم بها من أدران أثناء النهار، ولذلك فإن المتسلط يتوجه بعدوانه بالنهار و بالليل إلى الأغيار، وكلما زاد ما يخترنه من عداء لأهله كان الزخم المعادى الذى يظهره فى النهار أو فى المنام للأغيار. والمشكلة أننا قد لا نجد من نسقط عليه مشاعر السخط بالنهار، ولا نجد إلا المنام، نوجهها فيه إلى أشخاص لا نعرفهم، وما من سبيل إلى تبين حقيقتهم، لنتخفف بهذه الوسيلة من القلق المصاحب لاختزان العداء، والذى يقض مضاجعنا إن لم ننفس عنه فى أشكال السلوك العدوانى خلال الأحلام .

والمتسلط وغير المتسلط كلاهما يكون رقيقاً ولطيفاً مع أهله فى الأحلام، والفروق بين الاثنين هو فى درجة ما يظهرانه من العداء لغير الأهل، وهو المجال الذى نستطيع به أن نتبين هذا البعد التسلطى من أبعاد الشخصية بتحليل أحلامهما، وتحليل الأحلام وسيلة من ثم هامة وصادقة للكشف عن ديناميات مختلف الشخصيات .





الباب الثالث

الأحلام كاشفة للقلق

« أحــلام الفصاميـــن والمذهونيـــن وغيرهـــم »

لا توجد سن معينة تكون فيها أحلام القلق ، وحتى الأطفال تكون لهم أحلام قلق ، والثابت أن الأحلام غير السارة التى نحلم بها أكبر من الأحلام السارة . ولكل سن على عكس ذلك موضوعات تتسبب فى أن يكون الحلم غير سار ، ففى الأطفال **من سنة إلى أربع سنوات** تكون موضوعات أحلامهم الحيوانات ، ومع تقدم السن تكون الأحلام غير السارة ، بسبب ما فيها من أغراب وأشكال مجردة غامضة تثير المخاوف وتبعث على القلق فى السن **من الخامسة إلى الثامنة ،** فإذا بلغ الطفل **التاسعة وحتى الثانية عشرة** يبدأ يحلم أحلاماً مدارها نفسه وما يكدره منها . ولقد ثبت أن **الطفل صحيح البدن** تقل أحلامه عن الطفل المعتل البدن ، وأن الأحلام تأتى الأطفال مصاحبة للتوترات الانفعالية فى النهار . وكان فرويد يقول إن **أحلام الأطفال أقل من أحلام الكبار** لأن رغبات الأطفال أقل ، والأحلام تعكس الرغبات ، ومن ثم تكون أحلام الأطفال أقل . وثبت أيضاً أن الفترات التى يتخفف فيها الوعى وتتوسط المسافة بين اليقظة والنوم العميق أقل عند الأطفال منها عند الكبار ، ولعله لهذا السبب أيضاً تقل أحلام الأطفال عن أحلام الكبار بالنظر إلى أن الأحلام تقع فى تلك الفترات السابقة المتميزة بالنوم الخفيف .

وعند مناقشة مسألة **علاقة الأحلام بالاعتلال النفسى والعقلى** نواجه بصعوبات التصنيف والمواصفات التى ينبغى أن تكون لمختلف الأحلام لنضمها فى هذا الصنف أو ذاك . وكان شتيكل يقول إن كل حلم يحلل نفسه ، و يصنف نفسه ، غير أنه بالنسبة للمحلل الحساس للفروق بين الأحلام سيجد الأمر شاقاً ، إلا أننا بشكل عام **نستطيع فعلاً أن نميز الشخصيات المعتلة من أحلامها ،** فالأحلام مرايا القلق ، فإذا كان القلق بالشخصية السيكوباتية مثلاً ، التى يعانى صاحبها من مشاكل اجتماعية ، فإن الأحلام تعكس مشاكل التوافق . وإذا كان القلق بشخصية يعانى منها صاحبها من عدم النضج الانفعالى فإن عدم النضج هذا تراه فى أحلامها كاشفاً للتجارب الخاصة جداً التى تنفرد بها هذه الشخصية .

وعموماً فإن الشخصيات المعتلة كالشخصيات السابقة التي تشكو العصاب أو الاعتلال النفسي أو الاجتماعي ، أو تعاني الاكتئاب أو الصرع ، أو حتى الصراع النصفي أو الفصام ، فإن أحلامها من نوع **الكوابيس** nighmares تتسم بالمخاوف ، وتتميز بأنها أحلام ملونة ، وفيها إحساس غامض بفقدان الشخصية ، وعجز عن التفرقة بين ما هو من الأحلام ، وما هو من الواقع ، فالأحلام تختلط بالواقع ولا يميز الحالم إن كان يحلم أو يعيش الواقع . وإننا لنلاحظ مثلاً أن **الشخص السوى تكون أحلامه عن الناس ، بينما تفتقد أحلام العصابى وجود الناس فيها** . وتحفل أحلام هؤلاء الناس المعتلين بتخيلات العنف والإيذاء والإصابة وفقدان الأعضاء والموت . وهناك اختلافات هائلة في الرموز الظاهرة في أحلامهم عن أحلام الأسوياء .

وإليك أمثلة أحلام لأشخاص يشكون الاعتلال ، وأربعة أحلام لأسوياء لتسهل المقارنة :

١ ــ الحالم سوى : حلمت بما كان بيني و بين الفتاة التي كنت قد خطبتها وفسخت خطبتي لها ، ورأيت ما كان بيننا من أوقات سعدنا فيها معاً ، والصور التي أخذناها ، والأفلام السينمائية التي شاهدناها معاً ، والأحاديث التي كنا نتبادلها .

٢ ــ الحالم سوى : حلمت أني ركبت السيارة العامة وإلى جانبي جارتنا التي تسكن الشقة المقابلة .

٣ ــ الحالم سوى : حلمت بمباراة كرة القدم التي سأحضرها يوم الجمعة ، وأننا كسبنا المباراة ، وكان الناس يهتفون باسمي ،

٤ ــ الحالم سوى : حلمت أني عدت إلى البيت فوجدت زوجتي مريضة .

٥ ــ حالة هستيريا وعدم استقرار انفعالي : أحلم يومياً تقريباً بأبي وجدتي لأمي ، وأبي كفيف وأنا دائم الحلم به .

٦ ــ حالة هستيريا نسيانية وعدم استقرار انفعالي : حلمت أني أنتظر دوري لأتوجه إلى البيت ، ولم أكن قد رأيت أسرتي لمدة طويلة ، ورأيت شخصاً يجلس على طفلتي الوليدة فيكسر ضلوعها وتنقل إلى المستشفى . هذا كل ما أذكره من الحلم . كنت مفارقاً لأسرتي ولي زمن ، وفي صبيحة يوم الحلم سافرت إليهم .

٧ ــ حالة هستيريا حسية وتوهم مرض : حلمت أن أمي تموت ، وكنت أراها ترقد على سرير ، واستيقظت والعرق يتصبب مني .

٨ ــ حالة هستيريا وبوال ليلى مستمر: عندما أنام أرى أحياناً أحلاماً ملونة ، يكون فيها كل لون وحده ، ثم تبدأ تتداخل وتدور وتدور لدقائق ثم تختفى .

٩ ــ حالة هستيريا قلق مع وساوس وفرط اعتماد : كنت أطير فى الهواء دون سند ظاهر، وكنت أحلق فوق جمهور كبير، ثم قابلت امرأة جامعتها .

١٠ ــ حالة قلق مزمن : كان آخر حلم لى حلمته هو أنى قد استدعيت مرة أخرى للتجنيد ، وأنى تركت لذلك زوجتى وطفلى ، وكنت فى شدة الغضب ، وانضممت لفرقتى وكنت أتمشى وحيداً عندما انهار بى جرف فاستيقظت .

١١ ــ حالة قلق مزمن : حلمت أن ذئاباً وكلاباً وقططاً متوحشة تأكل من لحمى وقاربت أن أموت .

١٢ ــ حالة قلق حاد مع اكتئاب : حلمت أنى كنت أقاتل رجلاً معه سكين فى يده كان يحاول أن يضربنى بها ، وكان على وشك أن يصيبنى عندما استيقظت .

١٣ ــ حالة قلق حاد مع اكتئاب : حلمت أنى كنت أركب دراجتى وصدمتنى سيارة . وكسرت ساقى .

١٤ ــ حالة قلق حاد مع اكتئاب وخوف مرضى من الإصابة بالسل : حلمت بأمى التى ماتت من خمس عشرة سنة ، وأختى التى ماتت من عشر سنوات ، وأخى الأصغر وهو ما يزال حى وسنه سبع عشرة سنة ولكنه فى الحلم كان كسيحاً ويجلس فى حجر أمى .

١٥ ــ حالة اكتئاب صاحبها له شخصية دورية : كان كل شىء فى الحلم مشوهاً ، بعض الناس لهم سيقان وأذرع و بدون رءوس ، و بعضهم لهم رءوس و بدون أذرع .

١٦ ــ شخصية سيكوباتية : كل ما أذكره من الحلم أن الطائرات كانت تقذف المدينة بالقنابل .

١٧ ــ شخصية سيكوباتية : حلمت أنى راهنت فى سباق الخيل وكسبت مالاً اشتريت به بيتاً وتزوجت وأثثت البيت .

١٨ ــ شخصية سيكوباتية لواطية : حلمت أن زميلى فى العمل مثلى .

١٩ ــ شخصية سيكوباتية معتلة اجتماعياً : حلمت أنى فى البرارى نصطاد ، كانت الحيوانات تكلمنى وأكلمها ، فاستدرت نحو رفاقى أضربهم بالنار وأحذر الحيوانات منهم .

٢٠ ــ شخصية سيكوباتية لواطية ومكتئبة : حلمت أنى عريان والناس تجرى خلفى

تحاول الإمساك بى ، وكلما ركضت كانوا يقتربون منى أكثر، وكان ما يضايقنى هو أنى عريان . وعندما كادوا يمسكون بى استيقظت .

٢١ ـ حالة فصام مبكر: حلمت أنى حققت كل ما أصبو إليه ، وصححت أخطاء الناس ، وكونت نظريات ، وصوبت نظريات ، وأنجزت فى مجالى ما لم ينجزه الأوائل ، ولم يجرؤ أحد أن يخطئنى لأنه لم يكن يوجد من هو مثلى .

٢٢ ـ حالة صرع ذاتى المنشأ : حلمت أنى انحبست فى حجرة ولا استطيع الخروج منها .

وتبين من الدراسات المختلفة أن **أحلام المصابين بالصرع مخيفة ولها طبيعة شهوانية** ، بينما **أحلام المصابين بالهوس** تتسم بالغرابة ، **والأحلام فى العتة** لا اتساق بينها ولا يمكن أن تجمعها ، وتهرب أفكارها أثناء السرد ، **وفى الملانخوليا** تكون الأحلام بشعة ، **وفى الهوس** تكون مبهجة ، **وأحلام المخمورين** عبارة عن هلوسات تختلط فيها اليقظة بتخيلات وأوهام فيها الحيوانات ، وتشبه **أحلام الحشاشين ومتعاطى الأفيون والمصابين بالعصاب الهستيرى** ، ويحرص **المصابون بالفصام** على أن لا يبوحوا بأحلامهم وكأنها من الأسرار الخاصة ، إلا أنها عموماً كأحلام غير المفصومين من حيث أن الرقابة الحلمية تمارس فيها ، وفيها الرمزية وكل الحيل الحلمية ، ويمكن أن تكون عدوانية أو جنسية . وإليك هذا **الحلم لمصابة بالفصام الهيبفرينى** ولها ثلاث سنوات بالمرض عندما حلمت حلمها هذا :

حلمت أنى فى بيتنا فى البلد ، وأن بقرتنا مريضة وتسهل ، وذهبت أطببها ، ولكننى وحلت فى الروث فى مدخل الزريبة ، وجاءت أمى توبخنى لأنى وحلت ، واستيقظت من نومى فزعة .

والحلم فى ظاهره عادى كأى حلم لأى واحد منا ، غير أننا لو دققنا فيه فسنجد صورة لتقدم المرض بها ، وأنه يعكس حالاتها وصراعاتها ، فأمها فى الحلم تظهر مرتين ، عندما توبخها ، وعملها هنا هو عمل الأنا الذى يدفع عنها دوافعها الشهوانية التى يصفها بأنها وحل وروث ، و يقول عنها إنها والغة فيها ، والبنت لا تترك أناها يقول ذلك فهى ترد له الصاع بأن تجعل البقرة مريضة وتحتاج لها ، والبقرة هى الأم التى تمثل الأنا الموبخ ، وكأن المريضة تتمنى لأمها المرض نكالاً وعقاباً لها .

وهذا حلم آخر لها بعد عدة سنوات :

كانت هناك امرأة مستلقية على ظهرها وترفع ساقيها لأعلى وفوقها رجل تحملانه ، ووجدتنى آخذ مكان المرأة ، و يتحول الرجل الراكب إلى أبى ، ثم هبط فوقى وصنع أشياء غير مؤدبة .

والتقدم فى المرض لا يجعلها تستشعر مدافعة الأنا هذه المرة فالحلم واضح وليست فيه رمزية ، ورغباتها تطغى عليها ، وليس ذلك سلوكها فى اليقظة ، الأمر الذى يقطع بأن الفصام يعمل عمله فيها .

وهذا حلم لفتى فى العشرين قبل أن يهاجمه الفصام :

كنت أبني بيتاً له شرفتان تتسلقهما أشجار الورد . وظهر رجل غنى يريد شراء البيت ، ولم أقبل بيعه بأقل من مليون جنيه .

وبعد سنة من الإصابة بالفصام وخلال فترة من الإبلال حلم بنفس البيت ، ولكن اللصوص جاءوه هذه المرة فى الليل واقتحموا البيت ، فدافع عنه فأشعلوا فيه النار ليضطروه إلى الهرب ، واستيقظ من الحلم فى شدة القلق . وبعد سنتين من هذا الحلم ، وبعد هجمة أخرى من المرض حلم بحرب تدور بينه وأعداء كثيرين ، واختبأ خلف البيت السابق ، وكان يضرب فى المليان فى الأعداء من مخبئه ، وكانت مذبحة . ثم بعد سنة أخرى وقد تقدم به المرض جداً حلم الحلم التالى :

حلمت أنى أضاجع امرأة جميلة ، وجاء زوجها وقاتلنى فقتلته وألقيت بجثته من النافذة . وقاتلت الشرطة لما جاءوا يقبضون علىّ وصرعت منهم عدداً كبيراً . ونزلت الدرج وخرجت إلى الشارع أعمل تقطيعاً فى الجثث الملقاة ، وكنت أشعر أنى أريد المزيد .

ونرى أنه فى هذه الأحلام لما كان سليماً كان الأنا يخفى الرغبات بالرموز ، والحالم نفسه فسر البيت بأنه بيت أمه ، ثم قال إنه يرمز للأم نفسها . وهو يقبل أن يمتلك البيت أبوه متمثلاً فى الرجل الغنى بديل الأب ، ولكنه بعد أن يتداعى بالمرض لا يصبح هناك مجال لمهادنة الرجل وهو الأب و يقاتله على الأم . والبيت نفسه تشتعل فيه النار لأنه صار يجد أن تمسكه به خطر عليه ، ولذلك يهرب منه ، ولكنه فى الحلم الذى يليه لا يهرب ولا يخاف ، وتتحول عدوانيته إلى شراسة لا ترتوى أبداً .

وهكذا تكشف الأحلام اضطرابات الفصامى بأكثر مما تكشفها اليقظة التى تحيط شخصيته بواجهة خادعة . ولقد رأينا كيف تتداعى وظائف الأنا الكابتة و يتهافت الضمير بتأثير المرض حتى لا يبقى منها شىء مع تقدمه . ونلاحظ ذلك فى زملة الأحلام ، بتدرج الضعف بالرقيب الذى ربما كان قبل هجمة المرض شديد التزمت . ونتيجة لذلك تظهر الدوافع اللاشعورية للمريض ظهوراً مبكراً نسبياً ، وتتعارض مع أخلاقياته وتوجهه الواعى ، ولذلك تتسبب له فى الكثير من القلق الذى يدفعه إلى أن يحلم أحلامه هذه المميزة . و يستمر التدمير فى الشخصية يعمل عمله إلى أن يسمح بأبشع الدوافع أن تظهر سافرة دون قناع أو ترميز . ولا يصبح هناك

ظاهر للحلم و باطن ، بل يتطابقان . ويحدث ذلك للأصحاء إلى حد ما فى أحلامهم ، حيث يعمل الرقيب عمله فى اليقظة ، فإذا تدنى الوعى مع النوم فإن الضمير يكون أقل تشدداً ، غير أنه مع مرضى الفصام يتداعى الضمير بالكلية ، ولا يكون له عمل فى الحلم حيث تنعدم الرقابة عليه ، وتظهر الدوافع سافرة ، ورغم أنها دوافع لا يقرها المريض فى الواقع إلا أنها لا تعود تستولد فيه إلا أقل القلق من الأنا ، وربما لا يكون هناك قلق البتة .

ولقد تبين بالإضافة إلى ما سبق أن الأحلام عند المرضى بالفصام تختلف فى طبيعتها باختلاف المرض بحيث يمكن أن تساعدنا الأحلام نفسها فى تشخيص نوع الفصام ، فمثلاً تكون للأحلام عند المرضى فى الأطوار المتأخرة من الفصام الهيبفرينى طبيعة جنسية ، بينما تكون لها طبيعة عدوانية فى الكتاتونيا ، وتكون نرجسية لواطية فى البارانويا .

والأحلام فى العصاب غيرها فى الذهان ، وأحلام المذهونين سادية الطابع وأكثر عنفاً . ومع تقدم المرض فى الذهان تكون الأحلام أكثر سفوراً وصراحة بدون أقنعة ولا رموز ، فإذا كانت هناك فترات إبلال تتخلل المرض فإن المحتوى الحلمى يتغير بحيث تزيد الرمزية قليلاً ولكنها الزيادة التى لا تجعل حلم المذهون كحلم السوى .

ونلمس هذا التغير فى طبيعة أحلام المرضى بالصرع ، فقبل النوبة قد تأتى أحلام المريض فتكون لها طبيعة سادية وتظهر الأشكال فيها مخيفة ، فإذا انتهت النوبة فإن المريض إذا واتته الأحلام فإنها تكون أحلاماً من نوع لطيف مبهج ، ولا تكون هناك أحلام بالمرة فى ليالى النوبة .

ونلاحظ على أحلام مرضى الفصام أنها تستعرض ماضيهم والحاضر وتستشرف المستقبل ، ولا تعكس أية رغبات . وهذه الميزة فى أحلامهم من حيث أن المريض يكون كما لو كان يتأمل تطور مرضه ويمعن الملاحظة لحالته تجعل بعض العلماء يطلق على أحلام المفصومين اسم **الأحلام الملاحظة** endoscopic dreams ؛ . وتفيد هذه الميزة فى تشخيص المرض عندهم ، لأن الفصام ربما كان هو الاعتلال الوحيد الذى تكون أحلام المرضى به لها هذه الصفة الاستعراضية لمراحل المرض وشكاوى المريض الحاضرة ، وكأن المريض يلاحظ نفسه فى أحلامه . وهذا الحلم من هذا القبيل ، وصاحبته شابة متزوجة :

حلمت أنى رأيت خسوف الشمس ، وكانت الدنيا كما لو كان ستار من الظلام قد انسدل عليها . ورأيت أنى أسير فى شارع مزدحم بالناس والسيارات ، والسيارات تكاد تصدمنى إلا أنها كانت تتجنبنى فى آخر لحظة ، وشعرت بدوخة وفقدت الوعى ، ثم وجدت نفسى فى بيت ريفى ، وكأنه مضاء بمصباح غاز ينشر نوراً خفيفاً .

والمريضة كما نلاحظ تتدرج بها الحالة فى الحلم ، وتمر بحالات يتفاوت فيها شعورها بوعيها ، و يبدو أنها فى أول الحلم غيرها فى وسطه ، ثم تظهر كما لو كانت ظروفها تتحسن ، وهذا الأنباء بالتحسن يقع لها فعلاً بعد فترة بحيث أنها استطاعت أن تستأنف حياتها . والإنباء ميزة من ميزات أحلام المرضى بالفصام وكذلك المرضى بالذهان العضوى بحيث تخبر الأحلام عما سيؤول إليه حال المرضى فى القريب ، وخاصة مرضى الشلل . وفى حالة مرض كورساكوف قد تخبر أحلام المرضى بنوع الذهان فتكون لها طبيعة جنسية مشاعية وتنتهى بالإمناء . وكذلك بوسعنا أن نتبين فى أحلام المرضى بتصلب شرايين المخ اتجاهاتهم الشرجية .



«لمـــاذا ننســـى الأحـــلام»

كثيراً ما نحلم ونذكر أننا قد حلمنا ، ولكننا لا نستطيع أن نروى ما حلمنا به إذا طلبوا منا ذلك ، ولربما ننسى الحلم بالكلية ، أو قد ننسى بعض التفاصيل فيه ، أو قد ننسى كل التفاصيل سوى أننا قد حلمنا . وربما قد نذكر من أحلامنا شذرات لا غير ، أو قد نذكر الحلم تفصيلاً عند اليقظة من النوم ، فإذا أوغل النهار وطلب منا أن نروى الحلم من جديد فقد لا نستطيع ، أو قد لا نتذكر منه إلا النذر اليسير . وصار شيئاً عادياً أن يقول الواحد **أنه يحلم ولكنه لا يذكر من أحلامه شيئاً .**

والنسيان الذى ينسحب على الأحلام ينسحب أيضاً على كل ما نفكر فيه أو ندركه أو نحس به ، **فإذا أردنا أن نلم بأسباب نسيان الأحلام فعلينا أولاً بأسباب النسيان عموماً .**

ونحن ننسى المدركات أو الأفكار أو الأحاسيس **إما لضعفها أو لقلة التهيج النفسى المقترن بها .** ونحن أيضاً ننسى الصور الحلمية **لأنها أضعف** من أن **تحتفظ بها ذاكرتنا** ، ولكننا نلاحظ أيضاً أننا نتذكر أشياء تافهة وننسى أشياء كان يجب أن لا ننساها ، وبالمثل فى الحلم فإننا قد نذكر منه صوراً ضعيفة الأثر باهتة **وننسى صوراً أشد قوة .** وأيضاً فإننا ننسى فى اليقظة ما يحدث لنا مرة واحدة ونذكر ما يتكرر . ومعظم ما نراه فى الأحلام **صور لا تتكرر،** فإذا تكررت فإننا نذكرها ، تماماً مثلما حدث لفرعون يوسف حين رأى حلمه يتكرر لمرات و يلح عليه فما عاد ينساه . ونلاحظ أن حلم فرعون له اتساق بحيث تنتظم فيه أجزاؤه فى وحدة من نوع مناسب ، وهذا ما يجعل الحالم لا ينسى حلمه ، فأما لو رأى أجزاء الحلم وصوره متفرقة كأنما هى عبارة قد انتشرت كلماتها وتبعثرت فإنه لو يحاول تذكرها فلن تسعفه الذاكرة لأن من شأنها

ألا تـذكـر إلا مـا كـان منتظماً فى تأليف واحد بحيث يكون له أى معنى . وأحلامنا من هذا القبيل ، فإن التنسيق يعوزها غالباً وتفتقد المعقولية ، ومآلها لهذا السبب إلى النسيان .

والأحلام إذا ارتبطت بحياة اليقظة واستحضرتها فى النوم ، فإننا قد نذكرها لأنها لصيقة بمشاكلنا وهمومنا ، وبالناس الذين نعرفهم وقد نعاديهم و يعادوننا ، فما مس من الأحلام أوتار حياة اليقظة يبقى فى الذاكرة لأنه يتعلق بأذيال ذكريات حياة اليقظة و يتصل بها ، فما نذكره منها نذكر أحلامنا المرتبطة به ، كالشىء بالشىء يذكر. ونحن فى اليقظة إذ نصحو من النوم تهجم علينا الحياة الحسية بحيث تشد إليها انتباهنا فتصرفنا عن كل ما ليس منها ، **ولا يبقى فى الذاكرة إلا الصورة الحلمية التى لها قوة الثبات أمام طوفان الأحاسيس والأفكار التى تشملنا وتطوقنا وتلهينا عما عداها .**

و بعض الناس يعتاد أن يذكر أحلامه ويهتم بها ولها ، فتراه يحلم لذلك كثيراً . و بعضنا قد يتفاءل أو قد يتشاءم من الأحلام ولكنه يطلبها إذا نام ، و يدعو من الله أن يأتيه فى المنام ما يشير عليه بشىء معين أو تصرف من التصرفات ، وهؤلاء يكثرون من الأحلام ، و بعضنا لا يهتم البتة إذا ما حلم أو لم يحلم ، وهو بالقطع يحلم لأنه ما من أحد إلا ويحلم ، ولكنه لا يذكر أنه حلم ، **لأنه لا يريد أن يذكر أحلامه** و يسقطها سريعاً من ذاكرته و يصرف عنها انتباهه ، و يعتاد ذلك حتى قد لا يذكر أنه حلم يوماً من الأيام .

و بعضنا قد يعيبه أن يذكر أحلامه بالنظر إلى أنه قد يصحو من نومه ، إلا أنه **ليستكمل حالة اليقظة يلزمه الكثير من الوقت ليعيد ترتيب مقومات يقظته** ، و ينتقل من حال النوم إلى الحال الجديدة ، وأثناء ذلك قد يسدل النسيان ستاراً على أحلامه ، وتضرب الشواغل المستحدثة جداراً بين اليقظة وشواغل النوم .

والحلم إذ نحاول أن نتذكره يلزم أن نستحضر أحداثه وصوره ونرتبها الترتيب الذى يجعلها معقولة ، **وهذا الترتيب ربما لا يكون هو نفسه ترتيب الحلم** ، إلا أنه ليترجم الذهن الصور إلى كلمات لابد أن يرتبها ، وأحياناً قد يستحيل هذا الترتيب على البعض فينسى بسرعة .

والحلم عندما نحاول أن نتذكره فقد تسعفنا الذاكرة ببعض من صوره ، وقد لا تسعفنا بها ، وكما يحدث فى الذكريات العادية فقد نلجأ إلى **التلفيق** عندما تتباطأ عنا الذاكرة ولا تسعفنا بالمادة المطلوبة . والذاكرة يجرى عليها النقد ، وما لا يعجبنا قد نغفله من صور الحلم ونسقطه من الترجمة ، و يتم ذلك كله من غير أن نعى أن ذلك يحدث فعلاً ، ومن غير أن نشعر أننا قد أغفلنا أشياء ، وتغافلنا عن أشياء ، ولفقنا أشياء . والأحلام التى نذكرها لا يمكن أبداً أن تأتينا على هذا الترتيب والتنضيد ، فهذا الشكل الذى تكون عليه هو فعل العقل الواعى ، **والعقل الواعى**

يضيف هنا وهناك ، و يستكمل النقص و يسد الثغرات ليخرج الحلم على الكمال الذى نرى به حلم فرعون يوسف مثلاً .

والطريقة الوحيدة لكى لا ننسى الحلم هى أن نسرع بكتابته فور اليقظة ، وكما تسعفنا به الكلمات ويجئ على ألسنتنا دون أقل إبطاء ، فإن لم نفعل فإن النسيان سرعان ما يعمل تأثيره فى الذاكرة ، وقد ننسى الحلم بالكلية ، أو قد ننسى منه أجزاء ، ولا تثريب على ما ينسى بالكلية ، فأما أن ننسى أجزاء ونذكر أجزاء فذلك هو الذى ينبغى أن نحذره ، لأننا عندئذ سنحاول دون قصد ولا وعى أن نستكمل النقص ونسد الثغرات ونؤلف من الأجزاء المتناثرة كلاً واحداً له نسق وحبكة ، **و يصير كل منا حينئذ كالفنان يؤلف حلمه ، ويجهل أنه يفعل ذلك** . ولقد ثبت أننا فى كل مرة نروى فيها الحلم نضيف عليه أو ننقص منه ، ومع تكرار الرواية المؤلفة للحلم أو الروايات بالأحرى فقد نصدقها نحن أنفسنا ، ونهتم بها ولها ، ونعلنها بحسن نية كما لو كانت هذه الرواية هى فعلاً التى وقعت لنا .

ولقد قيل دائماً إن الحالم هو مبدع الحلم لأنه **أولاً** من يقع له الحلم ، وهو شاهده **ثانياً** ، وهو راو به **ثالثاً** ، والحلم يكون صوراً وروايته ترجمة للصور إلى اللغة ، وفى الترجمة تكون عمليات منطقية فيها التقديم والتأخير، والربط المنطقى الذى لا وجود له فى الحلم ، **وبعض الناس لا يتيسر لهم ذلك** ، ولا يتقنون رواية الأحلام ، ولا يفكرون فيها من ثم لأنهم لا يستطيعون ، ولأنهم يعجزون عن هذه العملية . ولقد قيل إنه بين كل عشرة أحلام تسعة على الأقل لا معنى لها ، ونحن فى الأحلام نربط بين أناس وأشياء لا تحمل أقل رابطة بينها ، و ينقلب المنظر عدة مرات فى لمح البصر كأننا فى سينما ، فإذا نحن أمام مجموعة أخرى أشد غرابة وأفرغ فى المعنى من سابقتها ، ويمضى الحلم ونحن نائمون فإذا استيقظنا فقد لا نملك إلا أن **نقول أى جنون هذا** ، وسرعان ما نسدل عليه النسيان .

وثمة سبب آخر لنسيان الأحلام هو أنها **تظهر ما لا نود مصارحة أنفسنا به ، وبعضها يكون لا أخلاقياً** لا نرضى أن نرويه ونرفضه بشدة حتى أننا لنسقطه من حسابنا فوراً ، وفى الحلم ينكشف الإنسان لنفسه كله على ما ولد عليه بخيره وشره ، وعريه وعوزه ، وما نكاد ننام وتخف رقابتنا على أنفسنا بتدنى الوعى حتى نصير ألعوبة لجميع الانفعالات التى تأباها ضمائرنا ونحن أيقاظ وترفضها معانى الشرف والقيم الأخلاقية التى ننشأ عليها . **والذى ينكشف فى الحلم هو الإنسان الغريزى** ، والإنسان عندما ينام يعود إلى الفطرة ، **والأحلام هى تفكير الفطرة** ، وكلما قل تأصيل الأفكار المكتسبة بالتربية والثقافة وقل ترسيخها فى النفس والعقل زاد احتفاظ النوازع المخالفة لها بسلطانها عليه فى الأحلام ، ومن أجل ذلك قد ننسى أحلامنا متعمدين أو على غير وعى منا . **وبعض الأحلام قد يثير تذكرها القلق فينا وقد يستحدث مخاوف** لا نحب أن نستحدثها فنسدل ستاراً من النسيان عليها . وهذه النوازع المرفوضة ، وهذا

الألم الذى تستحدثه بعض الأحلام كما فى الكوابيس مثلاً ، وتلك المخاوف التى قد تفزعنا فى أحلامنا ، قد تسارع بعملية النسيان هذه .

وفى الكوابيس مثلاً عند الأطفال قد يستيقظ الطفل من النوم مفزوعاً فإذا طمأناه فقد يعود سريعاً للنوم ، وقد نسأله فى الصباح عن حلمه فنجد أنه لا يذكر منه شيئاً البتّة . وكل تلك العوامل السابقة هى التى تستحدث أيضاً التشويه فى الأحلام ، وهى التى تظهرها بمظهرها اللامعقول الذى يجعلنا نستنكرها عليه ونصفها من أجله باللامعقولية ونسقطها من حسابنا .

والآن ، وبعد كل ما سبق ، فماذا يتبقى لنا من الحلم يمكن أن نعتمد عليه ونرى فيه أنفسنا ونأتمنه على أن يكون وسيلة صادقة نحلل به شخصياتنا ونعرف منه اتجاهاتنا ؟

لقد عرفنا أن ما يتبقى من الحلم ، أو ما نذكره منه ، لا يمكن التعويل عليه طالما أن الذاكرة التى تخرجه إلينا وترويه علينا ليست مؤتمنة هى نفسها ، وتعجز عن استبقاء الأحلام كما هى ، وربما تضيع منها أهم أجزاء محتوى الحلم . ولربما نبدأ فى سرد أحد الأحلام وسرعان ما نعلن أسفنا أننا لا نستطيع أن نكمل السرد لأننا لم نعد نذكر رغم أنه واضح فى أذهاننا أننا حلمنا أثناء النوم ، وحلمنا أحلاماً كثيرة أيضاً . وقد لا نذكر إلا شذرات ، وحتى هذه قد يأتى تذكرنا لها من غير يقين . وقد نشك أن تذكرنا ليس فقط هو تذكر مجتزأ ، بل هو أيضاً ملفق . ولربما نشك أيضاً أن أحلامنا ليست بهذا الترابط الذى نرويه بها . **فماذا إذن يتبقى لنا من الأحلام لنستعين به فى مهمتنا هذه الكبرى — أن نعرف أنفسنا من خلالها ؟**

ونسارع فنقول إنه برغم كل هذا القصور وأوجه النقص والنسيان الكلى أو الجزئى فما يتبقى من الحلم هو شىء كبير جداً ولا ينبغى أن نغفله أو نسقطه من الحساب أو نستهين به . وهذا القليل والقليل جداً المتبقى يقتضى منا أن نواليه بالتحليل ، وما قد نحسب أنه تافه وغير مهم ليس بتافه على الحقيقة ، ولا يمكن الاستغناء عنه إذا أردنا أن نحلل الحلم ونتصدى له بالتفسير حقاً . والمحلل يولى النص الحلمى كل احترامه ، حتى وإن كان هذا النص عبارة عن « **حلمت بأبى أمس** » فقط . والمحلل لا يغفل جملة أو حرفاً من النص . وقد يبدو الحلم مرتجلاً ، وقد يبدو فيه الافتعال والتصنع ، وذلك شىء طبيعى طالما أننا نستحضره فقد عرفنا ما تفعله به الذاكرة من تشويه فى الاستحضار ، ولنتنبه لهذا المصطلح **تشويه الحلم** ، **أو ما قد يبدو أنه تشويه وهو فى الحقيقة مراجعة له** . أقول مراجعة لأن الرقابة النفسية ما تفتأ تمارس عملها سواء عندما نحلم أو عندما نستحضر الحلم . وكأن هذه المراجعة تتم مرتين ، وفى المرتين تعمل عملها تشويها للحلم ، إلا أنه برغم ذلك فإن ما تسمح به يظل مرتبطاً بالمحتوى الذى حلت محله ، ويظل علامة عليه يرشدنا إليه ويجره جراً إلينا ، وقد يكون هذا المحتوى نفسه بديلاً عن محتوى آخر .

وهذه المراجعة التى أشرنا إليها ، قد يستحدثها المحلل للحلم عند الحالم ، بأن يطلب منه أن يسرد عليه الحلم مرة أخرى ، ولسوف نجد أن الحالم تختلف روايته فى كل مرة اختلافاً يسيراً ، وقد يضيف ، وقد يسقط أشياء ، وقد يستبدل كلمات بكلمات ، وقد يختلف معنى العبارات تبعاً لذلك .

ولكن لماذا قد نطلب من الحالم أن يسرد الحلم مرة أخرى ؟ ذلك ما قد نفعله عندما يستعصى علينا حله ، وعندئذ قد تلفت نظرنا هذه التغييرات ، وقد نسأله فيها . ومن تجربة فرويد وأصحاب التحليل النفسى وغيره من مدارس التحليل والتفسير للأحلام فقد تبين أن التغيير يشمل مواضع الحلم الحساسة فيجعلها التغيير تبدو تافهة وضحلة . و يتفق الجميع أنه كثيراً ما نبدأ بهذه التغييرات التى نعدها مواضع ضعف فى الرواية — ومواضع ضعف منبثة — وما نكاد ننكأها حتى نتبين أنها مثل عش الزنابير . والحالم إذ نطلب منه إعادة رواية الحلم يحرص أن يطرح روايته الثانية وقد أخفى منها — دون وعى منه — الإشارات الدالة على التفسير والتى تحل غموض المحتوى وتكشف عنه . ونسمى ذلك مقاومة نفسية تعترض رواية كل حلم . وهذه المقاومة هى التى تفرض الرقابة الصارمة على الحلم أن يظهر مضمونه صريحاً ، وهى المسئولة عن التشويه الذى أسلفنا القول فيه والذى يتعرض له محتوى الحلم مرة ، ثم يتعرض له تذكر الحلم ، فكأن هذه المقاومة هى المسئولة كذلك عن النسيان . وإذا كنا نتشكك أن يكون الحلم أو بعض تفاصيله قد رويناه رواية صحيحة ، فهذا الشك أيضاً مستمد من رقابة الحلم ، ومن المقاومة التى تحول دون نفاذ أفكار الحلم إلى الشعور .

والمقاومة النفسية تمارس عملها لدى تصوير الأفكار هذا التصوير الشبيه فى بعض نواحيه بالتصوير السينمائى بما يسمى **الحيل الحلمية** ، وذلك مصطلح آخر ينبغى أن ننتبه إليه وسيحين الحين أن نتناوله إن شاء الله ، ومن ذلك هذه الخدع التى تشبه الخدع السينمائية ، وهى فى مجال الحلم حيل أو خدع الإبدال والإسقاط والنقل والمسرحة والقلب ، ومن ذلك أيضاً أن تسحب الرقابة الحلمية القيمة النفسية للأجزاء الهامة فتضفيها على الأجزاء غير الهامة ، وعندئذ قد تلتبس الأمور علينا فنحسب ما هو تافه هاماً ، ونظن أن الهام تافه . وتعمل المقاومة النفسية عملها عند تذكر الحلم فتراجع الرقابة الرواية الحلمية الثانية بحيث تجئ مختلفة عن الرواية الأولى وممعنة فى تشويه الحلم وتضليل محاولة التفسير ، إلا أن هذا الاختلاف فى الرواية حرى أن ينبهنا إليه ، وهو علامة مؤكدة أننا بصدد عنصر مشتق من أفكار الحلم الممنوعة . وهذا الشك الذى قد نبديه ، مقدمين للرواية بأننا لا نعرف أن هذا هو بالضبط ما رأيناه فى الحلم إلا أنه ما يرد على خواطرنا ، هذا الشك الذى يعلن عن نفسه صراحة هو نفسه ممارسة للرقابة الحلمية بالتشكيك فى الرواية بحيث لا نعاملها جدياً ونستخف بها ومن ثم نسقطها من حسابنا . فماذا إذن نفعل والأمر على هذا القدر من التعقيد ؟ الحل هو أن نعى جيداً ، سواء كنا حالمين نروى أحلامنا ، أو معبرين نحللها

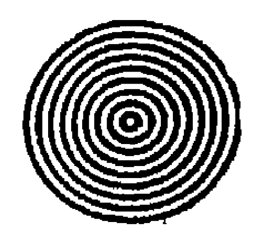
ونفسرها ، **إن كل ما يعوق سرد الحلم ، وكل شك فى الرواية ، وكل نسيان ، هو نفسه من المقاومة** . وعلينا أن نحذر ذلك ونعمل حسابه باستمرار ونكون مستعدين لمواجهته .

ولا ينبغى أبداً أن نغفل عمل الرقابة الحلمية والمقاومة النفسية . وقد يكون صحيحاً أننا ننسى الأحلام لأنها قصيرة لا تستغرق لسردها إلا أقل القليل من الكلمات وكأنها قصة قصيرة جداً ، بل وقد تبدو قصة مهلهلة أحياناً ، وغير معقولة أحياناً ، وممعنة فى الغرابة أحياناً ، وقد لا نتفرغ لتذكرها إلا بعد أن نستيقظ بزمن ، إلا أننا مع ذلك لو حفلنا بأن نجلس لكتابة ما حلمنا به ، ولو نكتب مشهداً ، أو حتى عبارة مما نذكره من الحلم ، ثم أجهدنا أنفسنا قليلاً وتساءلنا حول معنى هذه العبارة ، وما قد تذكرنا به ، أو يذكرنا به شىء فيها قد يسترعى انتباهنا ، فقد تبدأ فعلاً سلسلة تذكر الحلم كله ، وقد نبدأ ندرك تفاصيله ، وسرعان ما تأتينا التفاصيل من هنا وهناك بحيث قد يتسنى لنا من هذه الشذرات أن نعيد تركيب الحلم على نحو ما ، وكأن الحالم أو المحلل ، أحدهما المونتير يقوم بعملية المونتاج والآخر يساعده ، وهو عمل يقتضى جهداً وانتباهاً فائقين ، **ويدل دلالة مؤكدة على أن ما نسيناه هو بالأحرى ما نتعمد أن ننساه ، وما نقاوم تذكره ، لأنه قطعاً ينطوى على عنصر مهدد أو معاد أو مقلق أو مخز أو مخيف .**

وليس أدل على أن نسيان الأحلام هو نسيان مغرض يخدم أهداف الرقابة ، من أننا ونحن نسرد أحلامنا قد نتوقف فجأة لنعيد على المسامع رواية جزء أغفلناه ثم نتذكره ، وكان هذا الجزء منسياً ثم يتضح بالتجربة أنه أهم جزء فى الحلم ، إلا أنه مسح من الذاكرة كما يمسح الرقيب الجزء الممنوع من الفيلم السينمائى بسبب المقاومة النفسية عند تذكره والتى تفوق سواها من مقاومة قد تتعرض لها بقية أجزاء الحلم .

وإذن فعلينا إذا كنا نريد أن نتمرس بتحليل الأحلام أن نثابر على البلوغ إلى **الأفكار اللاإرادية** ، وهى التى تقاوم التذكر ، والتى ليس من سبب لنسيانها إلا الكبت أو على الأدق المقاومة الناتجة عنه . ولا يتم تفسير الحلم دائماً من مرة واحدة ، وكثيراً ما يستحسن بعد تدوين الحلم أن نترك تفسيره لفترة ، وقد ثبت أن الأحلام التى يستعصى تفسيرها فوراً تقبل التفسير بعد مدة من الزمن ، وذلك لأن المقاومة النفسية تكون قد خفت . وقد يكون تفسير الحلم على أجزاء أفضل ، ولنا أن نسمى ذلك **بالتفسير المتكسر** للحلم . ولربما تكون هناك عدة تفاسير للحلم الواحد ، أى يكون للحلم **تفسير مضاعف** غاب عن المفسر والأسلم لذلك أن يتناول التفسير **زملة من الأحلام** أى مجموعة منها فتفسر بعضها بعضاً ، وتلقى أضواء على بعضها البعض ، يتوجه التفسير إلى الوجهة الأصح والأكثر احتمالاً . وكان من رأى فرويد أن بعض الأحلام

تستعصى على التفسير حقاً ، وذلك صحيح لو اتبعنا المنهج بتفسير الحلم الواحد ، وليس بالمستحيل إمكـان تـفسير أى حلم لو أننا ربطناه بأحلام أخرى لنفس الشخص تبدو على قدر من التماثل فى الموضوع وتجتمع عليه فى فترة زمنية معينة .



« الحيــل فــى الأحــلام »

يقدم فرويد فى كتابه **تفسير الأحلام** نظرية تتعلق بعمل الحلم dream- work أى الميكانيزمات أو الحيل اللاشعورية التى تتحول بها أفكار الحالم المعقولة إلى صور حلمية غير معقولة فى أحيان كثيرة ، يوصف الحلم بمقتضاها بأنه يتعرض لعملية تشويه من عمل الرقابة والكبت والمقاومة التى تتعرض لها الأفكار وهى تتحول إلى صور حلمية .

ولغة الحلم إذن هى صور، وأفكار الحلم ومحتواه الذى يتضمن الصور بمثابة ترجمتين تؤديان فى لغتين مختلفتين معنى بعينه ، وكأن محتوى الحلم ينقل أفكار الحلم إلى نمط مختلف من التعبير. وهو نمط يحق علينا أن نعرف رسم حروفه وقواعد نحوه بالمقارنة بينه وبين الأصل ، ومن ثم سيسهل أن نترجم الصور مرة ثانية إلى الأفكار خلال عملية تحليل الحلم . ومن الخطأ أن نقرأ رسوم الحلم أو صوره بحسب دلالتها المصورة لا على حسب علاقتها الرمزية ، فلو افترضنا أننا رأينا فى مجلة مصورة هذا اللغز المطلوب منا حله : **منظر بيت ، وعلى سطحه مركب ، وشخص يجرى فى الشارع وليس له رأس . والرجل أكبر حجماً من البيت . وهناك حروف من الحروف الأبجدية فى زاوية من الصورة** ، فأى تفسير يمكن أن أقدمه كحل للغز قد يكون تفسيراً متعسفاً ، لأن الصورة غير معقولة ، فالمركب لا يمكن أن يعتلى البيت ، والرجل لا يمكن أن يكون أطول قامة من الاثنين ، والطبيعة لا تعرف الحروف الأبجدية . وهذا النقد الذى أقدمه لأى تفسير هو نقد له وجاهته ، وما لم نتفق على شىء أساسى نترجم بمقتضاه هذه الصورة غير المعقولة إلى أفكار معقولة فستطيش أى محاولة للتفسير. ولقد فعل الأقدمون نفس الشىء ، بأن اتفقوا على شفرة معينة يترجمون بها الصور غير المعقولة فى الحلم إلى أفكار معقولة ، فقالوا مثلاً أكل الكعك فى

الحلم ضيق ، فإن حلمت أنك تأكل كعكاً فأنت ستمر بفترة ضيق ، غير أن هذه الشفرة لم يكن هناك من مبررات موضوعية لوضعها ، وإنما تأتت بالا تفاق العام وكانت بمثابة **حكمة الآباء** ، وفرويد هو أول من هدف إلى محاولة الترجمة بموضوعية لها مبرراتها ، بحيث يمكننا أن نقول **إن محاولة فرويد تفسير الأحلام هي أول محاولة تفسير علمية.**

ويقول فرويد إن الباحث فى أى حلم سيبده أول ما يبده ، عند المقارنة بين محتوى حلم وأفكاره ، بأن ثمة عملية **تكثيف** قد أجريت على الحلم على نطاق واسع ، ولنتأمل مثلاً حلم فرعون يوسف بأن سبع بقرات عجاف يأكلن سبع بقرات سمان ، وهو حلم شديد الاقتضاب لا تتجاوز كتابته السطرين ، ومع ذلك فقد يستغرق تحليله الصفحات الطوال ، فنعرف من الملك مايشغل باله ، وما يمكن أن تمثله له البقرات ، وسنعرف أن الملك المصرى وقتها يشغله جداً أمر الفيضان الذى تتوقف عليه حياة مصر الاقتصادية والسياسية والفكرية ، واستقرار المملكة ، وكانت مصر بلداً زراعياً دائماً ، وكان المصريون ينتظرون الفيضان ليبذروا القمح ، والشطر الثانى من الحلم خاص بالقمح ، والمصريون يربون البقر إلى جانب زراعة القمح ، والبقرة عماد البيت المصرى حتى إنها قد تبيت مع الأسرة فى نفس الحجرة ، ولذلك فإن من المعقول أن يتجه التفسير إلى أن مصر قد تعانى ضيقاً بحيث أن البقر الأعجف يأكل البقر السمين ، والبقر لا يكون أعجف إلا إذا كان محصول القمح متدن ، ولا يكون المحصول كذلك إلا إذا تدنى فيضان النيل ؛ وكأن الحلم إذن يقول إنه قد يأتى على مصر سنوات تعانى فيها جفافاً حتى أن المصريين قد يأكلون كل ما ادخروه من سنوات الرخاء . وهذه الأفكار تعكس مخاوف ملك وقلقه أن يأتى العسر بعد اليسر ، **ونحن نعرف من دراساتنا النفسية أنه كلما زاد النجاح بالشخص استبد به القلق أن يعقبه الفشل** ، وحالة الرخاء التى كانت تمر بمصر دفعت الملك أن يخاف أن يزول ذلك سريعاً و يأتى الجفاف وتكون المجاعة . ولقد تعودت مصر على هذا القلق وتعيشه حتى اليوم ، ويخاف المصريون أشد الخوف أن لا يأتى الفيضان . وأما العدد سبعة فله قصة أخرى يطول شرحها بالنظر إلى المعانى الكبيرة التى له قديماً والتى شغلت بال الفلاسفة وحفلت بها آيات التوراة والأناجيل والقرآن .

وإذن فالحلم على اقتضابه قد يستغرق الصفحات عند التحليل ، وما أوردناه تحليلاً للحلم لا يعدو إيجازاً شديداً لما يمكن أن يكون عليه التحليل . والأحلام قد تتباين موضوعاتها ولكن الميكانيزمات التى تقوم عليها واحدة دائماً ، وميكانيزم **التكثيف** Condensation تحتال به الأحلام لتقول باختصار ، فى صور متعجلة ، سريالية ، ما يقتضى قوله كتابة الصفحات الطوال . و بعض الأحلام له تفسيرات مضاعفة ، و يظل هناك دائماً احتمال بأن الحلم لم يفسر التفسير الكامل ، أو أن له تفسيراً آخر وإن بدا التفسير الذى نقدمه مقنعاً ، ومن ثم كان من

المستحيل أن نحدد مقدار التكثيف بأى حلم . وهذا الانعدام للتناسب بين محتوى الحلم وأفكاره هو دليل على أن المادة الحلمية قد جرت عليها أثناء تكوين الحلم عملية تكثيف واسعة . ولربما قد نظن أن مستدعيات الحلم غير ضرورية كلها طالما أنها نسبية ومشروطة بقدرة الحالم على أن يستدعيها رغم المقاومة النفسية ، إلا أنها جزء من الحلم ، لأنها كانت حاضرة وناشطة وقت تكوينه ، وهى لذلك أفكار أصلاً من الحلم جرى عليها التكثيف . ولا يعنى التكثيف أن الحلم قد اشتمل على صور دون صور ، واقتضى ذلك أن نستكمله بالمستدعيات ، فأفكار الحلم التى تعكسها صوره هى التى تستدعى الخواطر حولها ، كالشيء بالشيء يذكر ، ولم يحدث أن حذف منها شيء ، والتكثيف من ثم لا يعنى الحذف . وليس هناك حلم إلا وقد اكتمل ، إلا أنه يحتاج دائماً إلى تحليل وتفسير واستدعاء لخواطر وذكريات وإخراج للمكبوت ، والأولى دائماً بالحلم أن نرصده فور الصحيان حتى لا ينسى ، وما قد نحسب أننا نسيناه نتذكره بالتداعى . وليس الحلم إلا اسقاطاً سينمائياً لأفكار الحالم بحيث تأتى صوره لتقابل أفكاره ، غير أن الصور تكون مختزلة ونحتاج لترجمتها إلى أفكار بلغتنا اليومية .

وهذا مثال للتكثيف فى الأحلام :

حلمت أنى وأصدقاء لى ذهبنا إلى الاسكندرية ونزلنا فى فندق فى أبى قير، وكان علىّ لأصل إلى الفندق أن أعبر شارعاً صاعداً إليه ، وكان الصعود يرهقنى ، فإذا وصلت الفندق كنت أرتمى على مقعد لأستريح . وتبين لى أن أخى الأصغر ينزل فى حجرة فى الطابق الرابع ، وكنت أنزل فى حجرة فى الطابق الأول . وقلت لا داعى لأذهب إليه .

التفسير: الحالم فى الخمسين يشكو رهقاً فى القلب ، والتعب الذى يأتيه فى الحلم كلما صعد إلى الفندق من تأثير أحاسيس المرض وهو نائم . والإسكندرية التى يحلم بها ، والفندق الذى نزل به ، من ذكريات رحلة مدرسية كان قد قام بها وهو فى الجامعة واستمتع بها ، وكان الفندق على ربوة كانوا يسيرون إليها صعوداً . والحالم تعيس فى حياته الزوجية و يتمنى لو يستطيع أن يطلق زوجته وكان دائماً يتراجع عن ذلك ، و بدلاً من أن ينفصل بالطلاق كان يؤثر أن يقوم بسفريات طويلة يغيب فيها عن البيت ، فإذا لم يستطع السفر على الحقيقة سافر فى الأحلام ، وقبل هذا الحلم كان قد تشاجر مع زوجته ، والحلم نتيجة للشجار فى اليوم السابق ، وبمقدار ما هو هروب إلا أنه هروب لأيام زمان ، من عهد التلمذة حيث ينزل فى فندق ليس له وجود حالياً . والحالم يقول إنه ما عاد يقرب زوجته كالأول ، فكلما ضاجعها يحس بإرهاق شديد بالنظر لمرضه ، و يرتمى بعده ، بتعبيره ، كالجثة الهامدة ، وهذا هو قوله إن الصعود يرهقه ، والصعود هو الجماع ، وهو الوضع الذى يعتلى فيه امرأته ، وكان الطبيب قد أشار عليه أن يجعل زوجته

تعتليه ، وقد ارتاح لهذا الوضع لكنها هى لا ترتاح فيه ، فقد كان عليها أن تقوم بكل شيء ، وجربت شيئاً لم تجربه من قبل وهو الانعاظ ، وقد هالها أمر نفسها فيه ، وخافت ، فكانت تحزن أن تصعد فوقه . وهو نفسه وإن كان قد ارتاح لهذا الوضع إلا أنه نفسياً متكدر ، لأن كون الزوجة فوق وهو تحت يزعجه . وهو يرى أخاه الأصغر الفاشل فى الفندق « فوق » وهو تحت مع أنه هو الناجح ، وتلك حيلة أخرى من حيل الأحلام هى حيلة **القلب** . وصلة الأخ بالحلم الذى يدور حول الزوجة وعلاقته بها أنه يشبّهه بالزوجة ، و يريد أن يقول إن كون الزوجة فوق لا يعنى أنها أفضل منه فهى فاشلة كأخيه .

ومستدعيات الحلم كما نلاحظ تتكرر بها عناصر حتمتها أفكار الحلم ، وترتبط ببعضها وتنتبه بتكرارها إلى موضوع الحلم الرئيسى ، وهو علاقة الزوج بزوجته . وذلك يجرنا إلى الحديث عن حيلة أخرى من حيل أو ميكانيزمات الأحلام هى حيلة **الإبدال** displacement ، وقد أبدل الحالم زوجته بأخيه الأصغر ، واستبدل بوضع الجماع المقلوب السكن فوق وتحت . وللسكن فوق أو تحت مضمون اقتصادى واجتماعى ونفسى ، فسكان « فوق » هم الأفضل دائماً ، بينما لا يسكن تحت إلا الطبقات الأدنى ، وذلك هو المعروف بين الناس ، ولنعمان عاشور مسرحية بهذا المعنى هى « الناس اللى تحت » وهناك أعمال مسرحية غربية تتناول « الناس اللى فوق » .

والإبدال الذى يتم به ذلك فى الحلم نلجأ إليه لتصوير حدث عادى فى الحلم غير مشحون نفسياً فنشبّهه عيانياً ، والمشبّه به قادر على أن يأتى فى الحلم مصوراً ، وأن يدخل ضمن موقف ، بينما التعبير المجرد عن الحدث أو الفكرة قد لا يمكن تصويرها حلمياً . والفكرة التى نحن بصددها هى فكرة أن الزوجة صارت تعتلى زوجها ، وذلك حدث له صدى نفسى ودلالات أخرى ، والإبدال هنا بالإضافة إلى التكثيف يعملان عملهما بما يجعل الفكرة التى يتصديان لها **صورة بليغة** تقول بأبلغ مما تقول الفكرة المجردة . ولربما قد تستدعى هذه الفكرة الصغيرة مستدعيات تستنفد كتابتها صفحات ، والصورة التى تطرحها بإيجازها تختزل هذه الصفحات وتكثفها ، و يعمل الإبدال فى خدمة التكثيف بحيث يتيسر التكثيف به .

ولنعد إلى ما يقوله الحلم من أن الأخ يسكن فوق ، ففى حين أننا قلنا إن الحلم **استبدل** الزوجة بالأخ ، فإنه فى نفس الوقت قلب الوضع فجعل الأخ فوق والحالم تحت ، مع أن ذلك غير صحيح حيث الأخ هو الفاشل والحالم هو الناجح . **والقلب** inversion ، كما نوهنا حيلة أخرى ، والقلب جاء عند ابن سيرين أنه التأويل بالضد والمقلوب ، كتفسير البكاء فى الحلم بأنه فرح ، والضحك بأنه حزن . والقلب لهذا السبب مسئول عما نراه فى الأحلام من تباين بين المحتوى الظاهر والمحتوى الكامن للحلم ، وهو مسئول مع التكثيف عن التشويه الذى يلحق أفكار الحلم فتأتى على الصورة أو الصور التى تأتى بها .

والنكوص regression ، حيلة رابعة من الحيل الحلمية يتمثل فى الارتداد إلى الذكريات والرغبات والصراعات من الماضى ، وهذا هو **النكوص الزمنى ،** وهناك نكوص شكلى ، ونكوص طبوغرافى ، والأول يكون بإحلال لغة الصور والرموز محل لغة الأفكار ، ولغة الصور والرموز لغة بدائية من الماضى أيضاً ، والثانى ، وهو النكوص الطبوغرافى ، حيث يتدنى الوعى وتقل المقاومة والرقابة فيسود اللاشعور ويتوارى الشعور.

والنكوص يكون **فى الحلم وفى اليقظة** أيضاً ، حيث أننا نستطيع أن نترك أنفسنا للذكريات ونحن أيقاظ . والنكوص يكون أيضاً فى **هلاوس اليقظة ،** فى الهستيريا والبارانويا ، حيث يمكن أن تتحول فيها الأفكار عند المرضى إلى صور.

والنكوص فى الحلم ، حيثما يقع ، يكون نتيجة للمقاومة التى تحول دون تقدم الفكرة إلى الشعور وفق الطريق السوى ، ونتيجة لجذب تمارسه إزاءها فى الوقت نفسه ذكريات حاضرة ذات قوة حسية كبيرة . ويسهل النكوص انقطاع التيار التقدمى الذى ينساب فى النهار من أعضاء الحواس . ولقد رأينا فى الحلم السابق كيف يرتد الحالم إلى فترة من حياته كان فيها سعيداً ، ولم يكن يعانى أى نوع من العجز ، بل على العكس كان فاعلاً ، وهو يذكر أنه كان يصعد إلى الفندق ، ولكنه الآن يرهق من الصعود ، وربما — لأن الصعود يرمز للجنس هنا — كان يمارس الجنس وقتها بكفاءة ، والنكوص إلى هذه الفترة ، بالتداعى بالذكريات ، يخدم فكرة المقارنة بين عهدين ويكثفها تكثيفاً شديداً .

والترميز symbolization وسيلة أخرى من وسائل الحلم لتحويل الأفكار إلى صور ، وهو ظاهرة ملفتة للنظر حيث قد يتشابه الرمز والمرموز إليه تشابهاً واضحاً ، ويكثر مع ذلك أن ينعدم التشابه حتى ليكون استخدام الرمز محيراً ، والغالب أن الكثير من الأشياء التى ترتبط اليوم برباط رمزى يحيرنا أمره ، ربما كانت فى البداية قبل التاريخية تتحد فى عينية تصويرية ولغوية ، ومن ثم تكون هذه العلاقة الرمزية غير الواضحة الآن أثراً من عينية غابرة وعلامة عليها . وبعض الرموز من الممكن رده إلى ما قبل قيام اللغات وانفراعها إلى جماعات لغوية ، وبعضها قديم قدم الكلام نفسه ، فالأب مثلاً كان يرمز له بالشمس ، بينما يرمز للأم بالقمر ، وللإخوة أو الأولاد بالكواكب ، والرجل يرمز له بالقضيب على الحقيقة ، بينما يرمز للمرأة بالفرج ، وما نزال حتى اليوم فى علم الأحياء نرمز للذكر بنحو ذلك ، وللأنثى بفتحة مستديرة . وما زال الموت يرمز له بالسفر ، وللأطفال بالبذور.

والحلم يستخدم الرموز ليصور الأفكار تصويراً مقنعاً ليصرفنا عن معناها الحقيقى ويموه علينا ، إلا أنه من المحتمل أن يستخدم الرمز أيضاً استخداماً حرفياً ، فمثلاً نحن نقول إن الغضب قد استبد به فصار يغلى كالبحر اللجى ، والحلم يصور ذلك حرفياً فيجعل الحالم يركب البحر فى

ثورته من باب التشبيه البليغ ، إلا أنه يقلب العبارة البليغة إلى صورة بليغة مستخدماً التشبيه المصور. ويجوز أن يأتي الرمز خاصاً جداً بالنظر إلى ما يمثله عند الحالم . وعلى كل فلقد أفضنا فى الكلام عن الرموز فى **الباب الثامن** .

والهدف من كل ما سبق من الحيل الحلمية أن يكون فى المستطاع ترجمة الأفكار إلى صور، وما يجعل الحلم يلجأ إلى حيلة منها دون حيلة أن تقبل الفكرة التصوير بهذه الطريقة دون غيرها ، فهذا الاعتبار « **قابلية التصوير** » هو المعيار الذى به يكون إيثار حيلة من الحيل . ومن ذلك حيلة « المسرحة dramatization » ، فإذا أراد الحلم مثلاً ، كما سبق أن نوهنا ، أن يقول عن زوجة إنها خائنة فإنه قد يصورها تسقى زوجها السم ؛ وقد قدمنا أحلاماً نمطية تدور حول الفقر وجعلنا لها عنواناً « أحلام الحفاء » ، فأن يرى الحالم نفسه فى حفل كبير و يرتدى ثياب السهرة ، ومع ذلك يسير حافياً ، فربما لديه خوف يلاحقه و يستشعر منه القلق أن تزول ثروته و يعود فقيراً يعانى كما كان ؛ وكذلك الشأن فى أحلام التعرى فكلها نماذج لما يمكن أن تفعله المسرحة بالفكرة . ونقصد بالمسرحة **طرح الأفكار طرحاً دراميا أقرب إلى الإخراج السينمائى** ، ففى الحلم هناك **القطع** ، **والمونتاج** ، و يورد فرويد نموذجاً لحلم فيه القطع :

أذهب مع الآنسة « ك » إلى مطعم فولكس جارتن (قطع) . أرانى بعد ذلك فى بهو منزل ....

والحوار فى الحلم هو دائماً إعادة محرفة قليلاً لأقوال موجودة من قبل بين ذكريات مادة الحلم ، وفى كثير من الأحيان لا يخرج الكلام فى الحلم عن أن يكون إشارة إلى موقف درامى متضمن من أفكار الحلم ، وأما معنى الحلم فيكون مختلفاً كل الاختلاف .

وأما الترتيب المنطقى فى الحلم فهو كالمونتاج ، فيه اللقطة التى تعود للخلف ، وهناك أحلام تتسلسل فيها الحوادث تسلسلاً منطقياً ، وأخرى يغفل فيها الترتيب المنطقى ، ونقول إن الترتيب المعول عليه هنا هو الترتيب النفسى أى بحسب القيمة النفسية المضفاة على المشهد . ومعنى الترتيب النفسى أن الأحداث أو الصور تأتى حسب أهميتها . وحتى الزمن المادى ليس له اعتبار فى إخراج الحلم ، ولكن الاعتبار للزمن النفسى . وقد يلجأ الحلم إلى ربط الأفكار بأن يستخدم ما يسمى بالمزامنة ، فيحشد فى الصورة الواحدة المادة الحلمية كلها ، فى مشهد أو موقف يجمعها ، كما يفعل الرسام مثلاً إذا أراد أن يقدم فى شكل صورة فكرة مدرسة أثينا ، فيرسم كل فلاسفتها مرة واحدة ، وعندئذ سنتبينها فوراً دون حاجة لعنوان أسفلها يوضح ماهيتها . والحلم يستخدم هذا المنهج فى التصوير حتى للجزئيات ، فكلما اقترب عنصران من عناصر الحلم كان

ذلك بسبب وجود علاقة بين مقابليها فى أفكار الحلم ، تماماً مثل ما نفعل فى الكتابة ، فإذا جئنا بالباء بعد الألف مباشرة كانت الكلمة أب ، ولكن إذا فصلنا بين الألف والباء كان معنى ذلك أننا نشير إلى كلمتين الحرف الأول من احداهما هو « أ » ، والحرف الأول من الثانية هو « ب » كما نقول فى الانجليزية B.A بمعنى بكالوريوس آداب . وقد يريد الحلم أن يقول عن علاقة لأنه كذا وكذا فإنه كيت وكيت ، وهى ما نعرفه باسم **العلاقة العلية** فتأتى جملة الشرط فى حلم تمهيدى وجواب الشرط فى حلم رئيسى ، وقد يقلب الوضع ، ولكن الجزء الأكبر من الحلم هو الذى يقابل دائماً جواب الشرط . وانقسام الحلم إلى جزئين لا يجزم دائماً بوجود علاقة عليّـه بينهما ، فقد يكون كلا الحلمين معالجة مختلفة لنفس الفكرة ، وذلك كما يحدث مثلاً فى أحلام الإمناء حيث تكون هناك عدة أحلام جنسية تنتهى أخيراً هذه النهاية . وقد تأتى العلاقة العلّيـة بطريقة أخرى باستخدام القطع ، فتكون صورة ، ثم قطع إلى صورة أخرى ، وذلك يعنى وجود علاقة علّيـة بينهما ، وإنما يستخدم الحلم هنا **طريقة التعاقب** . وأما **علاقة إما كذا أو كذا** فلا يستطيع الحلم تصويرها ، وإنما هو يورد الاحتمالين فى سياق واحد ، كأن نقول كان المكان إما حديقة أو غرفة الاستقبال ، فمقابل هذا الاحتمال فى أفكار الحلم ليس احتمالاً مثلهما بل **واو** العطف ، والقاعدة التفسيرية أن نعامل كلا الاحتمالين كما لو كانا يتساويان صحة ، فالمكان فعلاً غرفة استقبال ، وهو أيضاً حديقة . وأما **علاقة التضاد** فالحلم يسقطها تماماً ، ويصور الضدين ويوردهما معاً على أنهما شىء واحد ، وقد يصور الشىء بضده .

وأما فى **علاقات التماثل** فهناك ألف طريقة لتصويرها ، والحلم ، أى حلم ، ينبئ أساساً على علاقات التماثل ، فالبحر اللجى يماثل الغضب ، والنار قد تماثل الشهوة ، وقد تماثل الحقد . وعلاقة التماثل تفيد فى تكشيف الحلم ، وهى احدى وسائله . والتماثل قد يكون بين شخصين فيرد أحدهما فى الحلم ليقصد به الآخر من باب المحمولات المشتركة بينهما ، وإذا حدث ذلك بين الناس نسميه **التعيين فى الحلم** ، وأما التماثل بين الأشياء فنسميه **مزجاً** ، ويجوز أن يقع المزج بين الأشخاص ، ويجوز أيضاً المزج بين الأماكن . والفرق بين التعيين والمزج فيما يتعلق بالأشخاص أنه فى التعيين يكتفى بشخص واحد عن بقية الأشخاص ، ولكن هذا الشخص يظهر فى الحلم بكل العلاقات والمواقف التى تصدق عليه وعلى غيره . وأما فى المزج فإن الشخص الذى يظهر تكون له ملامحه وملامح غيره ، ولا يعنى ذلك أنه يجئ بملامح مشتركة لمن يمثلهم ، بل تكون له من هذا ملمح ، ومن ذاك ملمح ، ومن ثالث ملمح فتكون النتيجة ظهور شخص مركب . وقد تجئ عملية المزج بطرق مختلفة ، كأن يظهر الشخص فى الحلم ويكون له اسم شخص آخر يرتبط به ، وحينئذ نعلم أن المقصود هو هذا الآخر برغم اختلاف ملامحه المرئية . وقد يشارك الآخر لا بملامحه ، ولا باسمه ، ولكن بحركاته المعروفة عنه . وقد يفشل الحلم فى التعيين وفى المزج فيظهر

المشهد منسوباً إلى شخص غير مقصود ، بينما يكون المقصود مجرد متفرج فى المشهد ، ونجد الحالم يصف هذا المشهد فيقول مثلاً **وكانت أمي هناك** .

والعنصر المشترك الذى يبرر توحيد الشخصين قد يتمثل فى الحلم وقد يغيب ، والقاعدة أن التعيين أو تكوين الأشخاص المركبة يستخدم من أجل تصوير هذا العنصر المشترك ، فبدلاً من أن أقول إن « س » من الناس يعادينى وكذلك « ص » ، فإن الحلم يبتدع شخصاً مركباً منهما معاً أو يجعل « س » يرتكب الأفعال المعروف « ص » بارتكابها . وقد يستحضر الحلم الشخص المركب بحيث يجعل الصفة المشتركة ليست هى المقصودة ، وإذا حدث ذلك فإن التفسير يقتضى البحث عن الصفة الحقيقية ، وتمييز الصفة الحقيقية من الزائفة من الوزن النفسى الذى للصفة .

والأحلام أنانية ، وكل حلم يدور حول صاحبه ، فإذا حدث وكان الحلم يدور حول شخص آخر ، فلربما وهذا احتمال كبير ، أنه خلف هذا الشخص يكمن الحالم نفسه بواسطة التعيين . وقد يظهر الحالم وأشخاص آخرين إلى جواره و يتضح أنهم هم الحالم . وقد يحدث أن يرى الحالم نفسه فى الحلم و يتضح أن المقصود شخص آخر ، ويحدث ذلك فى كل حالة بطريقة التعيين أيضاً .

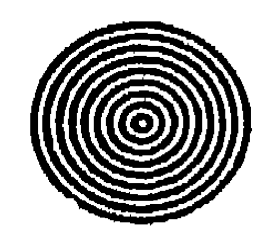
وقد يكون **التعيين بين الأماكن** ، وتبين هذا التعيين فى أسمائها أسهل من تبين التعيين فى أسماء الأشخاص . وأما **المزج بين الأشياء** فهو ما يجعل الحلم يبدو غريباً . والمزج يكون أيضاً بين الأسماء ، و يكون بين المشاهد . ومزج المشاهد شبيه بالمزج فى السينما ، وقد يحدث أن تكون فكرة الحلم أن فلاناً هذا كلب ابن كلب ، فيأتى الحلم بالكلب وتكون به صفات فلان ، أو يكون له اسمه ، أو يمتزج اسمه باسم من أسماء الكلاب الشائعة .

وربما كان أهم ما نقدره من الخصائص التصويرية فى الصور الحلمية هو التفاوت فى **الشدة الحسية** بين مختلف الصور ، ولا نعنى بالشدة الحسية هنا الظهور الذى لجزء على بقية الأجزاء ، أو لحلم على بقية الأحلام . وقد يتراءى لنا أن الحدة النفسية لبعض أفكار الحلم قد يقابلها أن تأتى الصور الحلمية المقابلة لها شديدة الظهور ، فالعكس صحيح ، وذلك أن ظهور بعض الأفكار يستتبع أن تعانى من الرقابة والمقاومة بحيث تأتى الصور المقابلة لها باهتة أو تافهة أو هامشية ، وذلك ما نقصد إليه أن **إخراج الحلم يقلب القيم النفسية للأفكار** ، فما كان مهماً منها يظهر غير مهم ، وغير المهم يبدو مهماً ، وذلك بعض ما نقصد إليه عندما نتحدث عن التشويه فى الحلم . ونقيس أجزاء الحلم بمعيار الشدة النفسية إذا كنا بصدد الاستماع إلى تداعى الحالم حول أجزاء حلمه ، فما كانت له شدة حساسية أعلى كان أدعى إلى المستدعيات الأكثر . **والحلم المشوش** هو الحلم الذى تجرى عليه الرقابة عملها بشدة ، **والحلم الواضح** هو الذى يمر من الرقابة بسهولة

لأنه يعالج مسائل ممنوعة . **والحلم المختلط** هو الذى تتفاوت أجزاؤه فى درجات الشدة الحسية التى قصدنا إليها . وتتحكم مادة الحلم فى إخراجه وليس العكس . وقد يلجأ الإخراج الدرامى إلى **طريقة كف الحركة** أى وقفها ، كما فى هذا النوع المعروف باسم **أحلام الكوابيس** ، فالحالم يريد أن يتحرك فكأنه مسمر فى مكانه ، ولا يستطيع أن يحرك يداً ولا أن يصرخ . وقد يريد أن يرد الإهانة فيصفع من أهانه ولكنه يعجز ، و يريد أن يلحق بالقطار وتعصاه قدماه . وهذا الكف لا يحدث إلا إذا كانت بمادة الحلم حاجة تدعو إلى تصويرها هذا التصوير وحده ، وغالباً ما يكون انعكاساً لصراع إرادات ، بحيث يعكس الحلم عجز الحالم عن تحقيق إرادته ، أو عجزه عن أن يكون له موقفه .

ومن الأحلام ما يأتى إخراجه على أنه **حلم داخل حلم** ، فيحلم الحالم بأنه يحلم و يصف محتوى قد حلم به أثناء الحلم . والمقصود بالحلم فى الحلم هو التهوين من شأن الحلم الذى من الداخل وإظهار الاستخفاف بمضمونه ، وكأن الحالم يصف الجزء الموصوف بأنه حلم ، بأنه لم يقع ، ولا يعدو أن يكون حلماً ، وذلك تماماً كما يحدث عندما نستيقظ من حلم كابوس ، فنحمد الله بأننا كنا نحلم ، أى نحمده على أن ما حلمنا به لم يقع ، وأنه لم يعد كونه حلماً . غير أن هذا الحلم من داخل الحلم عندما يورده عمل الحلم بهذه الطريقة فى الإخراج ، فإن ذلك دليل قاطع على كون هذا الحلم الداخلى ليس من قبيل **أضغاث الأحلام** ، وإنما هو شىء واقعى وحدث حقيقى ، ينبغى التعامل معه عند التفتيش بجدية ، وليس إخراجه كحلم داخلى ، إلا من قبيل التنصل منه . وشبيه بذلك **الأحلام اللامعقولة** كأن نحلم بأن الأب الذى مات من سنوات حى يرزق ، وأن أحد الناس جاء يحجز على الشقة و يطردنا منها بسبب دين على الوالد ، ونناقش الوالد فيتبين أن هذا دين غريب لم يكتب به صكاً ، ولكنه أعطى به كلمة ، وأن الدين لامرأة ساقطة ، ونعجب لذلك فى الحلم لأننا نعرف أن الوالد كان تقياً ورعاً . والحلم يخرج لامعقولاً إذا كان بين عناصر أفكاره حكم نصدره ، أو يصدره الحالم ، مضمونه هذا شىء سخيف أو غير معقول ، أى يكون بين أفكار الحلم فكرة يدفع إليها النقد أو الاستخفاف . **واللامعقولية** إذن هى طريقة فى إخراج الحلم ، يتوسل بها عمل الحلم لتصوير التناقض فى جو مزاجى يجمع النقد أو الاستخفاف إلى جانب المناقضة ، وذلك بهدف أن يعطى للمحتوى الظاهر للحلم صورة ضاحكة ، بينما المحتوى الكامن يكون متناقضاً مع الظاهر تماماً . ومن ثم وجب الحذر عند التصدى بالتفسير لمثل هذه الأحلام ، فكلما بدا الحلم كأنه جنون فى جنون كما نحكم عليه عند اليقظة ، فإنه أحرى بأن نعامله بجدية تامة . وكان الفلاسفة قديماً إذا أرادوا أن يقولوا ما يصدم الناس من حقائق ، وخافوا مغبة الصراحة ، إدعوا الجنون ، وكذلك كان الشأن مع ديوجين الكلبى الذى كان يزعج الناس بغرابة تصرفاته وصراخه عليهم فى الأسواق ، حتى سموه

بالكلبى أو النبّـاح ، وبهذه الطريقة كان يأمن العقاب ، وكذلك الأحلام اللامعقولة . وليست هذه الطريقة إلا كمثل أختها التى لجأ إليها هاملت ، الذى كان يخفى حقيقة ما يجرى من صراعات عنيفة غاية العنف بقناع من التنكيت والاستهتار ، والأحلام التى نحكم عليها بأنها مجنونة أو غير معقولة ليست أباطيل إذن ، بل هى أحلام ، من أفكارها التى تتضمنها النقد أو السخرية أو الاستخفاف ، مما يستدعى ضرورة تصويرها على هذا النحو ، فيأتى الحلم كأنه فيلم سينمائى هزلى أو من نوع الأفلام الناقدة الساخرة .



« الكابوس »

الكابوس **حلم مفزع** يصاب منه الحالم بالخوف الشديد ، حتى ليهب من نومه مذعوراً . والكابوس كحلم **يتكرر مع الحالم** ، و يرى نفسه فيه فى مأزق شديد ، يتهدد منه الأنا تهديداً مباشراً ، كأن يجد نفسه يدخل متاهة لا مخرج منها و يضيق عليه الخناق ، أو يرى نفسه يسقط من حالق ، أو يهوى إلى حفرة لا قرار لها ، أو يجرفه الموج العاتى ويحاط به بالماء من كل جانب ، أو ينحشر فى ممر لا يجد فيه لنفسه متنفساً . وقد يهاجمه لص ، أو يغتاله مغتال و يتبين لنفسه أنه يموت ، أو يظهر له عفريت أو غول أو جنية فيحاول أن يركض فلا تطاوعه قدماه ، ولا تنطلق الصرخة من فمه . وقد ننسى الأحلام ولكننا لا ننسى **الكوابيس** بالنظر إلى الهلع الذى يصيبنا منها ، وأنها توقظنا من النوم ، والمفترض أن الأحلام تأتى لتساعدنا على النوم ، إلا الكوابيس ، فإن المنقذ منها ، ومن استمرارها ، أن نستيقظ لنجد أننا منها قد أصابتنا صفرة شديدة فى الوجه ، وقد نرتجف و يتصبب منا العرق ، و يرتفع ضغط الدم ارتفاعاً كبيراً مفاجئاً بنحو ثلاثين ملليجرام ، الأمر الذى يشكل خطورة أى خطورة على الشيوخ المصابين بضغط الدم أصلاً .

ونحن قد نجهد لتذكر الحلم ، وقد نشكو أنه مشوش وغير واضح ، أو نشكو أن أحلاماً عدة فى نفس الليلة انطبعت على بعضها ، فاختلط علينا أمرها ، فلا نذكر أهذا المشهد لهذا الحلم أو لذاك ، وأما فى **الكابوس فالأمور** واضحة ، والصور جلية ، والمعانى حافلة .

والكابوس يأتى الأصحاء كما يأتى المرضى النفسيين ، وقيل إن نحو ٣٠٪ من الأطفال الأسوياء يضطرب نومهم بالكابوس ، وأكثر ما يأتيهم فى السن بين الثامنة والسابعة عشرة . **ويرى الطفل فى الكابوس حيوانات يخافها** ، وقد يجد نفسه مطارداً وعاجزاً لا حول له ولا قوة ، و ينتابه اليأس و يستشعر الوحدة ويملأه الخوف . وقيل إن نوم الأطفال الخفيف يكون بعد خمس ساعات من استغراقهم فى النوم العميق ، وعندئذ تأتيهم الكوابيس ، **وأغلب ما تأتيهم وهم نيام على الجنب** . والطفل الذى يحلم بكابوس قد يحلم به لأنه قد عانى تجربة خوف تتكرر معه فى الحلم من هذا النوع ، وقد يتحصل له الخوف نتيجة ما يشاهد من أفلام التليفزيون المرعبة ، أو ما يقرأ من مجلات أطفال تصور الحيوانات فى صور مخيفة ، وتظهرها فى حكايات يصدقونها . ويميل الأطفال إلى المبالغة وتصديق ما يقال لهم ، أو ما يقرأون ، ومن ثم فقد يلاحقهم ذلك فى أحلامهم .

و يكثر الكابوس فى حالات الإصابة بالاضطرابات النفسية ، وحيثما كانت الشكوى من المخاوف والقلق العصابى ، ونهك القتال وصدمة الوغى والقنبلة ، والكوارث ، والفصام والاكتئاب واضطرابات الشخصية .

والكابوس يسهل تذكره لوضوحه ، و بسبب الشحنة النفسية العالية التى تكون به ، وهى المسئولة عن الذعر المرافق ، واليقظة التى تسرع إلى الأنا كنوع من السلوك الدفاعى .

ولا يختلف الكابوس عن الأحلام فى النوع ولكن فى الدرجة ، فالخوف فى الكابوس أشد منه فى الأحلام المهددة ، و يتميز بأن الحالم يشق نفسه حتى لكأن شيئاً يرين على صدره ، وربما لهذا السبب أطلق عليه العرب اسم **الحضون** لأنه كما لو كان هناك مخلوق ذو قوة هائلة يحضن النائم حضناً ، فهو منه فى ضيق وأى ضيق ، و يطلقون عليه أيضاً اسم **الباروك** أى الذى يبرك على النائم ، وهو **الجاثوم** كذلك أى يجثم على الصدر أو على الجسم كله فيشل الحركة و يقيد الأطراف .

والمظنون أن الكوابيس تأتى البنات والنساء عموماً أكثر من الفتيان والرجال ، وأن الأرامل والعوانس والراهبات أكثر تعرضاً لها من المتزوجات ، وأنها تعبر عن صراعات نفسية حادة تدور حول رغبات جنسية مكبوتة تجاه المحارم . وحوادث الكابوس تمثيل لدور المرأة فى العملية الجنسية حيث تستلقى و يكون الرجل فوقها ، وكذلك فى الكابوس ، فما تحلم به يكون باركاً فوقها يكبسها كبساً ويحضنها حضناً . ولعل الاسم الإفرنجى **فرس الليل** nightmare لأن ما تحلم به المرأة يأتيها خفيفاً كالفرس و يطاردها فلا تستطيع منه مهرباً . وكثيراً ما يكون هذا الوافد المزعج فرساً فعلاً ، ولعل الفرس من دون سائر الحيوانات قد يتطرف إليه خيال المرأة بسبب فحولته وقوته الجنسية النهمة . وأما اسم **الحضون** فلأنهم قديماً كانوا يتصورونه شيطاناً

مريداً من الذكور، به غلمة ، ويختار النساء لإشباع غلمته فيزورهن ليلاً وهن نائمات و يعانقهن مجامعاً ، وقد يزورهن نهاراً ، وهذا هو **كابوس النهار** و يسمونه لذلك **فرس النهار** daymare ، ورسمه الفنان الإيطالى فيوز يللى فى أواخر القرن الثامن عشر بشع الوجه وشائه الجسم ، وقد ربض على صدر امرأة شابة مستلقية على ظهرها ومستغرقة فى النوم . وربما كان رسمه شائهاً لأن الرغبة الجنسية اللاشعورية لا يمكن تصورها إلا على هذه الصورة الفطرية ، من حيث إلحاحها اللامعقول وسطوتها الحيوانية .

وليست الكوابيس أحلاماً جنسية لأنه لا استمناء فيها ، وليس فيها انتصاب ، وليست كلها بدوافع نفسية ، والشائع عند العامة أن **أسبابها جسمية** كالتخمة وامتلاء المعدة وما ينشأ عن ذلك من ضغط على الحجاب الحاجز، وإعاقة للدورة الدموية إلى القلب والرئتين ، حتى أن كاتباً مثل ستيفنسون كان يستحدث الكوابيس به استحداثاً ليحلم أحلاماً بشعة يجعلها موضوعات لقصصه ، وكان يتناول لذلك أطعمة دسمة قبل النوم يتخم منها وتثقل على معدته حتى ليشق عليه أن يتنفس .

ولربما تستحدث الكابوس منبهات خارجية ، فقد تتعرى القدم خلال النوم أثناء الشتاء فيحلم النائم أنه يغوص فى بحر من الثلوج . و بعض الناس يوقدون فى الشتاء مناقد فى حجرات نومهم فيكثر بها ثانى أكسيد الكربون و يقل الأوكسيجين مع الاحتراق و يستشعرون كأنهم يختنقون فتأتيهم الكوابيس أنهم يختنقون ، وإن كانت المواضيع التى يدور عليها الاختناق هى مسائل أخرى صراعية أو خوافات أو مشاعر ذنب لا شعورية يستبد بهم القلق المبهم بسببها وتظهر مع حالات التداعى الجسمية هذه ، بالإضافة إلى تدنى الوعى فى النوم ، وكأن هناك من يخنقهم أو كأنهم محاصرون بنار تلظى وقد أحاطت بهم ولم يعد لهم منها وجاء . والكابوس يكرر الخبرات الصادمة اليومية ، فمن يصدم بسيارته و ينجو بالكاد قد يرى فى نفس الليلة كابوساً بأن قنبلة قد انفجرت به ، وأصل هذه القنبلة ربما كان انفجار إطار السيارة الذى تأدى إلى الحادث الفظيع . وقد يرى الذى تجرى له عملية جراحية ، بعد تخديره كلياً ، تكراراً لتجربة التخدير، فيأتيه كابوس بأنه يسقط من حالق ، و يكاد يصرخ ولا من صوت يخرج منه ، بينما روحه تنسل من جسمه وتنسحب انسحاباً . غير أن المنبهات الخارجية أو الحشوية ليس شرطاً أن تستحدث الكوابيس ، فهذه المنبهات ما هى إلا تعلة ترتكن عليها أسباب أخرى .

وكانوا قديماً يقولون إن الكوابيس أحلام جنسية تدفع إليها رغبات محمومة لا تجد لنفسها المنصرف و يستحثها أن ينام الحالم على ظهره ، ولعل ذلك هو السبب فى نصيحة البعض بالتزام النوم على الجنب الأيمن لتجنب أن تأتينا الكوابيس .

وكان ابن سيرين يقول الكابوس من الشيطان ، والشياطين فى التحليل النفسى رغبات مستعرة لا نرضى عنها أو لا نحب أن نظهرها و يرانا الآخرون عليها ، أو قد تكون رغبات لا شعورية كبتناها فى وقتها ونعانى منها ، وتتسبب لنا فى صراعات ومشاعر ذنب ، تضطرب منها نفوسنا فلا نعرف كيف نفسرها ، وننسبها إلى عمل الشيطان . والشياطين بعد ذلك قد تكون فينا ، نستبشع ما يدور داخلنا ، ولعل ذلك هو أصل فكرة القرين ، وكأنه الأنا الآخر يجتمع فينا ، قد انقسمنا بسببه إلى شخصين متعارضين ، أحدهما يعمل علناً ، والآخر يهمس و يوسوس لنا ، وكأنما الشيطان الذى يستحث الكابوس هو هذا القرين ، الوسواس الخناس ، وكأنما هو شيطان على الحقيقة بقدر ما يكون من المشاعر الشيطانية من داخلنا ، والتى تتعلق بالخبرات اليومية الصادمة أو الحكايات المخيفة ، وتظهر مرتبطة بها .

ومن رأى فرويد الذى يقول إن الأحلام صدى لرغبة ، أن الرغبات اللاشعورية تعنف أثناء النوم ، وتتوجه لأن نعيها ، غير أن ما قبل الشعور يقابلها فى منتصف الطريق ، ويحد من غلوائها ، و يظهرها صوراً حلمية لا خطر فيها ، ومن ثم لا تضطرب بها أحوال النائم فيستمر فى النوم ، برغم أن هذه الرغبات قد تكون عدوانية أو جنسية ، لا يرضى عنها الأنا ، ويخاف ظهورها ومغبة هذا الظهور ، وقد يأتى الحلم بها من ثم حلماً مزعجاً ، إلا أنه طالما أن ازعاجه محتمل فإن النائم يبقى نائماً ، إلا فى حالة الكابوس ، فإن الإهاجة التى تبتعثها الرغبات اللاشعورية لا يفلح ما قبل الشعور فى رصد حركتها والحد من غلوائها ، فلا يكون أمامه ، لينقذ الأنا و يدفع عنه شرها ، إلا أن يوقظ الحالم من نومه .

و يقول فرويد إن كبت الرغبات اللاشعورية يسبب ألما ، والقمع الذى نوجهه للمحتوى الفكرى للرغبات اللاشعورية يمتد إلى الألم الذى يستحدثه كبتها ، فإذا أخفق القمع انطلقت الرغبات ، وصاحبتها الحالة الوجدانية المؤلمة التى ترتبط بها ، فيكون الكابوس مخيفاً ومؤلماً . ومن رأى فرويد أن الرغبات اللاشعورية إذا أخفق قمعها ، انطلقت فى مسارين ، فإما أنها تتجه إلى أعضاء الحركة فتفرغ فيها تهييجها فتصاب من هذا التهييج بتلف تكون به الأعراض العصابية ، وهذا هو أصل العصاب ، وإما أنها تتجه إلى ما قبل الشعور ، فيسيطر عليه محتواها الفكرى ، فتتكون الملاوس الحلمية التى لا يجد الأنا نجاة منها إلا بالاستيقاظ التام ، ولهذا السبب فإن فرويد يجعل **نظرية الكابوس** من نظرية الأعصبة ، و يؤثر أن يستبقى الخوض فيها ضمن الحديث عن الأعصبة وليس فى نطاق تفسير الأحلام . وسنحاول أن نبنى على ما يقوله ، فطالما أن الأنا هو الذى يستشعر وطأة الكابوس ، فلنلحقه بمتعلقات الأنا ، ضمن مختلف ما يتعرض له من أنواع الضغوط التى لها وطأة ، سواء منها ما كان يصدر عن الضمير أو الأنا الأعلى ، أو ما كان يأتى من اللاشعور ، أو ما كان مصدره العالم الخارجى .

والكابوس إذن عرض مرضي لقلق الأنا نتيجة وطأة اللاشعور كما قال فرويد ، وربما نتيجة وطأة الأنا الأعلى أو الضمير، وربما أيضاً نتيجة وطأة العالم الخارجي . وأما ضغوط اللاشعور فقد أفاض فيها فرويد ، وأما وطأة العالم الخارجي فهو ما نعرفه باسم المنبهات الخارجية وما يتهدد الأنا منها من أخطار، وأما وطأة الضمير فذلك ما نحن بصدده فنقول إن من الكوابيس ، وهو الغالب فيها ، ما **هو نوع من العقاب ينزله الأنا الأعلى بالأنا** ، وكأن الشخص يعاقب نفسه بنفسه على أن كانت له رغبات محرمة أو محظورة ، أو أنه فعل ما يتعارض والأخلاق . وقولنا إن الكابوس مظهر لقلق يصيب الأنا نتيجة وطأة الضمير أو الأنا الأعلى عليه ، يجعلنا نصف هذا القلق بأنه **قلق أخلاقي** ، وهو لا يكون بالأنا إلا إذا عانى من صراعات محتواها أخلاقي ، ولقد أسهبنا الحديث في باب كامل في الصراع الأخلاقي . والكابوس من نوعية الأحلام التي مدارها الصراع الأخلاقي ، ونسميها **أحلام العقاب** ، فعن أي شيء يعاقب الحالم نفسه ؟ إنه **يعاقب نفسه عن عدم التزامه بالأخلاق ، وعن مخالفته لضميره وارتكابه أفعالاً محرمة أخلاقياً ودينياً** ، وربما يكون قد عصى أمه أو أباه ، أو استشعر العداء لإخوته ، أو زنا بامرأة جاره ، أو سرق ، أو حتى حدثته نفسه بالسرقة أو بالزنا . والكابوس هو الثمن الذي يتقاضاه الأنا الأعلى منه عقاباً له على إثمه أو خطيئته أو جرمه أو ذنبه . والكابوس من ثم يعطينا فكرة عن الحالم من حيث ما يراه حلالاً أو حراماً ، وما يعتبره من الأخلاق أو ضدها ، و يعكس تصوره للجزاء والعقاب ، ويحلل شخصية الحالم فنعرف اتجاهاته وميوله ، ورغباته وصراعاته ، وعلاقاته بالناس ، وطرقه في الدوران والالتفاف حول ضميره والعرف الأخلاقي ليحقق لنفسه ما يرغب و يريد ، دون أن يصادم المجتمع أو ذاته العليا ، ولربما يرتكب ما يرتكب خفية دون حساب للرقيب من داخله ، فيكون عذابه من بعد بمشاعر الذنب التي تؤرقه ، بأن يستحضرها أشباحاً وغيلان ولصوصاً ومجرمين يهب مذعوراً من نومه خوفاً ورعباً ، وهذا هو العقاب الذاتي ، وكم كان هذا العقاب مؤلماً أشد الألم عند ماكبث والسيدة ماكبث في مسرحية شكسبير الخالدة !

■ **مثال ــ كابوس فرويد** : رأى أمه التي يحبها نائمة في وداعة غريبة ، وقد حملها شخصان أو ربما ثلاثة ، لهم مناقير كمناقير الطير ، وأرقدوها على فراش ، فاستيقظ من نومه مذعوراً و باكياً ، وكان في نحو السابعة ، و بذلك أيقظ والديه .

التفسير: كان فرويد قد سمع كلاماً جنسياً من ابن البواب مما يستخدمه العامة للدلالة على الأعضاء الجنسية ، وهو ما يفسر أن للأشخاص مناقير الطيور، وكثيراً ما نصف القضيب أو نطلق عليه اسم الحمامة أو البلبل .. إلخ ، ونقول عن الفرج الكتكوت .. إلخ . وفرويد رأى جده لأمه عندما مات ، وكان يرقد هذه الرقدة الوادعة ، ورأى أمه في حالات كهذه مع أبيه ، وقارن بين الحالتين وكلام ابن البواب ، وكثيراً ما يحسب الأطفال أن الأب يؤذي الأم وهو

يضاجعها ، وقد يحسب أمه انتابها شيء أو ماتت بعد أن يسمع ما بينها و بين أبيه من أصوات خلال الجماع . والأشخاص الثلاثة رأى مثلهم يتعهدون جده بعد موته ، ومناقيرهم تذكر بالموت أيضاً بما نقرأ عن آلهة عند المصر يين مثلاً ، وتصورهم الآثار بمناقير.

والكابوس ربما يعاقبه على سماعه كلام ابن البواب المعيب ، وربما يصور شعوره بالذنب لتبصصه على أبو يه أو تنصته عليهم ، والتبصص عندما لا يكون مرضاً voyeurism يستولد مشاعر ذنب ، و يكون حب الاستطلاع قو ياً وملحاً عند الأطفال وخاصة ما كان يتعلق بالجنس بين الأبو ين ، وقد تلاحقهم مشاعر الذنب التى تعقب تجارب صادمة كهذه بقية حياتهم . ومن المصطلحات المألوفة فى التحليل النفسى مصطلح المشهد الأول primal scene **وهو المشد الذى يراه الطفل لأول مرة و يعاين فيه الأبو ين بالنظر أو بالسمع يتضاجعان ، أو الذى يتجه إليه خياله فى فترة من حياته بتنبيه من أقرانه ، فيحسب ما يتخيله واقعاً ، وقد تثيره هذه الخيالات وتستغرقه و يكون لها وقع الخبرة الصادمة فتنعكس على أحلامه فى شكل كوابيس كهذه :**

كابوس « ٢ » : الحالمة متزوجة من رجل لا تحبه ، وتكثر لذلك الخلافات بينها ، وتبينت أنها حامل ، وتحركت فيها الأمومة بشدة ، وكان معنى أن يكون لها طفل من زوجها أن ترضى بواقعها معه ، وهى غير راضية ، فاتفقت مع صديقة لها ، زوجها طبيب ، أن يجهضها . وظلت أياماً تصارع الفكرة ، وأخيراً نفذتها ، إلا أنها ندمت بعدها ، وظلت مضطربة أياماً تخاف أن يعرف زوجها وأهلها ، وتسأل المهتمين بالدين إن كان الإجهاض حراماً ، وهو ما يفسر الطهى ، أى تدبيرها لفعلتها الشنعاء ، ورؤ يتها لرأس الطفل الباكى ، وفزعها من النتيجة .

« كابوس « ٣ » : حلمت أنى فى دور علوى بعيدة عن الأرض ، وكنت أشاهد المدينة والوقت قرب الغروب ، وأدلف الليل فلم أتبينه ، وفجأة رأيت شبحاً يتسلل نحوى ، وهجم علىّ ، وكنت كالمشلولة ، وكان يحمل سكيناً ، فأردت أن أصرخ ، ولكنه عاجلنى بضربة فى فمى أسالت منه الدم وأغشتنى ، رغم أنى كنت أدرك ما حولى ، ورأيتنى أسقط من حالق ، والمسافة تطول بين المكان العالى والأرض ، وأنا أجاهد أن لا أقع واستيقظت .

التفسير: الحالمة فتاة جامعية تحب ابن الجيران الذى يرفضه أهلها ، وتقابله خلسة فى حجرة مظلمة فى غرفة فوق سطح منزلها الذى يجاور سطح منزل الجار. وكانا فى لقاءاتها يسمران معاً ، ولكنها قبل ليلة الكابوس تماديا ، ولأول مرة تحس بأحاسيس غريبة أفزعتها ، وقد حاولت أن تتملص من فتاها لكنه أمسك بها ، وقاومته دون جدوى ، و بكت كثيراً وقالت إنه اغتصبها ، وإنه كان شيئاً فظيعاً وحشياً ، وأدركت أنها سقطت سقطة شنعاء ، ورموز الاعتداء الجنسى

واضحة ، وهى السكين رمز القضيب ، والفم رمز الفرج ، والدم المسال عليه ، والغشية التى انتابتها ، وسقوطها من حالق ، واستمرارها تشعر أنها تسقط ، وكلها أوصاف لحالتها حينئذ ، وحتى الآن ، وهو ما استحث الكابوس .

كابوس « ٤ » : أركب سيارة صديقى المتهور الذى لا يحسن القيادة ، وتهولنى سرعته ورعونته ، فأحاول أن أضع قدمى على الفرامل لأوقف السيارة ، وأدوس على الفرامل وبكل قوتى والسيارة مندفعة ، وأنا أكاد أجن ، فاستيقظت والعرق قد شملنى .

التفسير: الحالم ميوله العدوانية شديدة ، وهو يعرف ذلك ويحاول دائماً أن لا يستثيره أحد ، وفى اليوم السابق دار نقاش بينه وبين رئيسه ، وكان يعتقد أنه على حق ، ويحاول مع ذلك أن يخفف من غضبه ، إلا أن الآخر استثاره بجهله وقلة أدبه فهاج عليه ، وكان يعرف أنه مخطئ إذ يثور كل هذه الثورة ، ويحاول أن يضغط بقدميه على الأرض ، ليخفف من غلوائه دون فائدة . وقد ظل متكدراً طول اليوم يلوم نفسه ، ساخطاً عليها بسبب طبيعته هذه الغضوبة . والكابوس على ذلك يعكس صراعاته العدوانية .

كابوس « ٥ » : كنت أنام فى حجرة عندما انطفأت الأنوار فجأة ، وشعرت أن شيئاً رهيباً لابد أن يحدث ، عندما أحسست بملاءة تلقى على وجهى ، ولم أستطع أن أحرك يدى لأرفعها ، وكانت تحول بينى وأن أتنفس ، وشعرت أنى أختنق ، وقاومت وأنا أحس بالعجز والموت يحتوينى .

التفسير: تذكر الحالم خبرة صادمة له استدعاها الكابوس ، وكان وقتها فى الخامسة من عمره يشكو التهاب اللوزتين ، وأخذه والداه إلى طبيب وانتظروا بغرفة الانتظار وطال انتظارهم ، وأخيراً فتح باب وخرجت منه نقالة تحمل طفلاً فاقد الوعى ، والطبيب إلى جواره تلطخ معطفه بالدم . وخاف وران عليه الصمت ، ثم التفت الطبيب إليهم وأشار برأسه ، فحمله أبوه وتبعته أمه إلى حجرة داخلية ، وأرقده على طاولة وأمسك بيديه ، بينما الأم أمسكته من قدميه ، وهو صامت مصفر الوجه مشدود العينين ، ووضع الطبيب شيئاً فوق وجهه واستنشق رائحة يختنق منها ، ولم يستطع أن يصرخ وتاه وعيه ، ثم لم يعد يسمع أو يرى شيئاً . ولما تذكر الحادثة قال لم أنس أبداً الرائحة والشيء الذى غطى وجهى . وقال بحقد هائل « تذكرت الآن . لهذا كنت أكره أن أزور مريضاً أو أى شخص يعمل عملية . كرهت المرض كرهاً شديداً » . والكابوس يعكس مخاوفه القديمة ، والغضب الذى اختزنه على من قيدوا يديه وقدميه وكاد يموت بين أيديهم مختنقاً ، وقد تسبب له ذلك أن صار عدوانياً من وقتها ، وكره أهله والناس حتى اعتزلهم ، وكره نفسه لأنه لم يكن يعرف سبباً لكل هذا الدمار من داخله .

كابوس « ٦ » : كنت راقداً وهناك صوت قريب تك تك ، وتبينت أنه صنبور الماء ، شخص تركه دون أن يحكم إغلاقه ، وأحاول أن لا أسمع الصوت ولكنه مستمر و يعلو حتى كأنه طبلة تدق ، وشعرت أني عاجز عن الاحتمال وأني أدوخ ، ولم أقو على النهوض وسقطت وأنا أصرخ .

التفسير: الحالم يعاني من العادة السرية ، وهو يصارع نفسه ألا يمارسها ولكنه لا يستطيع ، والصنبور رمز جنسي ، والماء المنساب منه هو المني ، و يكاد يجن أنه كلما قرر ألا يفعل ذلك يعود حتى استحال شبحاً وضعف ، وصار لا يقوى على الاستمرار واقفاً لمدة طويلة ، كأنه أصيب من جراء إدمانه العادة السرية بالنهك الشديد ، والكابوس يعكس مخاوفه وصراعاته .



« أحلام الشباب والصراع من أجل الحرية والاستقلال »

قضية الإنسان الأولى هي أن يختار في حرية ، وهو في طفولته عليه أن يختار بين هذا الأب أو تلك الأم ، وأن يتعين بأيهما ، وأن يتنكب طريق الآخر ، وأن يأخذ من أيهما ما ينفع نموه وتطوره نحو الرجولة أو الأنوثة فيكون له دور الذكر أو دور الأنثى ، فيسلك السلوك المناسب و يستطيع التطبيع المرسوم . وهو في الشباب يعيش في وهم مقيم ، أيظلُ يساكن الأبوين أو يخرج إلى الحياة العريضة يجرب حظه ويحيا حياته ، و يكون له استقلاله ، ويختار في حرية وظيفته وفتاته التي يصنع معها أسرته ، و يعني ذلك أن يحتمل المسئوليات وأن يضطلع وحده بالمهام الشقال ، وأن يعتمد على نفسه في الكسب . وهو قد ظل حتى الآن إذا احتاج المال أعطاه أبوه ، وإذا ألمت ظروفه وجد في حنان الأم ورعاية الأب ما يعوضه عن أي ظلم و يغنيه عن الناس ، وأبوه يتكفل بتعليمه وتطبيبه وإطعامه وكسوته ، وهو المسئول عن حمايته ، وكانت أمه حتى وقت قريب تغذيه لبن صدرها وتعطيه معه الحدب والحب ، وتدفع عنه غائلة المرض . أفيترك هذا كله ويخرج إلى الحياة يشق طريقه هو بنفسه دون سند ولا معين هذه المرة إلا من قوته وشخصيته وكفاءته ومؤهلاته ؟ هذه هي القضية في السن نحو العشرين : هل يختار الشباب النضوج والحرية والاستقلال . أم يؤثرون السلامة و يبقون تابعين للأبوين حيث الأمن والأمان والعول الذي ليس فيه كد ولا تعب ولا إعمال فكر ولا نصب . وقد يعزم الشاب ويحسم أمره و يشد رحاله يقصد أن يختار لنفسه وأن تكون له حياته فيتعثر حظه وتصيبه من عراك الحياة أدران فيعود أدراجه يحتمي بالأبوين و يقنع أن يفكرا من أجله . وقد يوغل في الترحال بعيداً عن بيت الأسرة ، أو يلزمه لا يبارحه ، وقد تتوطد صلته بأمه أو يرضى أن يكون تابعاً لأبيه . وأياً كان

الطريق الذى يختار فهو دائماً مهموم ، فلا هو يرتاح إذا استقل ، ولا هو يستشعر الرضا إذا ألحق إرادته بإرادة الأبوين . والفلاسفة يقولون إن الهم الذى يلازم الإنسان أنه ابن أبويه ، فطفولة الإنسان هى أطول طفولة لكائن حى ، وما من كائن فى الوجود يعيش طفولة تستمر لعشرين أو ثلاثين سنة إلا الإنسان ، يكون فيها ملبى الحاجات ، ومحمياً من كل الأخطار ، وقد يعهد إليه الأبوان ببعض المهام يكون مسئولاً عنها ، ولكنها المسئولية فى إطار الأسرة ومن خلالها ، والحرية التى يمارسها حرية محدودة فى كفالة الأب ، وهى تدريب بسيط يدخله لعله يكتسب منه الاعتماد على نفسه وأن يقوم بمرادها ، ولكن يأتى السن التى لا يطيق الشاب فيها أن يفكر له غيره وأن يحتمل همومه ، ويريد أن يستشعر أنه قد صار رجلاً أو امرأة ، وبلغ مبلغ أبيها ، وبوسعه أن يتخذ القرارات ، فإذا بدأ الطريق فقد يصاب بالإحباط ، وقد يذهله الفشل ، وقد تلحق نفسه المرارة ، فإن كان فى بلد غير بعيد سارع إلى التحدث مع أبويه عبر الهاتف دون أن يدرى السبب لذلك ، أو قد يقطع تذكرة حافلة أو قطار ، أو حتى طائرة ، بحجة زيارتها ، ولكن ما يحدوه حقيقة غير ذلك ، فهو فى فشله أو مع ما ناله من إحباط قد افتقد الأمن العائلى ، وهو فى قلق مع أبويه ، وفى قلق لو غاب عنها . وفى المراهقة يكون هذا الصراع شديداً ، وهذه المراوحة بين أن يكون له حياته واستقلاله وحريته ، وأن يعيش فى وجد وهم ، أو يكون تابعاً يقضى الأبوان له حاجاته ويكفلان له الحماية بلا مسئولية ولا حرية ولا استقلال . ومن الغريب أنه قد يبقى فى حماية الأبوين ويتهمها بأنها يستبقيانه إلى جوارهما ، وإذا استقل بنفسه فقد يلح فى طلب عونها ويسأل المزيد من المال . ومع أنه ينشد الاستقلال عن الأبوين فإنه يرضى أن لا تكون له مع أقرانه إرادة ، ويدمجها فى إرادتهم . وقد يطلب لنفسه الحرية إذا تعلق الأمر بأبويه مع أن ما يطلبه ربما كان التحلل من كل ارتباط اجتماعى قد يكون فيه تكلفة عليه . وقد تعنى الحرية التى ينشدها الإباحية أو الفوضوية حتى ليتهمه المجتمع بالجناح . وقد يصر أن يحترم الكبار رأيه ويقدرون أفكاره ، مع أنه هو نفسه لا يحترم أحداً ، ولا يولى كبار عائلته ولو عشر الولاء الذى يربطه بأصحابه ، وكل ذلك من أعراض صراعات هذه السن بين أن ينضج الشباب أو لا ينضج ، وبين أن يستقل بحياته أو لا يستقل . وقد تجد الشاب — أو الشابة — يتزوج زواجاً متسرعاً تعجل به أشواق الاستقلال ، ولا تمضى الشهور إلا ويعود أيهما إلى أسرته عودة التائب ينشد العون والحماية . ونلمس ذلك كثيراً عند البنات ، وقد تتعلل البنت بمختلف العلل تعود بسببها إلى صدر أمها وبيت العائلة حيث لم تعتد العمل ولا المسئولية والبنات أكثر تعرضاً للإصابة بالقلق من جراء هذا الصراع . وربما كان السبب فى طبيعة البنات نفسها ، وربما كان بتأثير التربية والثقافة ، والناس طبائع وأولاد التربية ، وصراعاتهم فى مرحلة الشباب كصراعاتهم فى أى من مراحل العمر تعكسها الأحلام ، ويعرض كل حلم حلاً فتتنوع الحلول بتنوع الأحلام وحالات أصحابها .

وهـذا الحـلـم لفتاة عقد قرانها ولم تدخل على عريسها بعد وتنوى أن تسافر معه إلى موسكو فى بعثة دراسية . وقد حلمت حلمها ذاك قبل السفر مباشرة .

حلمت أنى بفستان الفرح فى المطار، وكانت أمى وإخوتى هناك . والجميع يزغردون ، حتى المسافرون ، ولكنى كنت مهمومة ، وأنظر إلى أهلى حزينة . كنت أريد أن أبكى . وكانت أمى كذلك وإخوتى . وكنت أتطلع إلى هذا الرجل الذى يأخذنى منهم . لم أكن أعرفه . كان غريباً مع أنه لم يكن كذلك ، لكنى كنت أشعر أنه غريب . ومددت يدى إلى أمى لتشدنى إليها فلا أسافر، لكن زوجى تناولها واحتضننى ، ونادت المضيفة أن نصعد الطائرة ، فدفعنى زوجى برفق فى اتجاه السلم ملوحاً لأهلى . وشعرت أنى سيغمى علـــىّ ، وأمسكت بدرابزين السلم أحاول أن لا أقع وأكملت الصعود ودخلت . يا لها من تجربة !!

والحلم تصوير صريح ومباشر للمشكلة ، حيث الحالة تريد أن تسافر مع زوجها ، وتأمل أن تبقى مع أمها وإخوتها ، وهذا يرمز للمستقبل ، وهؤلاء يرمزون للماضى ، وكانت تعيش معهم فى أمان ، بينما الزوج تتصوره غريباً لا تعرفه مع أنها هى نفسها تعلق على ذلك بأنه لم يكن كذلك ، ومعنى هذا أنها ما تزال غير مطمئنة أن تكون حياتها معه مثلما كانت عند أهلها ، إلا أنها أخيراً تقرر أن تكون لها حياتها الجديدة المستقلة وتركب الطائرة .

وهذه الحيرة أو التردد بين الماضى والمستقبل تكون دائماً عند الفتيات حيرة أو تردداً بين أن تختار الزوج أو أهلها ، بينما لا نلاحظ ذلك عند الشبان ، فالمشكلة عندهم ليست مشكلة أن يتزوج الشاب أو أن يبقى مع أبويه ، وإنما المشكلة هى أن تكون له حياته الخاصة ويمارس نفسه فى حرية أكبر ، برغم أن ذلك يقتضيه أن يعمل ويجهد ، وكان فى بيت أبيه مكرماً وله مصروفه الخاص ولا يتحمل أية تكاليف ، كهذا الحلم :

كان الوقت ليلاً وأنا أقف فى الشارع . وكنت حزيناً . ربما كنت مسافراً ، وغير بعيد على الرصيف المقابل كان بيتنا . كان البناء كأنما لونه أخضر مع أنه ليس كذلك . وكانت بالنوافذ ستائر وبيتنا ليست به ستائر. وكنت كأنما أنا طويل جداً وأستطيع أن أنظر من النوافذ . كانت أمى هناك كأنما هى فتاة شابة ، وأبى كذلك ، كان صورة منى . وكانت هناك دراجة سألت أمى عنها فقالت دراجة « على » . وكأنما قلت لها متى يحضر، قالت لا أدرى ، تأخر قليلاً . وعندما استيقظت من الحلم دهشت لأنى أنا « على » وكنت أسألها عن نفسى .

والصراع الذى يعانى منه الحالم يدفعه إلى أن يسأل أمه متى يعود ابنها «على» الذى عرفته هى صغيراً يركب الدراجة ، إلا أنه يبدو أنه لن يعود فقد حسم الأمر برغم الذكريات الحلوة عن الطفولة والبيت السعيد الذى ما تزال الأم فيه كما لو كانت عندما كان الحالم صبياً ، وكذلك الأب ، والخضرة فى لون البيت تضفيها نفس الحالم على البيت الذى تصوره كأنما هو جنة بها كل شيء . وما عاد كل ذلك مجدياً لأنه مسافر برغم كل شيء .

والبنات لا يتركن البيت لأنهن يتزوجن فقط ، فقد تترك البنت البيت سعياً وراء رزقها . والحلم التالى لفتاة تسكن الأرياف وتحصل على تقدير جيد جداً فى الحقوق وتعين بالجامعة ، وهى مسافرة تحتفل مع زميلاتها من نفس البلدة واللاتى يسافرن معها أيضاً فى رحلة عمل إلى القاهرة :

كنت مع زميلاتى فى بيتنا ونحن سعداء . كنا نضحك ونحتسى القهوة . وكانت زينب تدخن وأغلقنا الباب علينا حتى لا يراها أبى . قالت زينب لن نحتاج أن نغلق الأبواب فى القاهرة . وقالت فاطمة لماذا لا نسكن كلنا مع بعض . وجعلنا نرتب من تنام مع من . لكن أبى دخل لا ندرى من أين . وقال لنا فجأة : والزواج ، باكر يكون زواجكن جميعاً . وتركنا وخرج ونحن فى غاية النكد .

والحالمة تعطى نفسها العذر أنها ستترك أسرتها بأن تجعل حلم السفر يشملها وصاحباتها . والسفر يعنى التحرر تمثله زينب التى تدخن ولن تحتاج فى القاهرة أن تغلق الباب ، وفيها يستطعن ، إذا سافرن ، أن تكون لهن الحرية الكاملة ، ولن يحتجن أن ينمن من بعد مع الأخوات بل مع الزميلات ، **فالحرية تعنى نهاية الأخوة وبداية الزمالة** . لكن برغم كل ذلك فإن الحالمة مشدودة إلى أسرتها ولا تريد أن تسافر بدعوى أن أباها يريد تزويجها ، أو بدعوى أنه أحرى بها أن تتزوج فى بلدها وتقيم فى المكان الذى تقيم فيه أسرتها . والمراوحة بين الاتجاهين تنغص عليها حياتها ، وما تشهده فى الحلم هو النكد الذى هى فيه لأن عليها أن تفكر فى الحلين دون نتيجة .

وتحلم نفس الحالمة السابقة حلماً آخر ، ربما كان فيه الحل لمشكلتها :

كان الوقت ليلاً وكنت أركب القطار ، وجاء الكمسارى وطلب التذكرة فأعطيته بطاقة ، قال ما هذه ، قلت إثبات أنى أعمل . قال أريد تذكرة . قلت هى التذكرة . وأخذ البطاقة وعلم عليها . قلت له سأشكوك للمدير عندما أصل إلى بيتنا . ألا ترى أنى متعبة .

و يبدو أن الحالمة قد وجدت الحل لمشكلتها بأن تسافر يومياً إلى عملها الجديد وتعود إلى أهلها فى المساء ، و يبدو أن الكمسارى أبوها ، وأنه يعاتبها على السفر ، وهى تبرر سفرها بأنها تعمل

وتحتج به ، فالعمل مبرر لكل شيء ، والعمل لا يتعبها وإنما النقاش فى العمل عندما تكون مع الأب فى البيت ، وهو الكمسارى الذى يسمح لها بالسفر و بالعمل ، ومع ذلك يناقشها رغم تعبها ، أو أنها تعبه من مناقشاته .

والحالمة السابقة تحلم أيضاً بهذا الحلم لها عن السفر أيضاً :

كنت كأنما عدت تلميذة أحمل كتبى . وكنت أقف على محطة القطار وأرى بيتنا بعيداً وأرى فيه إخوتى وأمى وأبى . وجاء القطار والدنيا زحمة فجأة . وكنت أسير وئيدة حتى لا أزاحم الناس . ودق الجرس وكان علىّ أن أشق طريقى لأصل للقطار ، ولكنى لم أستطع تحريك قدمى ولا يدى . كنت عاجزة تماماً والقطار يتحرك وأنا أبكى لأنى لم ألحقه ولكن بدون دموع .

والحالمة فى الحلم تشدها ذكريات التلمذة وحياتها مع أهلها ، وتريد أن تترك كل شيء خلفها لأنها تريد أن تكون نفسها وتعيش حياتها ، إلا أنها تلحق القطار ولا تبكى عليه بكاء حقيقياً لأنها فى دخيلة نفسها هى سبب أنها لم تلحقه ، فلم تكن تريد أن تركبه وكانت تريد البقاء مع أهلها .

وأحلام الزفاف يكثر فيها عرض هذا الصراع بين الماضى والمستقبل ، وأن تكون البنت مع أهلها أو تتركهم إلى حياتها الجديدة .

حلمت أنى بثوب الفرح وهناك زحام وكنا على محطة أتوبيس وعيوننا معلقة بكل سيارة قادمة . كنا فى انتظار أحد . وسألتهم : من ننتظر فقالوا العريس لن يحضر ، وبسرعة خلعت ثوبى وضحكت أنا وصاحباتى .

وهذا حلم آخر لنفس الحالمة :

كنت أجلس أنا وخطيبى فى الصالون . وقال لى تعرفى أن اليوم زفافنا . قلت أعرف ، لكننا لن نذهب ووافقنى وجلسنا ، وكأن الأمر لا يعنينا .

وعادة إذا حلمت البنت بالفرح فالعريس فى الحلم شخص لا تعرفه ، وذلك لأن كونه رجلاً غريباً مبرر كاف لتأجيل الفرح أو إلغائه ، و يعنى ذلك أن الحالمة لا تستسيغ فكرة أن تتزوج وترحل عن بيت الأسرة وتجرب حياة جديدة . **وعلى العكس عندما يحلم الفتيان بالزواج فالعروس فتاة معروفة للعريس بالاسم ، ويحبها وتحبه** ، ولا شيء يحول دون إتمام الزواج . والفتيان لا يخشون الزواج كالفتيات ، وتجربة الزواج على العكس تجربة مفرحة ، بينما هى للفتيات تجربة مجهولة ، وكل مجهول نخافه ، وهى محفوفة بالمخاطر ، واحتمالات فشلها كبيرة ، وتعنى فراق الأهل ، بينما لا يعنى الزواج للولد أنه يفارق أهله .

وأحلام الفراق تأتى متنوعة فربما يقع الحلم فى صحراء ، وقد يرى الحالم أنه قل ضل الطريق ، أو قد يرى أنه فى زورق فى بحر لجى ، أو أنه ضل الميناء وصار فى عرض البحر ، أو أنه فى قارب قد فقد المجدافين ، أو أن الدفة قد انكسرت ، أو أن القلوع انقلبت ، أو أنه فى سيارة قد فرقعت إطاراتها .

وأحلام الوحدة تصوير لأزمة الحالم وصراعاتها ، وتكثر عند الفتيان . وقد يعبر الحلم عن قلق الانفصال عن الأهل بأن يرى الحالم نفسه يسير فى طريق مهجور ويهاجمه لص أو حيوان مفترس أو يسمع أصواتًا مخيفة فينادى على أبيه أو أخيه أو أمه بحسب علاقته بهم و يصرخ عليهم وقد ينقلب الحلم كابوساً .

وهذا الحلم لفتاة ترى فى بيتها ملجأ لها من مخاطر الدنيا :

كنت أركب الأتوبيس وخلفى مباشرة كان يقف رجل غريب الأطوار وكان يحاول الإمساك بى ، وكنت أهرب منه وهو خلفى . وطلبت من السائق أن يسرع وقال أخيراً وصلت ونظرت هذا بيتنا وعندئذ تلاشى الرجل الغريب .

والحلم واضح أنه يعكس رغبات جنسية للحالمة تخاف منها وتجد أنها بمنجاة من الضلال طالما كانت ببيتها أو إذا عادت إليه . والبيت هنا أو الأسرة هى صمام الأمان للحالمة أن تضل .

وأحياناً يكون حل الصراع بين الأمن الذى نستشعره فى البيت مع الأسرة والحرية التى نتمناها لأنفسنا هو أن نرحل طلباً للتغيير ولكن مع الأسرة ، وبهذه الطريقة نحقق الرغبتين أن نعيش كما نهوى وأن يرافقنا الأهل فلا ننفصل عنهم . وحتى ذلك الحل قد لا يعجب الشباب ، فقد تصور الأحلام الحالم أو الحالمة يقوم برحلة مع أبويه لكنه لا يكون سعيداً وهو معهما كهذا الحلم :

حلمت أنى فى زيارة للإسكندرية ، وكنا الأسرة كلها ، وكنت مقطبة طول الوقت أدير ظهرى لأمى ولا أرى البحر ولا أشعر بشىء فقررت أن أعود أدراجى إلى بيتنا . وركبت الأتوبيس وأمى تسألنى فقلت لها ذاهبة لأنام .

وقد يصور الحلم الفتى أو الفتاة يركب القطار الخطأ أو لا يستطيع العودة ويجد عنتاً فى السفر :

كنت فى المحطة وقالوا لا تذاكر إلا فى السوق السوداء . وكان الزحام وتزاحمت حتى اشتريت تذكرة ، وذهبت لأركب القطار فلم أستدل عليه ، وأخيراً عرفته عندما وجدت

زوج أختـى فى النافذة ، فركبت وتحرك القطار ، ولكن أحدهم قال إنه ذاهب إلى مكان آخر خلاف مدينتى .

ونلاحظ فى الحلم معوقات السفر دليل الرغبة أن لا يتم . وهى تعثر على زوج أختها فى النافذة فتقول إن ذلك يعنى أن القطار قطارها ، وهو خطأ ، لأن كون زوج أختها فى القطار أن القطار ليس ذاهباً إلى الأهل ولكن إلى غير ذلك وهو ما ثبت فعلاً ، فطريق الزواج لا يلتقى غالباً والطريق إلى الأهل .

وقد يجرب الحالم حظه فى الدنيا و يعود فى النهاية إلى بلده وأهله حيث الطمأنينة :

كنت أركب القطار وكان بلا نوافذ ، والدخان قد جعل كل المسافرين لونهم أسود . ووصلنا فقالوا انزلوا . ونزلت وكانت المحطة قفراً فلا شجر ولا بيوت ولا ناس . ونظرت حولى وخفت وأسرعت إلى شباك التذاكر وقطعت تذكرة بسرعة لأعود ووجدت كرسياً مع أناس يضحكون وكنت سعيدة بهم .

وفى الشطر الأول من الحلم حيث الرحيل لا شىء يسر الحالم ، وحتى محطة الوصول مقبضة ، وفى الشطر الثانى يكون العود أحمد .

وقد يكون الصراع صراع الأمن أو الاستقلال بسبب رغبة الحالم أن يتحسن وضعه الاجتماعى فتتحسن بالتالى ظروف معيشته وسكنه . وقد يشعر أنه مع الأهل محدود الأفق ضيق التفكير ، فإذا خرج إلى العالم فقد يجد أناساً أفضل وأنماطاً من العيش مختلفة تماماً ترضى طموحه ، و يتمثل ذلك فى الحلم التالى أن يرى الحالم نفسه فى بيت أوسع وأرحب ، ومع ذلك فالبيت هو بيت أهله وكأنه بذلك يحل الصراع فيجمع فى هذه الفيلا التى يضمها الحلم آماله وأهله معاً .

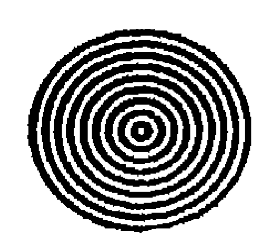
كنت فى بيت كبير أبيض وله سلالم رخام بيضاء ، وكل حجرة مختلفة عن الثانية إلا أنها جميعاً بيضاء . والعفش حديث وأبيض . وكان كل شىء جميلاً . وكان هناك تليفزيون وتليفون وثلاجة وفيديو ، والجميع باللون الأبيض . وعلى الحوائط كانت صور أبى وأمى واخوتى . وكانوا ينظرون و يبتسمون فى الصور.

وفى حلم آخر يقارن الحالم بين البيتين القديم والجديد ، أى بيته فى الواقع و بيته المرتجى ، و يفضل الجديد على القديم :

كنت أتطلع فى مجلة ملونة ، وكان الموضوع عن المساكن القديمة والأحياء التاريخية ، وهدمها لتحل محلها بيوت وعمارات حديثة ، وكنت أقرأ وأتأمل وأشحت بوجهى عن

البيت القديم . ورأيت فى نافذة أحد زملائى وكنت أتشاجر معه أيام التلمذة . ونظرت إلى البيت الجديد الذى أعجبنى . كبر البيت ورأيت أنى فيه وإخوتى وأبوىّ ، وأنا ألعب البلياردو.

وهذا الصراع الذى يميز أحلام الشباب يكشف عن ميولهم فى التحرر، وأن تكون لهم حياتهم المستقلة ، إلا أنهم مع ذلك ما تزال بهم الطفولة ، وما يزال الحنين إلى الأهل يشدهم و يعوق حركتهم ، وقد ينجح بعضهم أن يمضى قدماً إلى الأمام ، و بعضهم قد ينكص على عقبيه عند أول هزيمة أو فشل فيعود إلى أهله حامداً الله أن له أهلاً يجمعونه و يكفلون عيشه ، ومن ينجح فى التخلص من حبال القرابة قد يلقى حباله إلى آخرين يكوّن بهم أهلاً جدداً و بيتاً غير البيت القديم ، إلا أن الحنين قد يعاوده فيرى الحلم تلو الحلم أنه يعود ، ولكن السيارة تتعطل أو الطائرة لا تطير فى الميعاد . وتكون الأعذار المختلفة عن إتمام السفر فى رحلة العودة إلى الماضى ، أو الرحلة إلى المستقبل والاستقلال . والأحلام تكشف كل هذه الاتجاهات والميول والعلاقات بالأبوين والإخوة ونوع ذكريات الماضى واستشرافات المستقبل . والأحلام دائماً تشخيصية ، تحلل الشخصية ونعرف منها دينامياتها .



«أحـــلام الشيـــوخ وصـــراع الحيـــاة والمـــوت»

يعى الإنسان أنه مقدورعليه الموت ، و يدرك أنه ينضج للموت ، كالثمرة تمام نضجها يعنى سقوطها أو قطافها ، إلا أنه ينسى أنه سيموت ، وعندما يموت له عز يز يحزن مرتين ، مرة لأن هذا العز يز لم يعد له وجود ، ومرة لأن قارع الموت يفاجئه بوجوده بعد أن كان قد نساه ، و يفرح مرة واحدة لأن الموت أدرك غيره وتركه لدور آخر لم يحن بعد . ونحن فى شبابنا لا نحسب أى حساب للموت ، وعندما نطعن فى السن و يلح المرض و يعاودنا باستمرار ، و ينتابنا الضعف و يضيع منا العزم نضطر أن نعترف بحقيقة الموت وقر به الوشيك ، ولكننا لا نستسلم أبداً ، وطالما أن الحياة تدب فينا فنحن نجاهد أن ننفض عنا الموت ، بأن نناضل لأن نبقى ، وتنتصر فينا الحياة على الموت ، وحتى ونحن نموت نخطط للحياة فنوصى من أجل أن يعيش الآخرون ، وأن تتأكد بهم الحياة . وهذا الصراع من أجل الحياة طبع الإنسان ، وهو طابع حياته فى الشيخوخة ، وهو الصراع الذى يعلو على كل الصراعات الأخرى فى هذه السن ، وكان صراع الحياة الموت قائماً منذ اللحظة الأولى للميلاد ، ولكن الحياة فيه كانت الغالبة فى الطفولة ، فلما جاءت الثلاثون تعادلت كفتا الحياة والموت ، فلما صارت الأر بعون غلبت كفة الموت على كفة الحياة ، ثم ترجح كفة الموت بعد الخمسين ، و بعد الستين يمثل الموت و يكون فى خواطرنا و يكثر ذكره على ألسنتنا ، فإذا كانت السبعين وجدنا الموت قابعين فى انتظاره كأننا على موعد معه . والموت يخترمنا و يشملنا التفكير فيه من بعد سن السبعين . وصراع الحياة والموت لا يفصح عن نفسه فى كل ما سبق ، ولا يكون ظاهراً جلياً أثره فى سلوكنا وتصرفاتنا ، ولكنه دائماً هناك يعمل عمله فى أعماقنا ، دون أن نشعر به ، ومن غير أن يدركه فينا الآخرون ، فإذا تحصل لنا النوم فإن الوعى

الظاهر في العقل يظلم دون الأعماق فتخرج الأفكار في الأحلام ، فإذا أردنا أن نتأمل صراع الحياة الموت فعلينا أن نرتاد أحلام الشيوخ .

وما نقدمه هنا زملة أحلام لشخص قد طعن به السن حتى بلغ الستينات فخرج من عمله على المعاش ، وكان قد شغل منصباً له وزنه ، وهو ما يزال عضواً بناد اجتماعي معروف ، ويمارس الرياضة ، وكان يحب الصيد وتحصل على جوائز فيه ، وهو يعلق في بيته بعض الأسماك النادرة المحنطة التي استطاع أن يصيدها ، وصوراً له مع أكابر الموظفين ورموز المجتمع المشهورين ، وعرف النساء وكانت له جولات معهن ، وتقلبت به ظروف الحياة ، وكانت حياته دائماً مفعمة بالحركة ، غنية بالأفكار والمشاعر ، والآن وقد أوغل في العمر ولم يعد الشاب الذي كان فهل يقنع بما كان و يتخلف عن الركب و يترك كل شيء و يستكين ؟ أبداً فما دامت مشكلة الحياة تضيء فيه فهو لن يطفئها ، وسيحاول باستمرار أن يزيد إضاءتها و يشعلها أكثر كما في أحلامه هذه :

رأيت نفسي مع فتاة جميلة . سبحان الله ! الشباب حلو ! كانت شابة في نحو الخامسة والعشرين . كنا نجلس متقابلين ونتعشى معاً . وتغير المشهد ورأيتني معها في الاسكندرية على البلاج . كانت بثوب الاستحمام . أي جمال هذا الذي كان جمالها ! وسبحنا سوياً . كنت كالسمكة التي لا تهدأ ولا يستقر لها قرار. أعوم وأزوغ هنا وهناك . وفجأة اختفت الفتاة . ونظرت وكان غير بعيد شاب لا أعرفه قال إنك تسبح وتغوص بمهارة عجيبة . قلت هناك من هم أصغر مني سناً وأصبى لكني أبزهم جميعاً في السباحة .

والحالم كما نرى ما زال مشغولاً بالنساء ، وما تزال به شقاوة الشباب فيحلم بالنساء الجميلات ويجالسهن وله معهن شأن ، وما يزال به العنفوان الذي يستطيع به أن يسبح إلا أنه يعترف بأنه من الممكن أن يوجد من هم أصغر سناً وأصبى ، والحلم من ثم لا يمكن إلا أن يكون لإنسان كبير يدفع عن نفسه أنه قد كبر و يتمسك بالحياة بأن تكون له نشاطاتها حتى وإن كانت في الأحلام وحدها .

وهو في حلم آخر يحلم ببلده وموطنه الذي فيه وُلِد وترّبى :

حلمت أني عدت إلى بلدي « بنها » التي شهدت شبابي . كنت أنتظر على محطة القطار. وجاء القطار وله ضجيج ، وتزاحم عليه الناس ، ولم أستطع أن أصل إليه . وتحرك وتركني . وخرجت من المحطة وسرت على شاطئ النيل . كان الماء عظيماً ومغرياً . وغير بعيد كانت طاحونة أعرفها . حلوة بلدي !! الماء والطاحونة والشجر المدلي أغصانه في النهر الجاري والسمك يظهر طافياً ينادي على الصيادين . لكني تركت ذلك وسرت في طريقي .

والقطار يرمز للزمن الذى يولى ، ولشبابه الذاهب فهو لم يعد قادراً على أن يلحق به ، لكنه ما يزال به العزم ، فالماء والطاحونة والسمك هناك وهى رموز جنسية واضحة ، بمعنى أنه ما يزال ينتصب ويمنى وقادراً على الجماع ، والماء رمز المنى ، والسمك الطافى قدرة الانتصاب ، والشجر المدلى الغصون فى الماء أيضاً رمز للانتصاب . والكثير من أحلام الشيوخ هذه صفتها ، أنها أحلام عن أيام العز والقوة والفتوة ، وعندما يحن العجوز لأن يستعيد شبابه فإنه يحلم بالماضى ، وترتاد أحلامه ملاعب الصبا ، ثم إنه إذ يحلم بالماضى يبتعد عن الحاضر ، فالحلم طريقة للهروب من إلحاح الزمن الحاضر المهدد .

وهذا الحلم له وهو يلعب الرياضة :

كنا فى النادى نلعب الكرة الطائرة . وضربت الكرة مسدداً فسجلت نقطة لنا وكان الهتاف يكال لى . وأخذ التعب بمجامع الجميع إلا أنا . لم أتعب وما كنت أتعب من رياضة أحبها . وانتقل المشهد إلى الحمام وأخذت حماماً وأنا سعيد . وضربت صديقاً لى على بطنه مازحاً : كرشك كبير!!

وهو يحلم فى نفس الليلة هذا الحلم الثانى :

كنت أريد أن ألبس ملابسى بسرعة لألحق موعد عملى . كان علىّ أن أصل هناك قبل الثانية والنصف لأذيع نشرة الأخبار. وجاء الأتوبيس إلا أنه تجاوزنى فأخذت أعدو وأعدو وأعدو فقد قررت أن ألحق موعد عملى حتى ولو عدوت إليه ، واستيقظت وأنا أعدو.

وطبيعى أن ينتقل الحالم من حلم الرياضة إلى العمل ، ولكننا نلاحظ أنه فى حلم يؤكد مقولة تعب الجميع وأنه لم يتعب ، ويهزل مع زميل و يشير إلى كرشه ، والحالم يؤكد على أنه لم يعد لائقاً بدنياً بسبب كرشه هو نفسه . وفى الحلم الثانى يعترف بعجزه أيضاً حيث يفوته الأتوبيس ، ولأنه يريد أن يعود إلى عمله « ألحق عملى » فهو يركض ، أى أن فكرة العودة ستقتضى منه لتنفيذها أن يركض و يركض و يركض ، أى يبذل الكثير جداً . والحالم واقعى فمع أنه ما يزال يتمسك بالحياة إلا أنه يعرف حدوده ، وتجتمع فيه أحاسيس الشباب مع أحاسيس الشيخوخة وإدراكها ، وتنتصر الشيخوخة على الشباب فى الحلم .

وهذا الحلم التالى يزيد مشكلة هذا الحالم وضوحاً و يلقى المزيد من الأضواء على الحلول التى يقترحها هو نفسه :

رأيت منزلاً قديماً ولكنه كان ما يزال جميلاً ، وكنت أتجول فيه ، ورأيت مكتبة وامرأة فى نحو الثلاثين تنفض الكتب وترتبها . وكان هناك رجل يكبرها قليلاً . والاثنان ما كانا

يبساليان بى . وقلت للمرأة حافظى على الكتب لأن صفحاتها أسهم شركات تساوى مالا وأنا أريدها أن تحرص عليها . ثم اختلف المنظر فرأيت نفسى فى حجرة فى الدور الأرضى مع ولد وبنت ولم يكونا يعيرانى أدنى التفات . وقلت لهما احتج على هذه المعاملة . أنتما لا تعاملاننى باحترام . ثم سألتهما عن أمى فقالا لا علم لنا أين تكون أمك .

والمنزل القديم الجميل هو نفسه الرجل ، وما تفعله المرأة بالكتب هو عادة ما يفعله الورثة بها بعد أن يموت صاحبها . وهذا التفسير يقوى منه أن الحالم يحذر المرأة أن تستهين بها لأن صفحاتها أسهم شركات ولذلك يريدها أن تحرص عليها . وهذا الشيء هو نفسه ما يقوله المورث لورثته من بعده . احرصوا على هذا الشيء أو ذاك لأنه ثمين . وهذه المرأة والرجل معها هما ابنه وزوجة الابن . وهو لا يشعر بأنها يهتمان به . والولد والبنت فى الدور العلوي هما حفيداه . وهو يشكو من إغفال الجميع لأمره . وهم لا يحترمونه حتى من أجل المال الذى سيخلفه لهم والذى يحرص عليه لأنه هو وحده الذى يعرف كم قاسى ليجمعه ، والمال هو جهد قد اختزن ، وهو جهده طوال عمره ، اختزنه لهم ولكنهم لا يعرفون قيمته ولن يعرفوها مثله . وأما تغير المنظر من حجرة المكتبة إلى الغرفة بالدور الأرضى فهو بمثابة انتقال من الحاضر إلى الماضى حيث الطفولة والذكريات ، وكأن الحالم يرتد إلى طفولته ، ومن الطبيعى أن يسأل عندئذ عن مكان أمه . ولقد توفيت الأم ، و يبدو أنه من شكواه من معاملة الجميع له قد صار يؤثر أن ينضم إلى أمه ويموت ، والموت عند البعض فى مرحلة معينة وعندما يكون هناك إيمان يعنى حياة أفضل ، وهو لا يخيف البعض إذا كانت أعمالهم طيبة وقد يطلبونه كتغيير للأحسن لحياتهم . والناس عندما يحلمون بأشخاص ماتوا ، و برغم أنهم قد يحلمون بهؤلاء الموتى باعتبارهم أحياء ، إلا أن استدعاء الموتى فى الحلم دليل على انشغال بال الحالم بفكرة الموت . وربما يكون الحالم شاباً ، ولربما يزعم أن فكرة الموت هى آخر شيء يمكن أن يشغل نفسه به ، إلا أن الموت ، يستوى فى ذلك الشبان والشيوخ ، وقد يبدو خلاصاً حقيقياً لمشاكل الحياة . وربما تكون هذه المشاكل بالنسبة للشباب لا تستوجب أن يتمنى الحالم الموت لنفسه ، إلا أن استدعاء الموتى فى الحلم هو تأكيد على أن هذه الفكرة تداعب خياله وتخطر فى باله .

والحلم بالموتى تتعدد أشكاله بحسب ثقافة الحالم ، فمثلاً حلمت امرأة مات زوجها حديثاً أنه طلبها عبر التليفون ، فلما ذهبت لتخفض الراديو لتستطيع أن تسمع زوجها كان قد انصرف ، فكانت تصرخ وتنادى عليه دون جدوى . وهذه المرأة ترى فى الموت انه انقطاع الاتصال بينها و بين الميت .

وهذا الحلم لامرأة مات زوجها منذ سنتين :

كنت فى حفل زفاف فيما يبدو ، ووسط الزحام تبينت زوجى ولم يلمحنى ، وكان

منصرفاً فناديت عليه بالاسم ، وأسرعت الخطو أتبعه ، وأنا أهتف باسمه واستصرخه أن ينتظرني ولكنه لم يسمعني ، واستيقظت وأنا أبكي وأنادي على زوجي .

والحلم من نوع **الأحلام برغبة** ، وهي الرغبة أن تنضم إلى زوجها ، وانضمامها إليه بعد أن فرق بينهما الموت بمثابة زواج جديد ، وربما كان ذلك بسبب اجتماعها في مكان الزحام بمناسبة الزفاف ، ولكنها لن تستطيع أن تزف إليه فعلاً ، وهو حتى لم يلب نداءها ، ولم يستمع إلى صراخها ، وهو الصراخ الذي أيقظها من النوم لأنه يمثل رغبة معارضة أقوى من الرغبة الأولى ، هي الرغبة أن تعيش .

وقد يشغل العجائز بالموت وتكون بهم الرغبة شديدة أن يموتوا ، فيحلم الحالم بأحد أقاربه من الموتى ، وخاصة أمه أو أباه ، يدخل الحجرة ثم يدعوه ليلحق به ، كهذا الحلم لامرأة رأت أباها يدخل حجرتها و يتقدم منها و يضع يده على يدها دون أن يتكلم ثم يخرج ، وكأنما هذه اللمسة من الأب الميت لابنته تعني أنه يطلب منها أن تتبعها .

والحلم التالي لامرأة أيضاً قد تقدم بها السن وتكالبت عليها الأمراض :

رأيت عجوزاً تشبه جدتي تلبس ثياباً سوداء ، وتتلفع بشال أسود ، ووجهها به سمرة وخدود عميقة ، ولها نظرة خاصة وبريق بعينيها ، وكانت تقف على رأس سريري وتتمعنني .

والعجوز هو تصور المرأة للموت ، وهي تقابله في الحلم وجهاً لوجه . وأحياناً يكون تصور الموت أنه رحلة ، وذلك ما يراه فيه معظم الناس في بلادنا التي كان فيها التفكير في الموت منذ الفراعنة وما قبل ذلك . وهذا الحلم لسيدة في نحو الخامسة والستين مات عنها زوجها وابنها :

حلمت أني أجهز نفسي للقيام برحلة . وكان عليّ أن أسرع ، لكني ما كنت أتعجل نفسي ، وكنت أدخل حجرة وأخرج منها لأدخل ثانية ، باحثة عن شيء لا أجده فالحجرات كلها فارغة .

والمرأة ترى أن حياتها ، كالحجرات الفارغة ، فارغة ، وهي تعتزم أن تخلفها وراءها للقيام بالرحلة التي تتلكأ في القيام بها لعلها تجد شيئاً تعيش من أجله .

والعجائز قد تختلف نظرتهم إلى الموت ، فالبعض قد يراه راحة واجتماع لشمل الأحباب الذين رحلوا ، والبعض قد لا يتصوره ولا يطلبه مهما كان بؤس الحياة التي يحيونها ، كهذين الحلمين :

الأول : حلمت أني أرقد في سريري وأشعر بتعب شديد وأن روحي تصعد ، وكنت

سعيداً بذلك ولم أشعر بقلق على أسرتي ، ولم يخطر على بالي إلا أني عما قريب أرحل وأتحرر من كل قلق ، ولن تعود بي حاجة أن أستيقظ من نومي لأسرع لألحق بعملي .

الثاني : حلمت أني مت ووضعوني في القبر وأغلقوا علىّ الباب ، وكنت أحاول أن آخذ أنفاسي دون جدوى وأشعر أني أختنق . وكنت أدق على القبر بكلتا يدىّ وأركله بقدمىّ . واستدرت أطالع القبر فلم أجد إلا حوائط يبرز منها الطوب والأرض رملية والرائحة عفنة تملأ المكان . واستسلمت فقد شعرت بالتعب واليأس .

والحالم فى الحلم الأول يرى فى الموت راحة له و يرحب به ، والثانى يرفض الموت و يصاب منه بالرعب ولا يرى فيه أى راحة ويحاول يائساً أن يهرب من القبر .

وإنها لحقيقة أن الناس كلما تقدم بهم السن اتجه تفكيرهم إلى الماضى وتذكره ، وإنه لمن الملفت للنظر أن الذاكرة عند الشيوخ تقوى بصدد أحداث الماضى حتى لنسمع منهم تفاصيل عن أحداث وقعت منذ أربعين أو خمسين سنة وكأنها وقعت بالأمس ، فى حين أنك قد تسألهم ماذا أكلوا منذ نصف ساعة فلا يذكرون . والماضى دائماً له رونق وبهرج عندهم ليس للحاضر ، والمستقبل بالنسبة لهم لا يمكن إلا أن يأتى بالأسوأ . وهذه الظاهرة تبدأ معنا جميعاً فى نحو سن الأربعين فيقل الفعل عندنا وقد نقنع بأن نعيش فى الماضى ونجتر ذكرياته ، و يطلق العلماء على هذه الظاهرة النكوصية اسم **النقطة السيكولوجية الوسيطة** ، أى التى تتوسط حياتين ، فقبل هذه النقطة كان للحياة نبض ناشط وإيقاع فاعل وواعد ، والمرء يفكر و يفعل من أجل مستقبل يحلم به ويخطط له ، و يشعر أن الحياة دوامة من الحركة وأنه جزء من الدينامو الهائل الذى يهدر بالحركة . وبعد هذه النقطة السيكولوجية المتوسطة تبدأ حركة الحياة فى التخلف ، ويخف التوتر ، و ينخفض النبض ، و يكون الإيقاع بطيئاً ، و يزداد بطؤه كلما أوغلنا فى العمر حتى ليبدو أنه سيتوقف ، ومن ثم نحلم بما يعوضنا عن إفلاس الحاضر فتأتى أحلامنا صدى لرغباتنا إن كنا نريد الحياة فتفعم الأحلام بها ، وإن أردنا أن نتخلص منها ونهيها حلمنا أيضاً ، ولكنها أحلام بالموت وليس بالحياة ، وتتراوحنا الحياة والموت ، و يتعاوراننا فى اليقظة والمنام ، وكأننا نعيش لنموت ، أو كأننا نعيش الموت فى الحياة ، وفى الشيخوخة تكون للحياة والموت فلسفة ، وليس إلا الفلسفة هى التى يمكن أن تجيب على هذا السؤال ، وماذا بعد الحياة والموت ؟ ولعل الدين هو الوحيد الذى يعطينا الإجابة ، فتبارك الذى قال إنه قد خلق الموت والحياة ليبلو الناس أيهم أحسن عملاً ، وفى أحلام الشيخوخة سيلح هذا السؤال ــ **ماذا بعد الموت ؟ وستكون فى الشيخوخة أحلام تكشف عن رؤية الحياة والموت عند الحالم ، وبعضها بمثابة كشف حساب للحالم ، وبعضها ذكريات قد يفرح لها وتسعده لأنها صدى لضمير مرتاح ونفس مطمئنة ، وبعضها ذكريات قد تشقيه لأنها رجع صدى لضمير معذب .**

« أحــلام اليقظــة »

الأحـلام تكون ونحن نيام ، وسنصطلح فى هذا الباب على تسميتها بالمنامات ، وهناك أحلام تـأتـيـنـا ونحـن أيـقـاظ ، وفى الحـالـتين نحـن نحـلم ، وفى الحالتين ينسحب الحالم من الحياة ، وفى المنـامـات انـسحابه بالنوم ، وفى أحلام اليقظة يكون انسحابه بانشغال الفكر وانصرافه تماماً إلى مـا ينصرف إليه تفكيره وهو يحلم . وفى المنام يتنبه النائم بأن يستيقظ ، وفى حلم اليقظة يتنبه بأن يـعـود إلـيـه وعـيـه بـالبيئة المحيطة به ، وعودة الوعى أسهل فى حلم اليقظة منه فى المنام . وكذلك يتشابه المنام وحلم اليقظة من حيث أن **التفكير فيها قد نقضِى فيه بأنه سخيف وأنه لا يساير المنـطـق .** وقـد نحـكـى مـنـاماً فنعتذر ونحن نحكيه لما فيه من تفاصيل قد تضحكنا أو يصيبنا منها الـغـم ، وقـد نـسـتعرض حلم اليقظة فنجد حرجاً فى ذلك لأننا نبدو به كما لو كنا أطفالاً . ونحن حـقـاً أطـفـال فى الحالين ، فالتفكير المنامى تفكير أولى بدائى ، ولغته الصور، وهى الأساس التى بـدأ بهـا الـتـعـبـير عـنـد الإنـسـان ، **والـتـفـكـير الحلمى فى أحلام اليقظة تفكير أليق بالأطفال** و يناسبهم أكثر، وأكثر ما تأتى أحلام اليقظة الأطفال .

وتتشابه المنامات وأحلام اليقظة ايضاً من حيث التذكر والنسيان ، ونحن **قد ننسى ما نحلم** به فى اليقظة ، تماماً مثلما ننسى المنام ، **وقد نذكر أجزاء وننسى أجزاء** ، وقد نستخدم التداعى الحر لنتذكر هذه الأحلام أو ما نسيناه منها كما فى المنامات .

والمـنـامات وأحلام اليقظة كلتاهما أحلام **تدور حول الحالم نفسه** ، غير أنه فى المنام قد يتقنع الحـالـم ، وأمـا فى حـلـم الـيـقـظـة **فحضوره صريح وواضح** . وحلم اليقظة **قصير** كالمنام ، وقد

يطول ، وقد يأتي كحلم وحيد ، وقد يكون **حلقة** من سلسلة من أحلام اليقظة تدور حول موضوع واحد وتستكرر فيها الشخصيات . ومن أحلام اليقظة ، كالمنامات ، ما هو **نمطي** ، **وما يتكرر** المرة بعد المرة . ودراسة أحلام اليقظة لذلك **ينبغي أن تكون للزملة منها وليس للحلم الواحد** .
ونلاحظ أن أحلام اليقظة تدور حول **رغبات** ، وأحياناً ما تكشف عن صراعات **قد كبتت** وتظهر لذلك **مرموزة** ، وأحياناً تتلون بلون **عدواني** صريح ، ولعل ذلك هو سبب نسياننا لها أو اسقاطنا لأجزاء ، فالكبت الذى تناول مصادرها يتناول أيضاً تذكرها ، وهو خلف الرقابة التى يفرضها الأنا على الرغبات أو الصراعات أو الميول التى تستحثها فيكون **تحريفها** وطرحها صوراً لقصة يظهر فيها الحالم بطلاً أو منقذاً أو عظيما أو محباً أو مرموقاً يعجب به الناس فتتحقق له الرغبات أو تنحل بها صراعاته أو يصرف فيها ميوله . وحلم اليقظة يصرف فيه الحالم طاقته التى كان من الممكن أن يصرفها فى عمل إنشائى ، وبدلاً من أن يجهد الحالم ليحقق لنفسه الانتصار على خصمه بالتوسل إلى ذلك بالطرق الإيجابية ، فإنه **يتوهم** هذا الانتصار و يعيش فيه لحظات أو دقائق وأحياناً ساعات . والانتصار والتفوق هو **انتقام يمارسه** الحالم بالخيال ، وهو **التعويض** عن قصوره وعجزه الحقيقيين أو النفسيين ، ومن القصور ما هو عضوى ، ومنه النفسى نتيجة خبرات الطفولة التى نصاب منها بالعجز أو الإخصاء النفسى ، وهو شعور يتحصل للبعض إزاء ضغوط لا يملك لها دفعاً وهو طفل ، و يتنامى معه و يفعل فعله فى الكبر ، فلا تكون حياة الحالم من ثم مشبعة لآماله وتطلعاته وطموحه وعواطفه ونوع الحياة التى يريدها لنفسه ، فيعوض عن ذلك بأحلام اليقظة . ولذلك فعند تحليل حلم اليقظة سنجد الحالم يواجه التحليل بالاستهجان والإنكار ، وهو ما اصطلحنا عليه باسم **المقاومة للتحليل** عندما ناقشنا موضوع المنامات ، لأنه يكشف عن المكبوت الذى لا يعرف الحالم عنه شيئاً أو لم يلاحظه فى نفسه ، و يفصح عن عقد النقص ، وقد لا يساير المحلل على ما يذهب إليه .

وقد يزعم البعض أنه لا يحلم أحلام يقظة ، وقد يفخر بذلك ، ويجد أنه لو صرح بأنه يحلم بها فلربما يكون ذلك دليلاً على النقص وهو ما يحاول أن يداريه ، وما يحاول أن يوهم به نفسه والناس ، بأنه إنسان عملى ولا يمكن أن تستغرقه أحلام اليقظة . ولعل **قصة سندريللا** أروع مثل لحلم يقظة ، ولعل **حلم بائعة اللبن** مثل آخر لما يمكن أن يكون عليه حلم اليقظة ، وفى الحالتين نرى سندريللا و بائعة اللبن شخصيتين **متواضعتى الأصل** ــ أى أن ظروف حياتها دون ما تأملانه ، غير أن سندريللا يأتى إليها من يتبين فيها ما لم يدركه المحيطون بها فيرفعها إلى أعلى مكانة فى بلدها ، بينما بائعة اللبن تستبق الأمور وتبنى قصوراً على الرمال وتختصر الزمن وتعيش فى حلم وردى ينقذها من فقرها و يرفعها إلى مكانة ترنو إليها ببصرها وتعرف يقينا أن قدراتها لا يمكن أن تأخذ بها إلى هذه المكانة . وفى الحلمين نلحظ **التقدير العالى من الحالم** لذاته ، واختلاف تقدير الناس **لذاته عن تقديره هو لذاته** . ولربما كان لظروف الحالم

الاجتماعية والمادية ما يجعل إحساسه بذاته مرهفاً إلى الدرجة التى تخلق هذه المفارقة بين تقديره وتقدير الناس لذاته . وحلم اليقظة يشبع فى الحالم تقديره لذاته بأن يجعل تقدير الناس يتطابق مع تقديره لذاته ، وهو لذلك يحلم بأنه بطل أو عبقرى أو فنان مشهور أو زير نساء أو شاعر رومانسى أو ضابط مغوار .. إلخ . ومن ثم **كان حلم اليقظة طريقة غير ناضجة لحل صراعات الحالم وإشباع ميوله ورغباته ، وهو حل أليق بتفكير الأطفال أو التفكير البدائى بحيث يستحيل به الحالم قادراً قدرة مطلقة فينتقم من عدوه أو يتزوج من حبيبته أو يحقق تقدماً علمياً يتجاوز به تخلفه الدراسى .. إلخ .**

وشخصية الحالم تكشف عن ميول انطوائية ، وهو يستخدم طاقاته الإبداعية فى ابتداع عالمه الحلمى فينسجه نسْجاً و يعيش فيه أحلامه الوردية تعويضاً عن حياة فيها الفشل والقصور والإحباط وعدم التقدير والعوز والمرض وقلة الحيلة .

ومثلما رأينا فى المنامات فقد نجد من ينسب أحلام اليقظة ــ إذا كان الحلم جنسياً أو عدوانياً ــ إلى **الشيطان** ، وما يرده البعض إلى الشياطين نعرف أنه من رغباتنا وصراعاتنا وميولنا التى نكبتها ولا تجد المتنفس لها إلا فى المنامات وأحلام اليقظة . وليس أدل على تأثير الكبت على هذه الرغبات والصراعات والميول من الحرج الذى نعانيه إذا اضطررنا إلى أن نحكى عن مناماتنا أو أحلام يقظتنا ، وهو حرج لا يعرفه الأطفال فإنهم يعايشون أحلامهم و يسردونها فى سرور ، وقد يتضايق الآباء إذ يسمعون أطفالهم يخلطون بين الواقع والخيال ، و بدلاً من أن يقول الطفل لأبيه مثلاً « كنت أفكر فى الأسد وأنا ألعب فى الحديقة » فإنه قد يقول له « رأيت أسداً وأنا ألعب فى الحديقة » ، ولذلك فلو شئنا دراسة أحلام اليقظة فى أصفى أشكالها وأبعدها عن الحرج والكبت والقمع فإن ذلك لن يكون متيسراً إلا فى **أحلام الأطفال** ، وتتمثل فى شكلين ، الأول هو **ألعابهم الإيهامية** ، والثانى هو تلك **الأحلام** التى تأتيهم ونراهم مستغرقين فيها يبحلقون فى لا شيء وذاهلين عما حولهم وقد **يصوغونها عبارات** تحكى عما رأوه . والأطفال كما نعرف منهم من يقدر على صياغة العبارة ، ومنهم من لا تسعفه لغته على ذلك فيطرح أحلامه فى ألعابه ، ولقد تسنى لعلماء النفس مراقبة الأطفال فى ألعابهم ، وعلاج اضطراباتهم النفسية باللعب الإيهامى ليسقط الطفل دخائل نفسه ومفاهيمه على الدمى التى يختارها ليصنع منها شخصيات حلمه التى سيتعامل معها وترمز للشخصيات المؤثرة فى حياته . **والدراما النفسية المتحصلة هى حلم يقظة** يقول فيه الطفل كل ما يريد ، بفطرة سليمة ، وقد يتحدث هو نفسه بلسان الدمية أو الدمى التى يلاعبها و يتقمص الشخصيات التى تمثلها . وليس أروع من الألعاب الإيهامية للأطفال كأحلام يقظة ، **وليس أبين منها لنفسية الطفل الذى يعانى من الحرمان أو غير ذلك من مشاكل الأطفال ، وخاصة الطفل الوحيد لوالديه ، والطفل المعوق بدنيا .**

و يتخذ الطفل له ، أول ما يتخذ ، **صديقاً متوهماً يلاعبه** companion imaginary ، و يسر له بأسراره ، و يكلمه ، ويحكي له الحكايات . ولو سألت الطفل عمن يكلمه ، لأجابك بلا تردد إنه فلان ، ولو قلت له ولكنى لا أعرف طفلاً بهذا الاسم من الجيران ، فقد يقول إنه فلان وكفى . هكذا أسميه . وقد يصفه لك فتحسب أن الخيال يشطح به ، أو أنه طفل كذوب سينشأ على الكذب وقد تخاف عليه لهذا السبب ، ولكنه لا يكذب ، بل يتكلم عن حق ، وهو ما يحلم به ويختلط عليه فيحسبه صدقاً و واقعاً ، فطالما أن الواقع لا يزوده بما يريد فليصنع هو نفسه هذا الواقع فيرضى و يسعد ، و يعطيه ذلك إحساساً بالقدرة من حيث أنه قد استطاع هو نفسه تغيير هذا الواقع .

وإذن فأحلام اليقظة التى تتطرح ألعاباً ايهامية فى أوائل سنى الطفل ــ نحو الثالثة ــ لها دورها السيكولوجى الخطير ، والأطفال بها يشبعون رغباتهم التى لم تشبع ، ويمارسون فيها ميولهم التى لا تجد الإشباع ، و يسقطون من خلالها صراعاتهم التى قد تنحل خلال عملية الإسقاط هذه . والطفل فى اللعب الإيهامى يمكن أن **يمثل الأب المسيطر الذى لا يرد له طلب ، والأم الحانية ، ودراما المنزل هناك من خلافات زوجية أو عائلية** . والطفل فى اللعب الإيهامى يعوض عن الحرمان هنا أو هناك . وكلما كانت **الدمية بعيدة الشبه بالواقع** كان ذلك أقرب إلى ما يطلبه فيها ليسهل عليه أن يتصورها على الصورة التى يريدها . وقد يلعب الطفل مع قطعة خشب صماء وكأنها سيارة أو قاطرة أو طائرة ، فأما لو أعطيته طائرة فعلاً فلن يكون بوسعه أن يتخيلها قاطرة أو سيارة .

و يعطى الطفل لدميته **اسماً ليس من الواقع** ، لأنه لو كانت الدمية تعوضه عن شخص حقيقى يشبع رغباته مثلاً كما تشبعها الدمية فإنه لن يكون بحاجة للدمية لأن معه الأصل ، ولكن الطفل يختار للدمية اسماً ليس كأسماء الأسرة أو المعارف بحيث يخاطبه فلا تكون واقعية الاسم حداً لخياله ، فهو يريد اسماً يوحى له بإيحاءات مفتوحة . وقد يختار مع ذلك اسماً واقعياً ، لكنه فى هذه الحالة لم يعد واقعياً ، فمثلاً قد يأتى زائر إلى البيت و يلاعبه و يسر له جداً فإذا رحل عن البيت ولم يعد ضمن الواقع فإنه قد يطلق اسمه على لعبته لأنه قد تحصل له من هذا الزائر إشباعاً يرجو أن يستعيده بأن يحل اللعبة محله . وقد يختار الاسم مزجاً بين الحقيقة والخيال . وأعرف طفلاً أطلق على دميته اسم « الشاطر » فلما شاهد حلقات طفطوفة فى التليفزيون غيّر الاسم إلى « طفطوفة الشاطر » . والمزج قد عرفناها من حيل المنامات .

و يعنى اختيار الطفل لاسم لعبته ، أى الدمية أو الخدين المتخيل الذى لاعبه ، أنه قد بلغ مرحلة متقدمة من مراحل نموه ، فالخدين أو الدمية المتخيلة فى أول الأمر لا يكون لها شخصية محددة ، ويمكن أن يكون أى شيء ، إلا أنه عندما يعطيها الاسم فذلك يعنى أن ملامح شخصية

الخدين أو الزميل الملاعب له قد تحددت فى خياله ؛ وبمعنى آخر فإن **مرحلة التجريب تكون قد انقضت ويكون الطفل قد أصبح يدرك ما يريده ، فإذا عرف هذا الخدين أو الملاعب المتخيل فإنه بالتالى يعرف نفسه ويحدد فكرته عنها وتتحصل له صورة فطرية عمن يكونه ، ويبدأ شعوره بذاته يتنامى .**

وتظهر دراسة أحلام اليقظة عند الأطفال اهتمامهم **بالحيوانات** ، وقد عرفنا أنه أيضاً فى المنامات فإن الحيوانات تكون موضوعاتها . والحيوان يشد إليه انتباه الطفل بالنظر أولاً إلى مخالفة شكله ، ثم لأنه يفعل أشياء لا يستطيعها هو برغم ضآلة جسمه . والحيوان أقرب إليه من البالغين ، لأنه فى جسم الطفل وليس ضخماً كالبالغين . والطفل نفسه باعتبار مراحل النمو فى مرحلة أشبه ما تكون بالحيوانية ، أى أنه يكون على الفطرة فيتماثل مع القط الصغير أو الجرو ، ويستطيع أن يتناوله ، وأن يحتضنه ، وينيمه معه ، ويؤاكله ، وهى عمليات تمهد لما سيكون من بعد حيث الزمالة أو الرفقة بين الأقران . والطفل بالحيوان تكون له أحلام تفوّق ، فقد يرى العصفور يطير ويعلو فيحلم أنه عصفور لكى يعلو ، وقد يرى القط يتسلق الحائط فيحلم أنه قط ليستطيع ذلك أيضاً ، فكأنه ينسى فى الطيور والحيوانات عجزة وقلة حيلته وحرمانه وعداءه للعالم . **وأحلام التفوق** فيها هذا الإيحاء الذاتى بالتفوق والقوة ، **وقيل أن منشأ النزعة إلى التفوق عند الشخصيات المتفوقة فعلاً هذا الضرب من أحلام اليقظة التى نطلق عليها اسم أحلام التفوق .**

وعندما يتوقف الطفل عن ملاعبة زميله المتخيل فإن معنى ذلك أنه قد كبر ، وأنه قد اتجه إلى أن يستعيض بزميل حقيقى يتخذ منه صديقاً ، وهو لا يفعل ذلك إلا إذا وجد أن هذا الطفل الحقيقى يشبع فيه كل ما كان يشبعه زميله المتخيل .

ونحب أن نسوق هنا مثلين من أحلام اليقظة ، الأول يرويه فرويد ؛ **وهو لطفل كان شديد التعلق بأمه ، وكان عليها أن تخرج إلى عملها يومياً وتتركه فى البيت ، وعند خروجها كان طفلها يودعها وداعاً مؤلماً له ، فإذا انصرفت ظل زاهداً فى كل شىء ، إلى أن عثر يوماً على بكرة فتلة قطنية فكان يلعب بها ، واكتشف أن هناك مماثلة بين البكرة التى يسره أن يلعب بها وأمه التى تظهر وتختفى لتظهر من جديد ، فقد كان يرمى بالبكرة فتدور إلى أن تختفى تحت كنبة فيقول الطفل : ذهبت ، ذهبت ، ثم يسحبها فتظهر البكرة فيقول فرحاً : حضرت ، حضرت !! وهو بهذه اللعبة كان يمثل دراما اختفاء وظهور الأم مع ما يصاحبها من انفعالات ، فهو الحزينة كاسف البال عندما تنصرف أمه ، وهو السعيد غاية السعادة عندما تعود ، والتمثيلية الإيهامية هذه تفيده لأنه يتعلم منها أن الحياة فيها الفراق واللقاء ، والحزن والسعادة ، وأنه لا حزن للأبد ، ولا فرح للأبد ، وأن الحزن والسعادة والفراق واللقاء يتعاودان الحياة . ثم إن الطفل وهو يستعيد هذه الخبرات**

ويتحكم فيها يشعر أنه قادر ومسيطر، فإذا لم يكن يستطيع أن يسيطر على ظروفه فإنه على الأقل يستطيع أن يسيطر على انفعالاته، وقد يتحصل له الإدراك أنه بعد كل عسر سيأتي الفرج، ويتعلم أن لا يستجيب للخبرات المؤلمة باليأس المطلق والانهيار التام طالما أنها إلى زوال فلا الألم يدوم، ولا اللذة تدوم، ولعل ذلك سبب الفلسفات التى نقيمها من بعد للألم كما عند شوبنهاور ونيتشه وأبى العلاء المعرى.

والمثل الثانى الذى نحب أن نسوقه لطفلة ولدت أمها أختاً لها صارت تغار منها، وانقلبت عدوانية وصارت كثيرة الشجار مع أخيها الاكبر، وصارت تعاند أمها ولا تحبها، إلى أن حدث يوماً أن ظهر لها كلب أسود كبير فى الشارع هجم عليها فصرخت صراخاً هائلاً أفقد الأم صوابها فتركت ابنتها المولودة وركضت إلى ابنتها هذه واحتضنتها وقبلتها وهدأت من روعها وأعطتها شيكولاته وحكت لها الحكايات وأنامتها معها فى السرير، وبذلك كان ظهور هذا الكلب مصدر إشباع لكثير من رغباتها، ثم تطور الحال فأخذت تحلم بالكلب وتفزع من نومها، الأمر الذى اضطر الأم أن تنيمها معها، فتأكدت بذلك المكاسب التى آلت إليها بظهور الكلب. وتطور الأمر إلى أبعد من ذلك فصارت البنت يتهيأ لها أنها ستلقى كلباً أسود فى كل زاوية وشارع وناصية، ومن ثم رفضت أن تخرج وآثرت أن تبقى ملازمة أمها، وكأن هذا الكلب كان سبباً للبنت فى إشباع رغبات وحاجات أخذت شكلاً مغالى فيه بسبب ولادة البنت الجديدة، وقد استثار ظهوره خيالات لديها، نخلص من دراسة حالتها وحالة الطفل الذى يحكى عنه فرويد، أن الأطفال يفهمون أى خبرة بشكل بسيط جداً، وأنهم قد يصبونها فى قالب تمثيلى إيهامى أو يصورونها فى ألعابهم أو يمثلونها فى حياتهم، فالولد يتخذ الموقف المفروض عليه موضوعاً لتمثيل اختفاء الأم وظهورها فيستعيد انفعالات الألم والفرح، والبنت تصوغ الموقف فى قالب إيهامى تمثيلى بحيث تكرر الخوف فيكون لها الأمن مردوداً من الأم الملهوفة على ابنتها، وفى الحالتين نكتشف ديناميات الموقف والشخصية ودواعى السلوك من خلال اللعب أو التمثيل الإيهامى الذى اصطلحنا عليه اسم أحلام اليقظة عند الأطفال.

فإذا تجاوزنا مرحلة اللعب الإيهامى إلى الأحلام التى يمكن أن نحكيها عبارات ونصوغها فى كلمات، وقد نكتبها، فإن هذه الأحلام تأخذ شكلاً مختلفاً، ويمكن تصنيفها إلى أربعة أنماط، الأول هو نمط الأحلام الاستعراضية fantasies of display وفيها يتصور الطفل نفسه يقوم بأعمال لا يقوم بها فى حياته الواقعية فيثنى عليه الناس و يستحسنونها منه، والثانى نمط أحلام الإنقاذ saving fantasies وفيها يقوم الحالم بأعمال فوق استطاعته، ينقذ بها انساناً غالباً ما يكون من الجنس الآخر فيحبه هذا الآخر ويكبره أبواه والناس الذين رأوه ينقذوه، وغالباً ما تكون البنت التى ينقذها الحالم ذات

مركز اجتماعي مرموق ، وهي رغم ذلك تقع في حبه و يتغاضى أبواها عن كونه أقل منهم اجتماعياً . ومن الممكن أن نعتبر الأحلام التي يستعرض فيها الحالم مهارته مثلاً في كرة القدم فيصيب مرمى الخصم و ينقذ بذلك فريقه من هزيمة محققة ــ يمكن أن نعتبرها أيضاً من نمط أحلام الإنقاذ .

والنمط هو نمط أحلام العظمة fantasies of grandeur وهو نمط شائع ، حيث نجد الكثيرين يتوهمون أنفسهم ملوكاً أو أمراء أو فنانين مشهورين أو أبطال رياضة من الرياضة و ينسجون حول أنفسهم أحلاماً يكال لهم فيها الثناء و يشار لهم من خلالها بالبنان . والنمط الأخير هو نمط **أحلام الولاء** fantasies of homage ، كأن يرى الحالم نفسه يوالي إنساناً و يتفانى في الإخلاص له و يظهر محبته ، ونلمس ذلك خصوصاً في أحلام البنات التي موضوعها الحب الذي قد تكنه البنت لمدرستها المفضلة .

والأنماط السابقة يدل تحليلها على أن شخصية الحالم من نمطي الأحلام الاستعراضية وأحلام العظمة أنانية ، بينما شخصية الحالم من نمطي أحلام الإنقاذ والولاء غيرية . **والشخصية الأنانية** التي تظهرها هذه الأحلام تنحو للطفولة وتتعلق بها ، وربما كان ذلك لولادة طفل أخ للحالم صرف انتباه وحب الأم عنه إليه ، فأصبح يلجأ إلى أحلام اليقظة يشبع بها ما حرم منه . ونفس هذا الموقف نجده مثلاً في أحوال الكبار الذين تكون لهم مناصب كبيرة ثم يجردون منها فبدلاً من مواجهة الموقف الجديد تجدهم يسترسلون في الأحلام التي يستعيدون فيها ملكهم الزائل وعظمتهم التي كانت . و بعض الأنانية بالكبار يكون مصدرها من الطفولة ميل الآباء أن يستعرضوا مهارات أطفالهم أمام الضيوف ، وقد يتحصل للطفل أن دوره في الحياة لا يتجاوز هذا الظهور ، وأن سائر الناس ما وجدوا إلا للإعجاب به ، فإذا لم يستطع الطفل بعد ذلك تنمية موهبة من مواهبه بحيث تصبح مشاهدته أمراً مثيراً للاهتمام فعلاً ، فإنه سيجد عندما تتقدم به السن أن الناس قد صاروا يستشعرون الملل كلما تواجدوا معه ، و يصبح إلحاحه على تحصيل الإعجاب منهم مصدر إزعاج لهم . ولربما يلمس الطفل أيضاً ذلك فيضطر إلى مضاعفة جهده ليفرض نفسه على المحيطين به بأن يزيد من موهبته ، أو أن ينسحب بعيداً عنهم وقد أصابه الاكتئاب ، ومن ثم فقد يصرف وقته باحثاً عن العزاء في أحلام اليقظة المفرطة في الأنانية .

ويمكن دراسة أحلام اليقظة الأنانية من زاوية أخرى ، **فهي ترمز إلى هرب الحالم من جماعته** وما تتطلبه منه كفرد فيها ، **أو ترمز إلى التمرد عليها** . والمفروض أننا نتنازل عن مطالبنا الخاصة التي تتعارض مع مصالح الجماعة ، أو نتظاهر بهذا التنازل ، لكن الذي يحدث أنها تكبت في اللاشعور وتعمل عملها من ثم دون أن نعي وجودها بينما تعبر عن نفسها في صورة أحلام اليقظة وغير ذلك من الأنماط السلوكية الأخرى .

والأناني الذى يستعرض فى أحلامه ما يستوجب إعجاب الناس به ، يلزمه جمهور ليستعرض أمامهم ، والغيرى يلزمه نفس الشيء ، غير أن الأنانى الذى يحلم بأنه مثلاً يلعب كرة قدم ويحرز لفريقه النصر إنما يفعل ذلك لا لإرضاء الفريق وإنما لإشباع أنانيته بأن يكون محط ثناء الفريق ، بينما الغيرى يحلم بأنه قد حقق لفريقه النصر و يقول واصفاً ذلك نحن إنتصرنا ، ويجد إشباع حاجاته بأن يرى نفسه فى فريقه يواليهم و ينقذهم ، وإن كان قد استعرض مهارته أيضاً أثناء ذلك . ولقد رأينا أن أصل ذلك أن الطفل الأنانى عندما يختار شريكاً له فى اللعب يختار صديقاً متوهماً هو صورة من نفسه وكأنه يلاعب نفسه ، ومن ثم يتحدث فيقول أنا ، وهو من بعد يضطر إلى أن تكون أحلامه أيضاً فى نطاق الفريق أو الجماعة ولكنه يستخدم حضور هذا الفريق أو الجماعة لمصلحته لا لمصلحة الجماعة .

ونجد فى بعض ضروب **أحلام اليقظة الأنانية** إشارة إلى ما يعتقد الحالم أن الجماعة تنتظر منه أن يتولى قيادتها ، فقد يحلم موظف صغير قليل الشأن أنه يؤلب عمال المصنع ضد أصحابه ، و يقف خطيباً فيهم يعدد لهم فساد الإدارة وجشع رأس المال فيهتف العمال حينئذ باسمه و يرتضونه زعيما لهم لمعرفته الشديدة ووعيه الكبير ، ومن ثم يقوم بعرض مطالبهم و يقنعهم بالعودة إلى عملهم ، و يعجب به أصحاب العمل فيعينونه مديراً للمصنع ، و يعجب به العمال فينصاعون لأوامره .

وأحلام اليقظة للأنانى تكشف عن طفولة مسرفة فى التفكير ، فالناس عنده إما طيبون غاية الطيبة ، وإما أشرار والغون فى الشر ، والحالم هو الواعى بأسرار الجميع والقادر على النفاذ إلى أعماقهم ، والكل أخياراً أو أشراراً ينصبونه عليهم لمهارته وفراسته ، وهنا نرى فى هذا النوع من أحلام اليقظة صورة للمجتمع أو لجماعة الناس التى يحيا الأنانى بينهم و يعمل من خلالهم .

و بعض **أحلام اليقظة الاستعراضية** يتجه إلى استعراض المعرفة ، و بعضها يتجه إلى استعراض العنف أو إبراز الفعل . ونوع المعرفة قد يتمثل فى أن يحلم الحالم أن رجلاً مثلاً قد كشف له سراً وهو على شفا الموت ثم يكون الحلم عبارة عن مهارة الحالم وهو يستغل هذا السر استغلالاً يجعله محط إعجاب الجميع . وربما يتحصل للبعض نتيجة للتربية أن الإعجاب سيكون نصيبهم لو امتلكوا معرفة تخصهم وكأنها السر . ونحن مثلاً كأطفال نرى الكبار يتحدثون حديثاً لا نفهمه فنحسب أنهم يتناولون أسراراً . وقد يعجب الطفل بأبيه إذ يقرأ كل هذه الكتب ، وقد يسأله عما فيها فيجيبه الأب ببساطة لا يصدقها الابن لأنه لا يمكن أن يكون هذا الكلام التافه هو ما تحويه . ويحكى أحد الأبناء الحكماء وكان رياضياً أستاذاً أن ابنه طلب منه أن يفهمه معنى الرياضيات فبسطها له ولكن الطفل ظل يلح عليه مع ذلك قائلاً « قل الصدق . زدنى إيضاحاً » .

ونحن نميل إلى هذه السرية من طفولتنا ، **وبعض الأعمال الأدبية الكبيرة هى ضرب من أحلام اليقظة** يقوم على معرفة البطل بالأسرار كما فى القصص البوليسية . والحالم فيها هو البطل يستعرض معرفته وسعة اطلاعه بخبايا النفوس فى حل اللغز . ومرة ثانية نلتقى ببساطة تقسيم الناس إلى مجرمين وضحايا ورجال شرطة يتعقبون المجرمين و ينقذون الضحايا ، بينما ينال البطل الذى حل اللغز النياشين والأوسمة وتقريظ الصحافة والناس .

وقد نتساءل عن سر إقبال الناس على القصص البوليسية وأفلامها ، وليس من جواب سوى أنها بمثابة أحلام يقظة تستثير خيالهم وتشبع فيهم الميول لإماطة السر وإظهار المعرفة . وقد نسأل أنفسنا كذلك عن سبب الإقبال على نوع القصص والأفلام التى يقال لا قصص وأفلام الخيال العلمي وليس من تفسير لهذا الإقبال إلا نفس التفسير، وهو أنها بمثابة أحلام يقظة فيها المعرفة الغريبة غير المجدية التى يسعى إليها هذا النفر من الناس الذى يميل أن يعيش أحلام اليقظة ولا يصلح لنوع الحياة العملية التى تتطلب إعمال الفكر ولكنها من ناحية أخرى تفتقد الإثارة . وحياتنا المعاصرة حياة ساكنة و يعوضها نمط الناس الذى يحبون أن يعيشوا الإثارة والحركة بخيالهم ، بأن ينخرطوا فى أحلامهم يقظة تعوضهم ما ينقصهم . و بعض القصص والأفلام فيه رومانسية مسرفة تشبع أيضاً نفراً من الناس وكأنها أحلام يقظة يدخلونها ليعايشوا الانفعالات العاطفية الجياشة والنهايات التراجيدية . وربما قد نقول إن أى مواطن أصبح يجد كل مقومات الحياة العصرية المادية ، وهذا قد يكون صحيحاً ، إلا أننا جميعاً فى ظل هذه الحياة العصرية المادية صرنا نعانى **نقص الإشباع النفسى**، ومن ثم نجد الكدر والضيق والاكتئاب واللهفة إلى شيء مجهول من معالم الشخصية الحديثة ، مما قد يميل بنا إلى أن ننخرط فى أحلام اليقظة ننسجها نسجاً أو ينسجها لنا آخرون هم هؤلاء القصاصون والروائيون والمسرحيون ومخرجو الأفلام التى صارت بضاعتهم سلعاً رائجاً رواج الطعام والشراب .

ونحن عندما نبلغ المراهقة ونولى ظهورنا للطفولة نواجه فجأة **بملكة الخيال** تعمل عملها فى حياتنا وكأنما تتفجر مع المراهقة . **وأحلام اليقظة فى المراهقة تميزها صبغتها العاطفية .**

وتصور **أحلام اليقظة العاطفية** الحالم فى صحبة شخص من الجنس الآخر، يتجالسان و يتسامران و يتحاوران ، و يكون ذلك دائماً على خلفية شديدة الزواق من منظر طبيعى جميل أو حجرة فاخرة الرياش ، و يتوقف المكان على ثقافة الحالم والوسط الذى ينتمى إليه . والحالم يحكى حلمه فيقول عن الحالة الوجدانية التى تصحب الحلم بأنها سعيدة جداً ، وقد يستدرك فيقول بل إن لفظ السعادة ليقصر عن الوفاء بوصفها فالحق أنى كأنما كنت أرتفع عن الأرض أو أشعر أنى أخف من الهواء .

والخيال فى سن المراهقة الذى يلهم أحلام اليقظة أكثر نضجاً من خيال الطفولة . وربما يكون الثراء العاطفى لأحلام اليقظة فى المراهقة مردة ما يكتسب الفرد من خبرات تشتق مادتها من الحياة نفسها ، أو من الكتب ، بالإضافة إلى ما يكون فى المراهقة من كبت شديد للدوافع الجنسية كبتاً يتسبب عنه انفعالات عنيفة .

وحلم اليقظة الذى نسوقه لفتاة فى السادسة عشرة من عائلة بسيطة ، كانت ترى كل ليلة قبل ذهابها إلى فراشها حلم يقظة تظهر فيه حجرة جميلة ذات ألوان هادئة ، ولا تذكر الفتاة أن الحجرة كان بها أزهار ولكنها تذكر جيداً الرائحة الجميلة التى كانت تضوع بها . وكانت الفتاة تجلس إلى أريكة وإلى جوارها ملتصقاً بها فتى يبادلها الحب و ينشدها بديع الكلام متغزلاً ، ما سمعت ولا قرأت مثله ، وكانت تشعر لذلك بنشوة تدغدغ جسمها وجوارحها .

والحلم يذكرنا بالرفيق أو الخدين المتخيل فى لعب صغار الأطفال وأحلام يقظتهم مما يوحى بأن الفتاة تعانى **كبتاً ونكوصاً إلى مرحلة الطفولة الباكرة** ، وأن الرغبات الأنانية التى كانت بهذه المرحلة لم يتم التخلص منها ارتقاء إلى المرحلة التالية من النمو، بل إنها كبتت فعادت الآن إلى الظهور تنشد الإشباع . والفتاة فى الحلم تحبس نفسها داخل هذه الحجرة وإن كانت فردوساً ، ونحن أمام حالة هروب من العالم الواقعى الذى تعرفه الفتاة والذى قد يشبع عندها رغبات ، ولكن تتبقى رغبات لا يشبعها إلا أن تنفرد بنفسها تصنع أحلاماً وتستمتع برفقاء خيالها إلى أن تنام . و يتغزل الفتى فى جسمها ، وهى الظاهرة التى ينبغى أن نتنبه إليها فى المراهقة حيث قد تنبه التغيرات التى تشمل الجسم اهتمام المراهقين بأجسامهم فيتعاملون مع أعضائهم برومانسية و ينظرون إلى الجسم نظرة عاطفية وجمالية .

و بقدر ما يكون لجسد الفتاة من معان يكون أيضاً لجسد الفتيان معان قد تتخالف مع المعانى الأولى . وهذا حلم يقظة لفتى يصور ما نقول :

يحلم الفتى بأن حصاناً قد جمح براكبته ، ورغم أنه لم تكن له خبرة بالخيل فإنه يندفع خلف الحصان ويمسك بلجامه و يعرض نفسه للخطر و يعين الفتاة على الترجل ، و يصحبها إلى والديه اللذين يقدمان له الشكر و يدعوانه إلى بيتها ثناء منها على بطولته .

ونلاحظ أن الحلم يشبه أحلام البطولة عند الأطفال الصغار، إلا أن الحلم يصطبغ بصبغة عاطفية لا نجدها فى أحلام الأطفال . وليس فى الحلم جمهور من المعجبين من جماعة الحالم تستحسن ما قام به ، الأمر الذى يوحى بأن هذا الاستحسان ليس جزءاً من الإشباع الذى يتوخاه الحالم .

ورغم أن الحالم ليست له دراية بالخيل فإنه يفعل ما يفعل فى جرأة وقوة وهو ما يكون محل إعجاب أبوى الفتاة ، فالفتى ليس من طبقتها إلا أنه يستحق أن يدخل هذه الطبقة العالية **وموضوع الفوارق الطبقية من موضوعات أحلام الشباب . وترمز الكثير من أحلام اليقظة فى سن المراهقة وما بعدها إلى الصراعات الطبقية ، وتعكس أعمال أدبية كبيرة هذه الصراعات ، وبعض هذه الأعمال ليس إلا أحلام يقظة لأصحابها .**

ولقد عرفنا أن الأطفال يمرون **بالموقف الأوديبى** وتتحصل لهم ردود فعل يكبتونها وتعمل فيهم لاشعورياً نتيجة ما يتوصلون إليه من حلول للصراعات الأوديبية أو الصراعات التى يستحدثها حبهم أو عداؤهم للوالدين . و يوفق الطفل إلى أن يكبت عداءه للأب من الجنس الآخر، بينما يظهر له الود ، **وتظهر الصراعات الأوديبية من جديد فى المراهقة ، وتبين بها اتجاهات الأبناء نحو بدائل الأبوين من معلمين ومؤسسات دينية وحكومية .** ولسوف نجد مواقف كالحلم السابق يتواجه فيها الشاب وأبو الفتاة التى يحبها ، ولكن الرومانسية التى ينزع إليها الشباب هى التى تجعل المراهقة غير عدائية بحيث ينال الفتى استحسان وإعجاب الأب . ولعله لهذا السبب تتجه بعض أحلام اليقظة إلى أن يلجأ البطل إلى اختطاف حبيبته من قلعة أبيها . والاختطاف كان صورة من صور الزواج من قديم الزمان تعبيراً عن العداء نحو الأبوين . ومن نتائج هذا الصراع الذى يعبر عن نفسه فى أحلام اليقظة فى صورة « **الاستيلاء على المرأة** » بأخذها من أبيها بطريقة أو بأخرى ، أن العداء اللاشعورى نحو الأب قد يتجه بشكل شعورى نحو النظام الاجتماعى القائم الذى ينظر إليه على أنه نظام طبقى عتيق يقاومه جماعة الشباب الأقوياء المتحمسين ، وفى الحلم السابق يرمز الأب الكهل إلى النظام بينما يرمز الشاب إلى إرادة التغيير . وذلك يفسر تبنى الشباب للأحزاب الجديدة دائماً باعتبارها تمثل التمرد على النهج الحزبى القديم . وكانت الاتجاهات السياسية للشباب المصرى مع حزب مصر الفتاة **(ولاحظ اسم الفتاة أى المتعلق بالشباب)** ، واتجهت جماعات الشباب فى أوروبا إلى تأييد الأحزاب الفاشية والنازية والشيوعية . **ولو شئنا أن نفهم أشياء عن السخط الاجتماعى فى أمة من الأمم فإننا لن نجد ذلك فى المنشورات الثورية بقدر ما نجدها فى أحلام اليقظة التى تعكس المطالب الملحة للشباب . وفى حلم اليقظة العاطفى سنعثر على المدلول الحقيقى للعالم الجديد الذى ينشده الشباب ، فإنهم عندما يخفقون فى أن يجدوه فى الواقع القائم فقد يسعون لتحقيقه عن طريق السلوك غير المتزن والعنيف ــ وهو ما يعبر عنه فى حالة الأفراد باسم السلوك العصابى والسلوك السيكوباتى ــ أو يحاولون أن يظفروا به توهماً بتعاطى المخدرات التى يتصورون بها أنفسهم فى عوالم وردية ، أو تكون لهم أحلام اليقظة من النوع العاطفى فيتجاوزون فيها العقبات الاجتماعية ويحققون ما يصبون إليه ، وتروج لذلك الكتابات الرومانسية التى هى أحلام يقظة يصوغها الروائيون وصناع السينما ، وتنشط بهم فى الخيال تعوضهم عما حرموا منه .**

ولقد كتب الكثيرون فى موضوع الصلة بين الأدب والفن وأحلام اليقظة وأرجعوا ذلك إلى **ملكة التصور،** ونحن لن نتذوق الأدب إلا إذا عشنا مع الكاتب فى جو تلك الخبرات الخيالية التى يوحى بها ، وصحبناه فى رحلاته التى يصفها ، وتأملنا معه حقول الخريف ، أو نفذنا ببصيرة ووعى إلى أعماق النفوس . والبعض منا يتميز عن غيره بقدرته على التصور بأن ما يفكر فيه أو يقرأه حقيقة . وقد نتجاوز حدود ما يرسمه الكاتب . **ومثل هذا التصور ليس مجرد استقبال سلبى بل هو تصور ناشط إنشائى تلقائى .**

ولقد قال شللى إننا عندما نشاهد مأساة فإننا نرى أنفسنا فى صور الشخصيات التى تظهر فيها ، وقد تجردنا من كل ما يربطنا بالزمان والمكان . ويبدو أن هذا حقيقى فيما يمر بنا من خبرات عند قراءة القصص والقصائد والمسرحيات ، حيث يتوقف تذوقنا على اندماجنا فى شخصيات الأبطال فنشاركهم آلامهم وانتصاراتهم . ولقد ثبت أن **قصة سندريللا** ليست سوى حلم يقظة رأينا فيه جميعاً أنفسنا ، ولذلك تنوعت القصص لسندريللا بمختلف الأزمان والأمصار ، وظلت سندريللا هى سندريللا ، لأنها إجمالاً قصة الشخص الذى يهان من أسرته التى لم يستطع أفرادها تقديره حق قدره ، غير أنه يتصل مصادفة بأقوام آخرين يدركون حقيقته ويحطونه التقدير لذاته الذى يطلبه لنفسه . وعرفنا **أن مدار أحلام اليقظة عند الكثيرين هو تقدير الذات .** ونحن نستمتع **بتاجر البندقية** ونعيش حلم يقظة مع **شايلوك** برغم أنه كريه ، إلا أن استمتاعنا به هو أننا نرى الجانب اللاشعورى منا فيه . **وليس الأدب إلا وسيلة لنقل حالة الاستغراق التى عاشها المؤلف إلى القارئ .** ولو درسنا كل كاتب قصة أو مسرحية لوجدنا أن هناك أشياء تتكرر معه فى كل أعماله ترتبط بحياته الخاصة ، ومنها نستطيع أن نكون صورة إجمالية عن نوع أحلام اليقظة التى كان يعيشها وهو صغير ، ثم وهو مراهق ، وأى نوع من الطفولة كانت طفولته ، فأحلام اليقظة إذن قد تلهم الكثير ، وربما كانت لها فوائد لا تحصى ، وكان المربون فيما مضى ينظرون إليها نظرة تنقصها روح الفهم والعطف ، على عكس المربى الحديث الدارس لمراحل النمو عند الناس ومستلزماتها ، ومن ثم يدرك أن أحلام اليقظة ليست عيباً ينبغى التخلص منه ، بل نشاط عقلى لابد أن نتعهده بالعناية وحسن الاستخدام . ولنتناول **كتابات كارلايل** مثلاً ، ولنحاول أن نقرأها من جديد لنتبين ملامح البطل الذى يتحدث عنه ، ولنقارن هذا البطل بأبطال أحلام اليقظة الذين تحدثنا عنهم عبر مراحل النمو المختلفة لندرك أى أثر يمكن أن يكون لهذه الأحلام على تفكير فيلسوف مثل كارلايل . وأياً كان بطله ، سواء كان نبياً أو ملكاً أو دكتاتوراً أو علماً من أعلام الأدب ، فإنه لابد أن يكون إبن أمته ونتاج مجتمعه والمعبر عن مقومات هذا المجتمع وتطلعاته . وكارلايل نفسه ليس إلا صورة لبطله ، عاش طفولته بطلاً ، ثم أصبح بطلاً من أبطال الفكر . وتصور كارلايل الفيلسوف له أساس من تصوراته فى أحلام

يقظته فى طفولته ، وإنما هوسما ببعضها إلى مرتبة القداسة ، وهبط ببعضها إلى مرتبة المهانة ، وفسر التاريخ على أنه قصة جماعة من الأبطال .

وكارلايل ليس إلا مؤلفاً من عدد كبير من المؤلفين ، يمثل الأديب الذى يتعهد أحلام يقظته ويخلق منها شيئاً يسمو على مجرد حلم اليقظة ، وما حلم اليقظة عند هؤلاء إلا النبتة التى يتعهدها صاحبها فتترعرع وتصبح شجرة سامقة .

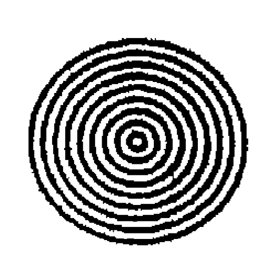
وبالمثل فى الفن ، فعلاقة الفن بأحلام اليقظة علاقة قوية من حيث أن الفن وسيلة للتعبير التصويرى عن أحلام اليقظة . ويذكرنا ذلك برسم لطفل طلب إليه أستاذه أن يرسم أى شىء يعن له ، وقد رسم ما رسمه ولم يكن من السهل طبعاً أن يدرك الأستاذ مايصوره الرسم ، فسأله عنه فقال له إنه منارة ، ولما طلب منه المحلل أن يحدثه قليلاً عن رسمه تبين أن الطفل لم يكن قد شاهد منارة أبداً ، ولم ير صورة لها ولكنه سمع مجرد سماع عما تعنيه المنارة من حيث إنارتها البحر للسفن فيمكنها أن تسير فى أمان إلى المرافئ تحتمى من العواصف . والطفل إذن قد رسم شيئاً يرمز إلى الأمن ، ويبدو أن هناك فى حياته ما تعلم منه أن الضوء يعنى الأمن ، وقد غالى فى رسم منارته المتصورة ، بأن جعل رأس هذا الشىء الذى رسمه كأنها الأباجورة ، ولها قائمة وقاعدة ، وجعل الرأس كبيرة كأنها هالة ضخمة من الضوء ، فكأن هذا الطفل قد ابتدع رمزاً لنفسه يدل على الأمن . وتبين أيضاً أن هذا الطفل يكره الظلام لأنه يخشى معناه ، ومن ثم فقد خلق لنفسه رمزاً للأمن عندما شعر بحاجته إلى الأمن ، **فاستطاع بذلك أن يحصل من فنه على تعويض شعوره بالخوف وعدم الاطمئنان .**

ومن المألوف أن الطفل فى رسومه يسرف فى إبراز الأجزاء التى تثير اهتمامه بأن يضاعف حجمها ويكررها ، فالطفل الذى يهتم برسم الطيور يرسم طائراً واحداً كبيراً أكبر من كل ما حوله ثم يكرر ذلك . وإذا رسم قطاراً اهتم برسم العجلات ، وإذا رسم دراجة اهتم برسم الزمارة ، فالمقياس فى رسم الطفل هومقياس الاهتمام لا مقياس الأبعاد الطولية ، وتلك هى نفس اتجاهات الرسم البدائى ، والطفل له فى الرسم نظرة البدائى إلى الرموز والصور ، ورسومه لذلك تأتى كالكاريكاتير . وهويخلط كالبدائى بين الشىء الحقيقى وصورته ، والكثيرون منا لهم نفس الاعتبار ، ما زلنا نتشاءم لو وقعت صورة ، على ظن أن وقوعها يعنى وقوع صاحبها ، أى موته . وعندما نريد أن نسحر لشخص نرسمه أو نقتنى صورته لنضع السحر فيها . وربما كان نجاح قصص مثل **صورة دوريان جراى لأوسكار وايلد** نتيجة وجود معتقدات لا شعورية كهذه .

وقد يبدو أن رسم الكبار مختلف عن رسم الأطفال ، وذلك غير صحيح ، فالراشد الذى يرسم يريد أن يأتى رسمه على الصورة الواقعية التى ألفها وليس على الحقيقة ، ومن ثم تراه يقرب تفاصيل ليكبرها ، و يبقى تفاصيل فى الضوء ليبرزها ، و ينتقى موضوعات لوحاته ، و يفعل

ذلك بدوافع داخلية عميقة ، ومستهدياً برغباته واهتماماته . وهذا هو ما نقصد إليه من العلاقة بين الفن أو الأدب وأحلام اليقظة ، **فالفن تعبير بالصور عن صور ذهنية لأفكار بعضها لا شعوري وبعضها شعوري ، وبعضها رغبات واهتمامات وصدى لصراعات** . ولعل خير ما ندرس به أحلام اليقظة في ارتباطها بالفن هو استجابات الفن عند المتفرجين ، ونجد أن الاستجابة تكون عامة للوحات والتماثيل التي تساعد على أن يندمج المتفرج مع الصورة أو التمثال ، مثلما تكون الاستجابة كبيرة بإمكان اندماج القارئ مع أبطال القصة أو اندماج المتفرج مع شخصيات المسرحية . وكثيراً ما نسمع من الناس هذا التعبير « **تخيل نفسك تعيش بجانب هذا الجدول ، أو في هذا الكوخ ، أو على هذا الجبل** » . وفي مجال الأدب قد نسمع أحدهم يقول « **تخيل نفسك الملك لير وصنع بناتك بك ما صنعه به بناته** » ، فكأن الصور الفنية سواء كانت بالخطوط أو بالكلمات تهيئ المسرح للمتفرج أن يحلم وهو يقظان . ولقد قيل أن أولى التعاليم التي ينبه إليها الفنان الصيني .. وهو فنان يعرف بأنه لا يرسم الواقع مثل آلة التصوير ــ هو أن يشغل بالمناظر الطبيعية و يعايشها ثم يطرحها من دماغه من زوايا مختلفة لا تتطابق مع الواقع ، و بذلك يأتي الرسم عبارة عن تركيبة جديدة لها مدلول خاص وكأنها حلم يقظة قد طرحه بالألوان والخطوط ، ولن تسمع من أي فنان إلا هذه النصيحة « **لا تتأمل الواقع بقدر ما تتأمل أحلامك عن الواقع** » .

والفن أو الأدب باعتبارهما خبرة جمالية يشاركان حلم اليقظة في نفس الخبرة ، بل إنهما ليصدران عن نوع الخبرة الجمالية التي يدخلها الفنان أو الكاتب وهو يحلم بصورته أو بقصته . والفنان أو الأديب وهو يرسم أو يكتب يستحضر صوراً لا شعورية و يطرحها بشكل شعوري انتقائي لا سبيل إليه إلا من خلال أن يحلم بالعمل الفني أو الأدبي ، وأغلب الأعمال الأدبية والفنية تأتي على أساس من أحلام اليقظة والرؤى الحلمية ونحن أيقاظ ، ولعل ذلك هو أحد الفوارق بين المنامات وأحلام اليقظة ، رغم أننا قد سبق أن ذكرنا أن بعض الكتّاب قد يجعلون مادة مناماتهم موضوعات لرواياتهم أو قصصهم . وكذلك فإننا ونحن نستمتع بالعمل الفني أو الأدبي فالغالب أن استمتاعنا به لأنه يجئ بدرجة أو بأخرى متطابقاً مع نمط أحلام اليقظة التي تأتينا وتوافق شخصياتنا واتجاهاتنا . وربما لم يكن حكمنا على عمل فني أو أدبي بأنه عظيم إلا لأنه يوافق طرحنا لأفكارنا في شكل الصور التي تصنع أحلام يقظتنا .
. (Henry, G.: Daydreams)



« أحلام تجريبية مستحدثة بالتنويم المغناطيسى »

لقد ذهبنا حتى الآن إلى ما ذهبنا إليه بشأن الأحلام سواء منها ما كان منامات أو ما تعلق منها باليقظة ، وكل ما طرحناه فى أغلبه لا يعدو النظريات والتفاسير التى قد نختلف عليها أو نزيد فيها ، وما من دليل يؤيدها سوى نتائجها الثبوتية خلال العلاج النفسى ، وما اتفق منها مع نتائج أخرى لوسائل تجريبية فى مجال تحليل الشخصية ، وهو أمر قد أجهد النفسانيين كثيراً لتكون لهم تجاربهم التى تقطع برأى حول الأحلام ونظرياتها . ولكى يمكن أن نطور منهجاً تدرس به الأحلام دراسة موضوعية بعيدة عن الطرح التفسيرى لفرويد والآخرين كان الاقتراح بدراستها تجريبياً من خلال ما يمكن استثارته من أحلام عند أشخاص ينومون تنوماً مغناطيسياً ، وما يمكن أن يقدمه هؤلاء الأشخاص من تفسيرات لها أو لأحلام حقيقية أو شبيهة بالأحلام كالأساطير مثلاً . ومن هذه الأحلام التجريبية وتفسيراتها بوسعنا عمل مقارنة بين نتائجها والنتائج التى تحصلنا عليها من خلال النظريات التى سبق عرضها .

ولقد كان اجراء هذه التجارب بإنشاء هذا النوع الجديد من الأحلام والذى اصطلحنا على تسميته الأحلام التنويمية hypnotic dreams أو الأحلام التى نستحدثها بأشخاص منومين مغناطيسياً بقصد اختبار مصداقية الرمزية فى الأحلام وعلاقتها باللاشعور، وما إذا كان للأحلام ظاهر وباطن فعلاً . واختير للتجربة عدد من طلبة وطالبات الجامعة ممن ليست لهم اهتمامات بعلم النفس ، ولا بالأحلام وتفسيرها ، ولم تكن لهم نشاطات فنية أو اتجاهات أدبية

قد تؤثر عليهم من قريب أو بعيد فتخيد بنتائج التجربة . ولم تكن لهذه المجموعة مشاكل عائلية ولم يحدث أن اشتكوا من علل نفسية . فمثلاً اختيرت فتاة من مجموعة التجربة لتكون وسيطة ، و بعد تنويمها قال لها الأستاذ المشرف : تعرفين أن للأحلام تفسيرات ، وأن لكل حلم معنى ، وما سأحكيه لك هو حلم لفتاة ، ... أن نعطينا تفسيراً له بما أنك منومة ، ومن عالمك يمكن أن تستبصري الأمور أفضل .. الفتاة رأت نفسها وكأنها فى حجرة وحدها ، وكأنها ترتب حقيبتها فتسلل ثعبان إلى الحقيبة واكتشفته ففزعت وولت الأدبار. فماذا ترين تفسيراً لما رأته ؟ .. قالت الفتاة فى تردد وعلى استحياء .. الـ م جنسى ، والثعبان يمثل عضو الذكورة عند الرجل ، بينما الحقيبة تمثل عضو الأنوثة فى المرأة ، ودخول الثعبان الحقيبة يرمز للجماع أو الزواج ، فالفتاة تخشى الزواج لأنها ترهب الجماع ، وفكرة الجماع تفزعها فتركض مولية الأدبار.

وبمثل ذلك كان هؤلاء الشبان يسألون وهم تحت تأثير التنويم ، وتكرر عليهم الأحلام أو الأسئلة بعد أن يذهب عنهم تأثير التنويم فكانت الاستجابات تختلف فى الحالتين .

وسئلت إحدى الوسيطات عن تفسيرها لحلم رأى فيه الحالم نفسه وقد اشتعلت النار فى بعض الأوراق بمكتبه فركض خارج الحجرة واستحضر دلوا به ماء صبه على الحريق ، فقالت إن الحلم يعنى أنه يبول على نفسه .

وعندما طلب من الوسيطة أن تحلم بأنها تبول على نفسها وأمها تؤنبها ، قالت أحلم أنى وقعت فى بركة ماء من البرك التى يخلفها المطر فى الشارع واتسخت ثيابى فأنبتنى أمى .

ونقل حلمها إلى واسطة أخرى ففسرته بأن الحالمة تبول على نفسها . وقيل لها هذا الحلم عن رجل يذهب إلى طبيب الأسنان فيخلع له ضرساً بعد جهد جهيد ، فقالت ربما يعنى خلع الضرس عملية الختان ، وربما كان يعنى أن الرجل صار عنيناً . وقيل نفس الحلم لوسيطة أخرى بعد تعديل الرجل إلى امرأة ، فقالت إن خلع الضرس يعنى أن المرأة فى حالة وضع .

وحول أحلام المذهونين قالت وسيطة عن حلم كان صاحبه يرى نفسه شغوفاً بالبطيخ و يلتهمه الواحدة بعد الأخرى ، إن الرجل غليم يحب الجنس وربما هو مصاب بالشذوذ الجنسى .

وقيل لوسيط : رجل حلم بأن الملك أمر بالقبض عليه وإعدامه ، فقيدوه وأسندوا رأسه على نطع تمهيداً لقطع رأسه ، فقال إن الملك هو ضميره ، أو أنه أبوه ، وهذا العقاب الذى ينزل به لابد لأنه فعل ما يستحق أن يعاقب من أجله ، وقطع الرأس يعنى سلبه رجولته ، وإذن فما فعله لابد شيء جنسى يستحق أن يعاقب عليه بسلبه قدرته الجنسية .

و يبدو من كل ما سبق أن الوسيط فى التنويم المغناطيسى يميل إلى اعطاء تفسيرات جنسية ، وقد يرى البعض أن ذلك بسبب طبيعة العلاقة الحميمة جداً بين الوسيط والمنوم

(بكسر الواو) والتي تصطبغ بصبغة جنسية حيث أن أحدهما (الوسيط) مستقبل وسلبي ، والآخر (المنوم) موحي وإيجابي ، وكأن الأول يقوم بدور الأنثى ، والثاني يلعب دور الذكر، وهو ما نلاحظه فى مجموعة الشباب المستخدمين فى التجربة ، فقد كانوا جميعاً إناثاً ما عدا الوسيط الأخير ، وحتى هذا الأخير برغم ذكورته فإنه كان شديد الاحترام والاحتفاء بالمنوم . ولعل هذه العلاقة الخاصة هى التى تميل بالتفسيرات إلى أن تطبعها بطابعها ، ولعل هذا أيضاً ما حدا بيونج إلى أن يرفض التنويم كوسيلة صحيحة للعلاج عندما تبين له أن الوسيط عندما استفاق قد شكره على استحياء لأنه لم يؤذه جنسياً وهو منوم ، فكأن المنوم (بفتح الواو) يدخل التجربة وفى باله أن من الممكن أن يكون هناك شيء جنسى بينه وبين المنوم (بكسر الواو) .

وحول هذه العلاقة الخاصة بين الوسيط والمنوم ، قيل لوسيطة كانت فتاة خجولة فى نحو العشرين « كنت تحزمين حقيبتك عندما تسلل ثعبان إليها واكتشفته ففزعت ووليت الأدبار ، فما هو الحلم الذى يمكن أن تحلمى به ؟ قالت : **أحلم أنى فى الليل وأسير فى مكان به أشجار كثيرة ملتفة ، والأرض طين ، وأنا أسير فى الطين حتى خصرى ، وفوقى على الاغصان تتدلى ثعابين صغيرة كانت تتساقط على كتفـــى وذراعـــى وتنزلق فتحاول أن تطولنى ولكن الطين كان يحمينى منها وكنت أحس الأمان وأنا فى وسط الطين .**

ذاك هو حلمها التجريبى فلما استفاقت من التنويم طلب إليها أن تفسره . وقد طلب ذلك شخص آخر بخلاف المنوم رغم أن المنوم حاضر ، وقالت الفتاة : إن الثعابين أشياء مؤذية وأما الطين فهو الأمان منها ، وبذلك فقد رددت كلمة من كلمات الحلم . وتم تنويمها من جديد ، وقال لها نفس الشخص السابق الحلم وطلب منها تفسيره ، فقالت إن الثعابين أشياء مرغوبة والطين حائل يحول دون أن تتحقق . ثم قالت وربما الثعابين أفكار تعجبها ولكن الناس لا تعجبهم لأنها قد تكون بالنسبة لهم أفكار ثورية ، وأردفت وربما الثعابين أناس لهم آراؤهم التحررية التى لا تعجب غيرهم ، وأخيراً طرحت هذا التفسير ، فلربما تشير الثعابين إلى تجارب تريد أن تدخلها ولكن العرف ، وهو هنا الطين ، لا يسمح لها بدخولها . وبعد هذا التفسير غادر الحجرة الشخص الآخر وبقى المنوم معها ، وطلب منها أن تزيده إيضاحاً فقالت هذه المرة وهى تبسط ساقيها وتمد ذراعيها مسترخية وقد تغير صوتها ، ربما الثعابين الصغيرة هى الحيوانات المنوية تتساقط من الأغصان النافرة المنتشرة وكأنها قضيب الرجل عندما ينتشر وينفر . ومن هذا نرى أن الوسيطة قد أعطت تفسيرات عادية لما كان غير المنوم يستجوبها ، فلما تركت والمنوم وحدهما ارتاحت وقالت ما بنفسها وهو هذا التصور الجنسى المشحون جنسياً شحناً عالياً . والتفسير الذى نتقبله منها ليس واحداً من كل ما سبق من التفاسير ولكنه جماع كل التفاسير السابقة .

وهذه حالة أخرى طلب فيها من الوسيطة أن تحلم حول هذه المشكلة لصديقة لها اكتشفت أنها حامل وهي لم تتزوج وجاءتها لتساعدها فكانت صدمة لها ولم تعرف كيف تتصرف ، فقالت « **إنها تحلم أنها فى قارب ، والبحر مضطرب ، والأمواج حولها عالية ، والمطر ينهمر عليها فيكاد يغرقها من فوق ، والأمواج تكاد تغرقها من تحت** » . وبعد أيام نومت وقيل لها الحلم وطلب شخص آخر بخلاف المنوم أن تفسر الحلم فقالت إن الحلم يدور حول مأزق هى فيه ، وربما لأنها فتاة والمأزق شديد لهذه الدرجة فلابد أنها قد حملت سفاحاً ، وأما أنها تكاد تغرق وحدها فى القارب ، فذلك لأن المشكلة تخصها وحدها وليس هناك من يتحملها غيرها ، وأن الناس ربما كرهوها فصارت وحدها ، وربما كان المطر دموعها تكاد تغرقها ، والموج مشاكلها تضطرب بها أحوالها . ولما خرج الشخص الآخر وتركت أيضاً مع المنوم استدركت وقالت ربما المطر هو منى الرجل تريد أن يغرقها ، وربما هى تشكو الحرمان .

ولعل ما سبق من تجارب يطرح علينا أسئلة ملحة حول هذه العلاقة التى تكون بين الوسيطة تحت التنويم والمنوم (بكسر الواو) والتى رأينا أنها تحدو بالوسيطة إلى أن تفسر أحلامها هذا التفسير الجنسى ، فهل هى إيحاءات من المنوم ، أو هل هى إيحاءات من الشخص الآخر قبل أن يغادر الحجرة ؟ والحق يقال إنه لم يصدر أبداً من أيهما ، لا تصريحاً ولا تلميحاً ، ما يجعل المنومة تذهب إلى هذه التفسيرات الجنسية . ولا يتبقى إلا أن نظن أن العلاقة بين المنومة والمنوم هى علاقة تبعية وخضوع فيها المنومة تستشعر أنوثتها تجاه ذكورة المنوم ، و بذلك تصطبغ بالصبغة الجنسية ، وذلك ما يجعل الكثيرين من علماء النفس يشبهون التنويم بالتجربة الجنسية ، وهو ما تستشعره المنومة وهى فى حضرة المنوم و واقعة تحت تأثيره .

ولم يقدم أى من الوسطاء موضوع التجربة تفسيراً موضوعياً إلا الخمس منهم (بضم الخاء) ، وهؤلاء تميزوا بأنهم مقاومون للإيحاء ولهم شخصيات نستطيع أن نقول إنها محددة ومتصلبة لم يكن من السهل على المنومين (بكسر الواو) أن يؤثروا فيهم تأثيراً يمكن أن نقول إنه يشعرهم كما لو كانوا إناثاً فى مواجهة ذكور .

وثمة مشاكل أخرى ظهرت فى التنويم ومؤداها أن من الوسطاء من كان لا يحار شيئاً فى الحلم إذا قيل له إنه حلمه هو ، فإذا قيل له إنه حلم إنسان آخر تصدى له بالتفسير ، والبعض الآخر كان لا يقبل تفسير الحلم إلا إذا قيل له إنه حلمه هو .

وقيل لوسيطة إن امرأة حلمت أنها حامل وترقد فى سريرها وتكتشف أن الديدان تزحف على ذراعها ، فلم تحر الوسيطة تفسيراً للحلم ، فقيل لها افرضى أنك أنت نفسك حلمت بهذا الحلم ، فقالت « **إنها فعلاً تحلم الآن بأن شمعة موضوعة فى صحن بجوارها على طاولة تحترق وأن الشمع يسيح و ينزل نقطة نقطة على الصحن** » ، فلما نبهت إلى الحلم الآخر قالت إن الحلمين بنفس المعنى ، وذكرت أن الحلمين يصوران الإمناء .

ونفس الحيلة ذهبت إليها وسيطة ثانية طلب منها تفسير الحلم السابق للحامل فلم تستطع وبدلاً من ذلك حلمت بأنها فى سيارة تقودها وذراعها مستند إلى النافذة والمطر يتساقط منهمراً عليه، ثم أردفت : الآن فهمت الحلم الآخر حول السيدة الحامل، فهى قد حملت سفاحاً ولم تكن تريد أن تحمل ولكنها لم تحطط وهى تضاجع فحملت، والديدان هى المنى. ولسبب ما حولت الوسيطتان الحلمين إلى حلمين خاصين بهما، بحيث تناسب تصوراته طريقتيهما فى التصور، ومن ثم فقد استطاعا حينئذ فقط أن يفهما لغة الحلمين وأن يفسراهما التفسيرين اللذين ذهبتا إليهما.

وهذه الطريقة فى استحداث الأحلام عن طريق التنويم وهو ما استوجب اطلاق اسم الأحلام التجريبية أو التنويمية عليها بدأها كارل شروتر فى فيينا سنة ١٩١٢، ونبه إليها فرويد سنة ١٩٣٣ فى معرض الشكوى من أن علماء النفس لم يأخذوا قضية الأحلام مأخذ الجد فتكون لهم تجارب رائدة حول طبيعة الأحلام ومضمونها وعلاقتها بالحالم وخبراته وشخصيته. غير أنه فى الأحلام التجريبية أو التنويمية قد لوحظ أن ما يأتى المنوم من أحلام يتوقف على سعة خياله واستهوائيته وتمثله للموقف الذى يصوره له القائم بالتنويم وانفعاله به، حتى أن المنوم ليتلوى من الألم إذا كان الحلم بصدد ألم، أو ليتغير وجهه إذا كان يقتضى الغضب، و يأتى من الحركات بكيانه كله ما ينبئ أنه يعيش الحلم بكل وجدانه.

و يبدو أن الأصلح لاستحداث حلم تجريبى ما يوصى به البعض أن يقال للوسيط عندما نتأكد بأنه قد دخل فى سبات عميق، أنه سيذكر تجربة حدثت له من زمن وقد نسيها، ولكنه سيذكرها عندما يذكره بها المنوم، إلا أنه لن يحكيها له بل سيأتيه بشأنها حلم، وعندما يُبدأ الحلم يرفع يده فإذا انتهى يخفض يده. ولا يستغرق الحلم بهذه الطريقة سوى دقيقة أو دقيقتين، ثم يبدأ بسرد الحلم بعد هبوط يده. وهذه الطريقة أفضل من الأولى التى بدأنا بها الحديث حول الأحلام التنويمية لأنها أقل إيحاء للمنوم وتترك له الحرية أن يتخيل الحلم، مع تنبيهه ألاّ يكون الحلم حول الموقف الذى يشرحه المنوم، بل أن يكون ما يحكيه هو الحلم الذى يأتيه بصرف النظر عن هذا الموقف.

والموقف الذى يثير الأحلام من هذا النوع إما أنه موقف أو مثير جنسى أو يتعلق بالجنس، كأن يتضمن الجماع أو الحمل أو الولادة أو التبول أو اللواط أو الاستمناء، وإما أنه موقف أو مثير عدوانى أو عدائى، كأن يتضمن التنافس على شىء أو شخص أو اتهام شخص زوراً أو استغلال الناس. وللأحلام المستحدثة بالتنويم أو بالإيحاء أثناء التنويم كل مواصفات الأحلام العادية، ولا يميز الحالم بين أيها. والمنوم بمجرد استماعه للموقف يحلم حلماً يبسط فيه الموقف

الموحى به مع بعض التعديل الذى يدخل الحلم فى نطاق خبراته اليومية . وكلما أوغل فى الحلم استدرك الحالم ، بحيث يأتى الحلم بالفجاجة وعلى الشكل التصويرى الذى تكون عليه الأحلام التلقائية .

ولا ندرى السبب الذى من أجله لا يحلم كل الوسطاء تحت تأثير التنويم بنفس السهولة والمقدرة سوى أن يكون لشخصية المنوم دخل فى استهوائه ، ولقدرته على التخيل واستيعاب الموقف وبسطه فى أحداث وصور، ولعلاقته بالقائم على التنويم ، ولنوعية الخبرة أو الموقف أو المثير المعروض عليه أن يحلم حوله . وقد يحلم المنوم حلماً دون أن يكون هناك المثير الذى يستدعى الحلم ، وهذا النوع غير المستحدث يكون له ظاهر يتمشى مع مصالح الحالم الشعورية . وتقوم بعض الأحلام التنويمية على خبرات من الماضى ، أو على التلاعب بالألفاظ ، وقد يختلف الحلم لمجرد وجود عنصر رجالى أو أنثوى مع القائم على التنويم أثناء عملية التنويم The Use of Hypnasis) : An Experimental Approach to Dream Psychology through (Farber rL. et. al.

وعلى أى الأحوال ومن دراستنا للأحلام عموماً فإن ما تتصف به ينسحب على الأحلام المستحدثة فى التنويم ، بل إننا لنجد أن هذه الصفات تجمعها أيضاً مع أحلام اليقظة . **وهذه الصفات هى ثلاث صفات ، فأولاً :** أن الأحلام يراها الحالم باعتبارها حوادث حقيقية تقع له ، **وثانياً :** فإن هذه الحوادث زمانها الحاضر ، **وثالثاً :** فإنها حوادث لها شكل تهويمى أو هلوسى لا نتبينه إلا بعد أن نصحو من الحلم . والظاهرة الحلمية هى ظاهرة تمتد إلى الأحلام وأحلام اليقظة وأحلام التنويم .

وفى بحث آخر حول الأحلام التجريبية بالتنويم أمكن بعد تنويم الوسيط أن يترك لفترة دقيقتين ليستغرق فى النوم ثم يعرض عليه مثير، و يترك لفترة أخرى يسأل بعدها عما كان يحلم به ويرصد الحلم ، **فمثلاً استحدثت الأحلام النمطية** Typical dreams ، ومنها **أحلام السقوط** ، بتغيير وضع الحالم أثناء النوم ، بحيث يبدو كما لو كان جسمه قد انزلق . واستحدثت **الأحلام الجنسية** باستحداث مؤثر جنسى genital stimulus كأن تمرر مسطرة على بنطلون الحالم حول المنطقة الجنسية أو يشمم عطراً فواحاً . وقد تبين صدق كل ما هو معروف عن الأحلام النمطية وخاصة أحلام السقوط ، إلا أن الحلم الجنسى لم يكن يتحصل دائماً بالمؤثر الجنسى ، وأن مجموع الأحلام الجنسية المتحصلة بهذه الطريقة إلى مجموع التجارب الهادفة التى استحدثتها تمثل فقط ما مقداره ٣٤٪ ، الأمر الذى يقضى بأن الحلم الجنسى ليس كثير الذيوع أو التكرار كما يقول فرويد . وكما يلاحظ فإن التداعى الحركان الوسيلة

الممـيـزة لهـذه الـتـجـارب الأخيرة حول الأحلام التنويمية ، فالحالم يترك تماماً يتحدث عن حلمه ولا يحـدد لـه مـوقـف أو يوصف له مثير ، وإنما يترك الحالم لخياله يفسر المثير أو الموقف كما يتحصل له ، و يسأل أسئلة لاستدراجه فى الكلام ، غير أن التغيرات التى تظهر على وجه الحالم وفى حركة أعـضـائـه وصـوتـه وتـنـفـسـه لـتـفـوق مـا يحـكـيـه عن الحلم وموضوعه . **ولا يختلف تذكر الحلم المستحدث بالتنويم عن تذكر الحلم العادى** ، و يذهب بعض الحالمين إلى أن يؤكد أن الحلم المـسـتـجـدث أوضـح مـن الحـلـم العادى وليس به غموضه ، وأنه يمكن استحداثه مادياً ، أى بمثير مـادى ، أو شـفـهـيـاً ، أى بمـثـير مـن كـلـمـة مـثـلاً . وثـبـت من مختلف التجارب أن **زمن الحلم المستحدث** يـبـلـغ فى المـتـوسـط نصف دقيقة (Klein, D.: The Experimental Production of Dreams During Hypnosis)

غير انه من جـهـة أخرى فـإن الحـلـم المـسـتـحـدث لا يمـكـن أن يـرقـى إلى مـسـتـوى الحـلـم الـتـلـقـائـى مـن حـيـث الـتـعـقـيد والشكل وعمل الحلم ، وأنه لا يستخدم من العمليات الأولية ما يستخدمه الحلم التلقائى ، لدرجة أننا قد نستطيع أنه نشبه الحلم المستجدث بالشعر الذى يقال لـه شـعـر الـعـامية مثلاً ، أو الزجل ، بينما الحلم التلقائى هو شعر بمعنى الكلمة ، فهو محكم البناء ، وشـديـد الـتـعـقـيد ، وفيه إعمال وما يمكن أن نسميه « صنعة » أكثر ؛ ثم إن الحلم المستحدث أو الـتـنـويمى يقع من الناحية الشعورية بين حلم اليقظة والحلم النومى ، أى أنه يشغل موقعاً متوسطاً بينهما ، و بـينما يـأتـى الحلم التلقائى ليحرس النوم ، فإن الحلم المستحدث يتحصل فقط كنوع من الطـاعة للمنوّم وتحقيقاً لرغبته ، أما الحلم التلقائى فإنه لا ينبثق إلا بهدف تحقيق رغبة لا شعورية عند الحالم نفسه (Brenman, M.: Dreams and Hypnosis).

وبـعـد .. فـلـقـد تـنـاولنا الحلم ، فى ظنى ، من جميع جوانبه حتى لم يبق مـا يمـكـن أن أضـيـفـه إلى مـا قـلـتـه .. ومع ذلك فلكل عمل مهما حسبنا فيه الكـمـال جـانـب ناقص .. ولا أعتقد لذلك أنى أوفيت الموضوع حقه ، ولعل فى الـعـمر بقية فيمكن أن أضيف شيئاً ، بل وأشياء ، فى طبعات قادمة بإذن الله .

عبد المنعم الحفنـــى

الفهـــرس

رقم الايداع : ١٩٨٨/٧٥٢٥

طبع بالمطبعة الفنية ـــ ت : ٣٩١١٨٦٢



كتب للمؤلف

- موسوعة علم النفس والتحليل النفسى .
- الموسوعة النفسية الجنسية .
- موسوعة الطب النفسى .
- الموسوعة النفسية .

ترجمات فى علم النفس :

- موسى والتوحيد لفرويد .
- ما فوق مبدأ اللذة لفرويد .
- الحب والحرب والحضارة والموت لفرويد .
- ليوناردو دافنشي لفرويد .

